

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب « السودان بين غردون وكتشنر » ﴾

صحيفة	صحيفة
٨٣ تعيين جسي باشا مديراً على بحر الغزال	(بعد المقدمة)
٤٠ فصل المؤلف من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين باشا بدله	١ تعيين الكولونيل غردون حاكماً على خط الاستواء
٤٢ قصة الاقيال في خط الاستواء	٢ مرافقة مؤلف هذا الكتاب للكولونيل غردون في الخدمة
٤٤ ذكر ما حصل للمؤلف من الكولونيل غردون وسفره لمصر	١٠ عزل رؤوف بك وتعيين الطيب بك عبد الله بدله
٤٤ ذكر ما حصل للمؤلف مع شاهين باشا ناظر الحربية	١٧ ذكر انشاء ديوان خط الاستواء في الخرطوم
٤٥ مقابلة المغفور له خديو مصر اسماعيل باشا	٢٢ الملك أمتيه وأمره في بلاده
٤٧ عودة الكولونيل غردون لمصر واستقالته	٢٣ كيفية فتح مرلي
٤٩ تعيين محمدرؤف باشا حاكماً على السودان	٢٨ تعيين المؤلف مديراً لبور والنربية
٤٩ ذكر وظائف المؤلف بعد ذلك	٢٩ تعيين غردون حاكماً عاماً لمعوم خط الاستواء
٥١ ذكر ما وقع للمؤلف مع العرايين	٣٠ مديريات بحر الغزال
٥٢ ذكر السجن المظلم	٣٢ بلاد نغم
	٣٤ شأن ادريس أتر بعد ذلك
	٣٥ استقالة المؤلف من مديرية بحر الغزال

مصحف	مصحف
٨٤ حملة راشد بك ايمن على المهدي	٤٥ مسألة احراق الاسكندرية
٨٤ ذكر من لحق بالمهدي من مشايخ	٥٥ تجريد المؤلف من رتبة وألقابه
كردفان	٥٦ تاريخ السودان القديم
٨٥ واقعة جبل الجراداة	٥٧ ضم السودان الى مصر
٨٥ تعيين عبد القادر باشا حلي حاكما	٦١ فتح كردفان
للسودان	٦١ مقتل الامير اسماعيل باشا
٨٦ حملة يوسف باشا حسن الشلاي	٦٣ شغوص محمد علي باشا الى السودان
٩١ ذكر ترتيب جيش المهدي بعد ذلك	٦٤ ولاية السودان
٩٢ ذكر تحريم المهدي للدخان	٧٠ ترجمة المتهمدي
٩٣ ذكر من لحق بالمهدي من أعيان	٧٣ حادثة القلام بكردفان
السودان الاوسط	٧٤ وفاة الشيخ القرشي وتشيد قبعة
٩٤ واقعة عامر بن المكاشفي مع سنار	على ضريحه
٩٧ واقعة الشريف أحمد طه	٧٥ ذكر اجتماع عبد الله التعايشي
٩٨ ذكر وصول عبد القادر باشا حلي	بالمتهدي
الى الخرطوم	٧٦ دعوة المتهمدي سرا
٩٩ ذكر تدبير مكيدة لقتل المهدي	٧٧ ظهور دعوة المهدي
١٠٠ ذكر حوادث كردفان	٧٩ واقعة جزيرة آبا
١٠٢ واقعة البركة بكردفان	٨٠ حملة على بك لطف
١٠٣ ذكر واقعة الطيارة	٨٢ ذكر جبل ماسة وقدير
١٠٥ ذكر زحف المهدي من جبل قدير	٨٣ ذكر جبال تقلى

صحيفة	الايض
من الايض	١٠٨ ذكر وصول المهدي الى كابه
١٢٧ ذكر القبض على محمد سعيد باشا	١٠٩ ذكر استحكام الايض
والضباط وقتلهم	١١٠ ذكر هجوم المهدي على الايض
١٢٩ ذكر ترتيب جيش المهدي	١١١ حملة على بك لطفى مرة أخرى
واحكامه	١١٢ سقوط بارة
١٣١ ذكر فصل عبد القادر باشا والقاء	١١٣ ذكر كنيسة جبل الدان
نفاذ السودان	١١٤ ذكر واقعتي شات والمرايع
١٣٢ ذكر تعيين محمد علاء الدين	١١٥ ذكر واقعة عبود
حكم دارا للسودان	١١٦ ذكر واقعة معتوق
١٣٣ ذكر دارفور	١١٦ ذكر واقعة الداعي
١٣٤ تاريخ دارفور القديم	١١٧ ذكر واقعة سقدي مويه
١٣٦ ذكر فتح دارفور	١١٨ ذكر رأى عبد القادر باشا في
١٤١ ذكر رأى عبد القادر باشا في دارفور	إنقاذ الايض
١٤٣ ذكر قدوم محمد خالد زقل من	١٢٠ ذكر واقعة ابن عبد التفار
دارفور	١٢١ مأمورية الكولونيل ستيوارت
١٤٥ ذكر حملة الجنرال هيكس باشا	١٢٢ ذكر حصار الايض
١٥٣ ذكر ترك السودان للفوضى	١٢٤ ذكر سقوط الايض
١٥٤ ذكر فرار وكيل مديرية الخرطوم	١٢٥ ذكر مقابلة المهدي حامية الايض
ولحقه بالمهدي	١٢٦ ذكر احصاء ما غنمه المهدي
١٥٥ ذكر سقوط دارفور	

صحيفة	صحيفة
١٨٥ ملحق لذلك المنشور	١٥٨ ذكر سقوط مديرية كبكايه
١٨٧ ذكر لحاق الشيخ الطاهر بعمان	١٥٩ ذكر سقوط الفاشر
دقنه وذبح المسجونين	١٦٠ ذكر مسألة الجلب خانة بدارفور
١٨٩ ذكر واقعة سنكات وقتل	١٦١ ذكر قتل عمرأغا ترحوه
توفيق بك	١٦٢ ذكر قدوم سلاطين باشا على
١٨٩ ذكر حملة محمود طاهر باشا	المهدي
١٩٠ حملة بيكر باشا	١٦٣ ذكر قتل آدم أم دبالو مك تقلى
١٩٢ واقعة الجنرال جراحم في التيب	١٦٥ ذكر قتل المنه
١٩٤ ذكر تقدم عثمان دقنه الى سواكن	١٦٧ ذكر قتل التوم بن زعيم الكبابيش
١٩٤ ذكر واقعة طميه	وعجبل زعيم الرزيقات
١٩٦ ذكر تقدم الجنرال جراحم الى بربر	١٦٩ منشور المهدي الذي أصدره
١٩٧ ذكر حوادث كسلا	لاقناع أهل بارة الخ
١٩٨ منشور رابع للمهدي	١٧٢ حوادث السودان الشرقي
٢٠٤ الخراطوم قبل قدوم غردون اليها	١٧٣ ومن الطف النواذر التي سمعها الخ
٢٠٤ ذكر عصيان الشيخ العبيد بدر	١٧٥ ذكر الشيخ الطاهر المجذوب
٢٠٥ ذكر صفات الشيخ العبيد وما	١٧٦ ترجمة عثمان دقنه
اشهر عنه	١٧٨ ذكر وفود عثمان دقنه على المهدي
٢٠٧ ذكر كتاب من المهدي الى	١٧٨ منشور ثان للمهدي
الشيخ العبيد	١٨١ ذكر أوبة عثمان دقنه الى سواكن
٢٠٩ ذكر ائتلاف اتباع الشيخ العبيد	١٨٢ منشور ثالث للمهدي

كُتَابُ
السُّلْطَانِ
بَيْنَ يَدَيِ بَنِي وَزْوَكَشِينِ

مَالِف

أَبْرَاهِيمُ فُوزِي بَاشَا

لِجُرْعَةِ الْإِلَاحِ

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ مُؤَلِّفِهِ وَادَارَةِ جَرِيدَةِ الْمُؤَيَّدِ
حَقُوقُ الطَّبْعِ وَالتَّرْجُمَةِ مَحْفُوظَةٌ لَهَا مِمَّا

(تَمَّ طَبْعُهُ فِي شَهْرِ صَفَرِ سَنَةِ ١٣١٩ هَجْرِيَّةً)



اهداء الكتاب

(١) ~~OL 28580.45.69~~

﴿ الى سدة مولاي وولى نعمتي الحديو المعظم ﴾

عباس باشا حلس الثاني

(١) OL 28604.70 ✓

الافخم

« هذه يامولاي معلومات ومشاهدات شخص من رعيته ففى
 « فى السودان أكثر عمره بين ضابط صغير . وقائد كبير . وسجين
 « أسير . رأى كل ضروب الرخاء والشقاء . خلال المدة التى قضاها
 « فى تلك الأرجاء . وهى حوالى الثلاثين سنة مأسئت لمصري غري .
 « ولذلك رأيت أن أجعلها بين دفتي كتابي هذا الذى سميته « السودان
 « بين يدي غردون وكثنر » لان جميعها عبارة عن مقدمة ونتيجة
 « انطوتا فى معنى هذا الاسم فتقبل يامولاي هذه الخدمة التى قام بها
 « جهد المستطاع عبد من أخلص مخلصي رعيته لخدمته . لم ينس فى كل
 « أطواره واجب ولاء عبوديته . (ابراهيم فوزي) »





﴿ مولانا الخديو المعظم عباس حلمي الثاني حفظه الله ﴾

مقدمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « أما بعد » . فلما كنت أول من رفق غردون باشا في خدمة السودان
 وآخر من ودعه عند الرmq الأخير من حياته في عاصمته . وأول أسير مصري
 مسجون افتكه كتشنر باشا . وآخر من عاد من أسرى المهديوية إلى وطنه .
 وكانت حوادث السودان في غضون هذه المدة التي انقضت بين أول عمل
 قام به غردون باشا الذي فيه قبر . وآخر عمل من كتشنر باشا الذي طار به
 ذكره ونشر . من أجل حوادث الزمان اعتبارا . وأعظمها ادكارا . منها يعرف
 الانسان كيف يخطئ . الحاكم في حكمه . وكيف يقضي على سلطانه بظلمه .
 وكيف يطوي سجل النظام . وتقوم مقامه فوضى الاحكام في الانام . وكيف
 تعمي الجهالة صحبها . وتغري الضلالة ربها . بل كيف يقدم الرجل العظيم نفسه فداء
 لمقاصد قومه . وكيف تدخر الاقدام الراسخة في سياسة الامم هذا الفداء العظيم ليومه .



غردون قادی مصطفیٰ قومه بنفسه

كل شيء من علو السياسة وسقوطها. وآيات رفعة الامم وهبوطها. مجتمع بين دفتي
تاريخ السودان. كما يجمع النور والظلام في الليل الحماك. توفد فيه النار منارا للساك
ودليلا للغيران. لذلك رأيت من واجب قومي وأمتي بل ومن حق على نفسي أن

أضع هذا الكتاب مشتملا على كل ما وقعت عليه أو انصل بي من حوادث الاقطار
السودانية في خلال المدة التي اشترت اليها. وذقت طعوم السراء والضراء بين يديها.
ولم أكتف في سرد الوقائع بما بقي في خاطري من رسومها بل استعنت بمجاعة
من كبار موظفي الحكومة السودانية الذين كانوا قبل دولة الدراويش الدائلة
متفرقين في أقسامها ليكون لنا على كل واقعة أو حادثة ومن كل جهة شاهد رؤية في
الاكثر. وكذلك قد اطلعت على أكثر ما كتب سلاطين باشا ومسيو نيوفيلد
وغيرهما ممن شاركوني في مشاهدات حوادث السودان ومصائبه واستأنست
فيما غاب لفظه عني بشيء من المنشورات التي ثبتت بالتواتر روايتها كما ثبت في
نفسى من قبل منزاها

وبالجملة فاني لم آل جهداً في تحقيق كل واقعة تكلمت عنها وحادثة رويتها
ومقصد بيتته. ولنزحلته. حتى صرت بعد ذلك أعتقد اني وفيت التاريخ حقه كما
يستطيع عاجز مثلي قايل البضاعة من الكتابة

وبعد أن وضعت مسودات الكتاب بالتفصيل والاسهاب. استمرت قلم بعض
الكتاب الفضلاء في تهذيب الفاظه وتنقيح عباراته وحذف المكرر منه وترتيب
وقائمة على ما يناسب الموضوع زمانا وما كانا نجاء بحمد الله كما يراه القارى وله الحكم فيه
تخطيطاً أو تصويبا. على أنه لا يبعد أن يطلع عليه من يكون روى واقعة على غير ما رويت
أو شاهد حادثة يمتدأنها على خلاف ما شاهدت لكنني أعذره من أول الامر كما
يأبني له أن يعذرني فحوادث السودان ككل حوادث الثورات وعواصف الاضطرابات
لها عند كل واقف بينها هب ريح وفيها لكل ناظر وجه يتجلاها فيه. لكن هذا
الاختلاف لا يغير من حقيقة الحادثة عند من نظر اليها من الجهة التي اطلع عليها
كذلك كتابي هذا قد تضمن حقائق الحوادث من الوجه الذي شاهدتها عليه

ومن يزعم أنه رافق الطيب الذكر غردون باشا كما رافقت. وعرف مقاصده
 كما عرفت. وشاهد من دولة المهدي ما شاهدت. وكابد من اضطهادات التمايشي
 ما كابدت. فليكتب للقراء كما كتبت. وإيقل انك أخطأت وما أصبت. وإلا فإنا قد
 أصبت وما أخطأت فيما خططت وبه عليه توكلت « ابراهيم فوزي »



﴿ ابراهيم فوزي باشا ﴾

كتاب خصوصي من شقيقة غردون باشا

من غريب الصدف اننا يوم شرعنا في طبع هذه المقدمة ورد لنا الكتاب الآتي

سوتها مبتون في ١١ مايو سنة ١٩٠١

عزيزي فوزي باشا

انا شقيقة المرحوم الجنرال غردون باشا وكنت متشوقة منذ زيارة

(هيرنيوفيلد) أن اكتب لك

وقد استلمت أخيرا نسخة من جريدة اجبسيان غازيت وفيها خلاصة

محادثة مملك وهي وان كانت محزنة الا أنها مفيدة ولذيذة

اني أشكرك من صميم قلبي على علو شرفك الذي أبديته وتبديته لذكرى

المرحوم غردون مع الصدق والاخلاص اللذين خدمته بهما حال حياته وبعد مماته

وعندي كتاب نيوفلد وأعرف منه تاريخك ويمكنك أن تعرف مقدار

اهتمامي بكل شيء يتعلق بتلك الحادثة المؤلمة وبنهايتها المحزنة ولذلك أحب أن

اسمع منك كل ما تقدر أن تقوله لي عن رئيسك وصديقك

هل عندك صورة غردون والا فانا أرسلها لك ان كنت تريد ها واؤمل

أن هذا الكتاب يترجم لك كما أنني أحب أن أعرف كل شيء عن أصدقاء أخي

الذين خدموه بالاخلاص في مدة حياته . هل البستاني حي حتى الآن

آمل أن يصلني منك خبر ولا زلت (المخلصة المحبة)

هيلين موفيت

وقد وضعنا صورة هذا الكتاب في مقدمة كتابنا ليكون شبه سؤال

جوابه في خاتمة هذا الجزء التي وان تكن خاتمة محزنة الا أنها مفيدة ولذيذة

(ابراهيم فوزي)

تعيين الكولونيل غردون

حاجا على خط الاستواء

لما هدت انكلترا أمر التداخل في شؤون السودان واقنعت المرحوم اسماعيل باشا الحديو السابق بتعيين غردون في وظيفة سامية به فاقتنع أصدر أمره في أواخر سنة ١٢٩٠ هـ (يناير سنة ١٨٧٤) بانتدابه لمأمورية سامية في أعالي النيل وكان السير صمويل بيكر مأموراً لخط الاستواء خاضعاً للحكمدارية عموم السودان فتم الاتفاق على أن يخلفه غردون في وظيفته ولكن ليكون الخلف مستقلاً في أعماله وقد كان ومنح مائة ألف جنيه من الخزينة المصرية نفقة لملته الابتدائية وكان غردون قد حضر قبل تعيينه بنحو شهرين إلى مصر فلما تم تعيينه وتلقى الأوامر من المرحوم الحديو السابق شرحاً لبعض الأوامر التي تلقاها من خارجية انكلترا كما يعلم هذا بالبداية توجه إلى السودان فوصل مدينة الخرطوم حيث كانت المرحوم اسماعيل باشا أيوب حكمداراً لعموم السودان فاستقبله بأبهة عظيمة واستعرض له فرقة من العساكر لاداء تحية القدوم واطلقت له المدافع فأكبر الناس شأن هذا القادم وعلموا أنه ليس كبقية حكام الأقاليم وبديهي أن اسماعيل أيوب باشا لم يستقبله هذا الاستقبال الفائق محابة وتبرعا من قبيل المجاملات الشخصية بل لا بد أن تكون أوامر الحديو قد سبقت غردون إلى الخرطوم فكان من الحكمدار انفاذها وهو ما دخل بسية شيء في نفس الحكمدار العام من هذا المأمور الجديد الذي سينازعه في سلطته من جهة ويكون كرقب عليه من جهة أخرى

وقد أقام غردون في سراي الحكومة الكائنة في ضاحية المدينة من
الجانب الشرقى المشهورة بقصر راسخ بك

مرافقة مؤلف هذا الكتاب

للكولونيل غردون في الخدمة

وبعد ثلاثة أيام من وصول غردون باشا طلب من حكام عموم السودان
فرز أربعة بلوكات من عساكر الجهادية أبناء العرب مسلحين بأسلحة رامتون
وان يكون ضباطهم من المعروفين بالخبرة العسكرية والنشاط والاقدام فاجابه
الحكام الى طلبه ولكنه لم يحسن انتخاب العساكر والضباط ولا أعطي
الاسلحة من الطرز الجديد المطلوب . وفضلا عن ذلك فان اكثر الضباط
امتنعوا عن قبول هذه المأمورية لبعد الشقة ولعلمهم بما يقاسون من عذاب
السفر ومكافحة الاقوام المتوحشة التي يقصد غردون اخضاعها لسيطرته
. ويقال ان الحديو الاسبق لم يكن مع ذلك مرتاحاً لتعيين غردون في مأمورية
بالسودان خيفة ان يكون من ورائه تنفيذ مقاصد انكلترا التي كانت لا تخفى
عليه فمينه وهو كاره وأراد أن يحدث في طريقه المراقيل فاوعز الى اسماعيل
أيوب باشا سرا بما أوعز حتى اذا حصلت حركة ضده في السودان اعتذر
اسماعيل باشا بها وتخلص من ورطة ما يتوقعه . ولكن لست آخذ على مسئوليتي
تحقيق هذه الرواية التي كان يصعب على مثلي وقتئذ تحقيقها

وكنت انا اذ ذاك ضابطاً صغيراً أوشبه ضابط برتبة الاسبران (وكانت
هذه من رتب الجيش فوق الصف ضابط وتحت الملازم الثاني) فظهرت
رغبة شديدة في مصاحبة غردون فاحقر اسماعيل أيوب باشا مني هذه الرغبة

. وكان أحد المستخدمين من أصحاب غردون حاضراً خلال الفرز
 وشاهد ما كان مني ملاحظاً ما كان من الحكمدار العام فلما عاد الى مقر غردون
 أخبره بسوء انتخاب المساكر والضباط وذكر له قصة انتهار الحكمدار
 العام لي عند ما أبدت رغبتي في السفر الى خط الاستواء فلم يكن منه الا ان
 بعث شكوى تلغرافية الى الحديو الاسبق قائلاً ان اسماعيل باشا أيوب
 يعرقل مساعي ويضع في سبيل نجاح مأموريتي العقبات. وهو لذلك انتخب
 أسوأ المساكر وأردأ الاسلحة عدة لي في مأموريتي. فورد في الحال الرد الى
 اسماعيل أيوب باشا بتوبيخ شديد بأمره فيه أن يجيب طلب غردون
 في كل ما يطلب حتى لو أمرك أن تصحبه وجب أن تمثل أمره فوق هذا
 في نفس الحكمدار العام أسوأ وقع ووصلت صورة هذا التلغراف الى غردون
 باشا من قبل المعية السنية ليحيط علماً بما كان من صدور الامر الجديد لحكمدار
 السودان حسب رغبته. ولا يبعد أن كتابة نص التلغراف على هذه الصورة
 كان بطلب من الوكالة الانكليزية في مصر كما جرت العادة في مثل ذلك
 والذي كان من اسماعيل أيوب باشا بعد ذلك أن دعاني اليه وطيب خاطري
 بكلام لطيف قائلاً انما كان انت هاري لك شفقة عليك. ثم علمت ان الكولونيل
 غردون طلبني منه بالاسم فاشار علي أن أتوجه له في سراي الشرق وان أذكر له
 عرضاً ان الذي أبلغه خبر معاكسة الحكمدار العام له مبالغ أو مخطيء في النقل
 وعلى ذلك ذهبت الى سراي الشرق وتقابلت مع الطبيب المذكور غردون
 فرأيت منه رجلاً حليماً شفوفاً كريم الاخلاق متواضعاً في حديثه وحركاته
 وسكناته مع مخايل شرف النفس وعلاو الهمة وبعد أن سلمت عليه فأحسن
 لقياي خاطبني قائلاً اذا كنت أنت الاسبران ابراهيم فوزي الذي رغب

مصاحبتنا ولقي من الحكمدار الاساءة من اجلنا فقد فوضت اليك امر فرز
الاربعة بلوكات وضباطهم وأسلحتهم فاجبته يامولاي أنا الذي رغب خدمة
بلده بمرافقتك . وعندئذ أعطاني أمرا للمرحوم اسماعيل أيوب باشا بمضمون
ماقال فاستلمت الامر وتوجهت الى الحكمدار وسلمته المکتوب فأحسن
مقابلي وأمرني بالتوجه الى القشلاق لمباشرة فرز العساكر وضباطهم وأسلحتهم
من نوع الرامتون حسب رغبة الكولونيل غردون فعملت وأخذتهم الى سراي
الشرق حيث استعرضهم فأعجبهم من آتم وتناسب أعضائهم وحركاتهم وجودة
أسلحتهم وخاطبني أمام الجميع بعبارات الشكر والامتنان كما أنه خاطب الضباط
والعساكر بما طيب خواطرهم وأطلق وجوههم بالبشر

ثم أمرني أن أجهزهم جميعا للسفر الى جهات خط الاستواء ماعدا نحو
٥٥ تقريبا يقون بمعيته بصفة حرس خصوصي له

وعلى ذلك أعددتنا أربعة وابورات لسفر العساكر المذكورة وهي (بردين)
(تلحوين) و (الصافية) و (المنصورة) وانزلناهم في الوابورات التي سافرت
الى مقصدها في شهر شعبان سنة ١٢٩١^(١)

أما أنا فقد تأخرت حسب أمره لاكون قومندا على حرسه . وبعد
بضعة أيام صدر أمره بأعداد الوابور الرافس المسمى (خديو) ليركبه ونحن
في معيته وقد كان وسرنا على بركة الله في النيل الأبيض فوصلنا (فشوده) بعد

(١) جاء في العدد ٦٩٦ من جريدة الجوائب الصادرة في يوم الاربعاء ٢٧ ربيع أول
عام ١٢٩١ هجرية تحت عنوان مصر ما يأتي

ذكر في ايحيت المطبوع في الاسكندرية ان الكولونيل غردون الذي عينه الخديو
المعظم والياً على خط الاستواء خلفاً عن السر سامويل باكر أرنل رقيماً من الخرطوم
بتاريخ ١٤ مارس الى حضرة سعادتلو خيرى باشا مهر دار الجباب الخديو قال فيه

قطع مسافة سبعة أيام. وهناك قابلنا مديرها الرحوم يوسف بك حسن كرده
بالخفاوة اللائقة كما كان لغردون مثل ذلك عند وصوله الى الخرطوم وأزيد. وشاهدنا
ما وصلت اليه وقتئذ من درجة العمران والتقدم في الحضارة بعناية الحكومة
وعلمنا أن أهاليها من العبيد الشك والنوير والدنكا آمنون مطمئنون
وبعد أن أقمنا بفشوده يومين تابعتنا المسير الى محطة (سبت) وهي المحطة الكائنة
على مقرن نهر سبت الآتي من بلاد الحبشة وتبعد هذه المحطة عن فشوده
بنحو ١٨ ساعة يسير وابور البخار وهي أول جهات خط الاستواء من الشمال
ولما القينا عصا التسيار هناك حيث المساكر كانت سبقتنا اليها عزم
غردون على وضع أول حجر من أساس أعماله في وظيفته فلما مضى الليل وجاء

وصلت الى الخرطوم في ١٢ مارس ولقيت من حضرة اسماعيل أيوب باشا حاكم السودان
من الاكرام والالطاف ما يستحق الذكر وقد فعل لمساعدتي كل ما في وسعه أن يفعله اما
اعتناؤه بالمساكر فجدير بالتناء فقد راقني أحوالهم وأحوال مأواهم ومستشفاهم وهيتهم
وانتظامهم وكذلك اعتناؤه بالمكتب وما يتعلق به وقد شاهدت هذا المحل فوجدت فيه
نحو ما تقي تلميذ ورأيت أن معلمهم يعتنون بتعليمهم وتهذيبهم على أحسن منوال فراقني أن
أرسل الى جناب الخديو انموذجا من خطهم ولا بد من أن الحاكم الموالي اليه قد أرسل الى
جناب الخديو الخبر السار عن فتح الخليج في قوندو كورو (كوندكرو) مما سرني غاية
السرور لعلمي بأن حسابه الرفيع يحسبه من الامور المهمة وهو في الواقع مفتاح الموقع
فأرجو اني عن قريب أتوجه الى قوندو كورو فإن كل ما لزمني من لوازم السفر قد حصل
بهمة الحاكم المشار اليه فشكر آله على ذلك ولست أقدر الآن على الحكم على الباخرة
الكيرة الراسية اذ لا بد لي قبل الحكم عليها من رؤية البحيرة وفي عزمي أن أستصحب
معى رجالا لإنشاء سفن شراعية عند الوصول الى طوبو ويترجح عندي انه مع بذل
الهمة والعناية يتيسر لنا مجاوزة الشلالات فالمرجو من جنابكم أن تصدروا لنا اذنا من
الحضرة الخديوية الى الحاكم المشار اليه عند انتهاء السفن في تسييرها الى البحيرة ولا
بد لي من التلبث في قوندو كورو وطالهدون التوغل في السيرة حيث ان جناب الحاكم
قد بذل أقصى مجهوده في فتح الجنوب فأعظم المسرات عندي أن أكون أول قادم اليه

الصباح أمر بلوكات المساكر وجماعات الالهالي بحفر خندق لمحطة سبت وقرر
للمل أجرة فوق مرتبات المساكر لهم وللاهالي مثل ذلك فلم يمحض
أسبوعان حتى تم ما أراد وشيدت عليه الطوابي كما رسمها ثم أنشأ مركزا
للحكومة فيها ناط به أحد الضباط الذين معنا وهو اليوزباشي محمد أحمد أفندي
فجعله محافظا على محطة (سبت) فأركا له البلك الذي تحت قيادته وأمره
بحسن المعاملة والرفق بالالهالي وشدد عليه في منع الاتجار بالرفيق وعدم
مروره عليه ثم تركنا هذه المحطة قاصدين جبل الرجاف وكند وكرو حيث
يقم المرحوم رؤف بك (باشا) حاكما على تلك الجهة خلقا للسير صمويل
يكر باشا . فلما وصلنا في سيرنا الى مدخل (بحر الزراف) الذي يستقي من

وأرجوان انشاء السفن يتم بعد خمسة أشهر أو ستة وأول فرض واجب على حسب
ماتلقته هو ادخار المؤنة وهو من صواب الامور التي تقتضي حضوري في تلك الجهة ثم
اني بحسب أمر الخديو أعلنت هذه الاوامر الآتية .

بمقتضى افوض الى الخديو المعظم من ادارة حكومة البحيرات الكائنة بخط الاستواء أعلن
أولا . ان التجارة في العاج خاصة بالحكومة . ثانياً أنه لا يسوغ لاحد أن يأتي الى هذه
التواحي من دون تذكرة من حاكم السودان العمومي وهذه التذكرة انما يعمل بها
بعد النظر فيها من حكومة قوندو كورو وغيرها . ثالثاً أنه لا يسوغ لاحد أن يجمع رجالاً متسلحين
داخل هذه الجهات . رابعاً أن جلب السلاح والبارود ممنوع . خامساً أن كل من يخالف هذا
المرسوم يجزى عليه الجزاء بحسب القوانين العسكرية انتهى ثم ورد خبر بالتلغراف بتاريخ
٣ صفر من حضرة حاكم السودان الى حضرة خيرى باشا مضمونه أنه في صباح هذا
اليوم سافر الكولونيل غردون الى قوندو كورو في سفينة مخصوصة بعد ان أحضر له
كل ما يلزمه وهو ممنون لفضل الخديو وشاكر له ثم ورد خبر آخر بتاريخ ٢٠ صفر
مضمونه ان الباخرة المخصوصة التي سافرت بعد فتح الشلالات قد رجعت الى هتا وبشرت
ببلوغ العرب وفي غد أرسل المحررات التي أرسلها المجردون لهذا العمل والتي حررها
أيضاً الكولونيل المذكور عند ملاقاته الباخرة المذكورة

ميمة (أي بركة) كبرى تسمى (بحيرة السنيورا) ألقينا مراسينا عنده وركب
 غردون ونحن معه وابوره الحصوصي سائراً في ذلك النهر نحو عشر ساعات
 لاختبار الطريق هل هي سهلة أو فيها من العقبات ما يمنع وصولنا إلى أعالي
 خط الاستواء فلما قطعنا هذه المسافة وجدنا النهر مسدوداً بالأعشاب الكثيفة
 فعدنا إلى مرسى الوابورات أي إلى مدخل بحر الزراف وحولنا مسيرنا إلى
 جهة خط الاستواء من جهة طريق البحر الأبيض ومازلنا سائرين حتى
 وصلنا إلى تلك البحيرة وفيها من الجانب الغربي مدخل لبحر النزال ومدخل
 آخر لخط الاستواء موصل إلى جبل الرجاف فوقفنا عند ذلك المدخل حيث
 أمر غردون بقطع أخشاب لوقود الوابورات بدلا عن الفحم ثم سرنا نحن
 على وابوره الحصوصي للاستكشاف داخل بحر النزال فقطعنا مسافة ثلاثة
 أيام وصلنا في نهايتها إلى مشرع يقال له (مشرع الرق) وهو متصل بمشاعر
 بقية البحار الموجودة ببحر النزال لغاية مديرية (شكا) ولكن كان من
 المتعذر تجاوز هذا المشرع لانسداد النهر بالأعشاب الكثيفة الملتفة والحشائش
 المشبكة من الشاطئ إلى الشاطئ

على أننا لم نحاول اجتياز هذه العقبة الجديدة بل بقينا في مرسى المشرع
 السالف الذكر وأمر الكولونيل غردون أصحاب المشرع أن يحضروا بين
 يديه رؤساء الأهالي في تلك الجهة فأحضروهم وقابلهم بمقابلة حسنة ووزع عليهم
 الهدايا استماله لقلوبهم فقرحوا وامتثروا وأظهروا تمام الإخلاص للحكومة
 الحديوية كما أنهم أحضروا لنا الأخشاب اللازمة وعدنا بعد ذلك إلى البحيرة
 حيث اجتمعنا بوابوراتنا والعساكر وقتنا جميعا قاصدين مدخل البحر الموصل
 إلى جبل (الرجاف) ولكن لم نلبث في سيرنا يومين حتى وقفت الغابات

الكثيفة والحشائش الملتفة سداً منيعاً في طريقنا وقد حاولنا كثيراً أن نفتح الطريق فلم نفلح ولذلك أمر الكولونيل غردون أحد الوابورات بالرجوع إلى الخرطوم ليأتينا بالآلات التي تستعمل عادة لقطع حشائش النهر وقد كان وجاءتنا الآلات وباشرتنا ففتح الطريق مدة أربعين يوماً حتى تمكننا من اجتياز الوابورات ونال المسافر ما ناله في هذه الدفعة من العناء والتعب الذي لا مزيد عليه حيث الأمطار كانت تنساب عليهم ليل نهار كأفواه القرب ولذلك كافأهم الكولونيل غردون بصرف مرتب ثلاثة أشهر فوق مرتباتهم وأجرتهم

وبعد أن تم فتح الطريق سرنا في النهر مسيرة يومين وصلنا بعدها بحيرة كبيرة جداً تسمى (ميرة شانيه) وعليها مشرع كبير يسمى (مخابة شانيه) كان كبار التجار مثل أبو عموري وكوچك علي وغطاس وغيرهم ينزلون فيه للتجار بسن القيل فلما وصلنا إلى هذا المشرع استقبلنا شيخه وهو رجل أسود دنكاوي مسن اسمه الشيخ الحداد استقبالا حسناً ونزلنا جميعاً في أرضه حيث أقنا الخيام وأرسينا الوابورات تجاهنا وبعد استراحة يومين رسم الكولونيل غردون محل خندق وأمر المسافر بحفره فتم لهم ذلك في مدة عشرين يوماً وأنشأ هناك مركزاً ترك به اليوز باشي مصطفى افندي فتحت بسلوكه وسماه مأمور جهات (شانيه) وشدد عليه الأوامر في معاملة الأهالي بالرفق وبمنع تجارة الرقيق منعاً باتاً كما أنه أبلغ رؤساء هاته الجهات أنهم صاروا تابعين لسلطة الحكومة الحديوية وإن ذلك المأمور الذي يتركه عليهم يمثل شخص الحكومة فواجب عليهم أن يطيعوه

وبعد أن وطد نفوذ الحكومة في هذه الجهة اقلعنا بوابوراتنا قاصدين

(الرجاف) فررنا في طريقنا على محطة كبيرة تسمى محطة (بور) والفينا بها نحو أربعمائة من المساكر بأسلحتهم مأجورين للتجار فاستقبلونا بالفرح ولبثنا عندهم خمسة أيام ثم أبلغ الكولونيل غردون رئيسهم بأنهم صاروا تابعين للحكومة وأن يقدموا له كشوفاً بالأسلحة والخبز والموجودات التي لديهم مما قررت الحكومة احتكاره لنفسها فأحضرها وتم بعد ذلك تشكيل مديرية سميت (مديرية بور) كما كان وعين على المديرية وكيلها رجلاً اسمه (آدم أفندي حاصر) وهو ضابط سوداني كان من رجال حملة بيكر باشا ومقيماً في هذه الجهة ثم قنا قاصدين جبل الرجاف وكندكرو حيث يقيم رؤف بك باشا كما أسلفنا وقد وصلنا هاته الجهة بعد عشرة أيام سفراً في البحر من (بور) وقابلنا رؤف بك بالمساكر المقابلة المعتادة في مثل هذا المقام وبعد الاستراحة هنية من الزمان أخذ الكولونيل غردون يسأله عن أعمال حكومته وأحوال الرعية فأخذ المرحوم رؤف بك يقص عليه أحاديث محارباته مع أهالي البلاد حتي قال اننا منذ ثلاث سنوات لم يستقر لنا بالسلم قرار فاجابه غردون بقوله وأنا يظهر لي أن كل هذه الاضطرابات والحروب ناشئة من سوء ادارتكم وعدم معاملتكم ايام بالرفق والعدل وسترى أن كل هاته المساكر والضباط الموجودة لديك سترسل الى مأموزيات أخرى ولا يبقى بدلها غير مئة من المساكر يستتب بهم الا من العام تمام الاستتباب قال رؤف بك ان هذا لا يمكن أن يتم لان مئة نفر اذا تركوا وحدهم هنا لا يلبث المبيد ان ينزلوا عليهم فيقتلواهم عن آخرهم فقال الكولونيل غردون الآن حققت قول السير صمويل بيكر فيك وما كنت أعهد ضابطاً حائزاً لرتبة الميرالاي يكون مثلك

بهذا الخور وهذا الضعف وسترى أنه يكفي لهذه المديرية خمسون رجلا بدل
مئة وفي الحال أمر أن يحضر لديه مشايخ القرى ورؤساء القبائل وكانوا
حاضرين في مركز الحكومة فجاءوه وأخذ يخاطبهم بالقاظ لينة وكلام لطيف
وأحسن عليهم بالكساوى الحمر والسيوف حتى انطلقت وجوههم بشرا
وقاضت صدورهم سرورا ثم قال لهم بعد ذلك انى تارك بين ظهرانيكم
خمسين نفرا فقط من عساكر الحكومة لحراسة رايها وتشخيص سلطتها
واتم المسؤولون بعد ذلك عن كل شيء يحدث في البلاد فاجابوه اننا عبيد
الحكومة وما دمنا لا يهضم لنا حق ولا يقع علينا ظلم فلا يجمل بنا أن نقوم
في وجه الحكومة ولا نحدث أقل تشويش وستسمع عنا كل خير ومحمدة
أما الباعث الحقيقى للكونلونيل غردون على تقليل العساكر الى هذا
الحد فوجهان

أولهما بعد الشقة وتعذر نقل اللوازم والمهمات للجيش. والثاني الانتفاع
بهاة العساكر في نقطة (اللادوه) الحاجة كثيرا الى العناية والحذر

عزل رؤف بك وتعيين الطيب بك عبد الله بدله

وبعد أن انفضت حفلة مشايخ القبائل والقرى التفت الكولونيل
غردون الى رؤف بك وقال له انك لا تصلح لوظيفتك هنا فمليك بالسفر
الى القطر المصري وعين في الحال بدله القائم مقام الطيب بك عبد الله وكان
هذا بكباشى أول الالاي وهو رجل سوداني من قبائل العبيد مثل الذى
عين لمديرية (بور) ثم أمر الوابورات بنقل العساكر الى جهة (اللادوه) ثم
ترا آى له ان ينقل الطيب بك عبد الله مديرا الى اللادوه وعبد الله أغا

الندسوي مديراً للرجاف وهذا الثالث من ضباط الجهادية السود أيضاً
وبعد أن قرر مبادئ النظام في هذه الجهة بارحناها قاصدين الجنوب
ومعنا نحو ستمائة عسكري من أولاد العرب والسودان ومررنا في طريقنا
على شلال أمامه جزيرة عالية جداً فيها أشجار كبيرة فاستحسنها الكولونيل
غردون لبناء مستشفى للمرضى لأنها قريبة للرجاف بينها وبينه نحو ثلاث
ساعات وقد رتب لها سفناً صغيرة (فلايك) ربطها بأسلاك من الشاطئين
ليسهل اجتياز النهر إلى الجزيرة من الشاطئين لكل إنسان وأمر ببناء
منازل للمساكن فشرع الأهالي في بنائها بالفعل ولبننا نحن في هذه الجهة
ثلاثة أيام لم نشعر بعدها إلا بالبيد قد هجموا علينا محاربين فانتشب القتال
بيننا وبينهم نحو خمس ساعات انهزموا عقبها شر هزيمة فلما علموا أن لا قبل
لهم بمحاربتنا طلبوا الأمان فأمناهم ثم سلموا طائعين ففنا عنهم (غردون) بعد
ما أخذ عليهم اليهود والموائيق وذلك بأن حلقوا بالكجور وهو كمام
يعتقدون فيه أنه وسيط بينهم وبين الإله يدعون به فيستجاب لهم إن
لا يهودوا مرة أخرى لمثل ما فعلوا وبعد أن تم الأمر على ذلك واستقر
السلام في هذه الجهة قمنا بعد إقامة نحو ثلاثة أسابيع فيها قاصدين البحيرة الكبرى
التي أمامنا فسرنا مسافة عشرين ساعة مضت علينا في أمطار تزل من فوق
كالسيول المنهمة حتى وصلنا شلالاً يسمى (شلال متي) وهو أكبر من
الشلال السابق كثيراً والماء يخدر عنه بدوى شديد يصم الآذان ولم يكن
أحد منا يسمع كلام الآخر عند ما اقتربنا منه ولذلك ابتعدنا عنه قليلاً ونصبنا
خيامنا حيث رأى (الكولونيل غردون) لزوم إنشاء محطة هناك وقد بعث
في طلب مشايخ البلاد والقرى فلم يجبه أحد ولذلك أمر المساكن أن يشتغلوا

بالبناء والحفر كما أرادهم ثم أنشأنا زريبة أمامها خندق لأننا توقعنا الشر من أهالي هذه الجهة وقد كان الذي توقعناه قائما بينما كنا نعمل عملنا لم نشعر إلا وقد دقت الطبول وصاحت الابواق وتبعت ذلك حركة مزعجة من جموع كثيرة تحاول الهجوم علينا فسارعت المساكر للتأهب والاستعداد داخل الزريبة وانتظرنا حتى كان بيننا وبين أولئك المهاجرين مرمى الرصاص ولكننا أمسكنا عن إطلاق النيران حتى يبدووا بالعدوان فلما رمونا بالنبال والنشاب السامة رميناهم بنيران حامية لم يحتملوها فرجعوا الى الوراء ثم عادوا فعدنا وتقهقروا ثم عادوا الثالثة فحملنا عليهم حملة منكرة ارتدوا بها مكسورين ولكن أسههم قد أضرت بالمساكر كثيرا حتى لو أن سهما منها أصاب رجلا بين ظفره ولحمه لما نجى بعد ذلك

وفي اليوم التالي لهذه المحاربة حضروا بأولادهم ونسائهم يحملون النيران في أيديهم ليلقوها على الزريبة كي تحترق وقد زحفوا علينا بسرعة غريبة وظللنا نحن نطلق النيران عليهم لنمنعهم من الوصول الى الزريبة فلم يرجعوا وتمكن بعضهم من الوصول اليها والقوا النيران عليها ولكن أخشاب الزريبة كانت رطبة فلم تحترق وتضاعفت خسائرهم فلجأوا الى الفرار وهجروا ديارهم نازحين الى جبل (مقي) القريب من الشلال للاستعانة بشيخه فما كان من الكولونيل غردون الا ان أمر المرحوم عبد العزيز بك لبنان (نجمل المرحوم لبنان باشا) ان يقتني أثرهم بستة بلوكات من المساكر مسلحة بالرامنتون وأعطاه الذخيرة اللازمة وساروخا حريا فقام عبد العزيز بك بالقوة التي معه واجتاز النهر الى البر الشرقي وصار مع المساكر صاعداً الجبل ولكنه أخطأ اذ ترك بعض الجبه خانة وأخذ بعضها قاتلاً إن ما أخذ المساكر في جمابهم كاف لحين

المود ثم لم يلبث أن التحم القتال بينه وبين سكان الجبل واللاجئين اليه فانقصر
عليهم بعد نصف ساعة قتالا ثم امتلك الجبل بكل ما فيه وللقضاء المحتم صاح
أحد العساكر عليه قائلا يايبك قد فرغت الجبهة خانه فأخبر بعض التراجمة السود
اخواتهم من سكان الجهة بهذا السرفنارت الاهالى مرة ثانية على العساكر
وحاصروهم حصاراً شديداً قطعت النيران في أثناءه ثم هجموا عليهم هجمة
واحدة أفنواهم بها عن آخرهم وقد مثلوا بعبد العزيز بك تمثيلاً فظيماً
سيأتى بيانه

وقد تمكن شخص بروجى أسود من الحرب وعاد إلينا فأخبرنا بهذا
الحادث المشؤم ولما رأى الكولونيل غردون ما أصاب العساكر طلب مدداً
من الجهات الشمالية فجاءتنا في نحو عشرة أيام ستمائة نفر جرد منهم الكولونيل
غردون ومن العساكر الذين كانوا لدينا حملة تحت قيادته اجتازها النهر وعند
ما وصلنا أسفل الجبل قسم العساكر الى أربع فرق جعل على كل واحدة منها
قائداً وكان هو القومندان العام وبذلك امتلكننا الجبل من الجهات الأربع وصعدنا
بالتدريج فلما شمعروا بنا صاروا يرموننا بالنبال والنشاب فأحدثوا بنا اضراراً
كثيرة لاشرافهم علينا من فوق وكان القائد العام ينتقل بيتنا من مكان الى
مكان مشجعاً مستنهضاً حتى صعدنا لاهلى قمة الجبل وتمكننا من قهرهم فقتل
من قتل وأسر من أسر والذين بقوا على قيد الحياة طلبوا الامان فأمنهم غردون
وأبطل اطلاق النيران عن الاهالى بالكلية وهناك رأينا جثث القتلى من
عساكرنا محروقة بالنار ماعدا جثة عبد العزيز بك فقد رأيناها مصلوبة على
جذع شجرة قد انفرست في جسمه نحو خمسمائة نشابة لا تزال مفروسة
فيه فسألنا الاسرى عن سبب ذلك فقالوا اننا أمسكناه حياً واوثقناه بجذع

هذه الشجرة وأمرنا أولادنا الصغار الذين يتعلمون رمي النشاب أن يرموه به فصاروا يرمونه حتى مات كما ترونه . قالوا ولكن روحه لم تفيض الا بعد ثمانية أيام من صلبه مع استمرار رميه بالنشاب كل يوم فأثر ذلك فينا تأثيرا شديدا وحاولنا أن نخرج من جسمه السهام فتعذر علينا ذلك الا بتزيق الجسم ولذلك اختار الكولونيل فردون تكسير أيدي النشاب الخشبية بالمنشار مع بقاء أسلحته فيه ودفنه على هذه الحالة وقد كان ذلك

وبعد ان وطلدنا نفوذ الحكومة بين أهل الجبل وأقنابين ظهراهم عدة أسابيع قنا قاصدين البحيرة الكبرى وبعد مسيرة يوم وصلنا جهة يقال لها اللابودية بها شلال عظيم جدا وأرضها منحطة ولذلك بعد ان عزمنا على انشاء المحطة بها اخترنا ان تنشأها على ربوة عالية بينها وبين الشلال مسيرة ساعة من الزمان وقد حضر لنا أهالي هذه الجهة طائعين مسلمين قيادهم لنا باسم الحكومة الخديوية وساعدونا على حفر الخندق وبناء الاستحكام الذي انشأناه وبعد انجازهم عين الكولونيل فردون لهذه المحطة مأمورا تاركا معه شرذمة من المساكر ثم قنا سائرين في وجهتنا وبعد مسيرة يومين من مغادرة شلال اللابودية صعدنا جبالا مملوءة بالعبيد السود وأراضيها خصبة كثيرة المواشي من بقروغنم وغيرها فلما رأنا السكان كانوا يسارعون الى قم الجبال فيصعدون عليها ويقذفوننا بالحصى ويشتمون ويسبون ومحصل سبابهم (رجعوا يا ترك الى حيث جئتم ارجعوا أيها الجائعون الذين أتيتم لتأكلوا أبقارنا وأغنامنا ارجعوا الى بلادكم فلا تزعجوننا في أرزاقنا) وقد خاطبناهم نحن باننا ما جئنا الا للتمرج على بلادهم والسياحة الى البحيرة الكبرى فساءلنا بعضهم ولماذا انشأتم المحطات وأقيم الحصون وحفرتم الخنادق وتركتم النقط العسكرية

في طريقكم ثم قالوا (اذا كنتم تريدون ان تقيموا بيننا مراكر ومتاريس فلا بد ان نهاجكم ونقتلكم عن آخركم وأما اذا كنتم تريدون البحيرة الكبرى فهاهي الطريق أمامكم مفتوحة)

أما نحن فقد ظللنا سائرين وعن كلامهم معرضين ومازلنا كذلك حتى وصلنا الى البحيرة وتسمى هناك البركة او الميعة العظمى ونعني بها (نياتزا) ولما أقبلنا عليها شاهدنا صحراء متسعة جدا مكتظة بالاشجار وانواع الحاضرة وفيها نوع من النبق كبيض الدجاج في حلاوة العسل مع طيب الفاكهة فخططنا رحالنا ونصبنا خيامنا للمبيت على شاطئ البحيرة وبنا ليلتنا محترسين محاذرين من هجوم العبيد علينا ولكن لم ينتصف الليل حتى هاجمنا سيل نزل علينا من الجبال بقوة تيار جارف شديد فاخذ ما كان معنا من المؤنة والامتعة وألقاها في البحيرة وصرنا في حيرة شديدة حتى الصباح فوجدنا كل ما كان معنا قد ذهب طعمة للبحر الا الجبه خانة فانا كنا احتطنا لها من أول الامر فوضعناها على أشجار عالية فلم يمسسها ضرر

وما طلع النهار حتى أغار علينا العبيد بقوة هائلة ظانين ان السيل قد أخذ منا الجبه خانة ولذلك لم نزل نطلق عليهم النار حتى لجؤا الى الفرار واكتسبنا منهم في هذه الواقعة نحو مائة رأس من البقر وخمسمائة من الغنم وصار طعامنا بعد ذلك اللحم والنبق بلا كسرة خبز ثم استولينا على عشر مراكب من سفن العبيد استعملناها في خدمتنا وفي استكشاف شواطئ البحيرة

وفي ذات ليلة ركبنا هذه السفن وسرنا بالمجاديف للاستكشاف فقامت علينا زوبعة ذهبت بنا كل مذهب في البحيرة وقد خشينا الفرق الا أن الله عز وجل قد نجانا منه وجمعنا بعد انقضاء الليل في هذا التيه على بر السلامة

في نقطة يقال لها (ماقنقوه) ومن فضل الله جاءنا أهلها متوددين واستضافونا فاسترحنا عندهم واكلنا وشربنا مسرورين من حسن معاملتهم وفي خلال ذلك سأل الكولونيل غردون مشايخ الجمة عن أحوالهم فقالوا نحن في فوضى يأكل القوي منا الضعيف ويحكم العزيز الدليل فقال لهم غردون هل ترضون ان يأتيكم حاكم مثلي بقوة كبيرة وسلطة قادرة على توطيد الامن بينكم ودفع القوى عن الضعيف فقالوا اننا من الفريق المهضوم الجانب المظلوم الضعيف ولا ريب اننا نرضي بكل سلطة تأتي إلينا لتساوي بيننا وبين ظالمينا ثم سألهم الكولونيل غردون أي فريق بينكم الاقوياء المتسلطون عليكم فقالوا له قبيلتنا (أريونجا وبكريك) ولو طلبت مشايخ هاتين القبيلتين ما أجابوك ولا خضعوا لك فقال لهم نحن الآن نطلبهم للحضور من قبيل التجربة وارسل لهم فابوا وقابلوا الرسل بالسباب والشتائم

أما نحن فقد اخترنا ان نرجع الى جمة (الدفليه) التي هي في البر الغربي للبحيرة وهي الجمة التي اخترناها نقطة للحكومة ولذلك عدنا بمد يومين فرأينا عساكرنا في أشد القلق علينا لانهم ظنوا ان العاصفة التي هبت قد أغرقتنا في البحيرة

وبعد اقامة نحو عشرة أيام في تلك الجمة قنا قاصدين مديرية العموم التي مقرها (اللادوه) وقد تركنا في الدفليه نقطة عسكرية تحت قومندان ومأمور الجمة وقد مررنا في عودتنا على كل المحطات التي انشأناها فوجدناها في أمن وسلام ولما وصلنا اللادوه اخذ الكولونيل غردون يخبر المعية السنية في القاهرة والحكمدارية في الخرطوم بطلب ما يلزمه من الواپورات والمهمات وسأل ترقى كثير من الضباط الذين معه فكان نصيبي من ذلك رتبة اليوزباشي

وبعد اقامة نحو الشهرين في اللادوه قام الكولونيل غوردون وأنا في صحبته قاصدا الخرطوم وشاهدا ثمرات أعمالنا في عودتنا من فرح أهالي كل جهة صررنا عليها وسرورهم بما صاروا فيه من الامن والرغد وحسن النظام الى ان وصلنا الخرطوم وقبولنا فيها بما يقابل به الفاتح الظافر وعقب وصولنا الى مدينة الخرطوم وكان ذلك في أوائل سنة ١٢٩٢ هجرية اتفق الكولونيل غوردون واسماعيل باشا أيوب الحكمدار على قسم الواپورات والصنادل ودار الصناعة وعملها قسمين. أحدهما يكون لحكمداية عموم السودان. والثاني للحكومة خط الاستواء ومرضاه عن ذلك للمعية السنية فصدر أمر الحديو لحكمدار السودان بتنفيذه وقد كان ذلك فأخذنا نصف عمال الترسانة ونصف عددها وآلاتها وأرسلناها معهم الى بحيرة (نيانزا) حيث أمر الكولونيل غوردون بإنشاء دار صناعة في محطة الدفليه على شاطئ البحيرة الغربي ثم كان نصيبنا من الواپورات (بوردين وتلحوين والصفاه والمنصوره وانبابه ونمرة ٩ وواپور الرفاس وواپور الاسماعيليه) الذي كانت أدواته في المخزن لاصلاحه وأخذنا أيضاً نحو أربعين سفينة بين كبيرة وصغيرة وخمس شلبات كبار وضعنا فيها كل ما يلزمنا من التمينات والمهام وجميع ما يحتاج لخط الاستواء



ذكر انشاء ديوان خط الاستواء في الخرطوم

وبعد ترحيل الواپورات المذكورة والامتعة والادوات رأي الكولونيل غوردون ان ينشئ ديوانا خاصاً بأعمال خط الاستواء منفصلاً عن حكمداية السودان ورتب له الكتاب والموظفين وأوجد له الدفاتر اللازمة وسماه

(ديوان خط الاستواء في الخرطوم) وعين عليه رئيساً على افندي سراج المشهور (بتهته) بعنوان (ملاحظ أشغال خط الاستواء)

ومن ذلك التاريخ صارت حكومة خط الاستواء قائمة بنفسها وسمى الكولونيل غردون حكمداراً لعموم خط الاستواء وصارت واردات خط الاستواء من سن فيل وریش ومسك ترسل من فوق لرئيس ديوان خط الاستواء في الخرطوم وهو الذي يؤدي حسابها ويرسلها حسب الاوامر التي تصدر له من الحكمدار

وبعد ان أتم الكولونيل غردون ترتيب ديوانه الجديد في الخرطوم عدنا الى جهة خط الاستواء. وسرورنا بنجاحه التمس لنا الاحسان علينا برتبة صاغول أغامى فلم يكن بينها وبين رتبة اليوزباشي غير شهرين أو ماحولي ذلك ثم سافرنا على بركة الله بوابور (تلحوين) فلما وصلنا الى جبل اللادوه وكان عمال الترسانة قد وصلوا اليها وانتظرونا بها أمرهم بفك واپور الحديد ونقله قطعاً الى ترسانة البركة (دار صناعة) بالدقليه وتم ذلك في نحو أربعة أشهر وفي خلال هذه المدة كان بناء الترسانة جارياً على قدم وساق ولما تم اصلاح وتركيب الواپور ركبناه وسرنا به في لجج البركة نستكشف جهاتها حيث كان الاهالي يقفون على شواطئها كلما اقتربنا من واحد منها صفوفاً معجبين مندهشين من رؤية الواپورات اذ لم يكونوا رأوا السفن البخارية من قبل وكان يزيد عجبهم كلما شاهدوا ضخامته ويخبرون في كيفية نقله مع جسامته الى البركة

وفي اثناء سيرنا وصلنا الى جهة (ماقنقوا) التي كانت فيها واقعة المرحوم عبد العزيز لينان فاستقبلونا استقبالاً حسناً وهناك ألقينا مراسينا

ونزلنا الى البر وأمر الكولونيل غردون أن نباشر انشاء محطة بها فأقننا نعمل ذلك وكنا قد أحضرنا معنا مدافع وجملة آلات ومهمات حربية فأخرجناها الى البر واطلقنا واحداً وعشرين مدفعاً اعلنا بفتح هذه الجهة

وما سمع الاهالى أصوات المدافع حتى أطبقوا علينا جموعاً كثيرة وكلهم شاكو السلاح من الحراب والنشاب كانتهم قادمون على حرب وقد توجس الكولونيل غردون خيفة من حالهم هذه فامر المسافر ان تكون على التأهب والاستعداد للطوارئ ثم فكر في حيلة نافعة هي أن دعا مشايخهم وأعيانهم اليه فادخلهم معنا داخل الزريبة التي كنا انشأناها حتى لا يهجم علينا الاهالى. ولكي لا يتوهموا انهم رهائن عندنا أخذ يوزع عليهم الاعطية من ملابس وسيوف وزجاجات خمر قرحوا واطمئنتوا كثيراً وسألهم عن تجارة السن عندهم والقيم التي يتبادلونها فيها فقالوا انها النحاس الاصفر وانواع الخرز والودع الابيض وكان منها كثير في مخازن السرصوبيل بيكر ياها وكنا أحضرنا جانباً منها معنا فلما راوها أعجبتهم كثيراً

ولما وثق الكولونيل غردون بهم أذن لهم في الانصراف الى منازلهم فانصرفوا شاكرين وبعد قليل أرسلوا لنا عدداً وافراً من البقر والغنم هدية لنا فأعطاهم الكولونيل غردون جانباً من الودع والخرز مقابل هديتهم قرحوا به فرحاً شديداً ثم أخذوا يتواردون علينا بالكميات الوفيرة من السن وهو يعملهم قيمتها من تلك البضائع الرائجة عندهم حتى اجتمع في مخزن الحكومة في مدة عشرة أيام نحو الخمس مائة قطار وقد كثر التردد من الاهالى على مركزنا ومن عساكرنا بينهم وكانوا بعد ذلك من أصدق رعايا الحكومة وبواسطتهم جرت فتوحات كثيرة في تلك الجهات وتمت المواصلات بين هذه

المحطة وبين محطة (الدفليه) بواسطة الوابور الذي معنا وبواسطة جملة سفن شراعية
انشئت خلال ذلك

وبعد أن اطمأن الكولونيل غردون على مركز الحكومة الذي شيدناه
في جهة (ماقتوا) عدنا الى محطة الدفليه ثم توجهنا الى محطة اللادوه مركز
العموم وكان قد تم صعود النيل فركبنا الوابورات الصغيرة التي معنا وعدنا
ثانيا بطريق البحر تارة والبر اخري الى جهة الدفليه كي نرتب الوابورات الصغيرة
والسفن بين كل شلال وآخر حتي تكون الملاحة متصلة بين اللادوه والدفليه تماما
أما الوابورات الصغيرة المذكورة فقد كانت الحكومة أرسلتها لنا قطعاً
داخل صناديق فركب بعضها بالخرطوم وبعضها حمل الى بركة (نيانزا) وصار
تركيبه هناك في الترسانه كما أنشئت الشلبات الجديدة والسفن الشراعية الكبيرة
وبالجملة فقد صارت الملاحة بين البحر الأبيض وبين بحيرة اليا نزا سهلة من
كل وجه وأمكن التجار الارباويين والسياح التردد بينهما كما سهل نقل الجنود
والمهمات واللوازم الحربية كلما أريد ذلك

وبعد أن عدنا الى الدفليه أخذنا أهبتنا من الذخائر الحربية والمؤنة الى
ماقتوا الشرقية (البركة) حيث استأجرنا نحو ألفي عبد منها لحمل هذه الذخائر
والامتنعة ورحلنا حملة الى جهة يقال لها (فاتوكه) وهي من بلاد (كبريكا وأريونجا)
والاول بمنزلة وال والثاني بمنزلة السلطان على بلاد فاتوكه المذكورة وعند
وصولنا اليها قابلنا مشايخها وأهلها بالمساء على بركة مياه فخار بنا هم نحو
أربع ساعات فقتل منهم عدد كبير جداً ومن لم يمت منهم فرهاربا وبذلك
استولينا على البركة وأخذنا في انشاء محطة على شاطئها ورفعنا علم الحكومة
وأطلقنا المدافع اعلانا بفتحها ومكثنا في الاستحكام الذي اثناء نحو شهر من

الزمن كمحصورين نخابر الالهين بالتسليم والطاعة فيأبون
 فلما بللنا الاقامة عنهم الكولونيل غردون على مهاجتهم . ففي صبيحة
 يوم أخذ معه خمسة بلوكات مسلحة بالرامتون وترك بلوكا واحدا لخفارة
 الاستحكام وتوجه اليهم في غلس الظلام فلم تكذ العين تقع على العين حتي
 أصلتهم جنودنا نارا حامية فلم يصبروا عليها وولوا الادبار وامتلكنا ذرايعهم
 وقراهم بجميع ما فيها من ماشية ودواب وأثاث فأخذنا هذه الاسلاب كلها
 وعدنا الى المركز على البركة ومن جملة ما أخذنا عدد كثير من نساء وأولاد المشايخ
 والاهالي وكان وجود هؤلاء معناداعية الى عودة المشايخ والاعيان الى طلب
 العفو عنهم على أن يكونوا عبيدا للحكومة عوناً لها على أعدائها

فلما جاءت رسالتهم الى الكولونيل غردون عصر يوم الواقعة المذكورة
 قبل منهم توبتهم وأخذ عليهم اليهود والمواثق (وهم يمتقدون في الله فقط)
 على ما قالوه وسلمهم الاسرى والابقار والاغنام على أن يرسلوا مشايخهم
 وأعيانهم فجاءوا طائعين وعلامة الخضوع أنهم كانوا يضعون التراب في أفواههم
 كما فعلهم ثم اتفق معهم على أن يسيروا به الى جهة (مرولي) من أراضي الملك
 أمتيه وأن يأتوا له بالرجال ليحملوا الامتعة والذخائر الحربية بالاجرة فأجابوه
 سماعاً وطاعة ولكنهم قالوا ان أمتيه ملك جبار عظيم السطوة شديد البأس
 كبير القوة وعنده الاسلحة النارية والمدافع ونخشي أن يعرف منا اننا نحن
 أدلاءكم اليه فيرسل لنا بعدئذ قوة من رجاله يسفكون دماءنا وينهبون اموالنا
 ويهتكون أعراضنا فقال لهم الكولونيل غردون لا بأس عليكم فانتم الآن
 رعية الحكومة المصرية ومن واجباتها أن تحفظكم من أعدائكم وتؤمنكم
 في دياركم وانا ذاهبون اليه ندعوه وقومه الى طاعة الحكومة الحديثة فان

الملك امتيسه وامره في بلاده

وعلى ذلك جردنا حملة قوية كثيرة المدد والمدد ولم تترك في مركز فاتوكه سوي بلوك واحد بضباطه ووبرنا على بركة الله الى جهة (مرولى) وهي تبعد عن المركز الذي كنا فيه مسيرة ثلاثة أيام في البحر وكلما آتينا بلدا في طريقنا وجدنا أهلها قد هجروها ولم نثر الا على شيخ طاعن في السن ضعفت رجلاه عن الانتقال به وكانهم غفلوا عنه فلم يحملوه معهم فسألناه عن فرار الاهالى من وجهنا فأجاب انهم فروا حتي لا يقابلوكم بلا اذن من الملك امتيسه وأنتم في مروركم لا بد أن تحتاجوا الى شيء من الطعام أو الى شربة ماء على الأقل فاذا بقوا في ديارهم لا يبعد أن يجيئوكم الى ما تسألون ولو بالدرهم وهذا مما يفضب الملك ويوجب نقمته عليهم كما حصل في أمر السياح الذين كانوا آتين من بلاد الزنجبار فقال له السكولونيل غردون اذن الاهالي غير ملومين على مهاجرتهم من بلادهم ثم التفت الى الرجل وقال انا صرنا نخشى عليك السوء من ملكك لانك قابلتنا وجاوبتنا على سؤالنا فاذا تفعل اذا فقال الرجل أما أنا فستري مني ماذا أصنع ثم قبض بيده على حربة صغيرة وقال ها أنا ألوذ بكم فاعتبروني واحداً منكم وقد صرت أخشى أن يرم على الحجر والمدر والشجر الى الملك الذي له من كل شيء واش ورقيب . فضحك غردون وقال قد بالنت أيها الرجل فكيف تصل سطوة امتيسه الى هذا الحد وكيف يكون له من كل شيء رقيب عليكم . فقال الرجل لان جميع الاشجار التي ترونها لا بد وأن تكون مخبئة العدد العديد من أعوان الملك

أمتيسه وأرى أن أخباركم واصله اليه أولاً فأولاً عن كل حركة وسكون فاذا
شتم نجاتي فاحملوني معكم واحسبوني منكم أنى سرتم فقبله الكولونيل
غردون وأكرمه وأمر بحمله على عنقريب من الحشب فوق أكتاف الرجال
وظل معنا الى أن فتحنا مديرية مرولي

كيفية فتح مرولي

لما وصلنا الى أول بلاد هذه المديرية من حوزة الملك وشرعنا فى بناء
مركز تتخذ محطة أولى لنا أخذ العبيد يناوشوننا القتال حتى يشغلونا عن
تشيد المحطة وظللنا على ذلك زمناً طويلاً فلا هم مجتمعون لقتالنا بانتظام ولا هم
تاركونا لهيباً لنا مركزاً نقيم فيه مطمئنين

ثم بدا للكولونيل غردون أن يخبر أمتيسه فعاتبه على فرار الاهالى
من وجوهنا وتركهم بلادهم حتى لا نستعين بهم على قضاء حوائجنا ثم أخطره
باننا آتون باسم الحكومة المصرية وهى قوية السلطان شديدة البأس لا تريد
من هذه البلاد الا أن تعمم فيها المدنية والعدالة وتفتحها لخير التجارة التى بها
يتبادل الناس منافعهم فان كان الملك أمتيسه يريد لبلاده خيراً صافى الحكومة
المصرية واستظل تحت ظل علمها الوارف والآتته بجنود لا قبل له بها وأرته
من قوتها واقتدارها مايدك الجبال الرواسى ويرغم أنوف الجبابرة . وهأنا
مقيم بمرولي انتظر منكم الرد بما تستصوبون

فلم تمض أربعة أيام حتى حضر رسول من عند الملك أمتيسه يلوم غردون
على تهديده الملك من حيث لا يعلم كنه قوته وهو فى بلاده وقادر على أن ينزل
به ويمن معه البلاء العظيم فلا تنفعه قوة الحكومة المصرية اذا استنجد بها

مها كانت عظيمة. ثم سأل الكولونيل غردون عن سبب مجيئه الى بلاد الملك أمتيه لينازعه فيها قائلاً عن لسان ملكه اننا راضون عن حالتنا وما بثنا لكم الشكوي أو الموز لحاجة ونحن في غنى عن مدنيتمكم التي تسلبنا نعيمنا واستقلالنا الذي نحن فيه

وبعد مخاضات دارت على هذا النمط اذن الملك أمتيه للكولونيل غردون أن يشيد المحطة التي يريد تشييدها في مرولي وأذن للاهالي أن يعودوا الى بلادهم وأن يتبادلوا مع المساكر البيع والشراء . وكان ذلك سبباً في زيارة مشايخ وأعيان البلاد للكولونيل غردون فأهداهم الهدايا الفاخرة وخلع عليهم الخلع النفيسة حتي استمالهم كثيراً بجانبه واستعان بهم على حفر الخندق واقامة الاستحكام اللذين اراد انشاءهما وبعد أن أتم بناء المحطة بكل لوازمها رفع عليها العلم المصري وأطلق ٢١ مدفعاً اعلانا بفتح هذه المديرية وكان الملك أمتيه يتظاهر له تجاه كل ذلك بالمحبة والوداد ويقول اننا نكون يداً واحدة وأستند قوتي من الحكومة المصرية في بسط سلطتي على الرعية وتأمينها واسعادها وكان الكولونيل غردون أرسل الى مصر ليستحضر للملك أمتيه عربية يركبها — وهي التي كان يركبها التعايشي في أيام دولته كما سيجيء —

أما أراضي مديرية مرولي فهي من أخصب الاراضي الافريقية وكانت بلادها عامرة وأهاليها متقدمين في الزراعة وماشيتها من البقر والغنم كثيرة وملابس أهلها منسوجة نسيجاً دقيقاً من لحاء أشجار هناك يقشرونها ويدقونها دقا يصيرها أشبه شيء بالتيل في خيوطه الدقيقة. والبستهم الازر يلفونها لغافي أوساطهم ليستروا بها انصافهم السفلي

أما الملك أمتيه نفسه فكان يلبس القباطي الحريرية من صنع الزنجبار وعلى

رأسه عمامة كما ثم أهل مكة وفي رجليه الجوارب والنعال الحمر ويسكن بناء منظما وكان عنده شاب أصله من أبناء جنسه ولكنه تربى في زنجبار فعرف اللغتين الانكليزية والعربية فوق لغته الاصلية واسمه (مفتاح) فأتخذه ترجمانا له ولكثرة ما كان يأتيه السياح من جهة الزنجبار عرف الاخذ والعطاء ومبادلة الهدايا والسؤال عن الاحوال العمومية

لذلك كان الملك أمتيه أقوى حكام مجاهل أفريقيه وكان أهله على درجة من التقدم نوعا عن أهالى الجهات الاخرى وقد أحسنوا زراعة الكروم خلاف ما يخرج عندهم من أشجار الفواكه اللذيذة العديدة فى غابات شاسعة يشي المسافر فى ظلها أياما طويلة لا يكاد ينتهى لآخرها

ولما استقرت قدمنا فى بلاد الملك أمتيه وتبادل الكولونيل غردون معه مخبرات المودة خطر على باله أن يدعو للاسلام لانه دين الحكومة المصرية الرسمي لان الملك أمتيه وقومه مجوس يعبدون الاصنام والتماثيل فأجابه بالقبول وطلب منه أن يرسل اليه علماء لتعليمه وقومه احوال الدين الاسلامي ففى الحال أرسل الكولونيل غردون له اثنين من أئمة الاورط واثنين من الحلاقين ليجرباهم طريقة الختان فاستقبلتهم الملك (أمتيه) بالحقاوة والاکرام ثم ضرب موعدا لمقابلة الامامين فتوجها اليه وقابلاه ولكن قد وجدا عنده أربعة من القسوس وأصلهم من البعثين البروتستانت جاؤا اليه من ناحية الزنجبار فجعل هؤلاء عن يمينه والآخرين عن شماله وأخذ يسأل كل فريق عن أصول دينه وكأنه لما تحقق بالسؤال من الامامين أن غردون مسيحي دينه دين هؤلاء القسوس اختار الدين المسيحي وكتب الى غردون يستشيريه فى دخوله فى النصرانية بعد ما ترك دينك الفقيهين ورفيقيهما الحلاقين أياما عديدة مهملين

لا سائل عنهم حتي كانوا يمكثون الوقت الطويل بلا قوت يكاد يقتلهم الجوع
فاضطروا أن يرجعوا من حيث أتوا

ويظهر من ذلك أن (الملك أمتيه) كان منافقا ينظر إلى مصلحة نفسه
ويستعمل كل غش وتدليس في طريق الحصول عليها فانه كان يرغب في الدين
الاسلامي قبل ان يتحقق من مسيحية غردون فلما عرف انه نصراني عول عن
رغبته الاولى واعتنق النصرانية دينا . ولذلك كانت عنده الرايتان المصرية
والانجليزية فاذا حضر سباح من الانجليز ادعي انه خاضع لسلطة الانكليز
ورفع الراية الانجليزية واذا حضر أحد من قبل المصريين رفع العلم المصري
بحجة انه تابع للحكومة المصرية ولكن انتهى أمره لرفع العلم الانجليزي دائما
ولذلك تركه الكولونيل غردون على حاله واعتبر (مديرية صرولى)
آخر حدود السلطة المصرية وكانت هذه المدينة مركزا للمديرية المسماة باسمها
وأول من عين لها القائم مقام محمد ابراهيم بك وأصله من مواليد السودان
وشهرته ابن جميعه

وبعد تأسيس المديرية على هذا الاعتبار رجعنا الى مركز (اللادوه)
وكانت طريقنا آمنة مطمئة وفرح أهالي اللادوه بمودتنا فرحاً عظيماً وخصوصاً
لقتوحنا البلاد الكثيرة حتى صارت مدينتهم عاصمة لقطر شاسع كثير الخيرات
والبركات يأملون ان يكون لها مستقبل عمران عظيم كمواصم الممالك الكبرى
وتخلص هؤلاء الاهالي من سلطة التجار أصحاب الكباين (الشركات)
المستبدين . وعقب أن وصلنا الى اللادوه بنضعة أيام جاءت الاخبار من (الاتوكة)
وهي جهة بينها وبين (كندكرو) مسافة اثني عشر يوماً بان زرائب السيد أحمد
العقاد وجماعة من التجار الآخرين مضايقة من العبيد مضايقة شديدة وقد

اشتد الحصار عليهم وقلّ زادهم وعندهم تجارة واسعة وأموال كثيرة
ويطلبون النجدة في أقرب وقت والا وقعوا في الأسر والقتل ونهب مالهديهم
فاضطر الكولونيل غردون ان يجهز حملة يبعث بها الى تلك الجهة تحت
قيادة الصاغ محمد اغا عبد الكافي وأصله من ضباط الجهادية السود فسار الى
(اللاتوكه) في طريق كلا جبال وعرة يسكنها هج العبيد الذين كانوا يتعرضون
له فيقاتلهم ويظفر بهم بأسلحته النارية وما زال كذلك حتى وصل الى الجهة التي
يقصدها ورأى هناك وكيل السيد احمد العقاد واسمه طه بن محمد ومعه
مصريون نخلصهم من الورطة التي كانوا فيها وجاء بهم وبأمتعتهم وبضعة آلاف
حمار من حمر اللاتوكه هي ذات ألوان خضراء تمشي الهوينا كما يمشي البقر وتدر
البانها كما تدر البقر وهم يستعملونها لذلك لا للركوب والحمل وعادوا بجميع
ذلك الى (اللاذوه) وقد أخذ العجب منا كل مأخذ لرؤية هذه الحمر الغريبة
في شكلها ومعيشتها ورأى الكولونيل غردون ان يوزعها على الضباط والعساكر
فأشار ان تدرب شيئا فشيئا بالركوب والحمل وقد دربت حتى أمكن
استعمالها لذلك بكل صعوبة ثم رأى ان يترك نقطة (اللاتوكه) فلا تكون
تابعة للحكومة المصرية لبعدها وقلة خيراتها

ولما رأى الكولونيل غردون أن جهات خط الاستواء الشاسعة صارت
في قبضة الحكومة المصرية مع تراعى اطرافها وقلة الجنود الذين عنده اختار
ان يضم الى قوته بعض العبيد الذين كانوا عساكر ماجورين لزرائب التجار
وقد قبلوا ذلك فاخذ منهم ألفي عبد انخرطوا في سلك عساكرنا وصاروا
بعد ذلك أحسن الجنود دربة ونظاماً ولكن كان يراعى في اقامتهم بعدم من
مراكزهم الاصلية فالذي أصله من جهة الغرب يبعث به الى نقطة في الشرق

والعكس بالعكس مراعيًا في ذلك تخالب الاميال ونفرة القبائل التي كانت مستحكمة عملاً بقاعدة احكم كل جهة باعدادها وهكذا كلما احتاج الى عساكر يرسلها الى جهة ينتخبهم من اعدادها لتأييد سلطته بذلك على الجميع

تعيين المؤلف مديراً لبور والغربية

وبعد مضي بضعة أسابيع على عودتنا من جهة (مرولي) أصدر غردون أمراً بتعييني مديراً عمومياً على مديرتي بور والغربية وهما من اكبر مديريات خط الاستواء وقد أعلن هذا التعيين في خطبة القاها على مجمع من الضباط وكان تاريخ تعييني هذا تاريخ ترقيتي الى رتبة البكباشي في أوائل سنة ١٩٠٤ هجرية وبعد ان استلمت الاوامر وكل ما يلزمي من قوت وذخيرة قمت على واپور (المنصورة) الى مقر وظيفتي

وقد بقيت في هذه الجهة نحو ثلاثة أشهر أعمل طبق الاوامر التي كان يصدرها لي مدير عموم خط الاستواء الكولونيل غردون الذي ظل هذه المدة يندو ويروح بين شمال القطر وجنوبه وشرقيه وغربه وفي خلال هذه السنة بعث لي أمراً بالنزول الى القطر المصري في صحبته وعين بدلي القائم مقام الطيب بك الذي سيأتي الكلام عنه. وقد كان ذلك وعدنا على بركة الله الى القاهرة وقابل الكولونيل غردون يوم وصولنا المرحوم الحديو الاسبق وكنت معه في هذه المقابلة فأنتم علي بترتبة القائم مقام وكان ذلك في شهر رمضان سنة ١٢٩٤ لان الكولونيل غردون أحسن الشهادة في حق كثير من وبعده هذه المقابلة عدنا الى قصر النزهة حيث كان غردون نازلاً وظل

عشرة أيام في القاهرة ثم غادرها الى انكلترا . وكنت أخذت اجازة منه أن أقيم في مصر مدة الثلاثة أشهر التي عزم على قضائها في أوروبا الا أنه بعد مضي شهرين ورد لي منه وهو في انكلترا تلغراف أن أبارح القاهرة قاصدا عموم خط الاستواء بصفة وكيل حكمداره العام فصعدت بالامر

تعيين غردون حكمدارا لعموم خط الاستواء ولم أكد أصل الى بربر في طريقي حتى علمت من وكيل مديريتها بصدور أمر حال من الخديو يعين به الكولونيل غردون حكمداراً عاماً لجميع البلاد السودانية المصرية ولسواحل البحر الاحمر وبذلك فصل اسماعيل باشا أيوب من وظيفة حكمدارية السودان . ثم علمت أيضاً بورود تلغراف للمديرية يفيد عودة غردون باشا الى مصر وقضده مباشرة مصوع . ثم حصلت الخبارة بيني وبينه بالتلغراف فأشار عليّ أن أبقى بالخرطوم الى حين وصوله . وقد كان ذلك فائقاً بآرحت بربر قاصداً الخرطوم وهناك انتظرت الكولونيل غردون حتى وصل اليها واستقبل الاستقبال اللائق بل القائق من كل وجه وأكثر من الاعطية والالعامات على مشايخ القبائل والاعيان مما لم يروه قبل من حكمدار . وكان فرمان تعيينه بمنحه السلطة المطلقة التي يتصرف بها على ما يراه موافقا لمهارة السودان وتنظيم أحواله الخ

وعلى أثر ذلك صدر أمره بتعييني باشمعاوناً لحكمدارية عموم السودان وكانت هي الوظيفة التالية لوظيفة وكيل حكمدار عموم السودان وفي ذلك الحين صدر أمر خديوي بضم جهات بحر النزال الى أملاك الحكومة المصرية وكانت لاتزال في سلطة أصحاب السكابين (الشركات)

مديريات بحر الغزال

﴿ تعيين المؤلف مديرا لبحر الغزال - وبداية حوادث ادريس أتر ﴾
 حضر الي الخرطوم على أثر تعيين غردون حكاما لعموم السودان
 وخط الاستواء وسواحل البحر الاحمر من جهة بحر الغزال وجل اسمه
 « ادريس أتر » وهو دتقلاوى الاصل اشتغل بالتجارة مجتهدا فآثري وصار
 من رؤساء الكبابين . وطلب مقابلة غردون فأجيب طلبه وأخذ يقص
 على مسامعه من أعمال سليمان بن الزير باشا - وكان رئيس قومباية أيضا -
 ماهيج أعصابه من أعمال الظلم والقسوة والسلب والتفكك والتهتك الخ وحسن
 له ضم جهات بحر الغزال الى سلطة الحكومة الحديوية وذكر له من خيراتها
 ما حرك أمياله نحوها ولذلك سأل السدة الحديوية اصدار الامر الذي أشرنا
 اليه قبل فصدر ثم عقد مجلسا من كبار ضباط الجهادية هناك لانتخاب مدير
 لعموم بحر الغزال فاستقر رأيهم على تعيين مديرا لها وقد أسر الي غردون
 وقتئذ ان سليمان بن الزير باشا طامح الي الاستقلال ببحر الغزال وانه يجند
 حوله جنودا ويستطيل على الشركات التجارية هناك حتى أوجس التجار منه
 خيفة ولهذا رغب أن أستصحب معي قوة كبيرة وبعض المدافع والذخائر الحربية
 والاسلحة الكافية فاستصحبت ستة بلوكات بضباطهم وعددهم وأخذت جملة
 فصائل من الباشيزوق بأسلحتهم ومدفعين جبليين وساروخين حربيين وبلوكين
 من القرمسان وسرنا هكذا على ثلاث وابورات وخمس عشرة سفينة شراعية
 قاصدين بحر الغزال بطريق البحر الابيض ولما وصلنا الي فشوده أخذنا من
 جندها ثلاثة بلوكات من الجهادية أيضا وتابعنا سيرنا حتي وصلنا الي مشرع

يقال له (مشرع الرق) على الشاطئ الغربى من بحر الغزال وهناك تعطل سير السفن بسبب الغابات الكثيفة التى تسد البحر في نقط كثيرة منه فطلعتنا الى محطة المشرع وهى صحراء واسعة فأقننا بها زريبة من الشوك مربعة الاضلاع ونصبنا بها الحيام ورفعنا عليها علم الحكومة اعلانا بفتح هذه الجملة ثم أرسلنا رسلا الى مشايخ القبائل فحضروا وأعلمناهم بدخولهم فى ولاية الحكومة فأظهروا الخضوع والسرور وتبادلوا البيع والشراء مع المساكر

ثم كتبنا منشورا الى جميع الجهات اعلانا لوكلاء الكبايين (الشركات) والاهالى بصيرورتهم من رعايا الحكومة المصرية وأن يحضر أولئك الوكلاء والاعيان الى مركز (مشرع الرق) ولم تمض أيام قلائل حتى حضر قناوى بك أبو عمورى ونظاره (وكلاؤه) ومشايخه على القبائل طائعين وحضر أيضا وكلاء الحواجا غطاس وهو من مشاهير التجار وأصحاب القومبانيات الكبيرة وهكذا أخذ رؤساء التجار يفدون واحداً بعد آخر اظهاراً لطاعتهم وسرورهم بامتداد سلطة الحكومة المصرية عليهم وكنا نأخذ من رجالهم الاسلحة وحصص الحكومة من أنواع التجارات المحتكرة لها كالريش والصمغ وسن القيل ومقادير هذه الحصص كان مقدرا بثلاثة أخماسها الا أنهم كانوا يظهرن التضرد من قلة ماتتركه الحكومة والتمسوا فى نظير ذلك ان تعفيهم الحكومة من أجر نقل بضائهم على مراكبها بين بحر الغزال والخرطوم

وقد استلزم الحال أن توجه الى أماكن هذه الشركات التجارية واحداً بعد آخر لقسم حصصها وضبط نصاب الحكومة منها واستصدرنا أمراً من حكدار عموم السودان باجابة ما التمس أولئك التجار فصدر الامر بذلك وفى خلال ذلك تبينت من أمر (ادريس أبتر) انه رجل غير مستقيم

مثير للفتن ذو سوابق سيئة بينه وبين جميع التجار فرأيت أن أزجه في السجن
لأتدارك ما كنت أتوقع من شروره



بلاد تنم

ومما يتصل ببحر الفزال بلاد النمام وبلاد (القودقرة) التي تكثر فيها
البيضاء ذات الذنب الأحمر

ولذلك أخذت أنقل من مشاريع التجار حتى وصلت إلى تلك الجهات
وأهل النمم حمر الألوان نحاسيون عمارة الاجساد غير أن نساءهم يسترن
عوراتهن بالحشائش الخضراء التي يغيرنها كلما جفت وكل ما يملكون من انواع
الحيوانات وطيور الدجاج التي تفوق المد على قدر ما يناسب حال كل منهم
وكذلك الكلاب ولحما عندهم أغر ما يأكلون وهو طعام امراةهم ولذا
كانت قليلة عندهم

واراضيهم واسعة خصبة تثبت قصب السكر والذرة والموز ينبت وحده
في غابات شاسعة لكثرة نزول الامطار هناك

وفي طرف من هذه البلاد جبل يسمى (جبل الدنوب) لاهليه رجالا ونساء
شفف كبير بالغناء يضربون الاطنان على السفاير وهي ضرب من الناي باتقان
عجيب ومن عاداتهم أن ينزلوا في رأس كل عام وقت الحصاد ويمرؤا على البلدان
وأجرات المحاصيل للتسول بفنائهم فيجمعون قوت عامهم ويمودون إلى
بلادهم وهم يصطادون الوحوش والطيور والقبيلة لا كل لحومها وهم أنعم
أهالي تلك الجهات مراسا وأضعفهم جانبا لا يعتدون على أحد كما لا يعتدي
أحد عليهم

وقد سألت عن الذين يأكلون لحوم البشر منهم فعلمت أنهم أهل قبيلتين فقط من بلاد النتم وليس ذلك من عادة القبائل كلها وأن أكل الانسان عند تينك القبيلتين ليس دائماً وفي كل حال بل اذا مرض أحدهم وغلب اليأس من شفائه أسلمته قبيلته الى الاخرى لتأكله كما تفعل الثانية بمريضها مع الاولى ومن ذلك يتبين ان اكل لحوم البشر في بلاد نتم ليس غذاء عاديا لهم كما يتوهم البعض بل هي طريقة اتخذوها لبيان معزة أحدهم عند الموت ويريونها اسمي شأننا من دفن الانسان في القبر أو احراقه بالنار مثلاً. ويرون في ذلك راحة لهم من عناء انشاء المقابر واحتياطاتها الصحية

أما سكان قورقورو وهي من ذلك الاقليم أيضاً فهم بيض الوجوه صفر الشعور زرق العيون كأنهم أوروبيون يعيشون في القارة الاوروبية ولكنهم يخالفونهم في زيادة الشقرة في اللون حتي ان الراي ليستغرب وجود مثل هؤلاء الناس في وسط القارة الافريقية وعلى القرب من خط الزوال

وفي هذه البلاد حيوان يسمى (البمام) أشبه شئ بالانسان في صوته وقامته يستأنس كالقردة وله شعر مسترسل خلف ظهره وعلى جانبيه فائق في طوله جميل في منظره يتنزل به السودانيون كما تنزل العرب في عيون الجآذر والنزلان

وتجاور أهل قورقورو قبيلة تسمى (تيكتيكه) أهلها أقصر ما رأيت قامات وهم على غاية من الوحشية في معيشتهم ونفورهم من غير أبناء قومهم وبعد ما تجولت في هذه المديرية زمناً أصابني مرض شديد اضطررت معه الى الاستئذان في العودة الى الخرطوم فعدت وأخذت معي ما جمعت من سن القمل وريش النعام ولكن عند وصولي اليها كان الكولونيل غردون قد ذهب

الى سوا كن فاستأذنته تلغرافياً في اعطاء الشركات ما يخصها من تلك السلع فاذن
لى وبلغت قيمة ماخص الحكومة مما جلبت اليها مئة الف جنيه أو دعت
بمخزينة المالية بالخرطوم

شأن ادريس ابتر بعد ذلك

تقدم لى الكلام على ادريس ابتر وزجى اياه في السجن لما تبينته من
حاله فلما عدت الى الخرطوم جلبته ممي اليها مخافة أن يكون في بقائه هناك
ما يجلب الشرور والمفاسد

وكانت عنده في بحر الغزال كمية وافرة من سن الفيل أخذناها منه كما
أخذنا مثلها من الشركات الاخرى ونقدناه ثمنها بعد عودتنا الى الخرطوم.
والمال كما يقال اقوي شفيع للانسان في كل حال اذ تمكن ادريس ابتر لوجود المال
معه من استمالة قنصل المانيا بالخرطوم اليه وبالفعل خابر القنصل الكولونيل غردون
تلغرافيا بان ادريس ابتر قد سجن ظلماً وانه برى من كل ما نسب اليه والقنصل
المذكور كان من اخص اصدقاء الكولونيل غردون ويثق به ثقة عمياء ولدى عودة
الكولونيل غردون من سوا كن ذهبت للقائه خارج المدينة على احدي البواخر
ومعي الفريق عثمان رفقي باشا القائد العام للجند السودانية وقتئذ فأول كلام
فاتمخني به رغبته في عودة ادريس ابتر الى بحر الغزال فاخذت اشرح له بأدلة
ما عساه يقع من عودة هذا الرجل وبينت له باسهاب أعماله السيئة الماضية فلم
يكترث بشيء من ذلك وأصر على ارجاعه وكان خطابه لى بالقاظ الاستعطاف لا
الامر حتى انقطع حديثنا بالوصول الى المدينة والاشتغال بما أعد له من الاستقبال
الرسمى وعلى أثر وصوله الى سراى الحكمدارية طير رساله تلغرافية الى

الجناب الحديوي بالقاهرة التمس فيها الاحسان على برتبة الامير الالي والوسام
المجيدى الثالث اه وما مضى يومان حتى جاءت الاجابة من لدن الحضرة القسيسة
الحديوية وكان ذلك فى شهر محرم سنة ١٢٩٥ هجرية

استقالة المؤلف

(من مديرية بحر الغزال)

« وتعيينه حاكماً على مديريات خط الاستواء وتعيين ادريس أبتر بدله »
ذكرت ما ألمّ بصحتي من الانحراف بسبب سوء تأثير هواء بحر الغزال
عليها فلما رأيت اصرار غردون على الصفع عن ادريس أبتر واعادته الى بحر
الغزال رأيت الفرصة مناسبة لان استقيل محتجاً باعتلال صحي والظاهر ان
غردون رأى في هذه الاستقالة أيضاً فرصة مناسبة لارضائي وارضاء ادريس
أبتر معاً فقبل استقالتى وعينني في الحال حاكماً عاماً على اقاليم خط الاستواء
بدلاً من براوت بك الاميركاني الاصل الذي كان حاكماً عليها قبل ذلك . ثم
أصدر أمره بتعيين ادريس أبتر مديراً على بحر الغزال والتمس له من الجناب
الحديوي الرتبة الثالثة

ثم أمرت بمبارحة الخرطوم فأخذت في أهبة السفر وعندئذ استدعاني
الكولونيل غردون للتوفيق بيني وبين ادريس أبتر فأصلح ما بيننا . ويقيني أن منبة
تعيينه ستكون وبالاً على بحر الغزال ومع ذلك قد محضته النصيح في أمور
كثيرة أخصها أن يكف عن مناوأة سليمان بن الزبير وأوضحت له صعوبة
عمله اذا لم يكن معه على صفاء

وبعد ذلك بارحت الخرطوم قاصداً مقر وظيفتي على وابور (الاسماعيلية)

وسافر هو كذلك الى مقر وظيفته على وابور (الصفاية) وظللنا سائرين معاً حتى
وصلنا الى بحيرة تدعى (ميرة السيرة) وهي التي بها مدخل بحر الغزال من
الجهة الغربية وطريق خط الاستواء بالجهة الجنوبية وهناك افترقنا بعد
ما كررت له النصيحة السابقة وما زلت سائراً في بحر خط الاستواء حتى
وصلت الى (اللدود) مركز عموم الاقاليم الاستوائية) وهناك أصدرت
منشوراً عمومياً أبلغهم به الاوامر الجديدة بتعييني مديراً على تلك الاقاليم
وقومنداً على عساكرها وبالاعمال اللازمة لاستتباب الامن العام وبمادة البلاد
ثم رأيت أن لا أطيل الإقامة في مركز وظيفتي قبل أن أمر على
مراكز المديريات لتفقد حالة المال والاهالي وهكذا سرت أنقل من جهة
الى جهة مدة أربعين يوماً ثم عدت الى اللدود ثانية وأقيمت بها نحو خمسة
عشر يوماً ثم بعدها متابعاً المرور شمالاً قاصداً مديرتي (بور وسبت) وبينما
كنت سائراً بوابور الاسماعيلية في مروري هذا شمال مديرية (بور) قبل أن
أدرك محطة (شانية) بنصف ساعة أدسمت لفظاً كثيراً من العساكر الذين
معي فسألهم عن سيده فأخبروني ان أناساً سائرين على الشاطئ حاملين راية
حمراء يستغيثون بنا وهم يطلقون بنادقهم في الهواء استلقائاً لنا فمضت وأخذت
منظاري بيدي وتحققت من أمرهم فأمرت برسو الوابور وانتظارهم وبعد
هنية وصلوا الينا واذا بإدريس بك أتر مديرجر الغزال مقبلاً علينا فاندشت
لرؤيته في هذا المكان وسألته عن سبب قدومه فأخبرني ان سليمان بن الزبير
قد هجم على مركز المديرية وأخذ كل ما فيه من الأسلحة والذخائر فاستفهمت
منه عن السبب الذي حمله على فعله هذا مع انه أقام في هذه المديرية سنة كاملة
لم يقدم في خلالها على مثل هذا الامر فأنكر إدريس بك السبب الحقيقي قائلاً

انه أقدم على هذا الامر من تلقاء نفسه ولا أعلم له من سبب ورجائي اعطائه
عساكر لمقاومة عصيانه وردده عن طغيانه فقلت له لا بد أن تكون أنت
النسب في عصيان هذا الرجل ثم استفهمت عن حقيقة ماجرى من القاضى
والضابط اللذين اصطحبهما معه ادريس بك فحاولا أولاً مداراة مديرهم ثم رأيا
أن لا سبيل الى المداراة ولا مصلحة فيها فأقرا بما كان. وهو أن ادريس أبتز لما
وصل الى زربية شركة المعلم غطاس أذب له مستخدمو الشركة وجلهم من الدناقلة
بنى جلده مائدة حوت كثيراً من أنواع المسكرات فلما لعبت بعقله بنت الحان
أخذ يقول انه تعين مديراً غمماً عن ابراهيم بك فوزي وانه أنفق في هذا السبيل
ألف جنيه للنفصل فريدريك الذي تقدم لنا ذكر شأنه معه ولا بد من استعاضته
بتوزيعه على موظفي المديرية ثم لا بد من تجريد حملة عسكرية لقهر سليمان بن
الزير وتخريب زربية وقتله وصار يثفوه بالفاظ السباب والشتائم في حق ابن
الزير فلما بلغ ذلك سليمان بن الزير قام هاجماً على مركز المديرية وكان منه ما كان
مما أخبر به ادريس أبتز وكان ذلك قبل وصول ادريس أبتز الى مركز المديرية
فلما ننى اليه الخبر اعتصم بالقرار لينجو بحياته وكان من أمر اجتماعه بنا في
الطريق ما ذكرناه

وعلى أثر ذلك أرسلت ادريس أبتز الى غردون محقوراً بمشرة من المساكر
وواحد من الضباط وكذلك أرسلت له الاوراق التي باشرت فيها التحقيق
وفيها ان ادريس أبتز كان قد أخذ المهد على أولئك الذين قصدوا مدارته في أول
الامر بكم ما حصل منه ثم عادوا الى الاعتراف بالحقيقة وما بلغ ادريس أبتز
الخرطوم حتى زجه غردون باشا في السجن

تعيين جسي باشا مديراً على بحر الغزال

وبعد أن زج ادريس أبتري في السجن أصدر غردون باشا أمراً بتعيين جسي باشا وهو ايطالي الاصل مديراً على بحر الغزال وعهد اليه اخضاع سليمان ابن الزير ومقاومة عصيانه ولدى وصوله الى بحر الغزال بدأ بمطاردته وحشد عشرة آلاف جندي لمقاومته وجرت بينهما وقائع عديدة كان النصر في جميعها حليف جنود الحكومة وفر سليمان بن الزير الى برية بين بحر الغزال ودارفور تدعى (حفرة النحاس) فتأثره جسي باشا حتى أدرسه وليس معه أكثر من أربعمئة مقاتل من الميسد البازنجر خارت قواهم ولم يعودوا قادرين على مداومة القتال وكان راجح الذي قيل انه مملوك الزير باشا من ضمن أولئك الباذنجر فاستمال اليه نحو نصفهم وزين لهم الفرار والالتجاء الى القلاوات الواقعة بين دارفور وبحر الغزال ريثما يتناسي الناس أمرهم فيعودوا الى أوطانهم بعد انطفاء جذوة غضب رجال الحكومة على تجار الرقيق فاطاعوه وفروا الى جهة الجنوب الغربي من حفرة النحاس وقبل أن يتعدوا عن معسكر ابن الزير بعشرة أميال انقض غليه جسي باشا وقبض على من فيه وقتل ابن الزير وأثنين وعشرين رجلاً من أشهر النحاسين الذين معه^(١) ولم

(١) جاء في العدد ٩٨٤ من جريدة الجوائب بتاريخ ٢٥ محرم سنة ١٢٩٧ قلا عن الجرائد المصرية . وقد قال أحد مكاتب التيمس ان الاخبار الواردة من غردون باشا عند ما كان في دارفور تفيد ان القائم مقام جسي انتصر أخيراً على تجار الرقيق في اقليم بحر الغزال كما انتصرت الانكليز على الزولوس وذكر المسترجسي خبر نصرته بالايجاز . وخفوا انه لما هجم سليمان أحد زعماء العصاة هزمه المسترجسي واقنقأ أثره مدة أميال فانقلب سليمان الى حصنه ولم يمكن المسترجسي أن يستمر مقتفياً أثره بسبب عدم وجود المؤنة معه فكث لغاية ٢٨ اربل الي أن أنه الذخيرة الكافية فشرع في

تعر الحكومة على شيء يذكر من أسلابه وغاية ما غنمته لا يتجاوز سبع قناطير من سن القيل ونحو خمسة آلاف من الريالات المييدي واستولت على سندات بقيمة عشرين ألف ريال بمواعيد مختلفة يؤديها بعض تجار الرقيق لابن الزبير وعثر على أوراق دلت على أن أسباب المصيان كانت مدبرة بينه وبين والده ويقصد هذا من ذلك أن تكلفه الحكومة باخضاع ابنه حيث يبلغ أربه من المودة الي بحر النزال

ثم عاد جسي باشا الى مقر وظيفته وقتل خلقاً كثيرين من النحاسين والذين لهم علاقة بابن الزبير ومكث مديراً على بحر النزال سنة كاملة ثم استقال لاعتلال صحته فاقيل وسار من بحر النزال الي الخرطوم فسوا كن حتي ادركته المنية بالسويس قبل ان يبلغ القاهرة وخلفه في وظيفته (موسي باشا شوقي) من الضباط المصريين فاستقر قدمه فيها لخلوها من النحاسين الذين هم مصدر كل الشرور والفتن . أما راجح فانه من أولاد العساكر السود

الاقدام والمهجوم وكان معه نحو ١٠٠٠٠ نفر فانهز سليمان الفرصة وجمع ٣٠٠٠ نفر من الرقيق غير ان جسي اعتق بعض أنفاره مكافأة لهم على خدمتهم ثم حصلت مناوشات انتصر فيها جسي وفي ٥ مايو حصلت ملحمة عظي انهزم فيها العدو شر هزيمة فغزم جسي على أخذ القلعة بالمهجوم فصار بذلك وهرب سليمان نفسه ومعه نفران وترك جميع الذخائر والمكاتبات التي يستفاد منها خيانة أبيه زبير باشا وكذلك ترك ألف جنيه من ريالات فضة و ٦٣٠ رطل طاج وكيس ذهب وحوالات كانت مع التجار المصريين لشراء الرقيق والعاج وريش النعام يبلغ مقدارها نحو ٢٠٠٠٠ ريال أي ٤٠٠٠ جنيه وغير ذلك من المواد والمهمات وأصدر جسي أمراً بقتل كل من يتعدي على أحد من الاهالي وشنق تسعة من كبار المذنبين عبرة ليعتبر بها باقي تجار الرقيق وقتل ثمانية من الزعماء في الواقعة الاخيرة وفي هزم جسي تجريد الاهالي من الاسلحة بدون فرق وطردهم جميع تجار الرقيق

الذين يسمونهم في اصطلاح المساكر (غلمان الجهادية) ولم يكن مملوكا للزبير
باشا ولا لغيره فاده الطمع وحب النكسب الى الانتظام في سلك تجار الرقيق
فانتظم في حملة أبي عمودي التاجر وكان حليفا للزبير باشا ثم لابنه من بعده .
ومدة الحرب بين جسي وابن الزبير لم تبلغ أسبوعين كان يدعو جسي باشا في
خلاهما الى الطاعة والابتعاد عن سبل المصيان

فصل المؤلف

من مديرية خط الاستواء وتعين أمين باشا بدله

وبعد عودتي من الرحلة التي لقيت فيها ادريس ابتر جاءني سائح اسمه
الدكتور (ينكر) يطلب مني ان اجمع له مائة شخص من الاهالي يحملون أثقاله
مدة تجوله في انحاء خط الاستواء وكانت العادة المتبعة عندها اذ ذاك ان نسح
بمثل ذلك لكل سائح على شرط ان يؤدي أجرة كل شخص ثلاثة غروش
من العملة الصاغ عن كل يوم وان يدفع لكل شخص أجرة ثلاثة شهور سلفاً
وان يكون مكافأ بلوازمهم اليومية من الطعام فمرضت عليه هذه الشروط
فاكبرها وادعى ان لديه أوامر من غردون باحتساب كل نفقات سياحته على
جانب الحكومة فطلبت منه الرقيم الصادر من غردون فلم أجده عنده شيئاً
من ذلك وأخيراً دفع أجرة شهر واحد لكل حامل من الذين جمعناهم له
وتعهد بدفع الباقي عند عودته وبعد ثلاثة شهور عاد من سياحته وامتنع عن
دفع ما بقى في ذمته من أجرة الجمالين وبعد محاورات كثيرة دفع لهم أجرة
الشهرين الباقيين ثم أخذ في أهبة السفر ومعه شيء كثير من العلاج
فاخبرته باختكار الحكومة هذا الصنف ومنعها الاتجار به وحمله الى الجهات

الشمالية وأفهمته ما تقضى به الاوامر من ضبط مامعه وأخذه بجانب الحكومة فامتنع أولا ثم رضع ثانياً وكان كثير الالفة والتودد الى طيبب الحكومة الدكتور شنيتزر الذى سمي نفسه بعد باسم (محمد أمين) ثم صار حاكماً على أقاليم خط الاستواء باسم أمين باشا

وفى غضون اقامة هذا السائح بخط الاستواء نقل الى كثير من تجار الاوروبيين هناك أنه مصمم على الوشاية بي عند غردون وانه لابد من ان وشايتة ستقضى الى فصلى وانه يرشح أمين افندي طيبب الحكومة لولاية الحكم على أقاليم خط الاستواء بعد فصلى

على أننى لم اكرث بهذا القول وعددت من قبيل الهوس وخصوصاً ما ذكر من أمر أمين افندي الطيبب لاني وسائر من مى من الموظفين نعتقد فيه فقدان الروية وعدم الخلق حتى فى صناعته التى انقطع لها ودرسها فكيف يكون شأنه اذا عين بوظيفة حاكم لاقاليم بخط الاستواء ادارتها عسكرية ومدار عملها على الحركات العسكرية والمهارة الحربية ثم غادر الدكتور (بنكر) خط الاستواء على احدى البواخر فكتبت الى الكولونيل غردون أعلمه بكل ما وقع بينى وبين الدكتور (المذكور) وشرحت له ما علمته من أولئك التجار من نوايا ونوايا أمين افندي الطيبب ولما وصلت الباخرة الى مكان يدعى (شيشه) يبعد عن الخرطوم بنحو مائة ميل أصابها خلل أوقف متابعة سيرها فخرج السائح منها واستأجر نوفا وصل على ظهورها الى الخرطوم وقابل الكولونيل غردون وألقى عليه ماشاء من الاكاذيب والوشايات فاحتدم غيظاً جرياً على عادته حيث كان من طباعه أن يصنى لكل واش سبق غيره بالشكوى اليه من غير أن يتحرى صدقه ويقف على كنه قصده

وبعد بضعة أيام أصلح خلل الباخرة فاستأنفت سيرها الى الخرطوم
وبعد وصولها ذهب صاحب البريد ليسلمه للكونلونيل غردون فامتنع من
استلامه وأصدر أمراً بفصل من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين افندي
الطبيب وكيله حتى تصدر أوامر أخرى . ثم غادرت خط الاستواء قاصداً
الخرطوم حيث أصدر الكولونيل غردون أمراً بتعيينه حاكماً عاماً على أقاليم
خط الاستواء فوق ذلك موقع الدحشة والاستغراب لدى الموظفين الذين
لا يعرفون لهذا الرجل أهلية إدارية أو عسكرية تبوءه هذا المنصب الخطير وأيقن
الكل بأن الدكتور (ينكر) هو الذي مهد له هذا السبيل وبوآه هذا المنصب
ولا غرابة في ذلك فإن الدكتور شنيتر قدر على إخفاء دينه وتسمى
بمحمد أمين فليس بعيد علي منافق كهذا استمالة مثل الدكتور ينكر مادام
عالمين من الكولونيل غردون الاصغاء لكل مبادر بالوشاية ولو كان
ذا قصد سيء



قصة الأفيال في خط الاستواء

ومن الأعمال التي تدل على جهالة أمين افندي وبعده عن أصالة الرأي
بعد السماء من الأرض ان الكولونيل غردون كان اشترى من أفيال الهند
الداجنة عدة وجلبها الى خط الاستواء ولما عينت حاكماً على خط الاستواء
سلمها اليه وأمرني أن أقيم لها زريبة من الشوك علي بعد ألف ومائتي متر
من مدينة (اللدوه) وكنا في غداة كل يوم نخرجها من الزريبة ونسرجا في
الفلاة تقات بالحشاش ونختطها بالأفيال الوحشية وفي أصيل النهار نعاد
الي الزريبة فيتبعها منها بضعة أفيال أو أزيد بعد ادخالها في الزريبة فيقتل

المساكر الاقيال الوحشية رميا بالنبل فتأخذ الحكومة أسنانها وتأكل المساكر لحومها اذ هي لذيذة جداً ومحبوبة عندهم وبذلك تقتصد الحكومة ثمن اللحوم التي تجريها على المساكر. وفضلا عن ذلك فان الاقاليم الاستوائية لا توجد بها دواب للحمل ونقل الأثقال من مكان لآخر فكانت هذه الاقيال تؤدي وظيفة الحمل في زمن الحروب ونقل الذخائر من أهم حوائج الجند اذ يحمل الواحد منها أكثر من حمل خمس من الابل

وغير هذا وذاك اتى لما غزت بعض البلاد لادخالها في طاعة الحكومة وحملت الأثقال على تلك الاقيال كان الاهلون في كل جهة مررنا بها يقابلونا بالاعجاب ويتساءلون كيف أخضع هؤلاء الناس القليل الذي هو أكبر حيوان وكيف ذلوه لارادتهم وقادوه كما تقاد الشاة ولما وصلت الى بلاد العصاة لم يقابلوني بغير تقديم الطاعة والتسليم هم وملوكهم وصرحوا لي بأنهم لا يستطيعون قتالي وقتال جنودى الذين ذلوا الاقيال وكان ذلك شأني مع كل بلاد غزوتها بالاقيال وأطلق الجنود اسم بلاد الاقيال وقبائل الاقيال على كل بلاد وقبائل دانت بطاعة الحكومة رهبة للاقيال وأطلق الاهلون على اسم (الحاكم صاحب الاقيال) وبعد مبارحتي خط الاستواء خيل لامين افندي باشا أن يذبح الاقيال الداجنة ليتحقق الفرق بين لحومها ولحوم الاقيال الوحشية ولاجراء تحليلات كيمياوية وقد فعل فانظر الى هذه السخافة

وكان في خط الاستواء ثيران من البقر تبلغ الالفين ذلت بأزمة حتى صارت قابلة للحمل الأثقال والركوب كالجمال فذبحها كلها ولو كانت الاقيال والثيران باقية لما هلك أكثر الذين رافقوه مع المسترستانلى الرحالة عند مغادرته خط الاستواء كما سنذكر ذلك في موضعه ان شاء الله

ذكر ما حصل للمؤلف من الكولونيل غردون وسفره لمصر
ولما وصلت الخرطوم قصدت سراي الحكومة واتمست مقابلة
الكولونيل غردون فلم يأذن لي بمقابلته فمدت الى منزلي وأنا مصر على مفادرة
السودان وعدم قبول أى خدمة فيه بعد الاهانة التى لحقتني من السائح الذي
سعي بالوشاية في عند من لم يتحر الحقيقة ولم يعتقد في الاوروبيين انهم بشر
يجوز في حقهم الكذب والحياة والفرض فمرضت اليه التمس التصريح لي
بالشيوخ الى مصر فاستدعاني وخطبني بأفنة فإلأنت تريد السفر الى مصر
قلت نعم قال ولماذا قلت اتى ~~مكتوب~~ سبع سنوات هنا وأود العودة الى وطني
لتبديل الهواء والقرار من وجه ~~البحر~~ الكذابين مثل (ينكر) فقال أهو كذاب
قلت نعم ولو أطلعتني على سمائه بي عندك لاظهرت لك كذبه واتى ماعاملته
الآن بما لا مندوحة لي منه وهى واجبات وظيفتي وختمت حديثي باعادة
الالتماس بالتصريح بالسفر الى مصر على نفقة الحكومة فقال قد أذنت لك
وأمر بكتابة الاوامر بسفري على نفقة الحكومة ثم طلبت منه كتابا الى البحرية
المصرية مؤذنا باحالي عليها فأعرض عن الاجابة فألححت في الطلب وصمم
على الرفض فانصرفت عنه وهو مفعم من الغضب وأنا مفعم من النفيظ والكدر
وما مضت أيام حتى غادرت الخرطوم وما زلت سائرا حتى وصلت القاهرة

ذكر ما وقع للمؤلف مع شاهين باشا ناظر البحرية
وفي ثاني يوم وصولي لمصر ذهبت لديوان البحرية لابسا الملابس الرسمية
حيث قابلت شاهين باشا ناظر البحرية والبحرية المصرية فتمثل لي واقفا ببشاشة
وطلاقة وجه وبمد تناول القهوة سألني وأمارات الدهشة والاستغراب بادية على

وجهه أنت حائزة رتبة أمير ألاي فقلت نعم فقال ومن أين قدمت فأجبت من
السودان فقال ما اسمك قلت ابراهيم فوزي فقال هل عندك كتب من حاكم
السودان قلت كلاً فقال وبماذا نعرفك فقصصت عليه ما كان من امتناع
حاكم السودان من اعطائي كتاباً فقال ولاي شيء كان ذلك فلت لا أعلم ثم
سألني عن براءة الرتبة التي أنا حائز لها فأجيبته بأن لدي البراءة من رتبة
الملازم ثاني حتى رتبة الامير الاي فقال أود الاطلاع عليها وعند ذلك لم أتمالك
كظم غيظي حيث قلت له أظن بأنني مختلس هذه الرتبة فان كان كذلك
فان لديك المهرب عثمان رفيقي باشا الذي كان قائداً عاماً لنصارى السودان فسله
عني يثبتك اليقين واذا شئت فان معية الجناب الحديوي تخبرك بما يملك في
غنى عن توجيه هذه الاسئلة الي ثم انصرفت عنه وهو يلاطفني ويرجوني أن
أقابلة في الغد



مقابلة المغفور له خديو مصر اسماعيل باشا

وبعد انصراقي عن ناظر الحربية ذهب هو الي سراي عابدين العاصرة
وتشرف بمقابلة الجناب الحديوي وقص على مسامحه الكريمة حديثي فأمر
ناظر الحربية باستدعائي بين يديه في الغد لمقابلة سموه وفي الغد ذهبت الي
ديوان الحربية كما أمرت ولما دخلت على الناظر كان أول خطاب وجهه الي «أنت
جئت» كأنه يرتاب في مجيئي ثم قال. بعد ساعتين نتشرف بمقابلة الجناب الحديوي
المعظم فظهرت السرور وبعد انقضاء الساعتين ركبت معه عربته ولما مشات
بين يدي الخديو قابلي بالبشاشة والاكرام وكان ناظر الحربية قد سبقني
الي ذلك وبعد الجلوس سألني عن اسمي فقلت ابراهيم فوزي الذي قابل

سموكم مع الكولونيل غردون وأنا يومئذ حائز لرتبة الصاغول اغاسي
وقد أحسن سموكم عليّ برتبة البكباشي في غضون تلك المقابلة وقد تنازل
سموكم بإبلاغي ممنونية الكولونيل غردون مني وثناءه عليّ بالنسبة لما كان
مني من الخدم التي أدتها في فتوحات خط الاستواء وتنازل سموكم أيضا وخاطبني
بالفاظ التشجيع والوعد بالترقى اذا ظلمت عليّ التهج الذي أوجب ثناء الكولونيل
غردون عليّ

فالتفت سموه اليّ ناظر الحربية وقال له لو رأيت الكتب التي وردت
عليّ من الكولونيل غردون باللغتين العربية والفرنسية بالثناء عليّ هذا
الرجل لعلمت انه مستحق لرتبة القويق مثلك فاعتذر ناظر الحربية وأمره
الجناب الحديري بمعاملي اسوة امثالي فانصرفت بعد اسداء الشكر للحضرة
القديمة الحديوية وانصرف معي ناظر الحربية وفي نفسه شيء مني فدعاني
لركوب عربته للعودة الى نظارة الحربية وبينما نحن سائرون لمحت منه امتعاضاً
عليّ الكولونيل غردون لانه يكيل الرتب جزافاً فانكرت عليه ذلك وقلت
له بلغني انك لما كنت حائزاً لرتبة أميرالاي كنت أصغر سناً مني فقال كلاً
فأنتي لما رقيت الى رتبة أميرالاي كان سني اثنين وثلاثين عاماً فقلت له وما
تحسب سني قال عشرين سنة أو أكثر بقليل فقلت ان عمري ثلاثون سنة
وقد نلت الرتب باستحقاق حيث كابدت مشقات وقاسيت صعوبات في فتح
بلاد جديدة وانتهى الحديث بيننا بالوصول الى الديوان حيث أمرني بالتردد
عليه ريثما يجد لي وظيفة تليق بي فمكثت متردداً نحو شهرين لم يعرض
عليّ ناظر الحربية وظيفة تليق أولاً تليق بي

قدوم الكولونيل غردون مصر واستقالته

وفي أواخر سنة ١٢٩٦ هجرية قدم الكولونيل غردون الى مصر لمقابلة الخديو فتوجهت لزيارته بقصر الزهة بشبرا حيث كان نازلا فيه ضيفا على الحكومة المصرية فقابلني بفتور وكان معه ضابطان أوروبيان كانا موظفين بخط الاستواء حينما كنت مديرا. ولما رأيت منه هذا الفتور استأذنته بالانصراف فخرجت وأنا مصمم على عدم العود الى زيارته وبعد خروجي انكر عليه الضابطان ما قابلني به من الجفاء وكانا قد بارحا خط الاستواء لتبديل الهواء في الباخرة التي سافر عليها الدكتور ينكر وغادرا الخرطوم الى القاهرة فاوردوبا قبل ان يقفا على شيء من أمري ثم انهما كانا عائدين من أوروبا ولما رأياني مع الكولونيل غردون كانا يظنان انني قدمت معه كالمرءة الاولى والضابطان المذكوران يدعي احدهما الكولونيل (مارنو بك) والثاني الكولونيل (منسون بك) فسألا الكولونيل غردون عن سبب هذا الجفاء فقص عليهما كل شيء من أمر ينكر فاكدا له تزييف كل ماوشى به ينكر وقصا عليه الحقيقة من أولها الى آخرها فلم يقتنع حتى أطلعا على مخاطبات من السائح ينكر والدكتور أمين تدل على انهما كان يلحان عليهما ليوافقاهما على دسائسهما ووشاياتهما على قايما ترهما وأنفة من مثل هذه الدنات وعقيب ذلك ارسل الى الكولونيل غردون وبلغ في الاعتذار ورجاني ان اعتقد بان منزلي لديه صارت أجل وأرفع مما كانت عليه وانه يتأسف كثيرا على ما لحقني من الاهانة فيما مضى فقبلت عذرهما وامت حفظ الوداد فكتب في الحال الي نظارة الحرية والى المعية السنية رسالتين يثنى علي فيهما ويسألها توظيفي بوظيفة لائقة

ولما وصل كتاب الكولونيل غردون الى المعية السنية أمر الجنب
الحديوي ناظر الحرية بتوظيفي فاعتذر بعدم وجود وظيفة لأتقنة فامر به باحالي
على الاستيداع بنصف الراتب الذي هو خمسة وعشرون جنيا
ولم تمض ثلاثة أيام علي احالي على الاستيداع حتي استدعاني الكولونيل
غردون وعيّنني بوظيفة قائد عام لجنود السودان الشرقي فاخذت في الابهة
للسفر لمقر وظيفتي

وبينا أنا كذلك اذ بلغني ان الكولونيل غردون قد استقال من وظيفته
وأقالته الحكومة الحديوية فاسرعت وسألته ان يتوسط لي في قبول الاقالة
من هذه الوظيفة ففعل وقبلت وساطته وصدر الامر بعودتي الي الاستيداع
أما الاسباب التي بنيت عليها استقالة الكولونيل غردون فلم أقف على
شي منها وغاية ما علمته من أخبار الصحف وقئت أن الخلاف الذي كان قائما
بين مصر والحبشة في مسألة تحديد التخوم لم يعمل فيه الكولونيل غردون بما
كانت تمنح اليه الحكومة الحديوية من حسم الخلاف بالطرق الودية وملافاة
الشحناء بالخبرات السلمية بل كان يود غير ذلك وكانت حالة الحكومة الحديوية
اذ ذاك في ارتباكات داخلية لا يجهلها القارئ وهي التي بدت طلائعها قبل
استقالة المغفور له الحديوي اسماعيل باشا ويقرب من العقل تصديق
هذه الرواية

وقررت الحكومة منحه عشرين الف جنيه مكافأة له على خدمته التي
ادهاها بالسودان فاعتذر عن قبولها وأظهر شما اذ قال انني ما خدمت الحكومة
الحديوية لانال منها مكافأة بل كان قصدي خدمة المدينة ونفع النوع البشري
وغاية ما يمكنني قبوله هو مرتب شهرين باق لي لم أقبضه حتي الآن فدفت

له الحكومة مرتب الشهرين فوزعه على الخدام والطهاة الذين كانوا يتولون خدمته في قصر النزهة ولم يدخر منه غير نفقة وصوله الى بلاده ثم بارح القاهرة الى الاسكندرية فلو تدره



تعيين محمد رؤف باشا حاكما على السودان

وبعد استقالة غردون باشا عينت الحكومة خلفا له المرحوم محمد رؤف باشا الذي جعل ادارته قاصرة على الغاء أكثر الحاميات اقتصادا للنفقات وأنزل مرتبات الموظفين الى النصف ورافقه ضباط مصريون روى لنا واحد منهم هو القائمقام اسكندر بك محمد أنه سمعه يقول لم يحسن الجناب الحديو بتوليته على عموم السودان لاني أعرف من نفى عدم القدرة على ادارة شؤون هذه الاقاليم وكان الاحسن أن يمينني مديرا على اقليمى « بربر » ودنقلة « فقط وفي أيامه ظهر المهدى . وكان من أمره ما نأث على شرحه

ذكر وظائف المؤلف بعد ذلك

وفي أوائل سنة ١٢٩٧ عين المرحوم عثمان رفقي باشا ناظرا للحرية المصرية فميتنى في وظيفة مأمور عمليات اقليم الغربية بمرتب خمسين جنيا مصريا في الشهر غير نفقات السفر وبعد انتهاء العمليات عينت مأمورا لتعداد النفوس باقليم الجيزة ثم عدت الى الغربية لقرز انصار القرعة ثم انتدبت لتحقيق مسألة دعوي جماعة من الضباط على دولة البرنس ابراهيم باشا أحمد بانه غصب منهم ختيش الزنكلون من أعمال الشرقية وبعد مباشرة التحقيق ظهر كذبهم وفساد دعواهم ثم فصل عثمان رفقي باشا من نظارة الحرية وعين خلفا له محمود سامي

(باشا) البارودى وبدت حوادث العربيين

وفي ابان ذلك أرسلت حكمدارية السودان الى المعية السنية تلغرافاً تخبرها
 باول حادثة جرت لها مع المهدي فاصرت الحكومة بحشد أربعة طواير
 نصفها من السودانيين والنصف الآخر من المصريين وتاليف الاى منهم
 لارساله الى السودان وتعيين المؤلف أمير الأي عليه وبعد حشد الجنود أخذنا
 في تمرينهم على اطلاق النار بضواحي العباسية ثم بعد ثلاثة شهور أرسلت
 الحكمدارية تلغرافاً الى المعية السنية تقول فيه إن ميزانيتها لا تحمل نفقات هذا
 الأي وانها انتدبت لقتال المهدي يوسف باشا الشلالى وجعلت تحت إمرته
 جنوداً نظامية وباشبوزق وأكدت لها قدرته على مقاومة العصاة وإخضاعهم
 وأنه لا بد أن يقضي القضاء الاخير على دعوة المهدي قبل أن تشب من طوقها.
 ولما كنت عارفاً بيوسف باشا المذكور التزمت أن أعرف المعية عنه بأنه كان
 نوتياً ثم صار نخاساً من الذين كانوا يحرقون الغزال ولم يكن عسكرياً ولا ادارياً قط
 فلم تلتفت لاقوالى وصدرت الاوامر بحل الأي وكان من أمر يوسف باشا
 مايجب ذكره في حوادث المهديوية وأضيف طابورا السودانيين الى لواء عبد
 العال حلمي (باشا) وميشد والآخران الى ألوية المصريين ثم عينت بوخليفة
 باشماون نظارة الحرية ومكثت بهذه الوظيفة حتى اطلاق الدوتمة الانكليزية
 القنابل على الاسكندرية ثم عينت أمير الأي على أحد الايلات التي جندت
 وميشد وهو الأي الاول من الفرقة الثالثة وكانت اقامة هذا الأي بشفر
 رشيد ثم أمرنا بالتوجه الى أبوقير وعسكرنا بها الى ما بعد واقعة التل
 الكبير

ذكر ما وقع للمؤلف مع العراقيين

لا أتوخي في هذا المقام شرح حادثة العراقيين بل أبين للقاري ما لحقني من السجن والمحاكمة لدخولي في زميرهم فاقول
لما انهزم عراقي في واقعة التل الكبير وتأثره الانكليز أرسل اليه لتغرافا بابوقيرين بشتابزيمته وانكساره النهائي ولم نلبث أن جاءنا بعد ذلك تغراف من المغفور له توفيق باشا الحديوي السابق يخطرنا فيه بالقبض على عراقي وزجه في السجن ويأمرنا بالتوجه الى كفر الدوار وتسليم الاسلحة والذخائر لقائد الجنود الانكليزية هناك فامتلنا وذهبنا الى تلك الجهة فوجدنا بها الجنرال (وود) الذي صار بعد ذلك سردارا للجيش المصري وعند ما أبصرنا أمر جنوده باخذ الالهة والحذر فقلدوا الاسلحة ولذلك تركت عساكري وذهبت بنفسي الى مكانهم عند قنطرة المحمودية و معي فارسان فقابلنا الجنرال (وود) وسألني عن نفسي فقلت له الميرالاي ابراهيم فوزي قائد الألاي الاول من الفرقة الثالثة فقال وماذا قصد الآن فاخبرته بتغراف الحديوي فقال أنت خاضع له قلت نعم فقال ترجل عن جوادك وسلم سيفك فقلت فرد الى السيف وأمرني بالعودة الى عسكري لأمر بهم في وسط صفوف عساكره ونجري تسليم الاسلحة والذخائر عند محطة كفر الدوار وانصرف العساكر الى بلادهم فرجعت الى عساكري وألقيت عليهم التعليمات المذكورة واكدت عليهم بلزوم الادب وقلت لهم في عرض كلامي اذا لم تكونوا شجعانا بواسل في بداية الحرب فكونوا مؤدبين في نهايتها فاطاع العساكر أو امرى واجتازوا صفوف الجنود الانكليزية بكل هدوء وسكينة وكانت الجنود الانكليزية تؤدي وقت

مرورنا للتحية العسكرية حتى جاءنا أحديا وراي الجنرال وأمرنا بوضع الأسلحة
والذخيرة في عربات السكة الحديدية ثم انصرف العساكر الى بلادهم وتلطف
الياور في سؤالنا تسليم سيوفنا وأسلحتنا الخصوصية ورايات الالوية فقبلنا
وعقب ذلك ساقونا وجميع الضباط وكانوا نحو مائتي ضابط الى سراي
الرميل بصفة مسجونين وخفراءنا من الجنود الانكليزية وكانت معاملتهم لنا
حسنة سيما تقديم الاغذية النظيفة والشاي والقهوة وبعد انقضاء أسبوع جاءنا
الفرق اسماعيل كامل باشا ومعه ضباط من المعية فاطلقوا اصغار الضباط وأبقوا
كل حائر لرتبة القمقام فما فوقها وبعضا من الحائزين لرتبة البكباشي وأبلغهم
جميعا خبر تجريدهم من رتبهم وألقاهم ونياشيدهم وأنهم كسائر افراد الاهلين. ثم
ساقونا الى الاسكندرية فسراي رأس التين وبها وجدنا المنفور له الحديوتوفيق
باشا واقفا على شرفة مطلة علينا وعلامات الاسف ظاهرة عليه حيث كانت
الجنود الانكليزية محيطة بنا احاطة السوار بالمعصم



ذكر السجن المظلم

وبعد وقوفنا تحت الشرفة بسراي رأس التين جاءنا عثمان باشا عر في
محافظ الاسكندرية وقادنا الى سجن باب شرقي بالاسكندرية وأدخلنا من
سرداب لايسع اكثر من شخص واحد الى سجن مظلم لا ترى فيه نور
النهار ولا يبصر بعضنا بعضا من شدة الظلام وفي هذا السجن حشرات من
نوع البراغيث والبق تتسابق على انتراف دمناء لشدة تراكم بعضها على بعض نحس
بحمل ثقل فوق جسمنا فضلا عن الآلام التي تنكبدها من امتصاصها حيث يستحيل
معه أن يزور الكرى اجفاننا. وبثنا تلك الليلة ولا فراش لنا غير الارض التي

ثور منها الحشرات وغملاؤا السقف الذي يطرنا الكثير منها وزد على ذلك الظأ فاننا
 قضينا تلك الليلة ستيث ونطلب جرعة ماء فلا نجد لها حتى مطلع الشمس فدخل
 علينا الخفراء وكانوا ايطاليين لا يعرفون كلمة واحدة من اللغة العربية كما أننا
 لا نعرف مثلها من لغتهم والمكاملة بيننا بالاشارة والايماه وبعد مضي ليلتين في هذا
 العذاب جاءنا خبر قدوم خدامنا حاملين فرشنا واغطينتنا وبعض ملابس فتناولها
 الخفراء والقوها بين ايدينا بغير تمييز فأخذ كل واحد منا يميز فرشه وملابسه
 وأما الغذاء فان الخفراء حينما يأتيهم الخادم بطعام ويخبرهم باسم سيده يدفعونه
 لآخر ولنا نعلم لذلك سببا سوي الاهمال وعدم الاعتناء ولم ندفع ضرر هذه
 المسألة الا بالاتفاق بيننا على تادية ثمن الاغذية من جيبتنا حيث صار المتعهد
 يؤدي لكل واحد غذاءه دون أن يلحقه حيف وبعد خمسة وعشرين يوما
 غادرنا السجن الى مصر وقد حملنا على عربات العفش ولما وصلنا المحطة وجدنا
 شرفة من المساكر المصرية تنتظر قدومنا بها فاحاطت بنا حتى أوصلتنا
 سجن الضبطية حيث وجدنا به عرابي (باشا) ورفقاه وكل الذين وقعت عليهم
 تهمة معاضدته وما تقابلت الوجوه ببعضها حتى أقبل يمضنا على بعض نتلاوم
 متخاذلين كما هو شأن المخدولين وبعد ثلاثة أيام نقلنا الى الدائرة السنية
 وسجنا فرادي حيث كان خفراؤنا من الجراكسة فالتقموا منا شر انتقام وكانوا
 يهينوننا بالدفع واللطم والشتائم القبيحة وغير ذلك من انواع سوء المعاملة حتى
 أنه لم يكن يؤذن للواحد منا بالذهاب الى المرحاض الا بعد اللتيا والتي ويقفون
 بالباب ويدعونه للخروج قبل قضاء الحاجة وان لم يبادر بالاجابة يلجون عليه
 ويخرجونه مسحوبا على وجهه. وقد اتصل بنا هذه المعاملة السيئة رجال الاختلال
 فقاموا وقعدوا وشددوا النكير على الخفراء وحالوا بينهم وبين متابعة هذه

القطائع وانتدبوا واحدا من ضباطهم صار يمر على السجن كل يوم ويسأل
المسجونين فردا فردا عن راحتهم ويتولى بنفسه قطع أسباب الشكوى وإذا
أبلغه مسجون شكوى من أحد الخفراء عاقبة عقابا صارما

وفي غضون ذلك قبض على عدد ليس بقليل من العلماء الازهريين
بتهمة موالاته العرابيين وسجن كل واحد منا مع واحد منهم وكان حبسى مع
واحد منهم يسمى الشيخ احمد عبد الغني وكان فاضلا وكنت حسبت اني أجد
منه أنيسا يسري عني بحديثه الهوم فنقضي معا وقتنا بشئ من التسلية لكنه
لم يكن ذلك لانه كان يقضى أكثر أوقات الليل والنهار نائما لا يكاد ينتبه
الا لاداء فريضة الصلاة أو تناول الطعام فتبت عليه يوما وطلبت منه أن يقل
من نومه فاعتذر بأنه مدام متكدرا فلا يفارقه النوم فتعجبت من هذه العادة
التي فطره الله عليها وتمنيت أن أكون مثله في هذه الحالة

وكنّا في كل يوم نساق للاستنطاق وكان صاحبي الشيخ احمد عبد الغني
يدافع عن نفسه دفاعا كانت نتيجة سرعة الافراج عنه فبقيت بعده منفردا
أتمني رفيقا بدله ولو كان نواما مثله آس برؤيته وأسمع ترديد أنفاسه. وبعد
ذلك ببضعة أسابيع أفرج عني بالضمانة بعد استيفاء المجلس أسلتى

مسألة احراق الاسكندرية

وبعد خروجي من السجن أخذت الى الاسكندرية لاستنطائي عن حادثه
الحريق التي حدثت بها فذهبت اليها وتوجهت الى المجلس الذي شكل به التحقيق
هذه المسألة تحت رئاسة محمد رؤف باشا حيث ادعى القائم مقام سليمان داود بك
أن (عرابي) أرسلني اليه بأمره باحراق الاسكندرية فظهرت كذبه في ذلك

وبينت للمجلس الحقيقة وهي أن سليمان داود بك أحرق الاسكندرية
 من تلقاء نفسه وان عرابي لما بلغه هذا الخبر أرسلني اليه ومعي
 القائم نسيم بك الطوبجي قبل غروب الشمس بساعة وقال لنا قولاً له
 ان هذه المدينة مصرية وفيها نزلاء أجانب وليست انكليزية حتى يجوز
 لنا احراقها انتقاماً من فعل مدرعاتهم باستحكاماتنا وقال ادعوا ليحضر بلوآته
 الى باب شرق فلما ذهبنا اليه وجدناه واقفاً في ساحة المنشية يملأ الطلبات
 بزيت البترول ويقذفه على المدينة ويأمر عساكره بنهب ما في المنازل ولما
 أبلغناه الاوامر كان جوابه لنا « اتني أرفض سماع هذه الاوامر ولا أفعل
 غير ما في ارادتي » وختم كلامه بقوله « يري الحاضر ما لا يري الغائب » فتركناه
 وعدنا لمرابي فاخبرناه فاستشاط غيظاً وأرسل اليه جماعة من الضباط وأمرهم
 بنصحه فان لم يرضخ للامر طوعاً رضى كرهه انخاف العاقبة وترك الاسكندرية
 ولحق بمرابي في باب شرق فعنفه واكثر من لومه وبعد ان أخذ المجلس أقواله
 واجهني به فاعدته في وجهه فانكر فجئنا بالقائم نسيم بك فأيد ما قلته ثم
 استشهد بضباط آخرين من ضباط لوائه قال انهم سمعوا مني ومن نسيم بك
 ابلاغه أوامر عرابي بحرق الاسكندرية فجئنا بهم فشهدوا عليه مؤيدين كل
 أقوالنا ولم يكتف بهؤلاء حتى استشهد بنيرم فشهدوا عليه لاله وأخيراً حكم
 عليه بالاعدام شنقاً

تجريد المؤلف من رتبته وألقابه

وعلى أثر ذلك أشخصت من الاسكندرية للقاهرة كما أمرني المجلس وبعد
 عشرين يوماً أقتها فيها صدر أمر عال بالتصديق على بعض الاحكام الصادرة

على الضباط والتعديلات في بعضها فكان نصيبى من هذا الامر التجريد من كل
رتبى والقبابى ونياشينى التى احرزتها بالمتاعب والمشقات واقتحام الالهوال فى
فتوحات خط الاستواء وبهد الله كل شىء واليه مصير كل شىء ولا حول
ولا قوة الا به

تاريخ السودان القديم

أورد فى هذا الباب طرفا من تاريخ السودان القديم نقلا عن مصادر
يتمذر ارادها فى مثل هذا الكتاب اذ لا يوجد تاريخ لهذه البلاد لما كانت
عليه من البداوة فسكانها الاقدمون زنوج يطلق عليهم اسم (النوبة) وفى
القرون الوسطى دخلها أعراب من صعيد مصر واختلطت أنسابهم بالنوبة وقامت
منهم دولة عربية اخضعت لسلطانها كل السودان المصرى عدا كوردفان
ودارفور وتدعى هذه الدولة بدولة (القون) نسبة الى مؤسسها وكان مقرها
بمدينة سنار التى تبعد عن الخرطوم مسيرة عشر مراحل جهة النهر الازرق
وروى لنا شيخ من السودان ان العرب الذين استوطنوا السودان انتشر
الجهل بينهم بعد انقراض جيلهم الاول وأصبحوا لا يعرفون من الاسلام غير
الشهادتين فكانت المرأة اذا طلقت فى الصباح تزوجت باخر قبل المساء وحكى
لنا ان شاعرا ينظم القصائد باللغة العامية دخل على أحد ملوك القون فانشده
قصيدة مدحه فيها وجاء فى آخرها ذكر (طه) صلى الله عليه وسلم لم فانكر الملك هذا
الاسم وسأله مستتهما أمن الصحابة طه هذا فسكت الشاعر فاعاد عليه السؤال
قائلا كيف لا تعرف طه فقال أظنه من صغار الصحابة لانني أعرف الاكابر
كلى وعمر وأبى بكر وقرى على ذلك من أمثال هذه الجمالة

وأما مظالم هذه الدولة فحدث عنها ولا حرج فإن الملك وسائر قواده وذوى قرابته لهم أن يأخذوا كل بنت حسناء ويتمتعوا بها كوطوءة بملك اليمين ولا يمكن أن يقل عدد المحظيات في بيت الملك عن الألف ومن دونه عن المائتين

وكانت البلاد الواقعة وراء سنار غنية بكثرة معادنها الذهبية ويجبى إلى أولئك الملوك من خراجها القناطير المقنطرة فيصنعون منها الحلى التي من بينها شكل على هيئة رأس (سفنكس) الذى هو من قدماء المصريين ويسمون هذا الشكل « دجاجة » وكان أهل الطبقة العالية من النساء لا يلبسن نعلاً إلا من الذهب ولا يمتنن إلا على أسرة من التبر

وكانت البلاد منقسمة إلى مقاطعات ولكل مقاطعة منها وال يجبى الخراج بغير حد معلوم. وقد حدث في بعض السنين أن الملك صادر كل محصولات البلاد فوقعت في مجاعة بلغ فيها ثمن أوقية الذرة مثلها من الذهب وما حال الحول حتى هلك من الناس ما يربو على ثلاثة أرباع السكان

ومن عوائد هؤلاء الملوك أن لا يدخل عليهم أحد وعلى رأسه قلنسوة أو عمامة بل يدخل مكشوف الرأس حافي الأقدام حاسراً ملابسه إلى ما فوق سرته ويمشوا على ركبته ويقول « مانجل » أى ملك الملوك ويرددها حتى يأمره الملك بالجلوس فيجلس على الأرض جائساً على ركبته وهذه التحية واجبة على كل أحد للملك وسائر أفراد أسرته من ذكر أو أنثى

وكان من عوائد بنات الملوك أن يخرجن مكشوفات الوجوه كالافرنج وخلفهن اثنتان من الجواري بهلى كحلى سيداتهن تحمل كل واحدة على رأسها طبقاً من الخوص فيه من ضروب الزينة كالذي عليها وعلى مولاتها ومن

أشهر ملوك هذه الدولة الملك (المجيب بن الما نجلك) وتسمى هذه الدولة باسم
الزرقاء لان ملوكها كانوا يلبسون قنسوة سوداء لها قرنان طويلان

ثم دالت هذه الدولة بعد أن مضي عليها قرنان وقامت دولة الهمج
وهم ممالك (الفون) ثاروا على مواليهم ونزعوا الملك من أيديهم وكانت دولتهم
شبيهة بسابقتها الا أنهم أبطلوا الولاية ومنحوا كل شيخ قرية أو رئيس قبيلة سلطة
مطلقة يحكم في قريته أو قبيلته بما يشاء بشرط أن يؤدي للملك كل ما يفرضه
عليه من الخراج في كل عام فاغترف أولئك المشايخ من المظالم والمغارم مالا
يحصى . ومن انواع هذه المظالم أن شيخا من مشايخ قرى الجعليين قبض على
عشرين رجلا من رعاياه بتهمة أنهم سموا به عند الملك فلما أوقفوا بين يديه
قال لهم من لم يتمخض منكم كما يتمخض المرأة وولد بيضة كبيضة الدجاجة ضربت
عنقه وبعد هنية ضرب اعناقهم بعد أن يتمخضوا ولم يلدوا بيضا

وأمثال هذه الافعال الوحشية كثيرة يضيق المقام دون ايرادها وآخر
ملوك هذه الدولة (عدلان بن ادريس) الذي سيأتي ذكره وانه اسلم سيفه الى
الامير اسماعيل باشا بن محمد على باشا . وقبل الختام نورد نكتة للملك عدلان
ابن ادريس وهي أنه كان يد من الخمر في نهار رمضان وكانت له وصيفة اسمها (تام
زينه) فاذا جلس في مجلسه والناس حوله دعاها وسألها أغربت الشمس
فتجيبه غربت شمسك وشمس رعيتك لم تغرب فيتناول الكأس منها ويشربه
وقد صدق هذا القائل عليه وغربت شمس ملكه والدوام لله

ضم السودان الى مصر

قضى ساكن الجنان محمد علي باشا محي الديار المصرية لبائتين من فتح

السودان بل تخلص من ورطتين كبيرتين فقد علمت من شيخ ذى منصب
 معاصر لمحمد علي باشا أن دولة أو روية كانت تسمى لمعارضته باحتلال منابع
 النيل فاهتم لهذا الخبر اكبر اهتمام واستشار كثيرا من المهندسين الاوروبيين
 الذين جاء بهم من بلادهم الى هذا القطر فاقروا بالاجماع على أن وقوع منابع النيل
 تحت برائن هذه الدولة مما لا تحمد مقبته حيث تصير حياة مصر في يدها
 فصمم على انفاذ حملة الى السودان وكانت جنوده من النز غير النظاميين وكان
 يقاسى أهوالا من عدم انقيادهم له فيما كان يتوخاه من انشاء جنود نظامية
 على الطراز الاوروبي فمول على انفاذهم الى مجاهل السودان ليستريح من
 مشاكستهم وهناك احدي الخطتين اما الموت أو الظفر. فان كانت الاول
 لا يعدم من جنوده الذين ينظمهم على الشكل الاوروبي عوضاً عن هؤلاء
 وان كان الثاني فيكون قد أمن الخطر التي تهدد حياة بلاده. وظل أولئك
 القاتحون يجنون خيرات البلاد المفتوحة بأيديهم وانطلقت يد العزيز يجند
 كيف يشاء ويدرب الكتاب وينظمها بلا معارض ولا عذول

هذان هما السبيان اللذان وجههما عزيمة المغفور له محمد علي باشا الى فتح السودان
 فبيات المقادير له قضاء اللبائتين و التخلص من الورطتين فوفد عليه زعيم
 قرية من قري الجعليين باقليم بربر اسمه (بشير بن عقيد) وقرية اسمها (المقيدة)
 في الضفة الغربية من النيل شمالي قرية (شندي) بنحو عشرين ميلا فاستقبله
 بالاكرام وعرض هذا الزعيم على محمد علي باشا انفاذ حملة لفتح السودان وقص
 عليه سبب قدومه وهو ان زعيما يدعى (الملك نمر) وشي به عند الملك فارسل
 اليه يستقدمه فاعتذر فارسل خلفه شرذمة من رجاله وأمرهم بضرب عنقه

عند وقوع بصرهم عليه قرر مهم ولجأ الى مصر فاخذ محمد علي باشا في الالهبة
وسير الحملة وجعل قيادتها لابيه الامير اسماعيل فنادت القاهرة في أواخر
عام خمس وثلاثين بعد الالف ومائتين من الهجرة فاجتازت اقليم دقله من
الشمال بدون مقاومة وفي جنوب هذا الاقليم تألفت قبيلة الشايقية وحاربت
الجيش المصري فرجعت مقهورة وسار الجيش الى الجنوب فقابله سكان اقليم
(بربر) بالخضوع واجتاز النهر الى جزيرة الخرطوم فاعجب الامير منظر الخرطوم
وموقعها بين النيلين وكتب الى والده بما أحرزه من النصر ثم زحف قاصداً
(سنار) ولما دنا منها كتب الى الملك عدلان بن ادريس يدعوها الى التسليم ويحذره
سوء العاقبة فكتب اليه الملك كتاباً يقول له فيه «ان مدينة سنار محروسة بالخيول
الرومية. وفيها شبان يحبون القتال بكرة وعشية. فلا تغتر بانتصارك على الشايقية.
بل يتقن اثنان من الملوك وهم الرعية.» وما وصل الكتاب الى الامير اسماعيل
حتى زحف بخيله ورجله عليه فالتقي الجيشان في وسط غابة «ابى سقرة» ولا
سلاح لدى السودانيين غير الحراب والسيوف فاصلتهم العساكر المصرية
ناراً حامية فانهزموا وتأثر الامير اسماعيل بمن معه المنهزمين حتى دخلوا
مدينة سنار فقصد الامير دار الملك فالتقاء جالساً في إيوانه فدخل عليه فوقف
خاضعاً بين يديه وصاحفه وأسلمه سيفه علامة على الطاعة والخضوع وأجلسه على
فراشه وجلس على الارض كواحد من الناس وكان يلتفت الى من حوله من
أتباعه ويقول لهم وهكذا أراد الله فلا راد لقضائه» وبعد هنية قام اليه الامير
اسماعيل وادناه منه واجلسه بقربه وحفظ له حرمة ولم يسلبه شيئاً غير
الامر والنهي وحذا حذو الامير في اكرام هذا البيت كل الذين تولوا الحكم
على السودان

فتح كردفان

وبعد استيلاء المصريين على سنار أنفذ الأمير اسماعيل صهره الدقتر دار
بجيش لفتح كردفان ودار فور وكان فيها قائد من قبل سلطان دارفور يدعي
(المقدم مسلّم) فجمع لقتال المصريين سبعين ألف مقاتل من أهل دارفور
فتلقاهم الدقتر دار ومن معه بنيران حامية فانهزموا وهم وجلون من فرقة المدافع
والكثرم يظنون أن الله أرسل الرعد والصواعق تحاربهم مع المصريين
وأخذوا يكررون الآية (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) واستولى
الدقتر دار على كردفان وأخذ في الاهبة للزحف على دارفور فقا جاء نبأ
مقتل الأمير اسماعيل في (شندي) فعدل عن متابعة الزحف وقصد شندي محل
الواقعة وكان ذلك في أواسط سنة ١٢٣٧ هجرية

مقتل الأمير اسماعيل باشا

بعد اتمام فتح مدينة سنار واعلان ضمها لاملاك الخديوية المصرية
عاد الأمير الى شندي ليجمع المال لنفقة اتمام فتح السودان الغربي فزل
ضيقاً عند زعيم شندي (الملك نمر)

وهنا أبسط للقاري حقيقة أرى من الواجب عليّ تقريرها فان
الأقوال تباينت في ايضاح السبب الذي من أجله قتل الملك نمر الأمير اسماعيل
باشا. فروي بعضهم ان الأمير رأي امرأة هي أخت هذا الزعيم فسأله عنها
فقال انها احدي جواري فقال له ممازحاً أطلب منك مائة مثلها فلم يحمل
الزعيم هذا القول على المزاح بل ظن ان الأمير انما يود التطاول لهتك
عرضه فأضمر له الشر وفعل مكيدته التي تراها في هذا المقام

على ان هذه الرواية لا تخلو من انتقاد لان المطلع على اخلاق وعوائد
اعيان السودان يرى انهم من الرفيع الى الوضيع لا يأنفون من تقديم الجوارى
لاى ضيف ولو وضيعاً فضلاً عن حاكم ذى مقام سام كالامير اسماعيل باشا وبذلك
يمكننى ان اؤكد فساد هذه الرواية وبمدها عن الحقيقة بمداً شاسعاً. وهناك
رواية أخرى اوردها هنا لاني اعتقد قربها من الحقيقة ان لم تكن هي
الحقيقة عينها على ان السبب الذي أدى الى هذا الاختلاف هو ان الامير وسائر الذين
كانوا يرافقونه ذهبوا ضحية تلك المكيدة ولم يفلت منهم أحد ولا ريب ان كل
رواية عن هذا السبب يرجع اسنادها الى قاتليه ولا ريب أيضاً انهم لا يقولون
الا ما يبرر فعلهم ويختلفون اسباباً تمحو عنهم طاراً ارتكبه بقتل الامير في
ضيافتهم وليس معه غير نحو عشرين مملوكاً من الجراكسة خدامه الخصوصيين
أما الرواية التي أشرت الى أنها القريبة من الحقيقة فهي ان (الملك
نمر) عرض على الامير اسماعيل باشا اموالاً طائلة وسأله أن يبعد عنه (الملك
بشير بن عقيد) الذي تقدم لنا ذكر وفوده الى مصر ومراقبته الامير
فيها وقد ذكرنا ان الاسباب التي أدت الى فراره هي احنة بينه وبين
الملك نمر وانه سعى به الى الملك الذي ارسل في طلبه قمر من وجه طالبيه. وفي
رواية وان يمكنه من قتله فغضب الامير عليه وانه فصرم على اقبال الامير
والعذر به قبل ان تأتي رجاله لانه كان يخشى ان يلحقه مكروه من الامير
بعد ذلك فجمع قدراً كبيراً من البوص حول الترفة التي ينزل فيها الامير
وفي منتصف الليل أضرم النار فمات الامير من الاختناق بالدخان وفي غداة
النهار أخرجت جثته وليس بها أثر من النار وجردت من ملابسها وأخذ
النسوة يهينونها بالضرب والبصق والسحب على الارض وفي آخر النهار

أخذها رجل من التجار وكان الفساد قد دب فيها فطلاها بالعبر وخبأها في بيته وبعد اسبوعين جاءت الاخبار بقرب وصول الدقتردار وأخذ الملك نمر في الالهبة للفرار من وجه الدقتردار الذي قتل من عشيرة الملك نمر ما يربو على عشرين ألف رجل وسببا من الصبيان والنساء ما يزيد على هذا العدد وأرسلهم الى القاهرة ولا تزال ذراريتهم موجودة بجهة (حوش الجاموس) وفي كثير من البيوتات القديمة . وتأثر الدقتردار الملك نمر وقتل من رجاله خلقا كثيرا وانتهى الامر بالتجاء الملك نمر الى بلاد الحبشة وبقي فيها حتي مات حقيرا ذليلا

وهبت ثورة من حزب ضد الملك يعرف باسم (الشفائي) فقتل عمر ابن الملك نمر واستأمن بقية أولاده الحكومة فأمنتهم وأذنت لهم بالاقامة في جهة الصوفي عند نهر (أبهر) ويقال ان تصدى حزب الشفائي لقتل ابن الملك نمر واضطرار أولاده لمفارقة الحبشة والسكنى في بلاد الحكومة كان بدسياسة من حكام السودان ليرتاحوا من مفاسدهم لانهم كانوا يوالون الفارة على بلاد الحكومة وينهبون ويسلبون ويمشون في الارض الفساد ويموتهم انقطعت هذه المفاسد واستتب الامن وعادت السكينة وانقطعت القلاقل

شخص محمد علي باشا الى السودان

وعلى أثر المذابح التي أقامها جنود الدقتردار في شندى تمكن الرعب والفرع من قلوب السودايين وعول كثير منهم على الهجرة ومغادرة البلاد التي وقعت تحت سلطة المصريين فشخص المغفور له محمد علي باشا الى السودان ليتدارك الحالة قبل اتساع الحرق وتمذر زقه فسافر على طريق النيل فوصل

الى الخرطوم وتمدها الى ماوراء سنار وعاد بقناطير مقنطرة من التبر وتمكن
بحكمته من اعادة الامن الى ربوع السودان وبذل ما خالجه اشدة السكان من
الرعب بالامن والاخلاص الى السكينة اه

ولاية السودان

في اوائل سنة ١٢٣٨ هجرية اسندت حكمادية السودان الى المرحوم
عثمان بك فعمل لتسكين خواطر الاهلين واجتهد في تأمينهم واعانهم على
حراثة اراضيهم ليتسنى لهم الخلاص من مخالب القحط الذي كان فاشيا في
السودان عامشد وشرع في تعمير مدينة الخرطوم وجعلها عاصمة
السودان المصري وكان مركز الحكومة منذ الفتح في مدينة (ولد مدني)
التي تبعد عن الخرطوم مسيرة اربعة ايام على ضفة النيل الازرق وهي
ذات هواء جيد بالرغم عن كثرة نزول الامطار بها ولا تزال تلك المدينة
موطناً لكثير من المصريين

وفي سنة ١٢٣٩ خلف (موحو بك) عثمان بك في الحكمادية ولا بد ان
يلاحظ القاري ان مدة عثمان لم تطل اكثر من سنة مع العلم بان مدة الذهاب والاياب
بين مصر والخرطوم تستغرق نصف سنة على الاقل فتكون مدة الاقامة
ومباشرة الاعمال هو النصف الباقي فنقول له ان اولئك الولاة كانوا على الدوام
طامحين للاستقلال بالسودان وساكن الجنان محمد علي باشا كان كثير الحذر منهم
ولذلك كان يبادر بعزل كل من ارتاب في نواياه وقليل منهم من لم تكن نواياه
مريبة وقد وجه موحو بك همه الى اتمام عمارة الخرطوم فشاد فيها القشلاقات
لاقامة الجنود وأسس بناء دور الحكومة وغرس الاشجار الظليلة في السبل

تستظل بها السابلة وحفر الآبار في الطرقات المعطشة ليستقي منها أبناء
السييل ولا تزال هذه الآثار باقية ومنسوبة الى (موحوبك) رحمه الله وجزاه
الجزاء الحسن

وخلفه خورشيد باشا سنة ١٢٤١ هجرية وكان ذا دين وورع واستقامة
شيد المساجد وأحسن الى العلماء وكان يخرج في كل ليلة متكررا يتفقد حال
الجنود والرعية وفي ذات يوم خرج على عادته آخر الليل فمثر على أمة تصنع
رقاقاً من خير الذرة يسميه السودانيون (القرف) فدخل عليها وسألها عن هذا
النوع فاخبرته فطلب منها شيئاً منه فجهزته له مع اللبن فأكله واستلذه فما زالت
تعرض عليه وهو يأكل حتى رأى أنه كاد يستنفد ما عندها فامتنع وهم بالانصراف
بعد أن - ألما عن مولاها وكان ذلك في شهر رمضان فاستدعاه من الغد ليستسحبه
من طعامه فظهر له مزيد السرور والفرح من هذه الضيافة التي لم يكن
يتوقعها وبقي خورشيد باشا حاكماً على السودان مدة اثنتي عشرة سنة أي الى
سنة ١٢٥٣ حيث خلفه المرحوم أحمد باشا ابودان فافتتح السودان الشرقي
وطارد عصابات اللصوصية من قبائل (البارية) وأسس مدينة (كسلا) وحصنها وكان
مشهوراً بالشدة على المفسدين وأهل السودان يطلقون عليه اسم (المنصور) وفي
أيامه انقطع دابر القتل والقلاقل وأنشئت سبع مديريات في السودان
وفي أواخر سنة ١٢٥٢ هجرية عزل أحمد باشا ابودان وخلفه أحمد باشا المنيكلي
فسار على سيرة سلفه إلا أنه اعتنى بتأسيس أطيان تكون ملكاً للحكومة بزرع
فيها قصب السكر فنجحت ولكنها أهملت ممن خلفوه وحاول إغاث كثير من
المشروعات الزراعية ومنها زراعة النيلة لكن من الأسف أن أعماله قوبلت بعدم
الاكتراث ممن خلفه

وفي أوائل سنة ١٢٦١ عزل منيكل باشا وخلفه خالد باشا فبقي الى سنة ١٢٦٥ حيث فصل وتولى خلفا له عبداللطيف باشا وفي هذه المدة بعث بعد ساكن الجنان عباس باشا الاول عزيز مصر المرحوم رفاعة بك فأسس مدرسة بالخرطوم على نمط المدراس المصرية وقتئذ وكان التعليم فيها حسنا ولكن ما لبثت أن عادت القهقري بعد عودة رفاعة بك الى مصر

وفي مستهل سنة ١٢٦٦ فصل خالد باشا وخلفه رستم بك فأسس المجالس في البلاد السودانية للحكم بين الناس على طريقة المجالس المصرية اذ ذاك ولم تطل مدة ولايته فقد أدركته المنية في ربيع الاول من السنة التالية لولايته أي سنة ١٢٦٧ بالخرطوم ودفن فيها وتعين خلفا له سليم باشا الذي اكره على قبول هذا المنصب من قبل المغفور له عباس باشا الاول

وفي أواسط سنة ١٢٦٩ عين على باشا سرى حكامدارا للسودان بدل سليم باشا الذي كان يكثر من الضراعة والاسترحام ليعافى من هذه الوظيفة وفي ولاية هذا الحكمدار في سنة ١٢٧٣ شخص ساكن الجنان محمد سعيد باشا والي مصر الى الخرطوم فوصلها في شهر جمادى الاولى من هذه السنة وتعداها الى ماوراء سنار وقفل واجما الى القاهرة بعد ان خفف كثيرا من الضرائب وألغى البعض وكان رحمه الله ذا ميل شديد لمسكة تحديد الى البلاد السودانية وفي سنة ١٢٧٤ تعين حسن بك سلامه حاكما على السودان وسمي باسم (مدير عموم قبلي وبحري السودان) وألغيت الحكمدارية بأمر المرحوم محمد سعيد باشا ولم تعد الا بعد تولية المغفور له اسماعيل باشا وفي سنة ١٢٧٧ عزل حسن بك وخلفه محمد بك فلم يلبث اكثر من سنة حتى عزل وخلفه موسى باشا حمدي فجند عسكريا كثيفا ونازل كثيرا من قبائل الجبال

بقصد اخضاعها فلم يفلح في أكثر غزواته وأخيراً رمى بأنه طامح للاستقلال
وبقي إلى سنة ١٢٨٠ حيث توفي بالخرطوم ودفن بها ويقال إن بعض الموظفين
دسوا له السم لما آتسوا منه الرغبة في الاستقلال وهو أول من وضع الضرائب
على الأهليين وقسم الخراج إلى قسمين. قسم على المقارات. وقسم على الأشخاص
أما ضرائب المقارات فكانت مخصوصة بالبلاد الواقعة شمال الخرطوم. وأما
ضرائب الأشخاص فهي مخصوصة بسائر البلاد السودانية لأنهم صالحوه على
ذلك وفرض ضريبة سنوية على القبائل الرحالة وتعين بدله عثمان بك أغري
وفي سنة ١٢٨١ عزل وخلقه جعفر باشا صادق وفي أيامه ثار الحواري
الرابع من الجنود السودانية بمدينة (كسلا) وقتلوا ضباطهم ونهبوا المدينة وقتلوا
كل أبيض واحتلوا مواقع المدينة من الحصون المحيطة بها واستفحل أمرهم
فأنفذ المفقور له الحديو اسماعيل باشا المرحوم جعفر مظهر باشا ومعه آدم
باشا السوداني فتمكنوا من قهر العصاة والقبض عليهم واستئصال شأفتهم
وأصدر الحديو دستورا بمنع تأليف قوة من الأسلحة الراكبة من السودانيين
وأن لا يعلموا فن إطلاق المدافع (الطوبجية) وأن لا يحتلوا مواقع منيعة
وأن لا يرقى منهم ضباط عظام. وبعد معاقبة الثوار عاد جعفر مظهر باشا إلى
الخرطوم واستند إليه منصب الحكمدارية ورفع كثيرا من المظالم وسعى في
نشر العلوم بين الشعب ورفع منزلة العلماء وأجرى عليهم المرتبات ولاغرو
فأفضل يعرفه من الناس ذووه إذ كان عالماً تقياً ورعاً فارق الخرطوم وعليه
دين يربو على الألف جنيه لأن راتبه لم يقيم بحاجاته لكثرة انفاقه على
الفقراء والمموزين ومن كرمه الحاتمي أنه كان يدعو لتناول الطعام على مائدته
الفاخرة أكثر من مائة شخص جلهم من العلماء في كل غداء وعشاء ولا يزال

السودانيون يذكرون له هذه المبرات ويتبركون بسيرته في اكثر الاوقات وهم
 يحمون على ان ايام ولايته كانت غرة في جبهة السودان رحمة الله عليه . وخلق
 ممتاز باشا في سنة ١٢٨٨ فارتكب من المظالم شيئاً لم يسبقه اليه احد حيث
 أحل الظلم لنفسه وحرمه على من دونه وأوهم الى الاهلين أن يطالبوا الحكام
 والمأمودين بالرشاوى التي تناولوها منهم منذ ضم السودان لمصر ومن امتنع
 من أولئك الحكام أوقع به البلاء وضربه أكثر من خمسمائة جلدة ولم يمض
 سوى أيام قليلة حتى اجتمع عنده من المال شيء كثير ثم سافر الى سنار فساد
 منها بما يقرب من خمسمائة ألف ريال وفي آخر الامر ظهر سوء عمله فسجن
 حتى توفي ولم يحسن في شيء مدة توليته غير تعليم الاهلين زراعة القطن
 وفي مستهل سنة ١٢٩٠ خلقه في وظيفته اسماعيل أيوب باشا فتضاعفت
 المظالم وتوالت المصائب على السودان وبالرغم عن حنكته في الادارة كان ذا شغف
 شديد بجمع المال فزادت الضرائب في عهده حتى أصبح من المتعذر احتمالها ومن
 هاته المظالم تمكن في نفوس الاهلين الجنوح الى الثورة والعصيان
 وخلف غردون باشا اسماعيل أيوب باشا وقد تقدم لنا ذكره فسمي في إزالة
 المظالم فلم يفلح لانه كان بسبب جهله باللغة العربية منقاداً الى كاتب أسرارته التهامي
 بك وكان ظالماً يفوق اسماعيل أيوب باشا بمراحل فكان يقلب الحقائق
 لغردون باشا ويحسن القبائح وزاد الطين بلة ما جاء به غردون من تحرير
 الارقاء ومنع الاتجار بهم فان الاهلين عجزوا عن تحمل هذه المصيبة وباتوا
 آيسين من اصلاح معيشتهم لاسباب كثيرة . منها ان الاتجار بالارقاء معين
 ثروة كبيرة لهم . ومنها ان أهالي السودان لم يتعودوا فلاحه أراضيهم بأيديهم
 كما ان نساءهم لا يخدمن خدما يتيمة بأيديهن فكانت مفاجاتهم بأمر تحرير

الارقاء سيئة النية وكان مما لاريب فيه استياؤم من هذا الامر وخصوصاً
ان القائمين بتحرير الارقاء كانوا أوروبيين ولشدة كراهم لهذا الامر حملوه
على سوء القصد وظنوه اضطهاداً من المسيحيين للمسلمين وقد سمعت
واحداً من المشايخ كان يفهم من حوله أن مسألة تحرير الارقاء لم يكن لها
أصل من القوانين بل هي اضطهاد ديني كالذي حل بمسلمي الاندلس
فقصدت مراجعته في هذا القول فصمت وتظاهر بعدم المعرفة ولما انصرفت
عنه قال لمن حوله وهذا كافر أيضاً

وفي مدة حكم اسماعيل أيوب باشا اختلفت النظمات التي كانت تسير عليها المجالس
التي تأسست في سنة ١٢٦٦ وتلاعب بها حيث جعل كل أعضائها من رجال
السودان الجهلاء الذين لا يعرفون غير تجارة الصنع والمنسوجات وعهدت
الرئاسة الى رجال لا يفقهون كلمة من الكلمات التي تتركب منها جل القانون وفي
أكثر الاوقات يكونون أميين والقضايا لا يفصل فيها مع طول المدة فيظل
الحصان يتناظران بالرشوة حيث يحرص المجلس ويشدد على الخصم في
الاستنطاق فيعذو حذو خصمه ويقدم المال فينقلب التشديد على الآخر
وهكذا حتى يملاً الاتفاق فيتصالحان

وأما الحكام الاداريون فان أغلبهم من أهل البلاد وهم علة كل خراب
وأصل جميع المظالم فقد كانوا يشترون الوظائف بالاموال ولذلك لا يرون بدا
من احتياض ما أنفقوه أضغافاً مضاعفة ولا ريب ان من فوقهم من الحكام
لا يصغون لشكوي من أولئك الظالمين ماداموا قد تناولوا رشوة باهظة
منهم

وسألت تصرفات المأمورين الى حد أن المطالب بإداء الضريبة يجوز

ضربه خمسمائة جلدة أو يؤدي ولو بضعة قروش ويتفنون في طرق التعذيب حتى
ابتدعوا مسألة (القط) حيث يوثق الرجل كتافا ويدخل قط في سراويله فضلا
عن تناول أولئك الظلمة على أعراض الناس فيقبضون على كل امرأة حسناء
عجز ولها عن أداء الضريبة ولهذه الأسباب امتلأت قلوب السودانيين بالضغينة
وباتوا ولا هم لهم غير تدير ثورة يتيها لهم بها الخلاص من هذا النير فاغتم
محمد أحمد المتمهدي هذه الفرصة وادعى المهدوية فقبل بالتصديق والرضى من
كل انسان حتى ان بعض المشايخ قال له أعاهدك سواء صدقت في دعواك
أو كذبت مادمت على عدااء الحكومة وحررها

ترجمة المتمهدي

ولد محمد أحمد المتمهدي في جزيرة (الحناق) الواقعة جنوب مدينة (العرضي)
قاعدة اقليم دنقلة من أبوين دنقلاوين (بربريين) من قبيلة تدعى الحناقبة
تسكن هذه الجزيرة وكان أبوه يدعى عبد الله بن فحل وصناعته التجارة ينشئ
السفن الشراعية ويصنع آلات السواق وكان مولده في سنة ١٢٥٠ هجرية وله أخوان
يدعيان محمدًا وحامدًا كانا نجارين كأيهما وأخت اثني تدعى آمنة واسم أمه (جاره)
وفي هذه السنة أجبرت بلادهم بسبب انخفاض النيل فهاجر أبوه وأخوته وهو
رضيع لم يبلغ عمره ثلاثة شهور واستوطنوا قرية تدعى (كرري) شمال أم درمان
بنحو خمسة عشر ميلا ولم يحل عليه الحول حتى مات أبواه وتركاه يتيمات تحت
كفالة أخويه اللذين ذكرناهما ولما بلغ السابعة من عمره كانا يصطحبانه معهما
ليعلماه صناعة المراكب ففي يوم رأي غلمانا ذاهبين الى الكتائب وبايديهم
الالواح فرغب في ان يكون منهم فعنفه اخواه وحسنا له صناعة

المراكب قمر منها ولحق بكتاب في شرقي النيل بقرية محاذية لقرية كرري
 وصاحب هذا الكتاب يدعى (الفكي الهاشمي) كان مشهوراً في تلك الجهة
 بتعليم القرآن بغير أجر فادركه اخواه واخرجاه من الكتاب وحذروه من
 العودة اليه فلم يكثر بتحذيرها وعاد الى ما كان فيه فقيدها فتغيرت حاله
 ولازم الحزن والبكاء فرقا له وأعاداه الى الكتاب بعد ان اشترطا عليه المود
 لتعليم صناعتها بعد حفظه القرآن الشريف وبعد بضع سنوات عاد اليها وتعلم
 صناعة المراكب وأخذ في الاشتغال بها. ويقول الذين كتبوا سيرته انه لم يشتغل
 بهذه الصناعة زمناً بل صنع مركبا صغيرة فقط وتصدق بها على أرملة ثكلت
 ابنها ولكن الحقيقة انه اشتغل بهذه الصناعة زمناً كبيراً خلافاً لزمهم ثم فارق
 اخوته الى جهة مجهولة فلم يهتدوا لمكانه وماتت اخته آمنة غما لقراقه ولحق
 بمدرسة لرجل من أهل شنقيط يدعي الشيخ محمود كان يعلم الناس الفقه
 وبعض العلوم الشرعية ثم فارق تلك المدرسة ولحق بمدرسة أخرى لرجل
 من أهالي ضواحي بربر يدعى « محمد الضكير » وهو الذي سيجيء انه صار
 داعية له ببربر واسقط المديرية بيده وكان ذا كراهة شديدة لعلم الفقه فاتقطع
 لدروس التفسير والحديث

وفي سنة ١٢٧٩ هجرية عاد الى وطنه وذهب الى الشيخ محمد شريف
 نور الدائم حفيد الشيخ احمد الطيب أحد خلفا الشيخ محمد السمان
 المدني وكان معه بالمدينة المنورة فاخذ على يده عهد الطريقة السمانية ومكث
 ملازماً لخدمته الى درجة أنه كان يطحن غذاءه بيده ويلبغ طعامه لا من
 قلة من يقوم بها بل ليتزلف بهذا الى استاذه وكان ملازماً للصوم والعبادة
 حتي تحصل من استاذه على اجازة الخلافة ثم جاءه اخواه وألحوا عليه بالعودة

لمزاولة صناعة المراكب كي يحصل منها على مال يتزوج به ابنة عم له يدعى
فاطمة بنت حاج فامتنع أولاً ثم رضى بعد الالحاح وذهب الى مدينة الخرطوم
واقترن بها وفي ليلة دخوله اجتمع النسوة والرجال ليرقصوا مختلفين كمادة
السودانيين فقام بينهم ومنهم من الرقص وابان حرمة فانصرفوا غضاباً منه
وكان في كل معاملاته يظهر الورع والتقوى والزهد والتقشف وعلى اثر اقترانه
بابنة عمه انقطع عن العمل فكان أخواه يحوضانه عليه ويستعينان عليه بزوجه
التي كانت تهجره ليقبل نصحتها ويسير طوع ارادتها فلم يكثر بشئ من أقوالها ولم
يتأثر من هجرها واخيراً جاءت في يوم من الايام وهو يقرأ في المصحف الشريف
فأمسكته منه وألقته في الارض فاستشاط غيظاً وطلقها في الحال وخرج من
منزلها وافتتح مكتباً لتعليم الغلمان القرآن الشريف ثم أبطل المكتب وخلق
بجزيرة (آبا) في البحر الأبيض علي مسيرة عشر مراحل من الخرطوم جهة
الجنوب وكان بها رجل من قبيلته يدعى أحمد شرفي فتزوج ابنته وكان يقوم
بكل ضرورياته من حرفته التي هي صناعة المراكب الشراعية أيضاً وكان
أستاذ الشيخ محمد شريف نازلاً بمكان يدعى (البراييع) لا يبعد عن هذه الجزيرة
الا بضعة أميال

وفي أوائل سنة ١٢٩٥ وقع نفور عظيم بينه وبين أستاذه بسبب انه كان
يري منه الميل الى دعوي المهدوية وكثيراً ما كان هو يحرضه على دعواها فأصدر
الاستاذ منشوراً الى أتباعه يبلغهم فيه انه عزل محمد احمد المتبهدى من الخلافة
وأبعده عن طريقته وذكر فيه عيوبه وطموحه الى الدماوي الكاذبة توصلاً الى
الملك والرئاسة فكبر الامر علي محمد أحمد وكاد مريدوه ينفضون من حوله
لولا أنه ذهب الى رجل مسن يدعى الشيخ القرشي من تلاميذ الشيخ احمد

الطيب جد الشيخ محمد شريف فأدخله في سلك الطريقة ووجد له اجازة الخلافة
 وكان الشيخ القرشي هذا بالغاً من العمر نحو تسعين عاماً فاقداً للقوي المميزة
 ويؤكدون أنه ذو يد مع المهدى في تدبير الدعوى وأنه مهد له اتحافاً بما أخذ
 يتكلم به عنه من الشهادات الحسنة وأنه يعلم ذلك بطريق الكشف والاطلاع
 على الغيب وأشار عليه بالسياحة في أنحاء السودان لاستطلاع أفكار الناس
 وأخذ اليهود عليهم بنصرته وموازرته إذا صدع بدعوته ففعل ووجد من
 قلوب سكان كوردفان المملوءة بكرامة الحكومة ما قوى أمله بالنجاح



حادثة الغلام بكوردفان

ثم عاد المتهدي من الحلاوين محل إقامة أستاذه الجديد الشيخ القرشي
 إلى محله بمحيزة آبا والحلاوين اسم لقرى عديدة على ضفة النيل الأزرق
 على بعد ست مراحل من الخرطوم جهة الجنوب وسكان هاته القرى يطلق
 عليهم اسم (الحلاوين) وهم عرب تناسلو من قبيلة عربية تسكن في جنوب
 سنار تدعى (جهينة) وسناتي على ذكر شيء من أخلاق وعادات هذه القبيلة
 بعد اذهي من أكبر أنصار المتهدي ومنها داعيته محمد بن البصير ولنعد إلى ذكر
 المتهدي بعد عودته إلى جزيرة آبا فانه شخص إلى إقليم كوردفان فصادف
 نجاحاً عظيماً من الأهالي الذين عاهدوه على موازرته ونصرته ثم عرج على
 الأبيض عاصمة كوردفان فنزل ضيفاً على أحد المشايخ الدناقلة

وفي ذات يوم سمع ضوضاء الطبول والموسيقىات بمنزل بجوار منزله
 ورأى من الناس الدهشة والاستغراب فسأل عن الأسباب ف قيل له ان فلانا
 النخاس يريد ان يتزوج بغلام اسمه (قرقه) فلم يصدق واخيراً دعي اثنين من

أتباعه وذهبوا الى محل البدعة فوجدوا المدعويين والموائد ممدودة والموسيقى
تصدح والدفوف السودانية (الدلوكة) تعزف وجى بشخص يلبس عمامة
وطيلسانا كالعلماء فاجري صيغة العقود ودخل النحاس بالغلام فامسك المتهدي
سيفه وهم بضرب عنق النحاس وكل من قابله من أولئك الفسقة الضالين
فامسكه صاحبا وحمله الى منزله فاجتمع معه جماعة من المشايخ وذهبوا الى
محل الحكومة يشكون اليها أمر هذه المنكرات فتقبلوا بالاهانة والازدراء
وقال لهم مامور الضبطية (الدنيا حرة) فجاءت هذه الحادثة من الاشياء التي
يتمسك بها المهدي على فساد وكفر رجال الحكومة فعاهده كثير من أعيان
ووجوه المدينة بالطاعة لاول اشارة تبدو منه وقفل راجعا الى جزيرة (آبا)
وبالبحث واجراء التحقيق من رجال الحكومة تحقق ان المسألة العويبة لم
يكن لها اثر من الحقيقة

وفاة الشيخ القرشي وتشيد قبة علي ضريحه

تقدم لنا القول بان الشيخ القرشي من الذين ساعدوا المهدي على دعواه
بما نطق به من الشهادات المستندة الى الكشف والاطلاع على المغيبات في
حقه وانه هو الذي اشار عليه بالسياحة في البلاد ولدى عودته الى جزيرة
آبا وافاه نبي هذا الشيخ وانه ترك وصية قال فيها ان زمن ظهور المهدي المنتظر
قد حان وان الذي يشيد على ضريحي قبة ويختن أولادي هو الامام المهدي
المنتظر « فلما سمع المتهدي ذلك طار فرحا وجمع نحو ثلثمائة رجل من أتباعه
وذهب معهم الى الحلاوين وشيد القبة من اللبن الاخضر وختن أنجال الشيخ القرشي
بعد أن أخذ اليهود على كثير من الناس بتصديق دعواه قبل أن يصدع بها

ذكر اجتماع عبد الله التعايشي بالتمهدي

لا نورد في هذه السطور شيئاً من ترجمته وذلك لنأتي بها عند افضاء الخلافة اليه وانما نذكر هنا طرفاً من اجتماعه به نقلاً عن الاستاذ الشيخ محمد شريف نور الدائم قال في سنة ١٢٩٥ جاءني رجل من البقارة يروم سلوك الطريقة السمانية على يدي فلقته أورادها ومكث ملازماً لخدمتي واخبرني انه جاء مع والده من بلاد (الكلكة) جنوب مقاطعات دار فورقاصدين الاقطار الحجازية لتأدية فريضة الحج وانهما فقيران لا يملكان غير عجل من ابقر ذللاه بزمهم وامتطياهم على مألوف عادة أهالي تلك البلاد ولما وصلا الى بلاد الجمع من تخوم كوردقان الشرقية مات أبوه ولحق به العجل فأقام بمنزلي نحو عامين فكان اكثر كلامه معي قوله انك المهدى المنتظر من ارتاب في ذلك فقد كفر فكنت انهاء عن هذا القول ولا ينتهي وفي ذات يوم قلت له انا لست مهدياً وأبغض شيء الى سماع هذه الكلمة التي لا يسير بها غير تلميذي الذي طرده محمد أحمد وقلت له على سبيل السخرية والازدراء اذا كنت ممن يتوقعون ظهور المهدي فليكن به وفي اليوم التالي سألت عنه فلم أجده وأخيراً علمت أنه لحق بمحمد أحمد المتهدي وهو في الخلاوين يشيد قبة الشيخ القرشي وانه حينما وقعت عينه عليه خر على الارض مدعياً انه أغشى عليه وبعد حين رفع رأسه فسأله الحاضرون عن سبب اغمائه فقال نظرت أنوار المهدي على وجهه فصمتت من شدة تأثيرها على حواسي ومن ثم صاحبه وعاد معه الى جزيرة آبا وكان الدنقليون أقارب المتهدي يضطهدونه ويزدرونه وهو يقابلهم بالحلم والصبر حتى أفضت اليه الخلافة فاتقم منهم شر

انتقام هذه قصة اجتماع عبد الله التمايشي بمحمد احمد التمهدي ومنها يعلم أنه ذودها، وحيل ومكر وخداع وسنأتي على ترجمته وبقية أعماله في غير هذا المكان

دعوة التمهدي سرا

وبعد عودة التمهدي من الحلاوين أخذ يدعو الناس للمهدية سرا وبأيمه على الطاعة خلق كثير من قبائل الاعراب النازلين حول جزيرة آبا منهم قبيلتا دقيم وكنانة وكان سبب اقبال هاتين القبيلتين على دعوته هو الخليفة (علي بن حلو) الذي لقبه بخليفة الفاروق وكان دقيماً صاحب محمد احمد التمهدي وكان يستخلفه على محله بجزيرة آبا كلما سافر الى مكان وكان في أول عهده يعلم الصبية القرآن الشريف

وقبيلتا دقيم وكنانة يقال لهم (البقارة) وهذا الاسم يطلق على كل قبيلة ماشيتها من البقر ورجالهم معروفون بالشجاعة وقوة البأس وعاداتهم تقرب من عادات قبائل كوردقان حيث لا تزوج البكر قبل ان يكون لها أولاد من الزنا يمينون أخاها وكل ولد من هذا القبيل يدعى (عينة خاله) ونسأؤهم مشهورات بالتربص في السبل وقطع الطرق على المارة لا لاختد المال بل للفسق ومن امتنع من الرجال أمسكوه من مذاكيره حتى تفيض روحه أو يقع مفشياً عليه وقد أبطلت المهدية هذه العادة منهم فذهبت كأن لم تكن

وعاهده كثير من موظفي الحكومة السودانيين على موافاته بالاخبار واجتمع حوله زهاء ثلاثة آلاف رجل من الاعراب وعمال الحكومة لاهون

عنه واتبرى لتكذيبه أناس من نفس اتباعه ومريديه فأخذوا يبلغون
 مأمور المركز حقيقة فيردم عنه لانه سوداني من قبائل الاعراب التي دخلت
 في دعوة وأخيراً رفع أولئك المبلغون المرائض الى الحكماء محمد
 رؤف باشا الذي أحال النظر فيها على (الطيب بك) مدير فشوده فساfer من
 مقر وظيفته على باخرة حتى بلغ جزيرة (آبا) فامسك المتهدي وزجه في السجن
 فقام اتباعه وقدموا للمدير رشوة مائة أردب من القمح وسفينة شراعية تحمل
 هذه الرشوة فاطلقه وهدد الذين أبلغوا الحكماء وتوعدهم بكل مكروه
 اذا عادوا لمعارضته. وقال المهدي للمدير في غضون التحقيق ان الحضر عليه
 السلام هو الذي بشرني بالمهدية فقال المدير للمبلغين اتركوا صاحب الحضر
 وقفل راجعاً الى فشوده والمدير هذا هو الذي ذكرنا انه عين مديراً في أحد
 أقاليم خط الاستواء بدل المرحوم محمد رؤف بك (باشا)

ظهور دعوة المهدي

قلنا انه كان يدعو الناس سرا الى أوائل سنة ١٢٩٨ ثم كان من أمره
 مع مدير فشوده ماقوي عزيمته فأرسل الي جميع الذين عاهدوه بالطاعة منشوراً
 ختمه بخاتم نقش فيه محمد احمد عبد الله قال في طالعته بعد البسملة والحمدلة
 «جاءني النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ومعه الخلقاء الراشدون
 والاقطاب والحضر عليه السلام وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم وأجلسني
 على كرسيه وقال لي أنت المهدي المنتظر ومن شك في مهديتك فقد
 كفر وان الترك كفار وهم أشد الناس كفراً لانهم ساعون في اطفاء نور
 الله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وأخبرني صلى الله عليه وسلم

بأن النصر يسير بين يدي أربعين ميلا وأنه صلى الله عليه وسلم يحضر
بذاته الكريمة امام جيشي ومعه الخلفاء الراشدون وأن الله تعالى أيدني بالاولياء
والشهداء والصالحين من لدن آدم عليه السلام الى زماننا هذا ومؤمني الجن
يجهادون مي ولا يهزم لي جيش وان الله ناصرى ومؤيدى على كل من
حاربني من الثقلين وان أصحابي كأصحابه صلى الله عليه وسلم وعامتهم اكبر
مقاما في دار الخلد من الشيخ (عبد القادر الجيلي) وختم منشوره بالحض
على الهجرة اليه ومناداة الحرطوم للحاق به والجهاد معه وأرسل نسخا
عديدة من هذا المنشور الى أناس في الحرطوم منهم الشيخ الامين الضير
رئيس العلماء بالسودان فاطلع عليها الحكمدار محمد رؤف باشا الذي انتدب
(أبا السعود بك العقاد) أحد معاونيه وأصحبه جماعة من الدنقلين سكان
الحرطوم وأنفذهم رسلا اليه يدعونه الى الطاعة ويحذرونه التفتة ويلفونه
أوامر الحكمدار بدعوته الى الحضور عنده فذهبوا على الباخرة (الفاشر)
فلما وصلوا الى جزيرة آبا قابلم كل من فيها بالتكبير على الكفار وكان المهدي
يتعبد في سرداب في الارض فامتنع من مقابلتهم أولا ثم اذن لهم بلقائه فدخلوا
عليه والسيوف مسلولة على رأسه فسألوه عن دعواه فاجابهم بما أوردناه
من منشوره فقال له أبو السعود بك ان الحكمدار يدعوك الى الحضور
عنده فقال لا أذهب فقال له يا سيدي أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
الامر منكم فقبض على سيف كان على نغذه الايسر وكشر أنيابه وقال أنا ولي
الامر الآن على سائر الانس والجان فاستأذن الرسل وهم الناس بضربهم
لولا ان شدد عليهم في الكف عنهم وقفلوا راجعين الى الحرطوم

واقعة جزيرة آبا

ولما عاد الرسل الى الخرطوم وقصوا على الحكمدار نتيجة مأموريتهم
صمم علي ارسال قوة عسكرية تقبض عليه فانتدب بلوكين من المشاة المنظمين
معهم مدفع من الطراز الجبلي وعين ضابطين من رتبة الصاغ قول اغاسي (ابراهيم
افندي علي وعلى افندي عزمي) وسير معهما آبا السعود بك العقاد وقال لكل
واحد منهم انت قائد الحملة فساهموا على باخرتان في أوائل شهر رمضان
سنة ١٢٩٧ فوصلوا الى جزيرة آبا قبيل غروب الشمس

هذا ما فعلته الحكومة أما المهدي فان اكثر الناس تفرقوا عنه ولم
يبق معه غير نحو أربعائة رجل جلهم من الدنقلين أقاربه علي أثر عودة الرسل
عنه لانهم أيقنوا بان الحكومة لا بد ان تخضعه بالقوة

ولما لقت الباخرتان مراسيها بالجزيرة هبط الجنود الى الشاطئ وأخذوا
في الالهبة والاستعداد للزحف على محلة المهدي وكان السير متعذراً عليهم
بسبب الاوحال الممتلئة من الامطار اذ كان الفصل صيفاً فبدأ الضابطان في العمل
هذا يأمر الجنود والآخر ينكر عليه هذا الامر ويقول له انا الرئيس وانت المرؤس
فيحتدم غيظاً ويجاوب زميله بالشم ويقول لا بل انا الرئيس فتعاجلا الى أبي
السعود بك معاون الحكمدار فكان حكمه أنه الرئيس علي كليهما فازداد
الاشكال عقدة ومكثوا على هذه الحال الى ما بعد نصف الليل فداهمهم المهدي
بمن معه من المقاتلة فقتل بهم ولم يفلت منهم غير بضعة اشخاص منهم أبو
السعود بك وقتل الضابطان وغنم المهدي اسلحتهم وذخيرتهم ورامت الاخبار
في انحاء السودان بغلو كثير فيها واعتقد البسطاء انها من الاعاجيب السماوية

بل من الكرامات التي خص بها . وعاد أبو السمود بك بالباخرتين ووقع
 الرعب في قلوب السكان وأيقن الكل ان أولئك الجنود الابرياء ذهبت
 أرواحهم ضحية سوء تصرف الحكمدار وقلة رويته وهجر الخرطوم عدد
 كبير من السودانيين ولحقوا بالضواحي

حملة علي بك لطفي

ولما وصل أبو السمود بك الي الخرطوم كان نبأ القتلك بالبلوكين قد سبقه
 اليها بالتلغراف فأرسل الحكمدار الي العلماء والاعيان وقص عليهم
 ما ذكرناه من أمر المهدي فأشار عليه الشيخ شاكرا رئيس مفتي الاستئناف
 بان يتوجه بنفسه علي البواخر الي جزيرة آبا ولا يكل أمر هذه الفتنة لنسيه
 فزجره الحكمدار وأغلظ عليه القول . ويروي عن بعض الحاضرين انه قال له
 أتريد أن تترمل امرأتي ويفقدني أولادي ثم ان الحكمدار عين القائمقام علي
 بك لطفي الشهير (بابي كوكه) ومعه بلوكان من المشاة ومدافع وسواريج ليغفر
 جزيرة آبا ويمنع وصول الامداد اليها من ضفتي النيل . وقد يتدهش الانسان
 من هذه الاعمال الخرقاء وتذكره الحيرة من عمل الحكمدار هذا . اذ كيف
 يعقل أن باخرتين تقومان بحراسة جزيرة يزيد طولها عن خمسة عشر ميلا وما
 هي الفائدة من هذا الحصر . وأغرب من هذا وذاك أن المتهدى قام بين
 أتباعه وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يصنع من (الطرور)
 أو (العبيج) وهو نوع يشبه القلين لحفته وطفياته على الماء شبه مراكب
 يجتاز بها النيل الي الضفة الغربية وان الله سيأخذ على ناصية الترك الكفار فلا
 يستطيعون ايصال الاذي الينا حتى نبلغ مأمتنا من الشاطئ الغربي ومن هناك

توجه الى دار هجرتنا بجمال (ماسة وقدير) وهي دار هجرة الانبياء كلهم الى
 نبينا محمد صلوات الله عليه وعليهم فطير القائمقام على بك لطفى رسالة برقية الى
 الحكمدار يخبره بما عزم عليه وسأله أن يأذن له بتدمير سفنهم بالقنابل
 وسط لجة النهر فكان جواب الحكمدار له (اياك أن تعترضهم وقد خابرت
 محمد سعيد باشا مدير كردفان وأمرته بالحملة عليهم برأى وبين كردفان والمكان
 الذى يهبط اليه المهدي من الضفة الغربية مسيرة أكثر من عشر مراحل
 فاجتاز المهدي النهر والجنود تنظرو ولا تستطيع ايصال السوء اليه فجاءت هذه
 المسألة كرامة ثانية له ولكنها نتيجة عمل الحكمدار ويعتقد كثير من الناس
 بسبب هذه الحادثة ان الحكمدار مصدق بمهدي محمد أحمد. أما نحن فلانصدق
 ذلك بل نجزم بصحة ماقاله عن نفسه من عدم القدرة على ادارة بلاد واسعة
 كالسودان كما أثبتناه في مبحث توليته على السودان

ولما هبط المهدي الى الشاطئ التف حوله كثير من رجاله دقيم وكثانة
 وقدموا له الاقوات وبايعوه على الطاعة والجهاد في سبيل الله وهذا نص البيعة
 « ياينا الله ورسوله ويايعناك على طاعة الله وأن لا نسرق ولا نزنى ولا نأتى
 بهتان نفترية ولا نمصيك فى امر بمعروف ونهى عن منكر يايعناك على زهد
 الدنيا وتركها وأن لا نفر من الجهاد رغبة فيما عند الله » ويبلغ عدد الذين رافقوه
 نحو عشرة آلاف مقاتل سلاحهم السيوف والرماح وجلهم فرسان. أما محمد سعيد
 باشا مدير كردفان فإنه سار بقوة كبيرة ولم يقابل المهدي ولم يقف له على
 أثر وذلك لان الجملة التي كان بها المهدي واقعة فى الجنوب الشرقي من الابيض
 قاعدة كردفان وتبعد عنها بعشر مراحل ووجهة سير المهدي كانت الى الجنوب
 الغربى فادراكه اذاً من المستحيلات وغاية الامر ان مدير كردفان انضم الى

على بك لظني واتحدا ودخلا جزيرة آبا وقبضا على أناس أبرياء لم يكن لهم
علاقة مع المهدي ونكلا بهم شر تشكيل وقفلا راجعين هذا الى الخرطوم
وذاك الى كوردفان وسار الرجل الى قدير وتوغل في وسط الجبال



ذكر جبل ماسة وقدير

يوجد في الشمال الغربي من فشوده جبل لا يزيد ارتفاعه عن علو جبل
المقطم وشكله كزاوية مستديرة مع فرجة من جهة الشرق وفي داخل الدائرة
بركة يجتمع فيها ماء المطر يسمى هذا الجبل بجبل (القدير) ثم حذفت اداة التمرير
فصار جبل قدير . ولم يكن اسم (ماسة) معروفا لهذا الجبل قبل ظهور دعوة
المهدية وانما اتفق ان المرحوم الشيخ حسن العدوي من أشهر علماء
المالكية بالازهر الشريف ذكر في كتابه مشارق الانوار ان المهدي
المنتظر ستكون هجرته الى جبال ماسة فادعي المهدي ان ماسة اسم لجبل
قدير مع ان كل السكان ينكرون هذا اذ لم يعرف به قبل هذا الوقت وبالنسبة
لما للشيخ حسن العدوي من الشهرة في بلاد السودان راجت حيلة المهدي
عند كثير من من البسطاء وعدوها من الآيات الدالة على صدق دعواه
ويحيط بجبل قدير جبال كثيرة سكانها من السود يطلق عليهم اسم
(النوبة) وبلادهم خصبة وفيها الماشية من البقر والغنم بكثرة والخنازير وهي
أحب مايؤكل اليهم والخنزير الواحد يعدل ثلاثة من البقر وفي هذه البلاد النحل
بكثرة والعسل يكاد يضارع الماء كثرة ويسكن في سفوح هاتيك الجبال قبائل
من الاعراب حلقاء للنوبة وبينهم صلات المصاهرة واعراق القرابة وبعض
الاعراب استوطنوا الجبال وتشبهوا بالنوبة في كل اخلاقهم واطوارهم

وقبل المهدي في مسيره الى جيل قدير بمقاومات كثيرة أكثرها من النوبة. والاعراب تذبذبوا بين النوبة والمهدي وانتهى الامر بفوزه على جميع الذين ناهضوه ولما وصل الى جيل قدير أظهر السكان تخوفهم من بقاءه بين ظهرانيهم وحاربوه فظهر عليهم ونزل بجيشه داخل دائرة الجبل واقام حرسا من أتباعه على الفرجة الشرقية وأخذ يدعو السكان للإسلام لأنهم لا دين لهم والاعراب يزعمون انهم مسلمون وأكثرتهم لا يعرف الشهادتين فضلا عن غيرها.

ذكر جبال تقلي

في الشمال الغربي من جيل قدير جبال تبلغ المائة متدانية من بعضها يطلق عليها اسم جبال تقلي وسكانها عنصر يعرف بهذا الاسم متناسلون من قبائل العرب والنوبة ولغة أكثرهم العربية وكانهم يخضعون لملك يدعونه (الملك) وبلاדם خصبة وفيها معادن التبر وقد حاولت الحكومة إخضاعهم فلم تفلح وفي الأيام الأخيرة استمالت ملكهم (ناصر) فسافر الى مصر ليقيم خضوعه للمنفور له اسماعيل باشا خديو مصر فاجتمع قومه وملكوا عليهم ابن اخيه وحالوا بينه وبين العودة الى بلاده فاقطعت الحكومة أرضا بجهة (معتوق) من أعمال الخرطوم فبقى بها حتى أدركه الموت وبقيت هذه الملكة مرتجة الابواب في وجه الحكومة فحاول المهدي إيقاعها في قبضته بحيلة دعوته فلم يفلح حيث تصدى لتكذيبه وأظهر افتراءه على الله ورسوله علماء سبوا القاضى وحصل اجتماع بين المهدي والملك فسأله الدخول في دعوته فاعتذر من ذلك عملا نصائح العلماء وسيأتى أن المهدي قتل هذا القاضى وظفر التماسي بهذه

الملكة وخر بها ثم مات شعثا وعادت كما كانت

~~~~~

### حملة راشد أمين بك علي المهدي

كانت الحكومة عزلت الطيب مدير فشوده الذي ذكرنا قصة اطلاقه المهدي وخلقه في وظيفته المرحوم راشد أمين بك وكان ذلك قبل واقعة (آبا) ببضعة شهور

فلما وصل المهدي الى جبل قدیر الذي يبعد عن فشوده بنحو ثمان مراحل جهة الغرب والطريق اليه كثيرة الوعر والغابات قام راشد من تلقاء نفسه وسار بحملة الى جبل قدیر ومعه (كيكوم بك) زعيم قبائل (الشك) فهض اليه المهدي وقتك بمجنوده وكانوا يزيدون عن ثلاث فصائل (بلوكات) وغنم اسلحتهم وذخيرتهم وجاءت هذه المسألة ضغنا على إيالة حيث زادت في قوة المهدي فاصبح لديه من الاسلحة النارية ما يزيد عن الف بندقية من طراز رامنجتون وقتل راشد بك المدير وكيكوم بك زعيم قبائل الشك

### ذكر من محق بالمهدي من مشايخ كوردفان

قلنا ان المهدي لقي من سكان إقليم كوردفان لما زارهم ما قوي عزيمته على ادعاء المهدوية وقد أخذ عليهم اليهود والمواثق بنصرته والقيام بدعوته وقت الحاجة. ولما شخص الي (قدیر) وترامت اخبار انتصاراته على جنود الحكومة في جزيرة آبا وعلى الذين اعتدوا سيرة من سكان الجبال قبل أن يصل جبال قدیر ثم كان من أمره الانتصار على حملة راشد بك مدير فشوده رفع أهالي إقليم كوردفان رؤسهم للفتنة وهرع ألوف منهم الى قدیر ليايخوا المهدي

ووفد اليه كل من الشيخ (نواي) زعيم قبيلة الحوازمة التي تسكن بين دارفور وكوردفان وماشية هذه القبيلة من البقر ولذا يطلق عليها اسم (البقارة) وهي كسائر قبائل السودان الغربي في القوة والشجاعة والميل الى الهياج والحروب ووفد عليه (اسماعيل بن الامين دلدولك) زعيم قبيلة (القدييات) التي هي كالحوازمة في الاخلاق والعبادات ومع كل واحد منهما مائتا فارس من قومه وبايعاه على الطاعة وقال له الشيخ نواي ابايكم على المهديّة وان لم تكن مهديا ابايكم على قتال الحكومة وخلع طاعتها

### واقعة جبل الجرادّة

جبل الجرادّة واقع في الشمال الشرقي من جبل قدير ويبعد عنه بنحو ٢٥ ميلا وسكانه خليط من اعراب ونوبيين كانوا قد امتنعوا من مقابلة المهدي والدخول في دعوته لما احتل جبل قدير وقد اظهروا عداوتهم له وتحفّزوا للوثبة عليه فعاجلهم بعد انهزام راشد بك وزحف عليهم واصلام حربا دارت دأثرتها عليهم واباح اموالهم غنيمة لانصاره ثم صفع عنهم ورد اليهم اموالهم بعد ما اذعنوا له بالطاعة وانتظموا في سلك اتباعه ثم تابع غزواته في سكان الجبال وكثرت عنده الاقوات

### تعيين عبد القادر باشا حلي حاكماً للسودان

وفي ربيع الثاني سنة ١٢٩٩ فصل محمد رؤف باشا من الحكمديرية وخلقه عبد القادر باشا حلي حيث جعلت له وظيفة لم تكن معروفة قبل وهي اعتبار حاكم السودان كاحد نظار الحكومة الحديوية ويدعى ناظر

وحكمدار عموم السودان

وبعد عشرين ليلة مضت غادر محمد رؤف باشا الخرطوم قاصداً مصر  
وناب عنه في ادارة شؤون الحكمدارية وكيلها ججلر باشا الالماني

### جملة يوسف باشا حسن الشلاي

تقدم لي القول اتي كنت بمصر لما أرسلت الحكومة حملة الي المهدي  
تحت قيادة يوسف باشا حسن الشلاي حيث عرفها حقيقته وأنه رجل نوتي  
جاهل بالقنون العسكرية كجمله بالكتابة والقراءة فلم تلتفت لتصحى بناء  
على الشهادات الحسنة التي شهداها له وكيل الحكمدارية ججلر باشا وانه تعهد  
للحكومة بالقبض على المهدي فجردت الحكومة ستة آلاف جندي تحت  
قيادته منهم نحو الثلث من الجنود النظامية وضابط برتبة قائمقام واثان برتبة  
بكباشي واثان من مشاهير السناجق قواد للجنود غير النظامية (الباشبوزق)  
فشخص من الخرطوم في منتصف جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ هجرية على  
عدة بواخر قاصداً فشوده ومنها الى جبل قدير فلحقه في الطريق عبد الله  
ابن دفع الله ومعه نحو الف مقاتل من متطوعي كوردفان وانضم اليه وتابعوا  
سيرهم حتى فشوده ومن هناك ارسل القائد العام بكتاب الي المهدي يدعوه  
فيه الى الطاعة ويحذره منغبة المصيان وعرض في خطابه بشيء كثير من  
الشتائم التي لا تليق فرد عليه المهدي بكتاب مشهور تنقله هنا ليطلع القاري  
عليه انما للفائدة وهو بنصه

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنتقم القهار . والصلاة على سيدنا محمد  
وآله الاخيار مع السلام. وبعد فمن العبد الماتعصم بالله محمد المهدي بن السيد

1983

لا

عبد الله الي يوسف حسن الشلالى ومن معه من الجموع وصل الينا كتابك  
وصار معلوما لدينا وقوفكم على الانذار. ومجاهرتكم بالانكار. وكان قصدنا أن  
نضرب عن افادتكم صفحا . ونطوي دون اجابتكم كشعا . ولكن أردنا  
أن نين لكم غلطكم فيما ادعيتموه بالبراهين السواطع . أما قولك إن إرسال  
الطلائع ينافى دعوي المهدي لان علم الغيب ضرورى لها فنقول لك هذا جهل  
منك بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام فانه كان يرسل الطلائع كخليفة  
اليماني وبلال والزيير بن العوام فلم يكن ذلك منافيا لرسالة صلى الله عليه وسلم  
فكيف يكون منافيا لمهديتنا . وقتلنا انا قتلنا جملة من المتوطنين بهذا المكان  
ظلمنا وعدوانا فهذا كذب صريح لاننا لم نقتل الا أهل جيل الجرادة بعد أن  
كذبونا وحاربونا وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بان كل من شك في  
مهديتي كافر ودمه مهدوز وماله واولاده غنيمة للمسلمين ولما انقاد من بقى  
منهم لحكمنا رددنا عليهم أموالهم من أيدي اصحابنا مع انها حلال لهم . وقتلنا  
انا قتلنا المساكين غدرا في الوقتين ( آبا وراشد بك ) وهو قول باطل لاننا  
ما بد أناهم بالقتال بل هم الذين بدؤنا بالقتال ولما اجتمعت أرواحهم في الدار  
الآخرة شكوني الى الله عز وجل وقالوا ياربنا إن المهدي قتلنا بنيراننا فقلت  
ياربي أنذرهم فلم يسمعوا لي واتبعوا ساداتهم وعلماءهم وشهد علي صحة قولي  
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقال ان المهدي أنذرهم فلم تسمعوا له واتبعتهم  
سادتكم وعلماءكم فاضلواكم السيل وأمر بهم فسيقوا الى جهنم . وقتلنا ان هؤلاء  
المساكين ما أرسلتهم الحكومة لحربنا بل ليقفوا على ما عندنا من الادلة وهو  
باطل ايضا لان الحكومة لو كانت تقصد ذلك لما أرسلت المساكين الاغبياء  
وأعطتهم السلاح النارى بل كانت أرسلت العلماء وأهل الدراية بهذا الشأن

وقولكم قوموا وتوجهوا الى مكة المكرمة محل المهدي فتنقول لكم  
اعلموا ان توجهنا اليها يكون بامر النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي يختاره  
الله فاني عبد مأمور وقد أجلسني صلى الله عليه وسلم على كرسيه وقال لي أنت  
المهدي المنتظر ومن شك فيك فقد كفر وقال لي ان الترك كفار وهم أشد  
الناس كفراً لانهم ساعون في اطفاء نور الله وياي الله الا ان يتم نوره ولو كره  
الكافرون

وقلم اطلبوا من الله اظهار كرامته تدل على مهديتكم فاعلموا اننا لانطلب ذلك  
لقوله تعالى «ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر» ومع ذلك قد اظهر الله كرامة لمهديتنا  
حيث وجد اسمنا منقوشاً على ورق الاشجار وبيض الدجاج ونحن لانطلب  
من الله اظهار كرامته لمهديتنا بل نقف معه عند حد عبوديتنا فان اظهر لنا  
كرامات كانت بمشيئته وحكمته يعلمها سبحانه وتعالى ونجهلها

وقلم ما اتبعنا غير الجهلاء وأراذل البقارة فاعلم ان أتباع الرسل عليهم  
الصلاة والسلام كانوا كذلك وقد قال تعالى حاكياً عن قوم نوح «وما نراك اتبعك  
الا الذين هم أراذلنا» الآية ولا بد ان يجعلك الله ومن معك غنيمة للبقارة  
وقلت لا تغتر بإسماعيل الامين ونواي فاعلم اني منصور على كل من  
ناواني من أهل الثقلين وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يحضر بذاته  
الكريمة أمام جيشي وان عزرائيل ملك الموت عليه السلام يحمل راية سوداء  
أمام جيشي

وقلم انكم امسكنم أربعة رجال من طليعتنا وأرهقتموهم تعذيباً فاعلم انهم  
مأجورون على ذلك ولا بد ان يوقعكم الله بأيدينا وتذوقوا العذاب بما صدقتم  
عن سبيل الله

وقالتم ان افندينا ولي النعم امركم بعدم محاربتنا حتي نتعدي الحدود وهذا قول لا يفوه به غير ضغفاء العقول لاننا تعدينا حدودكم وخالقنا مقصودكم من يوم قتلنا حسا كركم بآبا وبعد هذا ليس بيننا وبينكم خطاب غير الحرب والطمعان والسيف والسنان والسلام على من اتبع المهدي وخشى عواقب الردي ولعنة الله على من كذب وتولي اه

هذا ما كتبه المهدي الى يوسف باشا وقد وقفنا عليه في المجلد الاول من مجموعة منشورات المهدي التي طبعت بالخرطوم بعد سقوطها في قبضة المهدي ولم تقف على صورة الكتاب الذي بعثه له يوسف باشا

وزحف يوسف باشا بحملته من فشوده في العشر الاخيرة من شهر جمادي الآخرة وانضم اليه جنود من حامية فشوده واحصي المهدي من معه من المقاتلة فكانوا اثني عشر الف مقاتل وزحف بهم للقاء يوسف باشا في الطريق وبات المهدي عند سفح جبل الجراة والحملة تبعد عنه بمسافة عشرة أميال فلما أصبح كتب منشوراً وزعه بين اتباعه يقول فيه

ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بان جميع أصحابي الذين باتوا بسفح جبل الجراة باتت أرواحهم في الجنة ومن دخل الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى (وما هم منها بمخرجين)

وفي اليوم التالي زحف على الحملة وكانت قد أحست بزحفه عليها فتحصنت داخل زريبة من الشوك وبدأ الهجوم عليها من جهة الجنود النظامية فتقهقر بخسارة عظيمة وقتل أخوه حامد وجماعة من مشاهير رجاله الذين ساعدوه على دعواه ومنهم الشيخ آدم بن الاعيسر وأصله من بلاد (فلاة) بالسودان الغربي وكان صهر المهدي علي ابنته زينب وانهزم الدراويش راجعين

الى الجراة ووقع بقلوبهم رعب شديد فاخذ أحمد بن سليمان أمين بيت المال  
بلجام دابة المهدي وحوّله راجعاً الى الجراة فوجم المهدي لشدة ما أصابه من  
الذهول حتى أدركه الخليفة محمد شريف الذي لقبه بخليفة الكرار وسأل أحمد  
ابن سليمان الى أين تذهب بالمهدي فقال الى الجراة لنعشد جيشاً آخر نعود  
به الى الحرب فصنعه وأمسك بلجام الدابة وقال للمهدي نذهب ياسيدي  
لنموت وأخذ يكررها ويقول نذهب لنموت والذين كانوا حوله يقولون انه  
كان في ذهول صيره لا يبي شيئاً

ولما اتى محمد شريف ما أتاه اتبته المهدي كأنه أفاق من سبات  
وأدرك انه اذا رجع الى الجراة مهزوماً وثب عليه سكان الجبال سيما  
أهل الجراة تقسها واغتسوا فرصة ضعفه وقضوا عليه وعلى دعوته القضاء  
الاخير فوطن نفسه على اقتحام المربع ليموت أو ينتصر فتراجع عليه  
المنهزمون وزحف امامهم تحت نار حامية حتى دنوا من الزريبة فنزل  
عن راحلته واستقبل القبلة وصلى ركعتين وما كاد يفرغ من الصلاة حتى رأى  
انصاره اقتحموا المربع ووجلوا في الزريبة وقتل صاحب رايته أبو هداية وكان  
دنياً من أقاربه وقتل القائد يوسف باشا مولياً وكان أراد القرار بشخصه من جهة  
الشرق راجعاً الى فشوده فلم يتم له وبعد ذلك دخل المهدي الزريبة وأمر برؤس  
يوسف باشا ومشاهير القواد فنصبت حول الزريبة وأقام ثلاثة أيام مشغلاً  
بجمع الغنائم ثم عاد الى محله بجبل قدير ونجا نحو مائة جندي ولحقوا  
بفشوده فاخبروا بما شاهدوه وقد استتجن من أقوالهم ان جهل القائد بالقنون  
العسكرية كان السبب القوي في هلاك الحملة

علي أن يوسف باشا المذكور كان قبل هذه الحملة مديراً لسنار فأحدث فيها من المظالم شيئاً لم يسبقه إليه أحد وذلك أنه قبض على سكان قريتين وباعهم وأولادهم أرقاء فمزله رؤف باشا وأبقاه في الخرطوم ريثما تتم التحقيقات ويساق إلى المحاكمة وبعد عزل رؤف باشا عهد إليه جبر باشا وكيل الحكم الإدارية قيادة هذه الحملة التمهيدية

### ذكر ترتيب جيش المهدي بعد ذلك

ولما ظهر المهدي بحملة يوسف باشا رتب جيشه على ثلاث فرق فالفرقة الأولى مؤلفة من قبائل السودان الغربي ورايتها سوداء وقائدها الخليفة عبد الله التعايشي . والفرقة الثانية رايها خضراء وقائدها الخليفة علي بن محمد حلو وهي مؤلفة من القبائل التي تسكن ضفتي النيل الأبيض والقبائل التي تسكن الجبال التي حول جبل قدير والفرقة الثالثة من قبائل السودان الأوسط أي أقاليم الخرطوم وبربر ودنقلة وسنار وجعل قيادتها إلى ابن عمه الخليفة محمد شريف بن حامد الذي لقبه بخليفة الكرار ولقب التعايشي بخليفة الصديق والخليفة علي بخليفة القاروق وجعل القيادة العامة لأخيه محمد عبد الله ولقبه بأمير جيش المهدي وأسند القضاء بين الناس إلى الشيخ أحمد بن جباره أفا وأصله ضابط في الجيش المصري القديم سوري الأصل له من الأولاد أكثر من سبعة ذكور لحق بالمهدي أكثرهم وصاروا من أمراءه وخواص دولته وسنأتي على شيء من سيرتهم بعد ولقبه بقاضي الإسلام وعقد له راية على ذوي قرابه ومواطنيه وجعلها تابعة لفرقة الخليفة محمد شريف وانتدب أحمد ابن سليمان أميناً لبيت المال وهو من قبيلة تدعى ( المحسن ) بمديرية دنقلة وبالغ

في مدحه حتي انه كتب اليه يقول ان انتداب هذه الامانة كان من الله ورسوله  
وان اسمه مكتوب تحت ساق العرش احمد بن سليمان أمين الله ورسوله  
ومهديه وكان مقرباً لديه لوقوفه على دخائل اسراره وكان المهدي يمنع أهل  
بيته من الطبخ والخبز مبالغة في الزهد ويمنع ان توقد في بيته نار لهذا الغرض  
وكان احمد بن سليمان يصنع له في منزله الاطعمة الفاخرة ويهشها له فيأكل منها  
وكان بعض جهلة الاعراب يظنون ان المهدي يعيش بلا كل وفي آخر الامر  
ظهر أمره مع أحمد بن سليمان ظهور الشمس في رابعة النهار وكان يختار له  
النساء ويبعث بهن اليه وبالجملة فقد كان صاحب سره ومشيره في كل شيء  
وسبأني ذكر قتله في أيام التمايشي وذكر ما افشاء من الاسرار المهمة

### ذكر تحريم الدخان

أصدر المهدي وهو في (قدير) منشوراً قال فيه بجرمة الدخان وتعالى في  
تحريمه حتى قال اذا وقع رجل على أمه في جوف الكعبة كان سخط الله  
عليه أخف من سخطه على مستعمل الدخان ووضع حداً لمن يستعمله ثمانين  
جلدة وحبس سبع ليال ولم نعلم لذلك من سبب دعاه الى هذه البدعة ووضع  
حد على شيء لم يعرف تحريمه قط ما من جهة الشريعة القراء وقضى مرة على مدخن  
بمصادرة أمواله وأخري باسترقاقه وبيعه كما تباع الارقاء. وعقابه على شرب  
الخمر لا يختلف في شيء عن عقاب مستعملي الدخان. أما القاعدة التي سار عليها  
التمايشي بعده فهي مصادرة أموال وسبي ذراري السكيرين والمدخنين على السواء  
مع عقوبة الجلد

وأعلن المهدي ابطال تقليد الاثمة الاربعة وقال انه مجتهد وأخذ يكتب

المنشورات متضمنة كثيراً من أحكام العبادات والمعاملات وكان يسمى الزمن الذي قبله زمن الجاهلية أو الفترة

(ونقل) لنا بعض مشايخه انه كان مكبا على مطالعة كتاب إحياء علوم الدين تأليف حجة الاسلام النزالي وقد أيد ذلك مطابقة بعض مشتملات منشوراته لما في هذا الكتاب. وكتب منشورا يبحث فيه الامراء والقضاة على قطع يد السارق قال فيه مانصه (تقطع يد السارق وان لم يبلغ ماسرقة نصابا بل أقول لكم اقطعوا يده ولو كان ماسرقة أقل من بيضة دجاجة لا بارك الله في وال تركه ولا في أمير استعان به)

ذكر من بحق بالمهدي من اعيان السودان الاوسط ما كاد المهدي يصل الى جبل قدير حتى لحق به كثير من اعيان السودان الاوسط وبعدها بانبعوه على الطاعة وحرب الحكومة كتب لبعضهم بالولاية على جهات من بلادهم وأمرهم بأشهار الحرب وكان من هؤلاء المهدي ابن أبي رؤف زعيم قبيلة (جهينة) التي تسكن جنوب سنار وهي قبيلة كبيرة رحالة ماشيتها من الابل ورجالها معروفون بالجبن والكسل وغالب أفرادها ذوو قامات قصيرة كالأقزام ومن الامثال السائرة في السودان (ان كل عشرة من جهينة لا يصرعون رجلا واحداً) فكتب له المهدي عهدا بالامارة على قومه ومحاربة رجال الحكومة وطردهم من بلاده.

ومنهم أحمد بن المكاشفي أذن له بعباية الناس له ودعوتهم له وسيأتي الكلام على ترجمة أحمد بن المكاشفي. ومنهم الشيخ مضوي الحسي وأصله من قرية (اليلقون) القريبة من الخرطوم وكان طالب علم بالأزهر الشريف ثم عاد الى

السودان وهجر مسقط رأسه واستوطن في قرية بجنوب سنار ثم لحق بالمهدي منها فكتب اليه عهداً أن يبيع له ويجمع سكان القرى حوالى الخرطوم على طاعة المهدي وحرب الحكومة. وغير هؤلاء كثير لم نذكرهم فراراً من التطويل وقد أصدرت الحكومة الاوامر بمصادرة أملاك كل الذين لحقوا بالمهدي من الاهلين ولكن الحكام أساءوا التصرف وجعلوا أوامر الحكومة وسيلة لملء جيوبهم بالاموال كما سنبينه في حادثة سنار



### واقعة عامر بن المكاشفي مع سنار

بالقرب من مدينة سنار قرية المكاشفي والد عامر هذا وأحمد الذي ذكرنا نبأ لحاقه بالمهدي ووالدهما المكاشفي كان شيخاً معتقداً وأصله من قبيلة (الكواهلة) التي تسكن حوالى سنار وتميش بالبان الماشية والزروع ورجالها مشهورون بالكرم والشجاعة وعددهم قليل كما شيتهم وفي أواخر شهر جمادى الاولى علت المديرية بشخص أحمد بن المكاشفي الى المهدي فارسلت مندوباً لمصادرة أمواله فلم يمتثل له على مال فامسك أخاه عامراً وأوسعه ضرباً واهانة ولم يطلق سراحه حتى اقتدى منه بالف ريال هي كل ما يملكه من عقار وماشية فبلغ الخبر ناظر القسم محمود سعد الله فاحتدم غيظاً وقال كيف يدفع هذا القدر لمندوب المديرية وأنا ناظر القسم فذهب الى القرية وقبض على عامر وبالف في ضربه وتمذيبه حتى اجتمع جماعة من مريديه ودفموا له مائة وخمسين ريالاً ووعدوه بمثلها بعد أسبوع ثم ان عامراً لما رأي ذهاب كل ما يملكه وانه أصبح فقيراً عزم على مهاجرة دياره واللاحق بالبادية لان له أصدقاء ومريدين فيها من اعراب جهينة فتصدق عليه أناس من أهل القرية

بعض دواب يحمل عليها نساء وأولاده نخرج من القرية وانتهى الخبر  
الى محمود سعد الله ناظر القسم فاقتني أثره بنحو عشرين راكباً من عبيده فادر كوه  
عند حى اعراب وأمسكوا نساءه وبناته والحقوا بهن العار على مرأى منه ومن  
سكان الحى وسلبوا ما معهم من الحلى وقطعوا آذانهم وهو موثق كتافاً امامهم  
وسلبوه والنساء الملابس وتركوهن مرارة كيوم ولدتهن امهاتهن وانصرفوا بالدواب  
وما عليها وكان عامر لا يفتر عن تلاوة الآية (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا  
وان الله على نصرهم لقدير) وما بارح مكانه حتى تألب حوله نحو ألف مقاتل  
فادعى انه وزير المهدي ونسل اليه الناس من كل حدب وبأيوه على  
طاعة المهدي ومحاربة الحكومة وزحف في اليوم التالي على مدينة سنار في  
سته آلاف مقاتل والتقى في طريقه بمندوب المديرية الذي أخذ منه الالف  
ريال ومعه أحد الصناجق المدعو محمد أغا النمر تلب فقصد الايقاع بهما قفرا  
وأعلم المدير بأمره ولم يكن عالماً بشيء من ذلك فارسل يعلم الحكمدارية على  
جناح البرق فورد عليه الخبر بارسال اثنين من أعيان سنار بكتاب له فانتدب  
محمد عبد القادر القادني متعهد طلبات أقوات الحامية ومعه آخر من أعيان  
سنار كان صديقاً حميماً لعامر بن المكاشفي وسلمهما المدير كتاباً مملوءاً بالتهديد  
والوعيد واليك ما قالاه بعد عودتهما وأرسل الى الحكمدارية بالتلغراف  
لم يبتعد عن منازل المدينة أكثر من ميل واحد حتى قبضت علينا طليعة  
العدو واوسعتنا ضرباً وانزلتنا عن دوابنا ومزقت ملابسنا وساقتنا الى (الديم)  
أى المعسكر والسيوف مسلولة حولنا وأوقفنا بين يدي عامر بن المكاشفي  
فرايناه في حالة جنون ولا يتكلم الا بالآية الشريفة «أذن للذين يقاتلون  
بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» وسيفه موضوع على نغذه الايسر

فقبض عليه وقال لنا ما الذي جاء بكما فقلنا سمعنا بخبرك وجئنا بآيالك فقال  
 احسبنا ودنونا منه وبايعناه ولشدة ما أصابه من الدهول قال لصاحبي ما اسمك  
 مع أن المعرفة قديمة بينهما وكان منذ بضعة أيام ضيفاً بمنزله وبعد هنيئة قلنا له  
 ان المدير اعطانا كتاباً لك فصاح بأعلى صوته مزقوا كتاب الكافر فتناوله اتباعه  
 من أيدينا ومزقوه وقال لنا في الغد ادخل المديرية فرجونا أن يكتب لنا أماناً  
 ففعل وأمرنا بالانصراف الى منازلنا فانصرفنا اه وكانت المدينة خلوا من  
 التحصين وليس بها سوى ثكنة يقيم بها نحو مائة جندي ومدفع من الطراز  
 الجبلي وفي الغد خرج المدير للقاءه خارج المدينة بمائة جندي فانقض عليهم  
 بمن معه وقتلهم ووقف محمد اغا المير تلب عند المدفع حتى قتل ونجا المديرو ووكيله  
 ولحقا بسفينة في البحر ودخل المدينة عامر بن المكاشفي وقصد دار محمود  
 سعد الله فقتله وانتهب ما فيها ودخل دار المديرية ووقف على باب الخزانة  
 وكان بها نحو مائتي ألف جنيه وقال اكسروا الاقفال فتقدم اليه رجل من  
 أعيان مديرية المنيا كان منفياً هناك اسمه الشيخ مصطفى أبو اسماعيل وقال له  
 انها صارت لك فلا تتلف الاقفال بل اجعل عليها حراساً فاستحسن قوله  
 ووضع عليها حارساً مسلحاً بحربة طويلة وذهب الى سلاملك المديرية وبينما  
 هو صاعد عليه فاجأته رصاصة لم يعرف المكان الذي جاءت منه فأصاب  
 احشاه ووقع منسياً عليه فاحتمله أصحابه وعادوا به الى معسكرهم وتراجع  
 المهزمون وعاد المديرو ورتب الاهالي بكيفية دافعوا بها عن أنفسهم اذ حولوا  
 رؤس المنازل الى متاريس والذي ساعد على الدفاع ان عامر بن المكاشفي  
 كان يقول لقومه لا تحاربوا بالبنادق لانها سلاح الكفار ومكث العدو يهاجم  
 المدينة ويضيق عليها الحصار ثمانية أيام حتى وصل اليها السر سوارى صالح

الملك بمائة وخمسين جندياً فدخلها بعد حرب خسر فيها العدو نحو ألف نسمة  
وغادر جبلر باشا الخرطوم على باخرتين ومعه السر سوارى عثمان بك الدالي  
والملك يوسف لا تقاذ سنار

### واقعة الشريف احمد طه

بينما كان جبلر باشا سائراً مجدداً لامداد سنار اذ سمع الصياح من  
الضفة الشرقية فألقت البواخر مراسيها ثم وجد عمال الحكومة فأخبروه برجل  
يدعي (الشريف احمد بن طه) جمع نحو خمسة آلاف مقاتل وعسكر بهم عند  
أبو حراز وهي منتصف الطريق بين الخرطوم وسنار فأرسل اليه السر سوارى  
الملك يوسف بكتاب يدعو فيه الى الطاعة فقتله وجنوده واتصل بجبلر باشا  
ان الاهلين متحفزون لخلع طاعة الحكومة فكث بأبو حراز وأرسل تلغرافا  
الى القضايف يطلب طابوراً من الجنود النظامية لان الجنود التي بالخرطوم  
قليلون جداً وبقاؤهم بها لحراسة المدينة ضرورى وأنفذ السر سوارى  
عثمان بك الدالي الى نقطة (فداسى) لينع الناس من اللحاق بالمصاة وجاء  
الشيخ عوض الكريم أبو سن زعيم قبيلة الشكرية بنحو ألفين من قبيلته  
ومعه الشيخ محمد الفيل شيخ طريقة المركيين وحاصروا المصاة . ولما وصل  
الطابور الى أبو حراز كان عبد القادر باشا حلي قد وصل الى بربر فأبلغ  
الحادثة بالتلغراف فتوجه الى المحطة وأخذ في الاستفهام عن مركز العدو فأخبر  
به فرسم كيفية الهجوم عليه ورتب القوة كأنه يقودها بشخصه وتقدمت  
نحو العدو الذي قابله ببسالة شديدة فأوقعت به وقتل الشريف أحمد بن طه  
وحملت رأسه الى الخرطوم وتابع جبلر باشا مسيره الى سنار فوجد العدو قد

بعد عنها مسيرة مرحلتين فشرع في تحصينها وخندق عليها وأرسل حملة على العدو فشقت شمله وعاد إلى الخرطوم بعد أن ترك بها حامية تقوم بحراستها ولما اتصل بالمهدي خبر قتل الشريف أحمد بن طه استاء وكتب إلى الشيخ عوض الكريم أبي سن والشيخ حمد النيل كتابا قال فيه (قتلتوه خذلة للدين ونصرة للكافرين فاعلموا أن ثأره بعد حين) وقبيلة الشكرية هذه قبيلة كبيرة رحالة تسكن شرق الخرطوم بين النيل الأزرق ونهر اتيبره وما شيتها من الأبل وهي كقبيلة جبينه إلا أن رجالها معروفون بالشجاعة وقد بقيت هذه القبيلة على ولاء الحكومة وسيأتي ذكر رؤسائها الذين ماتوا في سجن التعايشي وما آل إليه أمرها من الاضمحلال والقضاء. والشيخ حمد النيل من أسرة تدعى (العركين) واجدادهم معتقدون في السودان ومعرفون بالصلاح منذ ثلاثة قرون تقريبا وقد ضار المهديون ماله ومات حقيقا ذليلا في اسرم انتقاما منه حيث ساعد الحكومة في قتل الشريف أحمد بن طه

### ذكر وصول عبد القادر باشا حلي الخرطوم

قدم عبد القادر باشا حلي الخرطوم وقلوب السكان مملوءة بالخوف لقلّة الجنود في الخرطوم وخلو المدينة من كل تحصين ووجود كثير من عصابات الاشقياء حول المدينة متحفزين للوثبة عليها طمعا في السلب والنهب وكان السكان يقضون الليل في حراسة انفسهم فوق أعمالي المنازل حذرا من أن يأخذهم العدو على غرة كآخذه سنار

ولما وصل عبد القادر باشا الخرطوم قصد ظاهر المدينة فوجد الميرالاي حسن بك حلي ومعه نحو خمسمائة جندي وثلاثة مدافع من الطراز الجلي

وقد نصبوا لهم سرادقا وصفوا المدافع في رحبته وليس حولهم متاريس ولا شيء من معدات الدفاع فسأله ماذا تقصد بهذا العمل فقال الدفاع عن المدينة فضحك عبد القادر باشا وأمر بالسرادق فقوض ورتب عساكر الحراسة المدينة وأخذ في جمع عدد من الأرقاء وأنشأ ثلاثة طوابير منهم وكان يباشر تمرينهم على الحركات العسكرية بنفسه في كل غدو ورواح واختبر كل الضباط الذين كانوا في الخرطوم فلم يجد فيهم كفاءة ولا أهلية لما يشغلونه من الوظائف حتى أن ضباط الطوبجية كانوا لا يعرفون إطلاق المدافع إلا إذا كانت من النوع الذي يطلق في أيام الأعياد والمواسم

وشرع في تحصين المدينة وخندق عليها ووضع على الأبراج الحراس فذهب كل خوف من قلوب السكان وتوطدت السكينة وانتشر الأمن حوالي الخرطوم

وكان في حدود الحبشة نحو ستة طوابير من الجنود النظامية فاستدعاهم للدفاع عن البلاد

### ذكر تدبير مكيدة لقتل المهدي

لما وصل عبد القادر باشا الخرطوم كان المهدي قد تقوت شوكرته في جبل قدير فاتفق عبد القادر باشا مع شخصين من أهالي كوردان مشهورين بالشجاعة والمخاطرة في سبيل أحرار المال يدعي أحدهما (عبد الله بن إبراهيم) والآخر (أحمد بن الحسين) ودفع لهما ثلاثة آلاف ريال ووعدهما بثلاثين ألف ريال مجيدي يقبضانها أو ورثتهما على أن يذهبا إلى المهدي في جبل قدير ويقتلاه رمياً بالرصاص فإذا نجوا من شر الأعداء قبضا المال وإن وقعا في أيديهم قبض

المال ورثتها وقد كتب صك بينهما وبين محمد سعيد باشا مدير كوردفان بالنيابة عن عبد القادر باشا الحكمدار وكان ممن حضر هذا التدبير (الياس باشا أم برير) أحد تجار كوردفان وكان هوام مع المهدي وذهب الرجلان مصريين على انفاذ هذا العزم فارسل الياس باشا راكباً سبقهما بكتاب الى المهدي أوقفه فيه على ما دبره عبد القادر باشا لاقتياله فاخذ حذره ولما بلغه قرب وصول الرجلين من معسكره قام بين أصحابه خطيباً وأخبرهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأمر الرجلين وما اتفقا عليه مع الكفار وأمرهم بقتلها وإخبارها بان المهدي عالم بما جاء به فلما فعلوا اندهش ذلك الرجلان ولم يداخلاهما شك في ان الامر كما هو وان المهدي علمه من هذا الوجه واعتقدا صدق هديته والقياماً بأيديهم من السلاح وقصداه تائبين من ذنبيهما وعاهداه على الاخلاص له وبإيماء يبعثه المعلومة وصاروا من خيرة انصاره واكابر قواد جيشه . والعمامة تبلغ في رواية هذه القصة وتزعم أن الرجلين اطلقا الرصاص على المهدي فلم يصبه وخضعا له عند رؤيتهما هذه المعجزة والحقيقة هي التي أوردناها وسيأتى ذكر قتل الياس باشا صبراً في سجن التعاشي

### ذكر حوادث كوردفان

وفي غضون اشتغال الحكومة بأمر الشريف أحمد بن طه وعاصر بن المكاشني قام بدعوة المهدي في كوردفان رجل اسمه عبد العزيز بجهة (دار حمر) وكان المهدي أرسله بكتاب الى ابراهيم بن اسماعيل منعم شيخ قبيلة حمر وابنه اسماعيل

وقبيلة حمر هذه قبيلة كبيرة تسكن في المنطقة التي بين كوردفان ودارفور

وهي رحالة في أوقات معلومة من السنة وتنزل القرى في إبان الزرع واكثر بلادها لاماء فيها ويقضون حاجتهم من الطبخ والخبز بماء البطيخ وكل من عطش اكل منه وفي بعض الجهات يخزنون ماء المطر في جوف أشجار عظيمة تسمى ( التبلدي ) وعوائدهم كموائد من ذكرنا من قبل من قبائل كوردقاف ويكثر في هذه البلاد ريش النعام لان الاهلين يقتنونه بكثرة في منازلهم ولذا يكثر تردد التجار على بلادهم للحصول على هذا الصنف

ولنرجع الي ذكر عبد العزيز داعية المهدي فنقول انه قوبل بالاجابة والتفت قبيلة حمر حوله وأول عمل آتاه انه هجم على البكباشي نظم افندي مأمور تحصيل الاموال الاميرية بهذه الجهة على غرة وسلب كل مامعه من هذه الاموال وجرده من كل شيء حتى من ملابسه وقال له اشهد أن الله واحد وان المهدي المنتظر حق فعمل وكان في قلة من الجنود ولم يستطع الدفاع عن نفسه . وكان هذا الداعية جاهلا ابتدع من عندياته مسألة هذه الشهادة وكان يقول ان الشهادة لمحمد رسول الله قد ابطلت والنيت

ثم ان البكباشي نظم جاءه اثنان من شيوخ حمر وحملاه الى بلدة ابو حراز التي تبعد عن الابيض عاصمة كوردقاف بنحو أربعين ميلا وهناك جمع جنوده المتفرقة وتحصن بداخل زريبة من الشوك . وعاد عبد العزيز الى جبل قدير حيث استدعاه المهدي ليؤدي ما عنده من الاموال التي انتهبها من نظم افندي . ثم عزله وخلقه عبد الله بن النور فنادر جبل قدير ومرّ على نقطة ( فوجة ) بين دار حمر ودارفور فقتل من فيها من الجنود وقتل عمال التلغراف وقطع الاسلاك ثم قصد أبو حراز وناهض البكباشي نظم افندي فلم يظفر به وتقهقر من وجهه حتى بلغ الابيض بعد عناء شديد ووقت بلاد

### حمر كاهنا في قبضة المهدوية

وتقدم عبد الله النور الى البلاد الواقعة شرق الابيض وقصد نقطة اسعف التي تبعد عن مركز ( باره ) بنحو خمسة مشر ميلا وكان بها الصنجق محمد آغا ياسين المشهور ( بشبوا ) ومعه النور بك عنقره من نخاسي بحر الغزال فداهما عبد الله النور فقر النور بك عنقره وترك امتعته ونسائه وتقهقر محمد آغا ياسين بمن معه حتي وصل الى نقطة باره وغنم عبد الله النور طبلًا حربياً كبيراً كان غنمه النور عنقره من أحد ملوك دارفور وقت فتح تلك البلاد وقد ظل هذا الطبل موجوداً عند المهديين حتى سقوط أم درمان .  
والتقي عبد الله النور ودرأويش بشرذمة من الجنود المصرية كان اغذاها مدير كوردفان تحت قيادة نظم افندي واشتبك معها بحرب اسفرت عن انتصار الجنود وهزيمة الدراويش وخسارتهم القبا وخسمائة قتيل ثم رأي قائد الحملة ان لا فائدة من هذه الحرب ما دام الاهلون كلهم مع العدو محاررين الحكومة مظهرين عدم طاعتهم لها فصدر الامر لها بالموودة الى الابيض

### واقعة البركة بكوردفان

اجتمع نحو مائة الف مقاتل من قبائل البديرية ورئيسها عبد الصمد ابن أبي صافية ومن قبيلة حمر وغيرهم في جنوب مكان يدعى ( البركة ) وبين الابيض مسافة خمسين ميلاً وجعلوا يوالون القارة على اطراف المدينة وينهبون الماشية فارسل لهم محمد سعيد باشا مدير كوردفان حملة تحت قيادة البكباشي نظم افندي مؤلفة من طابور من المشاة النظاميين وانضم اليها أربعة الوية من الجنود الباشبوزق والمتطوعين المعروفين باسم ( كبايين )

أى شركات كما تقدم لنا ذكرها فى خط الاستواء وبحر النزال وسارت  
الحملة فكمن لها المدونى الطريق ليعولوا بينها وبين الماء وناوشوها القتال ثم  
هجموا على أحد جناحيها فوجئوا منه واشتعلوا بالنهب والسلب وقبضوا على  
الذخيرة فتمكن القائد من إعادة النظام بين الجنود وسار بهم غير ملتفت الى  
شئ حتى بلغ مكان الماء فخصه واستراح هو وجنوده من وعشاء السفر  
وتجمع المصاة حوله فهاجمهم فى الفلج وقتل منهم أكثر من ألفى مقاتل واسترد  
كل ما أخذوه منه لدى هجومهم عليه فى الطريق

وقتل من قواد الجنود غير النظاميين بشير أغا الازيرق وسيف النصر  
أغا قائد المغاربة ومن قواد المتطوعين واحدا وعادت الحملة الى الأبيض



### ذكر واقعة الطيارة

(الطيارة) مدينة تجارية واقعة على مسافة مائة ميل جنوب الأبيض عاصمة  
كوردفان يقصدها التجار لا بتياع الصنع الذي هو من محصولات البلاد  
الواقعة بين الأبيض والنيل الأبيض وهى قاعدة مركز الطيارة وسكان  
هاته البلاد قبيلتا (الجمع والجوامع) والاولى يطلق عليها اسم (بقاره) لان  
أكثر ماشيتها من هذا النوع والثانية تنزل القرى وتشتغل بالزرع والضرع  
مما وكلتاها مشهورتان بالشجاعة والاقدام مثل سائر قبائل كوردفان وعاداتهم  
متشابهة ويكثرون من شرب المسكرات والقاحشة شائعة بين نساءهم حتى  
ان الرجل يبصر ابنته وأخته وسائر محارمه يباشرن القاحشة بلا مبالاة ولا  
استحياء وانما العيب ان تزني المرأة بعد ان تزوج ومن اكبر العار ان تزوج  
قبل ان تلد أكثر من ثلاثة أولاد ذكور تدفعهم لا كبر اخوتها ليعينوه على

حراثة ارضه أو رعاية ماشيته وهو لاء الاولاد يسبونهم ( عينة خالهم ) كما سبق ذلك ولا عيب في ذلك كله عندهم وبعد ان تزوج المرأة تحرص على الوفاء لزوجها وتنف عن الزنا. وقد أبطل المهديون هذه العادة وأقاموا الحدود الشرعية على مرتكبيها فبطل التظاهر بها وان ارتكبت خفية

ودخل هاتان القبيلتان في دعوة المهدي وخلصتا طاعة الحكومة على يد رجل يدعي (المنه) كان يعلم الصبيان القرآن في احدى القرى وكان متظاهراً بالصالح على جهل كثير فكتب اليه المهدي يعده بالخلافة فاجتمع حوله من قبيلتي الجمع والجوامعة ما يربو على خمسين ألف مقاتل هجم بهم على مدينة الطيارة وكان بها نحو خمسمائة جندي تحت قيادة البيوزباشي محمد افندي شافعي ونحو عشرة آلاف من التجار فقتل المساكر كلهم ولم ينج من التجار الا نحو عشرين نسمة وقربطون نحو ألف امرأة حبلى وقتل الاطفال شرقتة حيث كانوا يقذفونهم في الجو ويتلقونهم بالرماح وأحرق بضائع التجار ولم يسلم محل تجاري في كل انحاء السودان من خسارة بالغة في واقعة الطيارة لانها المدينة الوحيدة التي يقصدها تجار الصنع من كل مكان للحصول عليه . وكان من الذين نجوا من هذا الخطب رجل من ( شنييط ) فسأله سائل عما شاهدته فقال جاء في الحديث الشريف ما اجتمع ثلاثة من أمتي الا وفي أحدهم الخير وقد رأيت عشرة آلاف من الجمع والجوامعة يجتمعون على قتل صبي وكلهم يحرص على قتله ولا يقولون الا شراً — كانهم ليس فيهم ثلاثة من أمة محمد — وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان سنة ١٢٩٩ وكانت المديرية ارسلت مائتي جندي من الباشبوزق وبلوكا من المشاة النظاميين ومعهم مدفع من الطراز الجبلي لتعزيز حامية الطيارة وبينما كانت هذه الحملة سائرة في طريقها

اذ وثب عليها رحمة بن نوفل شيخ قبيلة الجوامعة في الفين من قومه فثبت الجنود وانتشبت الحرب ثمان ساعات أسفرت عن هزيمة الجوامعة وانتصار المصريين وقد العدو عدداً كبيراً من جيشه وأرسل الشيخ رحمه يستصرخ قومه قتال منهم اكثر من خمسة آلاف وأحاطوا بموقع الحملة وفي الغد بدأوا بالهجوم عليها من الامام والخلف وساعدتهم وعورة المكان وكثرة الانخفاض والارتفاع في أرض تلك الجهة فاتقضوا على الجنود وذبحوهم عن بكرة أبيهم وغنموا كل ما معهم من الاسلحة والذخيرة وكانت هذه المذبحة بعد مذبحة الطيارة بليتين ولم تقف المديرية على شيء مما أصاب الطيارة الا بعد هلاك الحملة حيث اتصل بها الخبران معا



### ذكر زحف المهدي من جبل قدير الى الابيض

لما رسخت قدم المهدي في جبل قدير وتتاب على كل الدين ناهضوه اجتمع عليه خلق كثير من الاعراب سكان تلك الجبال وكان ما ذكرناه من أمر انتشار دعوته في اقليم كوردفان عدا الابيض عاصمة الاقليم وبعض المراكز التي تحتلها حاميات الحكومة وكان تجار كوردفان كلهم يكاتبونه ويستحثونه على القدوم اليهم وفي مقدمة أولئك التجار (الياس باشا أم برير) وكان شديد الكره للحكومة كثير الميل لجهة المهدي وقد ذكرنا انه اطلعه على خبر المكيدة التي دبرها عبد القادر حلمي باشا لاغتيال حياته

ولما ظفر المهدي بحملة يوسف باشا الشلالى جمع كل ما غنمه من الساعات والاشياء ذات القيمة وأرسلها الى الياس باشا فباعها وأرسلها ثمنها له . واني أرى اتعالم الفائدة اثبات ترجمة هذا الرجل فاقول . هو من قبيلة الجمليين

التي تسكن اقليم بربر من احدى اغاذه المدعو ( النقيب ) سافر الى كوردفان في العهد القريب من فتحها فآثري من التجارة وكان له تداخل مع الحكام وميل منهم له بما يقدمه لهم من الرشا فاطلقوا يده حتي انه كان يقتل وينهب أموال الناس وفي الايام الاخيرة بذل مالا طائلا لاحد الحكام فعينه مديراً على اقليم كوردفان فارخي العنان لنفسه وأصاب من الاموال وارتكب من المظالم ما أوجب عزله قبل مضي شهرين على ولايته وقد شق عليه العزل فسمى مجدداً ليعود الي المنصب فلم يفلح وفقد وراء هذا السعي جل ثروته ولما أدركه اليأس علل نفسه بمساعدة المهدي عساه أن ينال منه ما لم يناله من الحكومة تخاب ظنه وانتقم الله منه بعبد الله التعايشي حيث قتله صبراً ونفى أولاده وقتلهم مثله (ومن أعان ظالماً سلط عليه)

وكان بين الياس باشا وبين احمد بك دفع الله من تهمار كوردفان عداوة شديدة لانه يشاطره النفوذ وأحمد بك من قبيلة الجعليين أيضا وكان شديد الولاء للحكومة وسيأتي ذكر قتله مع مدير كوردفان وكان ذا شهامة وشجاعة رحمه الله يحض الحكومة النصيح ويحذرها من الياس باشا فكانت تقابل أقواله بعدم الاصغاء نظراً لما اشتهر بينهما من العداوة

ولما أحس عبد القادر باشا بنوايا المهدي عن كوردفان أخذ يطلب من الحكومة الامداد لحشد جيش جرار في كوردفان يستطيع مقاومة المهدي واتخاذ الثورة التي صمت البلاد وكانت الحكومة اذ ذاك واقعة في الفتنة المراهية ومن جهة أخرى في الازمة المالية المعروفة في ذلك العهد فلم تجبه ولكنه مع ذلك لم يترك حيلة بل جند كثيراً من الصناجق الباشبوزق وسيرهم الى كوردفان وبعث بطابور من الجنود النظامية سيأتي خبر القتلك به في الطريق

قبل بلوغه الابيض واجتمع تجار كردفان بايماز الياس ورفعوا عريضة الى  
عبد القادر باشا يسألونه عزل محمد سعيد باشا مدير كردفان وتولية الياس  
باشا بدله وكان قصدهم من ذلك أن يسلم المديرية الى المهدي بغير مقاومة متى صار  
الامر الناهي عليها فادرك عبد القادر باشا الحيلة واجاب طلبهم وعزل محمد  
سعيد باشا وولي بدله على بك شريف وكيل المديرية وبعد بضعة ايام اعاد محمد  
سعيد باشا لانه كان لايري في على بك شريف كفاءة عسكرية لمقاومة  
تيار المهدي

ولما وطن المهدي عزمه على الزحف ارسل دعاة كثيرين حوالى الخرطوم  
ليشغلوا عبد القادر باشا عن امداد كردفان وقد افلحت سياسته حيث  
اشتعلت نيران الحروب واضطر عبد القادر باشا الى العدول عن الاهتمام بامر  
كوردفان وانقطع ارسال المدد اليها ومات له الانتصار على أولئك الدعاة الا  
بعد أن تم للمهدي الاستيلاء على عاصمة كوردفان والقضاء الاخير على سلطة  
الحكومة فيها وسيأتي تفصيل ذلك على حدة

نمود الى المهدي فنقول انه ترك اقاله ونساءه في جيل قدير و وكل حراستهم  
الى عمه السيد محمود بن عبد القادر

على ان المهدي لم يكن واثقا بالغلبة على كوردفان لقربها من الخرطوم  
وكانت عزمته متجهة الى الزحف على دارفور واخضاعها حيث يتخطاها الى  
جهات السودان الغربي كمالك بورقو وبورنو وأبو ريشه وغيرها من تلك  
الجهات وبالفعل كانت دعوته قد بلغت ديار (فلاته) من نواحي (تمبكتو) ولكن  
الياس أم بربر كان يقلقه بكثرة الحاحه عليه بالقدوم الى كوردفان ويوقفه على  
مافيه الحكومة المصرية من الفوضى بسبب الفتنة العرابية فتقدم نحو كوردفان

وترك أثقاله بجبل قدير ليعود مخفياً إذا قدرت له الهزيمة والفشل

## ذكر وصول المهدي الي كابه

(كابه) منهل جنوب البحر الأبيض بمسافة عشرة أميال وماؤه من الأمطار  
تجتمع في مكان منخفض ويقصده الأعراب لسقي ماشيتهم وهو أقرب منهل  
إلى الأبيض في طريق المهدي وقد استقبله فيها خلق كثير من أهالي كوردقان  
ومعه من المقاتلة مائتا ألف أو يزيدون منهم نحو ثلاثين ألف فارس وما كاد يصل  
إلى كابه حتى بعث رسولين بكتاب إلى محمد سعيد باشا مدير كوردقان ومن معه  
من ضباط الحامية وجميع سكان الأبيض يدعوهم فيه إلى التسليم ويحذروهم من  
بطشه وفي ذلك الكتاب ما في غيره من الدعاوى التي يتحلقها لنفسه ككفر من لم  
يصدق بمهديته وغير ذلك مما تقدم لنا ذكره وكنقش اسمه على ورق الأشجار  
وبعض الدجاج فدخل الرسولان علي محمد سعيد باشا ودفعا له الكتاب وجلسا  
بجانبه بغير إذن وأخذوا يسبانه ويتوعدانه بكل مكروه حتى قالوا له إن خيل  
المهدي لا بد أن تطأ موضع قدميك وتروث على بساطك هذا. وما وقفت  
سفاهة ذينك الرسولين عند هذا الحد بل تناول شخص الجانب الحديوي  
فاستدعى المدير كل الضباط ووجوه السكان وقرأ عليهم كتاب المهدي  
فكان جواب الضباط أنا لانسلم لهذا الشقي وفيينا قطرة دم ووقف أحمد بك  
دفع الله التاجر الذي تقدم لنا ذكره وقال كما قال الضباط وزاد عليهم أنه أقسم  
بالوفاء. أما الياس باشا أم برير وسائر التجار فاتهم سكتوا ولم يفوهوا بكلمة  
والرسولان مسترسلان في ميدان السفاهة والشتائم مما هيج غضب الضباط  
الذين ألحوا على المدير بقتلها فأمر قومندان الجنود إسكندر بك محمد بقتلها

رمياً بالرصاص قتل وأخذ المدير في أتمام حفر الخندق واعداد ما يلزم من  
المعاقل والطوابي ومعدات الدفاع . ومكث المهدي أياماً ينتظر عودة رسوله  
ثم علم بقتلها فأرسل ألف فارس تفرقوا في أطراف المدينة يرفعون أصواتهم  
بدعوة الناس الى اللحاق بالمهدي في كابه فخرج اليهم محمد بن العريق من  
التجار وكان رئيس المجلس المحلي واشتغل المدير بأعمال الدفاع

### ذكر استحكام الايض

مدينة الايض كبيرة وسكانها يزيدون عن مائة ألف نسمة وكانت  
الحكومة خندقت عاها ولكن رأى محمد سعيد باشا ان هذا الخندق لا يقوم  
بحراسته أقل من ستين ألف جندي وبداخل هذا الخندق خندق آخر يحيط  
بالاماكن الاميرية ومنازل الضباط وأعيان المصريين وقد أعدت الحكومة  
منازل لالياس باشا وغيره من التجار داخل الخندق الصغير وشدت عليهم  
في نقل أمتعتهم الى المنازل التي أعدت لهم قهروا ولحقوا بالمهدي في كابه عدا  
أحمد بك دفع الله وأبراهيم بن عدلان وهما من أسياء أولئك التجار الذين كانوا  
سبباً في اغارة المهدي على كوردقان بل كانوا السبب في شقاء السودان كله  
وسفك دماء مئات الألوف من البشر لان المهدي كما قدمنا كان لا يبتغي غير  
طريق الى السودان الغربي وقد انتقم منهم كما انتقم من الياس باشا وسيأتي  
ذكر ذلك في مكانه وهم ( الياس باشا أم برير . محمد بن العريق . الحاج  
بان النقا ) ولحق بهم من مستخدمي الحكومة ( الريج حامد ) باشكاتب المجلس  
المحلي ومن قواد الباشبوزق ( طه بن الجملي ) و ( ابن ناي الله ) و ( ابن الحسين )

## ذكر هجوم المهدي علي الابيض

لما لحق الياس باشا ومن معه من التجار بالمهدي في كابه حرضوه على الهجوم على المدينة فامر اخاه محمد بن عبد الله قائد جيشه ان يزحف بالجيش بعد منتصف ليلة الجمعة لست ليال بقين من شهر شوال عام ١٢٩٩ هجريه وأن يتدنى بالمهجوم في الفلج وخطب المهدي على الناس وحشهم على الجهاد وقال لهم ان نيران البنادق لا تصيكم وانها تحول ماء كما تحولت نار الخليل برداً وسلاماً فزحفوا واستاقوا غزلان القلعة وغيرها من الحيوانات امامهم وفي الفلج بدأ هجومهم فوقف لهم الجند وقفة الاسود وأصلوهم نيراناً حامية حتى انتصف النهار وتكاثف الدراويش على الخندق مما يلى الجبه خانات فوجدوا وقهقر الجنود بانتظام وحالوا بينهم وبينها ثم هادوا الى مواقعهم الاولى من الخندق بعد ان قتل كل الذين ولجوا الخندق وفي منتصف النهار تمت الهزيمة على المدعو وخسر اثني عشر ألف قتيل عدا المجرولين حيث كانوا يبلغون ثلاثة أضعاف هذا العدد وسقط محمد بن عبد الله شقيق المهدي وقائد جيشه قتيلاً وقتل يوسف شقيق عبد الله التعايشي وقتل قاضي المهدي أحمد بن جباره وقتل الشيخ الامين أحمد مؤسس دعوة المهدي وانقض الاعراب من حول المهدي وارتابوا في صدقه بعد اخباره لهم ان نيران البنادق تحول ماءاً ولحقوا بديارهم ولم يعودوا الى معسكر المهدي بكابه . وقد وقعت هذه الهزيمة اسوأ موقع عنده ولم يبق حوله غير نفر قليل من ذوي قرابته والذين لحقوا به من مدينة الابيض فصمم علي العودة الي جبل قدیر أو الاعتصام بجبال دارفور وأوديتها السحيقة فأشار عليه الياس باشا بالدنو من الابيض ومحاصرتها

لأنها في حاجة عظيمة الى القوات وأوعز اليه بان يكتب منشوراً الى جميع القارين يخبرهم بان الذين ماتوا احياء في الجنة وسيلقام أهلوم فيها وان النبي صلى الله عليه وسلم وعده ان لا يقع لانصاره مكروه حتى يفتح الله عليهم المدينة وانه قد اباح لهم الغنيمة يأخذونها دون بيت المال فتراجع كثير من المنهزمين فزحف في اليوم الثالث وعسكر في جهة (عد المود) التي تبعد عن حصون المدينة بنحو خمسة آلاف متر وأقام المتاريس حول المدينة وضيق عليها الحصار وسنمود الى تمة ذلك

### حملة علي بك لطفي

في شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٩ اتفد عبد القادر باشا حلي طابوراً من الجنود النظامية تحت قيادة القائمقام علي بك لطفي لتعزيز حامية كوردقانات حيث انتهت اليه أنباء تقدم المهدي نحوها وكان مع الطابور نحو الثمين من الجنود الباشبوزق تحت قيادة افراد من عمد القرى المجاورة للمدينة وقصد عبد القادر باشا من تجنيد الباشبوزق ان يكونوا على الدوام في طليعة الجنود يستكشفون العدو وينبهون الحملة على كل كمين في طريقها ولولا ذلك لم تكن فائدة لاؤلك الجنود الذين يجهلون المنظمات العسكرية وفي كثير من الوقائع كانوا السبب الاعظم في فشل الجنود بما ياتونه من الحركات التي لا تنطبق على القنون العسكرية وما كادت الحملة تبلغ حدود كردقانات حتى تألب لهاوائها قبائل الجمع والجوامع فاضطرت الى تشكيل قلعة تدافع بها المهاجمين وهي سائرة في الطريق التي يكثر فيه الماء وهو منحرف لجهة الشمال وينتهي سيره عند نقطة (باره) وبعد بضعة أيام وصلت الحملة الى مكان يقرب من باره يدعي (كوا)

والجنود على آخر رمق فقد واصل الصبر لانهم لم يذوقوا النوم والراحة منذ وصلوا  
حدود كوردقان وهجمات العدو متوالية عليهم ليل نهار وكان العدو قد تجمع منه  
زهاء ثلاثين الف مقاتل ووثبوا على الحملة وبالرغم مما أبدته الجنود من الصبر تمكن  
العدو من الولوج في المربع وقتل القائد والجنود كلهم الا كوكبة تزيد على المائة  
قادها اليوزباشي السيد أفندي الفوال وتمكن بها من الوصول الى بابه وكان لعبد  
القادر باشا عيون يسرون خلف الحملة وهم الذين أبلغوه خبر القضاء عليها حيث  
أذاع عكسه تسكيناً للخواطر وتطمينا لسكان الخرطوم

### سقوط بارة

باره مدينة كبيرة في الشمال الشرقي من الأبيض تبعد عنها بمسيرة  
أربع مراحل وفيها بساتين كثيرة بسبب وفرة مياهها وقربها اذ البئر لا يتجاوز  
عمقها مترين وأكثر سكانها من المصريين والأتراك ويوجد بها من  
الدنقلين عدد كبير

ولما قامت ثورة المهديين حصتها الحكومة ووضعت فيها حامية فاغار  
العدو عليها عدة غارات ورجع متهوراً منها ولما ثبتت قدم المهدي في محاصرة  
الأبيض سقطت بارة في قبضته على شرط ان لا يمس الاهلين بسوء في أموالهم  
وذرائعهم ولم يوف لهم بل تناول امراؤه الاموال ومدوا أيديهم الى النساء  
فذهبوا اليه وهو يومئذ محاصر للأبيض متظلمين فاحال ظلامتهم على عبد  
الله التعايشي فجمعهم وقال لهم ان الحضر عليه السلام قال له لا ترد اليهم ما أخذ  
منهم لانهم يخسرون الآخرة ويمودون الى ما كانوا فيه من شرب الخمر وأغلظ  
عليهم القول وتوعدهم ان عادوا الى التظلم. وكان المهدي أصدر منشوراً ضمنه

الثناء على عبادة التعايشي وقال فيه انه أوتي الحكمة وفصل الخطاب وان  
الحضر عليه السلام رفيقه ووزيره ومن رأى في حكمه اعوجاجا ظاهرا ففي  
باطنه من الحكمة كالتى فى قصة موسى عليه السلام مع الحضر وكان الذى  
أشار على المهدي بكتابة هذا المنشور أحمد بن سليمان أمين بيت المال تميدا  
لحكمه على أهالى بابه والمنشور فيه اختلاف بين نسخته والنسخة التى بيد أمين  
بيت المال تخالف التى بيد التعايشي وهى التى طبعت فى مجلد المنشورات  
ويقول أمين بيت المال ان عبادة الله التعايشي هو الذى أوعز الى كاتب سره  
فوزى بن محمود باريه باحداث الزيادة وسيأتي ذكر قتل فوزى وأمين بيت  
المال وانهما اقرا بالحقيقة عند القتل اهـ

### ذكر كنيسة جبل الدلن

كان جماعة من القسوس الكاثوليك شخصوا الى كوردفان وشادوا بها  
كنائس وتوغلوا فى بلاد المتوحشين وجياهم يدعون القبائل الى النصرانية  
وبنوا كنيسة فى جبل الدلن من أعمال كوردفان وكان بهذا الجبل حامية  
وضعتها الحكومة للمحافظة على أولئك الدعاة ولمنع الاتجار بالارقاء تحت  
قيادة رجل من الاوربيين وكان كاتبه مصريا اسمه خليل حسنين وكان ميالا  
الى المهدي ففى ذات يوم أصبح يقص على الجنود رؤيا منامية فخواها انه رأى  
المهدي وأنه بشره وسائر الذين فى الجبل بانهم من خيرة انصاره وصفوة محبيه  
وكساحم حلا سندسية ووضع على رؤسهم تيجانا زمردية فوقت هذه الرؤيا  
موقع القبول عند الجنود ومالت قلوبهم نحو المهدي وبعث خليل حسنين  
بكتاب الى المهدي يقص عليه الرؤيا ويعرض به دخولهم فى طاعته فارسل

لهم مائة فارس من الاعراب ومعهم كتاب يقول فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بصدق رؤيا خليل حسنين وانه يبذل الامان لكل الذين في الجبل حتى القسوس الذين تمهد لهم بالحرية الدينية ودعاهم للقدوم اليه فلبوا جميعاً ولما مثلوا بين يديه قابلهم بالبشاشة وطيب خواطرهم أما خليل حسنين فكوفئ بادخاله ضمن عمال بيت المال وبقي القسوس حتى سقوط الابيض ثم صودرت أموالهم واجبروا على اعتناق الاسلام بعد تمذيب شديد اهـ

### ذكر واقعتي شات والمرابيع

( شات ) قرية تبعد عن النيل الابيض بنحو عشرة أميال وهي أول منزل ينزله المسافرون من الدويم الى كودفان وبها تجار لا يتباع الصنع ويسكنها مصريون من أهالي مديرية أسوان وكان بها حامية من الجنود خندقوا على القرية فرّ بهم أحمد المكاشفي قادما من قبل المهدي بالولاية على سنار وقد عززه بأمرأه كثيرين من أهالي البحر الابيض أشهرهم ابن كريف عهد اليه المهدي بجمع قبائل البحر الابيض ونشر دعوته بينهم ونصرة أحمد ابن المكاشفي الذي تقدم لنا ذكر أخيه عامر بن المكاشفي وما أتاه في سنار ولما وصل أولئك الأمراء الى شات التف حولهم الوف من رجال ابن كريف فهجموا على شات وذبحوا من فيها من الحامية وقتلوا النساء والأطفال وأتوا من المنكرات ما لم يسمع بمثله انسان حيث كانوا يسوقون الاسرى من النسوة عراة كيوم ولا دهن ويتركن عرضة للحر والبرد حتي يموتن من الجوع والظما مقرنات في الاغلال يضربهن كل من ضربهن ثم اجتازوا النهر الابيض الى الجزيرة وكانت بها حامية من الجنود في مكان يدعي المرابيع قفتموها

وانشرت دعوة المهدي في الجزيرة وعلى الخصوص في البلاد المتوسطة بين  
النيلين الازرق والابيض مثل متوق وعبود

### ذكر واقعة عبود

عبود قرية تبعد عن النيل الازرق بمسيرة خمس مراحل وكان فيها  
نقطة عسكرية فهب الاهلون وحاصروا من فيها من الجنود فأرسل عبد  
القادر باشا الى طاوور من المصريين كان معسكراً في مدينة المسلمية يأمره  
بالتقدم لانتقاذ (عبود) فتمرد الجند لوشاية وصلت اليهم وقالوا لا نتقدم  
وحسبوا ان المسألة حيلة يقصد بها هلاكهم في وسط الصحراء لانهم من  
المساكر المرابين الذين بعثتهم الحكومة بمدخاد نار الثورة فتدارك عبدالقادر  
باشا الامر وشخص بنفسه الى المسلمية فاستقبله الجنود وقصوا عليه ما بلغهم  
فطيب خواطرهم وقال لهم اني سائر معكم بنفسى فتأبوا الى الطاعة وزحف  
معه الى عبود ومعه من الجنود الباشبوزق عثمان بك الدالى فلما اقتربوا من  
عبود فر العدو من حولها وانقذت حاميتها وما كادت تمضي عليه بضع ساعات  
حتى وافاه نواباً بأن الدامية ابن كريف جمع نحو ثلاثين ألف مقاتل في متوق  
التي تبعد عنه بمسيرة نحو يومين ووجهة سيره مجهولة ويخشى أن يقصد بهم  
الخرطوم ووافاه نواباً آخر بتضييق احمد بن المكاشنى الحصار على سنار وجاءه  
ثالث بظهور عصائب حول الخرطوم يقودها الشيخ مضوي عبد الرحمن  
الحسى الذي ذكرنا نواباً شخوصه الى المهدي في جبل قدير ثم جاءه تلغراف من  
المعية السنية مضمونه ان الحكومة قد عينت الجنرال هيكس باشا رئيساً لاركان  
حرب الجيوش السودانية فيجب ايقاف جميع الحركات العسكرية الى حين

وصوله وانه سيفادر القاهرة بعد بضعة أيام هذا ما كتبتة الممية في حين أن  
ايقاف الحركات العسكرية بضع ساعات أقل نتائجه وقوع الخرطوم وسنار في  
خطر ربما كان اتقاذهما من غلبه عسيراً

### ذكر واقعة معتوق

لم تقف على شيء مما أقنع به عبد القادر باشا الممية بضرورة متابعة  
الحركات الحربية فقد زحف بجنوده في اليوم التالي والتقى بابن كريف في غابة  
معتوق واصلاه ناراً حامية قمر منهزماً تاركاً نحو ألفي قتيل في ساحة الحرب  
وتأثره حتى تفرق أنصاره وبلغ عبد القادر باشا ( السكوه ) على شاطئ النيل  
الابيض ومن هناك قصد الخرطوم على إحدى البواخر وطارد المصائب التي  
ظهرت حوالي الخرطوم وقبض على جماعة من زعمائها وأودعهم السجون  
وأخذ في الإهبة للحملة على أحمد بن المكاشني واتخاذ سنار

### ذكر واقعة الداعي

زحف عبد القادر باشا من الخرطوم في ثلاثة آلاف من الجنود  
المصريين النظاميين لاتخاذ سنار وكان أحمد بن المكاشني محاصراً لها منذ  
شهر تقريباً ومعه نحو ثمانين ألف مقاتل التفوا حوله من قبائل ( جهينة  
والسكواهلة ) وغيرهم ولما وصلت الحملة الى مدينة ولد مدني لحق بها الشيخ  
عوض الكريم بن أبي سن زعيم قبيلة الشكرية التي تقدم لنا تعريفها ومعه  
عدد كبير من فرسان قومه كانوا يسرون في طليعة الحملة يستكشفون المواقع  
والمكامن وبعد اقامة بعض أيام في ولد مدني رتب عبد القادر باشا هيئة  
الزحف وجعل صفوف القتال أربعة واعتني بأمر الجناحين اللذين يدافعان

عن القلب وكان العدو في حماس شديد يقتحم النيران بخيله وبصبر تحت  
تطير المقذوفات ويلتحم بالجنود فدبر عبد القادر باشا حيلة قاومت اقتحام  
فرسانه حيث صنع آلة صغيرة من الحديد عليها ثلاثة مسامير فاذا ألقيت على  
الارض وقف أحدها وبهذه الحيلة خفت اضرار فرسان العدو حيث يضع  
الجنود بينهم وبينه هاته الآلة وزحف عبد القادة باشا من ولد مدني في أواخر  
ربيع الآخرة سنة ١٣٠٠ هجرية فالتقي باحمد بن المكاشني في مشرع الداعي  
ومعه ثمانون ألف مقاتل فانتشب القتال بينهما بضع ساعات أصيب في  
خلالها عبد القادر باشا برصاصة خرقت ثيابه ودخلت في جوف ساعته ولم  
تصبه بأذى وانهزم ابن المكاشني وتكبده خسارة تزيد على عشرة آلاف قتيل  
وتابع عبد القادر باشا سيره نحو سنار ورفع عنها الحصار ولحق ابن المكاشني  
بجبل (سقدى مويه) الذي يبعد عن سنار بمسيرة ست مراحل وأقام عبد  
القادر بسنار يرتب معدات الدفاع ويلقى على الحكام الاوامر

### ذكر واقعة سقدى مويه

وبعد أيام انفذ عبد القادر باشا حملة من الجنود الباشبوزق تحت قيادة  
صالح اغا الملك ومعه صنجقان عثمان بك الدالي والملك الحسين الى (سقدى  
مويه) فذهبت الحملة والتقت بابن المكاشني هناك وثبت القواد وأصلوا العدو  
ناراً حامية وفر ابن المكاشني في عدد قليل من أنصاره وغنموا كل ما في معسكره  
من الذخيرة والرايات والعلبول التي يدقونها وقت الحروب وعادت الحملة الى  
سنار وأقيم لها احتفال باهر وزينت المدينة وبينما كان الناس يتبادلون عبارات  
التهنئة والسرورو يقدمونها الى عبد القادر باشا اذ ورد عليه نبأ برقي من الخرطوم

بان الجواسيس اخبروا بسقوط مدينة الابيض عاصمة كوردفان في قبضة المهدي  
فاستاء لهذه الفاجعة ولكنه تجدد ولم يوقف من كانوا حوله على شيء من هذه  
المصيبة التي نقصت سروره

## ذكر رأي عبد القادر باشا في انقاذ الابيض

ذكرنا ما كان من أمر المهدي وانه لما وطن عزمه على الزحف الى  
كوردفان ارسل دعائه ليهبوا بالثورة والمصيان حوالى الخرطوم كي يشغلوا  
عبد القادر باشا عن الاهتمام بأمر كوردفان وتعزيز حاميتها وقد قرنت سياسته  
هذه بالنجاح حيث لم يستطع عبد القادر باشا الغلبة على أولئك الدعاة الا بعد  
أن تم للمهدي الاستيلاء على عاصمة كوردفان والقضاء الاخير على نفوذ  
الحكومة في ذلك الاقليم

على انه بعد أن نال عبد القادر باشا الظفر في واقعة (سقدي مويه) لم تزل  
امامه عقبة أخرى وهى وجود داعية يدعى ابن عبد التفار جمع حوله جيشا جرارا  
في جهة (كر كوج) جنوب سنار يخشى من تقدمه نحوها وقد لحق ابن المكاشفي  
بعد هزيمته من سقدي مويه بجهة النيل الابيض ولكن معاودته الكرة على سنار  
كانت متوقعة وقد اطمأن في هذا الوقت عبد القادر باشا على مدينة الخرطوم حيث  
وصل اليها عدة الوية من الجنود المصرية التى يقودها الخبيرال هيكس باشا  
وزحفت فرقة منها لمطاردة ابن المكاشفي في جهات النيل الابيض كللت  
حركاتها بالنجاح

كان رأي عبد القادر باشا ان تمسكه الحكومة بالمال والرجال  
فيترك حامية تقاوم دعاة المهدي في الجزيرة وحول الخرطوم ويتقدم هو نحو

كردفان في الطريق الشمالية التي يكثر فيها الماء بعكس الطريق الجنوبية  
 التي سارت فيها حملة الجنرال هيكس بحيث تكون جنوده كافية لحفظ خط  
 الرصعة وتأليف قوة تكون هاجمة ولا ريب ان هذا التدبير كان كافلا لتقاذ  
 كردفان وارجاع المهدي بصفقة الحاسر المنبون لو مدت الحكومة له يد المساعدة  
 ولكن من أين لها ذلك وهي واقعة وقتئذ تحت برائن الثورة المرامية  
 ومخالب الازمة المالية وقد كانت الجنود التي ناهض بها عبد القادر باشا  
 العدو في حروبه كلها في حالة يرثي لها من شظف العيش وقلة الملابس فقد  
 كانوا يلبسون الجلود ويقتاتون بلحوم الماشية التي يقتنونها من العدو ويلبسون  
 في أرجلهم أحذية من جلدها مع كثرة الحشرات والشوك في تلك البلاد التي  
 يجتازونها ومع هذا كله كانوا على جانب عظيم من الصبر والسكينة لا يتذمرون  
 ولا يتضجرون وقد مضى عليهم بضعة شهور لم يقبضوا مرتباتهم في خلالها  
 وقد بلغت ان عبد القادر باشا بمث يسترحم الحكومة في ارسال ثلاثين  
 الف جنيه لصرف تلك المرتبات وقال انه لا يليق بنا ان نسوق الجند وضباطهم  
 الى مواطن الموت وأولادهم ونساءهم يتضورون جوعاً فلم يلتفت الي قوله  
 حتي انه كان يسأل الحكومة المكافآت بالرتب والنياشين لكثير من الضباط  
 فتقابل مطالبه بالرفض والاباء . ويقولون ان سبب ذلك كله هو اسماعيل  
 أيوب باشا الذي كان وقتئذ أحد الوزراء فقد أوقف نفسه لما كسبه عبد  
 القادر باشا وحمل الحكومة على عدم الاصفاء لا قواله وهو أمر في غاية الغرابة  
 يبعد على الانسان تصديقه وقبوله لولا تواتر روايته وتصحيحها عند الكل .  
 وقد وقف القلم خجلا عند هذه المسألة ولولا أن تقرير حقيقة تاريخية ساقه  
 لما طأوعني في هذا المجال اذ يبعد كل البعد أن يكون وزير من وزراءنا يقف

نفسه لا خفاق مساعي آخر في مسائل عمومية قد لا يلحقه منها ضرر بل أضرارها  
لاحقة بالحكومة ومادعاه الى هذا كله غير انه يكره لبغيضه احراز الفخار  
ونيل شرف الانتصار فان الله وانا اليه لراجعون  
وقد كان في امكان عبد القادر باشا لو اجابت الحكومة مطالبه أن يحول  
بين المهدي وبين كوردقان بوضع الحاميات في جميع المناهل التي على طريقه  
وقصارى القول أن عبد القادر باشا كان ذاتد بيرات جليلة يستحيل معها على  
المهدي أن يبلغ أربه من كوردقان ولو اتبعت الحكومة آراءه في المدول عن  
ارسال حملة الجنرال هيكس الى كوردقان لاستطاعت القضاء على المهديوية  
في ذلك الاقليم وسنين ذلك كله فيما يأتي

### ذكر واقعة ابن عبد الغفار

وبعد واقعة سقدي مويه زحف عبد القادر باشا بجيش جرار الى جهة  
سنار للقاء الداعية ابن عبد الغفار الذي جمع حوله ثمانين الف مقاتل من قبائل  
جهينة والكواهلة وغيرهم وأغار بهم على مدينة (كر كوج) وقتل خلقاً كثيرين من  
التجار وأحرق شيئاً كثيراً من بضاعتهم. (وكر كوج) هذه مدينة كبيرة على ضفة  
النيل الازرق يقصدها التجار من كل انحاء السودان للحصول على الصمغ  
الذي هو من اكثر حاصلاتها ولكن ثمنه ينقص نحو الثلث عن ثمن صمغ كردقان  
لجودة هذا ورداءة ذاك والصمغ في كردقان صنف واحد وهو المعروف  
باسم (المشاب) بعكس صمغ كر كوج فان أنواعه كثيرة يتفاضل بعضها عن  
بعض وأما السمس فانه من اكثر حاصلات تلك البلاد وثمنه لا يتجاوز  
أربعين قرشاً لكل أردب ويجلب هذا الصنف لحاجة جميع الاقاليم الشمالية

السودانية لانه لا يثبت بارضها  
 نعود الى ذكر الحملة فنقول إن العدو ناوشها عدة مرات مناوشات صغيرة  
 كان يقصد بها أن يغرر بها حتى يبلغ الا ما كن الوعرة كثيرة الغابات فادرك  
 عبد القادر باشا هذه الحيلة وأرسل جواسيسه الي معسكر العدو وحيث تمكنوا من  
 الوشاية بين القائد وأنصاره حتى الحوا عليه بوجوب الهجوم على الحملة فهاجها  
 في الفلج وقيل منتصف النهار تمت الهزيمة عليهم وتركوا في ساحة القتال  
 أكثر من عشرة آلاف قتيل عدا المجرولين وتابعت الحملة السير جنوبا حتي  
 تمكنت من تفريق العدو والقضاء عليه وقفلت راجعة الى سنار وجرح  
 أربعة من أكابر قواد العدو جروحا بالغة واتم عبد القادر باشا تحصين سنار  
 وانقطعت أسباب القلاقل من الجزيرة وانحصرت المهدوية في اقليم كوردفان  
 وانقشع كل خطر عن الخرطوم التي احتشدت فيها جنود حملة الجنرال هيكنس

### مأمورية الكولونيل ستيوارت

كانت الحكومة انتدبت الكولونيل ستيوارت بمأمورية الى السودان  
 وكانت سرية فلما وصل الى بربر عرض كتابا على مديرها من المعية السنية  
 وطلب التصريح له باجراء تفتيش عام على كل دفاتر الحكومة ومصالحها فارسل  
 المدير على جناح البرق يعلم عبد القادر باشا الذي أمره بالانقياد لكل ما يأمره  
 به الكولونيل ثم قصد الخرطوم وكان معه ايطالي اسمه موسيو داليه سبق  
 له التوظيف في حكومة السودان وكان ذا بنفوذ لجبلر باشا الالماني وكيل  
 الحكمدارية فأخذ يسعي مجد في الايقاع به عند الكولونيل ستيوارت الذي  
 كان يمدد بتبوء منصب وكالة الحكمدارية بعد فصل وكيلها جبلر باشا الالماني

وفي ذات يوم زار الكولونيل ستيفورات عبد القادر باشا في سراي الحكمه دارية  
 فجلس معه وابتدر ججلر باشا بكلام أغضبه وتبادلا عبارات الشتم وتطاولا على  
 بعضهما بالمضاربة بالكراسي فوقف بينهما عبد القادر باشا ومنعهما من المضاربة  
 وقصد محادثتها وبعد أيام ترجيا العذر عن معاقبتها حيث اصطالحا واعتذر كل  
 منهما لصاحبه. ثم غادر الكولونيل ستيفورات الخرطوم قاصدا سنار والقضا رف  
 فكسلا فمضوع فمضرواثنى على عبد القادر باشا واستحسن ادارته وأعماله العسكرية  
 ويقول البعض ان مأمورية الكولونيل المذكور كانت الوقوف على  
 حقيقة ما ذاعه ذوو المقاصد السيئة عن عبد القادر باشا حيث قالوا انه طامع  
 للاستقلال بالسودان وقد فند الكولونيل هذه الاشاعة وأظهر سوء قصد  
 الذين اذاعوها وروي بعضهم أن ساكن الجنان الحديو توفيق باشا كان يوالي الاسئلة  
 عن أعمال الكولونيل مما يدل على أن مأموريته كانت ذات اهمية عظيمة

### ذكر حصار الايضا

تركنا الكلام على المهدي وقد زحف بخيله ورجله وعسكر في (عد العشر) وتراجع  
 اليه المهزمون ورتب مقاتلته حول المدينة وأعد المتاريس والطوابي ومنع  
 دخول الاقوات

أما الجنود فكانوا يخرجون الى منازل الاهالي وياخذون مافيها من  
 الغلال والاقوات اذ لا ميرة في مخازن الحكومة ودام الحال علي ذلك حتي غاية  
 شهر ذي الحجة سنة ١٢٩٩ هجرية فنفتت الاقوات

وفي مستهل محرم سنة ١٣٠٠ ابتدؤا يذبحون الماشية والجماعة آخذة في  
 التفشى وذبحوا الحمر الاهلية وبلغ ثمن الالة من لحمها مائتين وخمسين ريالاً

وكذلك ثمن الاقة من لحوم الكلاب وبلغ ثمن الكيلة من الفلة سبعمائة ريال  
وأخيراً عدم كل شيء من ذلك وحكى لنا واحد من المحصورين أن خادم أحمد  
بك دفع الله كان يوماً حاملاً مائة ريال يطلب بها شراء دجاجة لمولاه فلم  
يجدها مع أن ثمن الدجاجة في الابيض كان لا يتجاوز نصف قرش مصري وثمان  
أردب الفلة لا يبلغ الريال وحكى لنا ضابط من المحصورين أن أربعة ضباط اشتروا  
دجاجة ضئيلة بمائة وخمسين ريالاً واقتسموها بينهم

وكان الجنود يخرجون على شكل مربع في كل فداة الى حوالي المدينة  
ليأخذوا حشيشاً اسمه ( الحسكيت ) وهو كالخسك وفي جوفه حبوب تشبه  
الفلة يقتاتون بها ثم نفذ هذا الحشيش واشتدت المجاعة على الجنود الذين  
أكثروا من أكل الصنع وتفتت امراض الاسهال والدوسنتاريا بينهم وازداد  
عدد الوفيات

ولما وصلت الحالة الى ما تقدم جمع المدير الضباط والموظفين والوجهاء  
وشاورهم في الامر فقرروا جميعاً أن يشاطروا الحكومة ما دخروا لقوتهم  
وأن يحسب لهم ثمن الارdeb بمائة وستة وتسعين ريالاً فتحصلت الحكومة  
على ثلاثمائة أردب وزعتها على الجنود فأصاب كل واحد أقل من كيلة كانوا  
يخلطونها مع الصنع ويقتاتون بها ثم فرغت هذه الاقوات وعاد المدير  
مفاوضة أولئك الناس فتحصل على كمية يسيرة من الفلة أصاب كل واحد من  
الجنود نحو رطلين منها ثم فقد الكل الاقوات وفر كثير من الجنود وأسلموا  
نفوسهم للمهدى واختل النظام وتمرد العساكر على ضباطهم حتي أنهم كانوا  
يضربونهم ويهينونهم وتألفت عصابات من الجنود يوالون الهجوم على المنازل  
في المدينة ليسلبوا ما يجدونه من الطعام وصار الخندق خالياً من المدافعين

ولولا ما وقع في قلب العدو من الفزع والخوف بعد هزيمته الأولى لاستطاع  
الاستيلاء على المدينة بلا عناء

على أن الجند كان ينتظر رفع الحصار بواسطة نجدة تقدم عليه من الحرطوم  
وقد كان ذلك متوقفا من عبد القادر باشا الذي تقدم لنا أن الحكومة لومدة  
بالمال والجنود لكان في استطاعته انقاذ الايض واستئصال الثورة من اقليمها  
كله وقد كان المهدي في غضون حصاره الايض يروعه كل يوم ما يرفعه  
اليه دعائه من توالى هزيمتهم امام عبد القادر باشا لكنه كان يتعزى برسوخ  
قدمه في كوردفان عموما والايض خصوصا



### ذكر سقوط الايض

وفي أواخر شهر ربيع الآخرة سنة ١٣٠٠ هجرية عقد الضباط ومحمد  
سعيد باشا مدير كوردفان مجلسا للمداولة فقر رأى الكل على طلب الامان  
من المهدي بعد أن ايقنوا أنهم غير قادرين على البقاء على هذه الحالة فكتبوا  
كتابا يسألونه أن يؤمنهم على ما يملكونه وأن لا يمد يده لغير الاموال الاميرية  
فكتب لهم بذلك وزاد أن حلف على المصحف الشريف أمام الملائم بالمحافظة  
على هذه الشروط . وفي اليوم التالي خرج محمد سعيد باشا ومن معه من الضباط  
ومن بقي من الجنود وقابلوا المهدي فامرهم باكواخ انزلوا فيها وأمر بمصادرة  
أموالهم وأموال كل الذين في المدينة فشرع عمال بيت المال في التنفيذ وأخرج الناس  
من منازلهم وأوقف الحاج خالد العمرابي بقبيلته على الابواب يفتشون كل  
خارج وينزعون ملابسهم ووضعوا نسوة تفتش النساء فكن يجردن نساء  
المصريين من ملابسهن ويفتشن عوراتهن ويقبضن على كل حسناء منهن

وأخرج كل سكان المدينة وأقيم عليهم الحراس في صعيد واحد حيث يأخذهم عمال بيت المال إلى منازلهم ويضربونهم ويمدبونهم ليدلوا على أموالهم المخبوءة ودفاتنهم المستورة وكثير منهم مات من شدة التذيب وقيد المدير محمد سعيد باشا ليدل على ما خبأه من ماله

### ذكر مقابلة المهدي حامية الأبيض

وفي صبيحة اليوم الذي ضرب أجلا للتسليم خرجت الحامية من المدينة على هيئة طابور والموسيقى تصدح أمامها فقابلها المهدي راكبا ولما دنت منه وقفت وترجل هو ومن حصانه وجلس على فروة وأذن لمحمد سعيد باشا وضباطه في الجلوس فجلسوا بين يديه وقبلوا يده ثم سأل واحدا من الضباط اسمه يوسف شعله عن اسمه فأجابه وكان يوسف شعله مأمورا بضواحي المدينة وكان مشهورا بالشدة فاجتمع تجار الأبيض ساعتئذ حول المهدي وأشاروا عليه بقتل يوسف شعله الذي خاطب المهدي وقال له أنت خليفة الرسول والنفوس منك مأمول فعني عنه ونزع جيته والبسه إياها ثم التفت إلى محمد سعيد باشا وقال له أنت قتلت رسولي فأجابه القائمقام إسكندر بك أنا الذي قتلتهما فقال إنهما كانا يرغبان في الشهادة وقد من الله عليهما بها ثم التفت إلى أحمد بك دفع الله وقال له إن أخاك عبد الله مات كافرا مع يوسف باشا الشلالى وقد نصحته بالتسليم لي فلم يفعل وأخشى عليك أن تموت كافرا مثله وتحرم من دخول الجنة فقال له لا أحب دخول جنة لم يدخلها أخى عبد الله ثم انصرف عنهم ودعاهم إلى طعام فأكلوا وحلقهم على المصحف أن لا يخبأوا أموالهم لأنها صارت غنيمة له فحلقوا ودخل المهدي المدينة وأقام بسرأي المدير

## ذكر احصاء ما غنمه المهدي من الايضا

أحصي ما اجتمع في بيت المال فبلغ ثلاثة ملايين ونصفاً من  
الريالات ومائتين وخمسين ألفاً من الجنيهاً وأربعة آلاف أوقية من الذهب  
قيمتها ستة عشر ألف جنيه ومن أصناف البندق والحجر والخيري ما يقدر  
بخمسة قناطير وأربعة آلاف أوقية من الذهب المصنوع حلياً وأكثر من  
أربعين قنطاراً من الفضة

وكان محمد سعيد باشا قد خبأ ماله الذي يبلغ نحو عشرة آلاف جنيه  
وأبي أن يظهره للمهدي وكان أمين بيت المال استدلى على مكانه من احدي  
جوارى الباشا فأسر هذا الخبر للمهدي فكتبه وجلس في محرابه ودعا محمد  
سعيد باشا وأخذ يذكره بنعيم الجنة وخسة الدنيا ويقول له أظهر مالك فيقول  
له ليس عندي مال وأخيراً دعا أمين بيت المال وقال له على رؤس الاشهاد  
ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بالمكان المخبوء فيه مال محمد سعيد باشا  
فأذهب الى مكان كذا من الدار وانبشه تجده فيه فذهب ومعه خلق كثير  
فأخرج المال وأذيعت الاخبار بهذه الكرامة وعدّها كثير من الناس من  
أكبر كرامات المهدي

وبلغ عدد الأوراق الذين ضمنهم الثمن وجمع من الملابس والقروشات  
وأثاث المنازل شيئاً لا يدخل تحت حصر وانتدب أمين بيت المال  
ابراهيم رمضان من أهالي أصوان لبيع القروشات وانتدب ابراهيم بن  
عدلان لبيع الأوراق والماشية وعين كثيراً من كتبة الحكومة كتبة في بيت  
المال وجلهم من الاقباط

## ذكر القبض على محمد سعيد باشا والضباط وقتلهم

لم يمض أسبوعان على سقوط الأبيض حتى قبض على محمد سعيد باشا وعلى بك شريف وجميع الضباط عدا القائمقام اسكندر بك والملازم الثاني يوسف منصور ودفع كل واحد منهم إلى أحد المشايخ وجمع التماشي الضباط وقال لهم ليذهب كل واحد منكم مع أحد المشايخ ليقوم بحاجاته وأوهن إلى أولئك المشايخ أن يشددوا المراقبة عليهم ويبقوهم كأرقاء عندهم وبعد أيام أصدر أمراً بقتل محمد سعيد باشا وعلى بك شريف ومحمود افندي حسن قتل كل واحد منهم بالضرب بالعصى العظيمة على رأسه وبقي صغار الضباط في الأسر إلى ما بعد هلاك الجنرال هيكس وزحف المهدي على الخرطوم وقد تضاربت الروايات عن الأسباب التي حملت المهدي على الإيقاع بهؤلاء الضباط ونحن نورد هنا ما قالوه بإيجاز فنقول

روي سلاطين باشا أن محمد سعيد باشا وجميع الضباط كتبوا كتاباً بعد سقوط المدينة إلى عبد القادر باشا يخبرونه بما حل بهم وشرحوا له الأسباب التي أدت إلى هذا السقوط وكان من الذين وقعوا على هذا الكتاب الضابط يوسف منصور الذي ألح على اسكندر بك وأقنعه بالذهاب معه إلى المهدي وتقديم أعذارها مما فرط منهما فأطاعه اسكندر بك لأنه أيقن بأن المهدي ينتقم منه مع الباقين ما دام يوسف منصور مصراً على إخباره وعند وصولهما أكتب يوسف منصور على أقدام المهدي يقبلها واعتذر فصنح عنه وكافأه بتعيينه قومنداناً على الطوبجية وعدل عن معاقبة اسكندر بك ولم يكافأه بشيء هذا مارواه سلاطين باشا وقد سمعت من الحاج خالد المرابي أحد تجار الأبيض الذين انضموا

الى المهدي وجعله أميراً من أكبر قواده ان ابن أخته عمر أزرقي رأى مناما بعد سقوط الأبيض وهو ان الدراويش الذين قتلوا في واقعة يوم الجمعة وقفوا بين يدي الله عز وجل وقالوا ياربنا ان محمد سعيد باشا وضباط الأبيض قتلونا ظلماً وكان النبي صلى الله عليه وسلم حاضراً فالتفت الى المهدي وقال له لك الخيار بين قتل أولئك الظلمة أو نفيهم من الأرض أو قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فقال المهدي أقتل محمد سعيد باشا وعلى بك شريف وانف بقية الضباط وقد قص على عمر أزرقي هذه الرؤيا فامرته بتدوينها على قرطاس قدمته للمهدي في مجلس كان التمايشي حاضراً فيه ومعه الفقيه جلال الدين الفوراوي وكان من المعتقدين فقرأ المهدي عليهم الرؤيا وقال حقاً اني كنت حاضراً بهذه الحاضرة ثم أمر بالضباط ومحمد سعيد باشا فعمل بهم ما بيناه

وقال آخرون انهم قتلوا بشار محمد عبد الله شقيق المهدي ويوسف شقيق التمايشي لان المهدي لما دخل المدينة وأخذ يفتش على جثة أخيه فمثر عليها زرفت عيناه واسئل سيفه وقال سيؤخذ بشارك في الآخرة ليوم من حوله أنه لا ينتقم لنفسه

هذا وقد مكث الضباط في الاسترقاق وكتب التمايشي منشوراً أباح فيه أخذ كل حسناء من زوجها وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالحيلة بينهم وبين أزواجهن الكفار

وقبض على أحمد بك دفع الله ومحمد ياسين وهذا كان ناظر أحد الأقسام بتهمة أنهما غير مصدقين بالمهدية فنفيًا ثم قتلا وكانا مسجونين عند الحاج خالد ويقال انه الذي رماهما بهذه التهمة وأخذ المهدي أم الحسن بنت أحمد بك دفع الله موطوءة بملك اليمين وكتب منشوراً قال فيه ان هاتفا اليها قال

له لا بأس عليك منها وإنما غنمة النبي صلى الله عليه وسلم  
 على أن المهدي والتعايشي كانا راغبين في استحياء أحمد بك دفع الله  
 وارضائه حتى أن التعايشي كان يود إعطائه راية يجمع حولها كل ذوى قرابته  
 ويكون أميراً عليهم فافتاخ الياس باشا أم بربر من ذلك وحذر التعايشي من  
 هذا الأمر وقال له أن أحمد بك دفع الله إذا رفعت له راية وانضم إليه محمد  
 يس فانهما بلا شك يعملان ضد المهدي وبعده مداولات كثيرة بين المهدي  
 والتعايشي أصدر المهدي منشوراً قال أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بتعلمها  
 فانتدب التعايشي قريبه يونس بن الدكيم ومعه خمسون فارساً وسار بهم إلى  
 منقاهما وضرب عنقهما بعد أن صليا ركعتين وروى يونس بن الدكيم  
 أن محمد يس لما قدم للقتل أظهر جيناً واهلماً فأنهره أحمد بك وقال له اخساً  
 فإلى أين تفرياجبان ثم قال للسياف تقدم نحوى يا ابن الفاعلة فتقدم وضرب  
 عنقه رحم الله الجميع

### ذكر ترتيب جيش المهدي وأحكامه

ذكرنا ما كان من أمر المهدي وترتيب جيشه في جبل قدبر وأنه جعله فرقا  
 ثلاثاً يقود كل واحدة منها خليفة من خلفائه الثلاثة وجعل القيادة لآخيه  
 محمد بن عبد الله الذي قتل بواقعة الأبيض ونقول الآن أنه بعد انتشار نفوذه  
 في إقليم كوردقان كله واستيلائه على الأبيض تكاثفت جيوشه وأسندت القيادة  
 العامة على جيشه للتعايشي وجعله مستشاره الذي لا يقطع أمراً دونه وعين  
 أحمد بن علي قاضياً بدل أحمد بن جباره الذي قتل في واقعة الأبيض ونصب  
 أربعة رجال دعاء الامناء وفوض إليهم النظر في كل الدرائض التي ترفع إليه

والفصل فيها وانتدب نحو عشرة رجال دعاهم النواب وفوض اليهم النيابة عنه في نظر المسائل المعظمة التي لها دخل في بيت المال فكان كل فريق من النواب والامناء يحكمون فيما يعرض عليهم من المسائل بغير تحديد

وأخذ يوالي اصدار المنشورات بعضها في ذم الدنيا وخستها وبعضها في الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وفي ذات يوم جاءه أحد خدامه (الملازميه) وقال له انه رأى امرأة تزني خلفه على المصحف الشريف وأمر بالمرأة فقتلت رجما بالحجارة وخطب في الناس وقال لهم ان أصحابه لا يكذبون ولا داعي لأربعة شهداء مادام الشاهد الواحد يحلف وقضي ان كل المظالم التي اقترفها الحكام قبل ظهور دعوته لا يسمع فيها ادعاء وذلك لان ما اغتصبه أولئك الحكام صار ملكا لبيت ماله ورده يفقد بيت المال كل ما يملكه . وكان لكثير من الناس ودائع عند تجار الابيض فأمر بعدم ردها الى أصحابها اكراما لحواطر أولئك التجار

هذا حال جيشه وأحكامه وأما تقدمه لامتلاك الخرطوم فقد انحلت عزيمته عنه على اثر ما توالى على دعائه من الهزيمة والفشل وعدا ذلك فان الخرطوم أو انشد كان فيها نحو عشرين الف جندي وامتلاء قلب المهدي فزعا وخوفا من عبد القادر باشا وصرح في كثير من خطاباتنه بان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بترك التقدم على الخرطوم مادام عبد القادر باشا حاكما على السودان وكان يرفع يديه عقب كل صلاة ويقول (يا قادر اكفنا عبد القادر) وقد وجه عزيمته نحو دارفور ورآى ان امتلاكها اقل صعوبة من امتلاك الخرطوم وسيأتي ذكر تفصيل استيلائه عليها

## ذكر فصل عبد القادر باشا والغاء نظارة السودان

في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٠ أثر انتصارات عبد القادر باشا على دعاة المهدي في جنوب سنار صدر امر عال يفصله عن حكمادارية السودان والغاء النظارة وانشاء قلم مخصوص بنظارة المالية لمراقبة حسابات السودان وقد وقع نبأ فصله اسوأ وقع عند أهالي الخرطوم وسائر مستخدمي الحكومة والاعراب الموالين لها وقد رفعوا المرائض تباعا الى المنفور له الخديوى توفيق باشا يسألونه العدول عن هذا الامر فلم يفعل

ولم يكن هذا الاسترحام قاصراً على من ذكرنا بل تناول النزلاء الاوروبيين وقناصلهم فانهم اشتركوا في هذا الالتماس وما ذلك الا لان الكل موقنون بان الطريقة التي اتبعها عبد القادر باشا كانت السبب الوحيد في نجاة الخرطوم وسنار والجزيرة كلها وكان من وراء أعماله ما قنط المهدي من التغلب على الخرطوم وقد أصدر منشورات لكل دعائه في الجزيرة يأمرهم بكمائن الدعوة ما دام عبد القادر باشا حاكماً على السودان وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان دعوته لا تفلح الا بعد مغادرته السودان

على ان الانسان يحار من اقدام الحكومة على هذا الامر الذي فتح باباً للقليل والقال حيث أوله كثيرون بانها غضبت عليه لانتصاره على العدو أو أنها كانت لا ترى بأساً في تقلص نفوذها من السودان وبسط سلطان المهدي عليه وقد محضها النصيح وبين لها ان ارسال حملة الجنرال هيكس ضرب من الجنون وأن غلبة المهدي عليها ضربة لازب فلم تلتفت الى نصحه وضربت باقواله عرض الحائط كما فعلت معي حين نصحتها في شأن يوسف باشا الشلالى

## ذكر تعيين محمد علاء الدين حكاماً للسودان

وخلف عبد القادر باشا محمد علاء الدين باشا وأعيدت نظمات الحكماء  
والنيت النظارة وكان علاء الدين باشا حكاماً للسودان الشرقى وله مع  
سكانه صداقة مذكاة مدير أعلى كسبه فلما قبض على زمام الحكماء وعهدت  
اليه الحكومة بشراء الجمال للعملة كان أول عمل أتاه أنه أخذ من مال الخزينة  
نحو مائتي ألف ريال وشخص بنفسه الى السودان الشرقى لشراء الجمال مع  
أن مثل هذه المأمورية يقوم بانجازها متمد من التجار ولكن علاء الدين باشا  
سرب المال الى جيبه والزم مشايخ القبائل بتقديمها له مجاناً ولا غرامة في ذلك  
لان الجمال كثيرة عند أولئك الاعراب ويوجد منها عند كل شخص ما يربو  
على مائة راس وقد اشتهر عن علاء الدين باشا تناول المسكرات بكثرة ونقل  
لنا واحد من خدامه الذين كانوا معه بحملة هيكل انه شرب زجاجة كنيك  
قبل ان يقتل بعشرين دقيقة

وتلاعب علاء الدين باشا باثمان الاقوات التي تقدم للعامة حيث  
اتفق مع المتمدن على اثمان تبلغ ثلاثة أضعاف الاثمان الحقيقية وقبض أموالاً  
طائلة من ذلك

وقد سار على سنته حسين باشا الذي ناب عنه في الحكماء ونشأ  
من وراء تلاعبه ماضر بالخرطوم في غضون حصارها وسيأتي ذكر ذلك في  
مكانه ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها. وباع علاء الدين  
باشا وظائف الحكومة الى كثير من التجار السودانيين فاعتموا الفرصة  
وتعلقوا للمهدي بايقافه على أسرار الحكومة وعهد بالرئاسة على مجلس

الاستئناف الى تاجر بربري اسمه (حمد التلب) لانري له اقل اهلية ترشحه لهذا المنصب غير اهلية الاصفر الرنان ومثل هذه المخزقة أشياء كثيرة لايسع المقام تفصيلها وقصاري القول ان الحكومة كانت لايتهم بغير انفاذ حملة الجنرال هيكس ومحمد علاء الدين باشا كان لايتهم بغير جمع الاموال من وراء نفقات تلك الحملة التيسية هذا ما عولت عليه الحكومة وأما المهدي فانه وقف وقفة المدافع ينتظر قدوم الحملة عليه وأرسل دعاة كثيرين الى دارفور يجمعون الناس على دعوته ويناهضون الحكومة فيها وسنأتي على سر ذلك ما يهم القاريء الاطلاع عليه ثم نعبه بذكر حملة الجنرال هيكس ويبد الله التوفيق

### ذكر دارفور

دارفور بلاد واسعة في الجنوب الغربي من كوردفان وسكانها ينقسمون الى ثلاثة أقسام قسم يسكن القرى والدساكر. والثاني يسكن البوادي ويعيش بالبان الماشية كألوف عوائد الاعراب. والقسم الثالث يسكن رؤس الجبال وبين هؤلاء وسكان القرى تشابه في الاخلاق والعادات والمعيشة حيث يشتغل الفريقان بفلاحة الارض واقتراق حيث تجد سكان القرى منفسين في الملذات ولهم مهارة في اجادة طبخ الاطعمة وتعدد الالوان الامر الذي يجمله أهل السودان كلهم وهم مشهورون بالكرم وقرى الضيوف وبلادهم خصبة وأراضيهم تجود بمحصولات كثيرة وثمن القوت منخفض فيها جداً حتى أن الاردب من الدخن الذي هو اكثر محصولاتهم لا يتجاوز بضعة قروش مصرية والقمح يكاد يكون أنحس ثمننا من الدخن ويوجد بدارفور تجار أغنياء

لهم أعظم صلاة التجارة مع القطر المصري يجلبون العاج وريش النعام وغيرها  
من سلع السودان

وهؤلاء السكان تناسلوا من عنصر عربي استوطن دارفور منذ أجيال  
وسناني على ايضاح ذلك حتي يكون القارىء على بينة منه

وفي دارفور جبال كثيرة أشهرها ( جبل الخلّة ) وبه قبور الملوك وفيها  
مدن كبيرة أشهرها ( الفاشر ) عاصمة تلك البلاد ومدينة ( داره ) و ( كبكايه )  
( كلكل )

وفيها معادن كثيرة من النحاس والحديد والرصاص وأهل دارفور  
ميالون للهرج والقتل والحروب

### تاريخ دارفور القديم

لخصنا للقارىء تاريخ السودان القديم ونرى اهتماماً للفائدة أن نثبت له  
تاريخ دارفور القديم الى انحلال دولتها وضمها الى الاملاك الخديوية فنقول  
نزع الى السودان الغربي أعرب من تونس وما جاورها من البلاد  
الافريقية في أواخر القرن الثامن للهجرة واستوطنوا بلاد واداس وبرقو  
ويحكي أن أخوين من أولئك النازحين وصلا الى دارفور اسم أحدهما علي  
والآخر احمد المعقور الذي أطلق عليه هذا الاسم بسبب ان أخاه علياً عقر  
رجليه بضربة سيف

وتحري القصة أن علياً كان متزوجاً بامرأة بارعة الجمال وكان يحب أخاه احمد  
حتى كاشفته بهذا الحب وهو أنكره عليها وتغالي في تعنيفها حتى اضمرت له الشر  
وصمت على الإيقاع به عند أخيه لئلا يسبقها بإبلاغه شفقتها به فتقع هي تحت

خطر العقوبة فابانت بعلمها أن أخاه راودها عن نفسها فاستشاط غيظا ونادى  
 بالرحيل فرحل الحى وانفرد هو بأخيه في القلعة وضربه بالسيف حتى عقر  
 رجله وتركه مصروعا على الأرض ولحق بالظمن وأمر أتباعه ومواليه بلحاقه  
 وطلق المرأة وتابع مسيره الى وادى وأدرك الموالى احمد المعقور فى وسط  
 القلعة فضمدوا جراحه وأبلغوه أمراخيه وأنه كان لا يقصد قتله بل أن يفترق  
 وسار احمد المعقور مع مواليه ونزلوا على ملك من الزوج كان متسلطا على قسم  
 كبير من دارفور وكان كسائر زوج افريقيا لادين له فاکرم وفادتهم وقرب  
 احمد منه وكان فادها، وشجاعة فاجبه سكان البلاد ولم يمض أمد طويل  
 حتى توفى السلطان فاختار الشعب احمد المعقور ملکا عليهم فقام بالسلطنة  
 أحسن قيام وأخضع كل الاقاليم المجاورة له وترامت أخباره حتى بلغت الاعراب  
 النازلين بوداى فنزحوا اليه وشدوا عضده وانتشروا فى البلاد واستأثروا  
 بخيراتها وانقرض السكان الاقدمون ولم يبق غير قليل منهم استوطنوا بين  
 دارفو وبرقو وأنسوا مملكة هناك تعرق باسم (ابوريشه) وطالت ايام احمد  
 المعقور حتى ازال كل الصعوبات من المملكة وجعلها ميراثا لولده من بعده  
 وسار خليفته على سيرة والده ثم حفيده السلطان دالى وكان عالما فاضلا رفع  
 منزلة العلماء ورتب القضاة ليحكموا بالشريعة الفراء وانتشر نفوذ سلطان  
 دارفور حتى بلغ كوردفان وضاف النيل الأبيض وانتشرت الدعوة الاسلامية  
 حتى عمت البلاد التى يحكمونها

وفي أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة افتتح الدفتردار كوردفان  
 وضمها الى املاك مصر

ولما دخلت كوردفان فى حوزة الحكومة المصرية لزم سلاطين دارفور

حدودهم وحشدوا جيوشا جرارة لصد تيار المصريين من بلادهم وكان الدفتر دار  
 ينوي التقدم الى بلادهم والقضاء على سلطنتهم فلم يثن عزمه غير نبأ قتل  
 الامير اسماعيل باشا في شندي حيث قفل راجعا الى شندي كما تقدم لنا  
 ذكر ذلك وبقيت مملكة دارفور حافظة لاستقلالها ولكن تجار المصريين  
 الذين كانوا يأتون الشركات في النيل الابيض قوضوا سلطتها من بحر النزال وكانت  
 خاصة لها وقلت وطأة أولئك الحكام على الاهلين حيث ضاعفوا الضرائب  
 على اتر تقدم كوردقان وبحر النزال وتوالت الحروب الاهلية والثورات  
 الداخلية فضعفت المملكة وكانت تحمل عزائم رجالها وأشهر هاته الثورات  
 ثورة الرزيقات وهي قبيلة من البقارة يزيد عدد نفوسها على خمسمائة الف  
 نسمة تسكن بادية جنوب دارفور وكانت هذه القبيلة شديدة الحمية وكثيرة  
 الرغبة في الاستقلال وقد ناهضت مملكة دارفور مرات عديدة وفي كل  
 مرة تدور عليها الدائرة فتشوب الى الطاعة ريثما تسترد قوتها فتعود الى الثورة  
 والحروب

### ذكر فتح دارفور

يعلم الكل ما كان عليه المغفور له الخديوي اسماعيل باشا من حب  
 اتساع المملكة ومتابعة الفتوحات ولذا وجه عنايته لفتح دارفور واستمال اليه  
 كثيرا من تجارها وأغنيائها وذوي النفوذ في بلاط سلطاتها  
 وكان اقليم بحر النزال يومئذ بايدي التجار لم تشر الحكومة الخديوية  
 نقوذها عليه وقد تقدم لنا ان غردون هو الذي أدخلها ضمن أملاك الخديو  
 وقد باشرت انفاذ ذلك حيث انني أول حاكم عين لها وفي سنة ١٢٨٢ هجرية

وفد على المنصور له اسماعيل باشا رجل اسمه البلالي من أقرب مقربي سلطان دارفور وأصله من أهالي بورنو فآكرم وفادته واستشاره في أمر فتح دارفور فاخبره بأمر الشركات التجارية التي كانت متسلطة على دارفور وكان الزير باشا وكيلاً لشركة أبو عموري وهو تاجر مصري وكان يوسف باشا الشلالى وكيلاً لأحدى الشركات وكذا النور بك عنقره ومع الزير باشا نحو اثنين من الجنود المعروفين باسم ( باذقر ) ومع كل من يوسف باشا والنور بك عنقره أكثر من هذا العدد

وقصد البلالي ان يكون رسولا من قبل الحديو الى هؤلاء الثلاثة ويمدهم بأرائه كي يهاجوا مملكة دارفور من الجنوب ليسهل على جنود الحديو مهاجمتها من الشرق

وعلى هذا المزم غادر القاهرة بعد ان انتم عليه الحديوي بالرتبة الثانية ثم غادر الخرطوم ولحق ببحر الغزال ونزل ضيفا على الزير باشا وقبل انقضاء ايام الضيافة الثلاثة أرسل له بعض أتباعه في منتصف الليل وأمرهم بقتله فذبحوه على فراش نومه وحملوا رأسه الى الزير

ولما علم الحديو بذبح رسوله امتلا غيظاً وصمم على الانتقام من قاتله ومفاجأته بحملة كبيرة تقتص منه فانتدب اسماعيل ايوب باشا لقيادة هذه الحملة وجعله حاكماً على السودان وما كاد يبلغ الخرطوم حتى ندم الزير على فعلته وأخذ يكتب الى الحكومة ويمدها بالاغارة على جنوب دارفور فارتأى اسماعيل ايوب باشا قبول وعده وتأجيل معاقبته لفرصة أخرى

وفي غضون ذلك كتب الزير الى سلطان دارفور يقول ان العبيد لادين لهم وهم عبدة أو ثان يحمل استرقاقهم شرعاً فكتب اليه سلطان دارفور يقول

صدقت انه ليحل لنا استرقاق العبيد وبائي (الشطيطة) لان الزير من قبيلة  
الجليلين واهل دارفور يسمونهم بهذا الاسم لانهم يذهبون الى بلادهم تجارا  
بهذا الصنف

وفي أوائل سنة ١٢٩١ كان الزير باشا والنور بك عنقره قد بلغا حدود  
دارفور وكان حرب الرزيقات التي تقدم لنا ذكرهم اعتدوا على قافلة من  
التجار كانت مجتازة بين دارفور وبحر النزال فقتلوا رجالها ونهبوا متاعها فتذرع  
الزير بهذا السبب وسأل سلطان دارفور تمويضا عنها فامتنع وأرسل اليه  
بجيش جرار تحت قيادة وزيره أحمد شتا فتعالف الزير مع حرب الرزيقات  
وقال لهم ان غلبني سلطان دارفور فكونوا معي علي وتأثروني بخيلكم واغنموا  
اسلابي وان أنا غلبته فكونوا معي عليه وافعلوا به ما تقدم فرضي الرزيقات  
بهذا الشرط وتقدم الوزير احمد شتا ورجاله في تيه عظيم نحو الزير وسلاحهم  
الرماح والسيوف لا يرفون ما البندقية وسروجهم مصفحة بالذهب فصب  
عليهم رصاصا كالسيل فكانوا يظنونهم رعدا قاصفا ويتلون الآية «ويسبح الرعد  
بحمده والملائكة من خيفته» وسقط ألف منهم قتلى وقتل قائدهم وأكابر  
قواده وانهزم الباقي وتمزق شملهم كل ممزق وتأثرهم فرسان الرزيقات  
وأتخنوم قتلا ونهباً وأرسل الزير يعلم اسماعيل أيوب باشا ويطلب منه المدد  
فسافر اليه مدير كوردقان في ثلاثة طواير من الجنود النظاميين ومعه مدافع  
وسوار يخ فاجتمع عليه وفتحوا مدينة (داره) وتحصنوا فيها وزحف اسماعيل أيوب  
باشا بمسكر كثيف من الخرطوم قاصدا دارفور ولما تحصن الجند في داره  
جمع السلطان ابراهيم جنده وتقدم نحو داره حتى صار على مقربة من الحصن  
فجاء الجنود بنار حامية اضطرتهم الى التقهقر فرماه قومه بالجنب قبض

على كثيرين منهم وزجهم في السجون وضرب أعناق كثير منهم ثم هاجته الجنود فحمل هو وجماعة من بطائنه وآل بيته ممسكا يده سيفاً حتى دخل وسط الجنود وهو يصيح أين صاحبكم الزير بائع الشطيطة فصبوا عليه الرصاص كالطمر فسقط قتيلاً هو وبطائنه وذوو قرابته ودفنت جثته بالاكراام اللائق وتقدم الجنود نحو الفاشر عاصمة البلاد واستولوا عليها ونهبوا ما فيها حتى كانت الريالات مبعثرة على وجه الأرض والطرقات مملوءة منها وفي اليوم التالي وصل اسماعيل أيوب باشا الفاشر ونال حظاً كبيراً من الغنيمة واشتد الخلاف بينه وبين الزير باشا الذي شخص الى القاهرة لمقابلة الحديو فنعه من المودة وكان من أمره ما نحن في غنى عن إيراده ومن ثم خضعت بلاد دارفور للحكومة وقسمت ادارتها الى ثلاثة أقاليم (الفاشر) وهي مقر الحاكم العام و (داره) و (كبكاية) ولكل اقليم مدير وعلى الكل المدير العام

ولما أبعد الزير عن دارفور ظن ابنه سليمان انه وارثه وانه سيكون حاكماً مستقلاً على دارفور فخاب ظنه وفي غضون سياحة غوردون في اقليم دارفور دبر ابن الزير مكيدة لقتله قبل أن يبلغ حصن (داره) وبينما كان ابن الزير واعوانه يتشاورون في الامر اجتاز صفوفهم غوردون ودخل الحصن فاندھشوا حين سمعوا اطلاق المدافع للترحاب به

ولم يمض غير بضع دقائق حتى بعث يستدعي النور عنقره والسعيد حسين وكانا نخاسين مع ابن الزير فحضرا وبعد أن جلسا أمر لهما بالقهوة والسجائر ثم سألهما مما دبرا به مع ابن الزير لاغتتيال حياته فقالا ان ابن الزير يريد القبض عليك واخذك أسيراً يستفك بك أباه من مصر فقال لهما ولماذا لم تنصحا وتينا

له منبة مثل هذا الجنون فقالا انه محاط باشرار من رجال النخاسة وانه لا يصني  
لنصحننا الا اذا كان موافقا لما يشير به أولئك الاشرار فصدقهما وأمر السعيد  
حسين بالتوجه الي (شكا) وجعله حاكما عليها وولي رفيقه جهة أخرى ثم استدعي  
ابن الزير ومحضه النصيح وحذره وخامة عاقبة الخروج علي الحكومة فتظاهر  
بالطاعة فامره بمغادرة دارفور والالحاق ببحر النزال ثم كان من أمره فيها  
ما تقدم لنا ايراده

ولما خرج ابن الزير من عند غوردون استطال بالشتم علي النور عنقرمه والسعيد  
حسين فردا عليه أقبح رد وقال له لولا اني لم يبلغ أبوك ذرة مما بلغ وانا  
سبب كل خير له وهانحن فارقناه وسيكون من وراء فراقنا اياه ما يذهب بحياته  
وقد صدقت الايام قولها وسياقي ذكر السعيد الحسين وقتله في غضون حصار  
الخرطوم لحياة ارتكبها

وقبل انصراف اسماعيل ايوب باشا من دارفور عين حسن حلمي باشا  
الجويسر حاكما علي أقاليمها وحشد فيها جيشا كثيفا كانت نفقاته عبثا ثقيلا علي  
كاهل الحكومة الحديثة لان دخل البلاد لا يقوم بمشر تلك النفقات لاسباب  
منها ان الضرائب موزعة علي القبائل بغير قيد فيؤدي الجباة جزأ طفيفا مما  
يجبونه ويأخذون الباقي لانفسهم

علي ان التعامل لم يكن بالذهب ولا بالفضة بل بقطع من القماش صنع  
أوروبا وكل ثلاثة أذرع قيمتها خمسة غروش مصرية وبتقطع من خرق تصنع  
هناك اسمها (الدمور) ومن الاسباب الداعية لزيادة النفقة توالي الحروب  
الاهلية والثورات الداخلية من المطالبين بالملك من وزراء السلاطين بالرغم  
عما اتخذته الحكومة من الحيلة بالقبض علي اكثرهم وارسالهم للقاهرة

وما كادت سلطة الحكومة تم تلك البلاد حتي قام رجل من سلالة ملوكها يدعى هارون وعقد البيعة علي حربها ولقب نفسه بالرشيد واستصرخ سكان الجبال وبعد حروب كثيرة تمكنت الحكومة من طرده من البلاد حيث لجأ الي الجبال فاغتم غردون هذه الفرصة لتقليل الحامية واقتصاد النفقات ثم تمكن غردون بدهائه من القاء النفرة والشقاق بين النخاسين ليتمكن من اراحة دارفور منهم وذلك بما آتاه مع النور عنقره والسعيد حسين وابن الزير

وعلى أثر ذلك ثابت البلاد الي السكينة وأخذت الي الطاعة فقاجأتها المهدوية بدعوتها وحروبها كما تبين ذلك

### ذكر راي عبد القادر باشا في دارفور

قبل ان نذكر استيلاء المهدي عليها نأتي على ذكر رأى عبد القادر باشا في دارفور لكيلا يفوت القارئ الوقوف عليه فنقول . قد ذكرنا ان عبد القادر باشا كان يري ان المهدوية يمكن حصرها في اقليم كوردفان حتي تدب عقارب الاختلاف بين انصارها وحينذاك يكون القضاء عليها كما قدمنا ان المهدي كان ذا طموح شديد لدارفور لتكون طريقة الي السودان الغربي أو ملجأ يعتصم به من وجه الحكومة اذا أحس بالتشل وقد كان في غضون حصاره الأبيض يوالى ارسال الرواد ويسمي مجداً لاستمالة البيوت القديمة ويعمد من بقي من ذراري الملوك بأرجاع الملك الي نصابه فقام دعاء كثيرون وجموا عصابات كثيرة في امكنة مختلفة

على انهم لم يأتوا أمراً جلابل جل ما أتواهم قطعوا الطرق بين المدن

وعطلوا سير البريد الذي لا يقدر على السير الا اذا كان حراسه نحو الخمسة  
وقد كان عبد القادر باشا يبحث على طريقة تميد خطوط المواصلات مع  
دارفور ولو بطريق الصحراء المعروف بطريق الاربعين أو من طريق بحر  
الغزال فاذا تم له عمل كهذا كان أقل نتائجها تعزيز حامية دارفور حتى تصبح  
قادرة على مطاردة دعاة المهدي من البلاد والوقوف في وجه المهدي والحيلولة  
بينه وبين دارفور

ولو اتخذت الحكومة من الحيلة ما يمنع تقدمه على الخرطوم واجبت  
مشورة عبد القادر باشا وعدلت عن ارسال حملة الجنرال هيكس كما سيأتي  
ذلك في محله لكانت النتيجة مرضية وقاضية على المهدي في كوردفان ولكن  
سبق السيف العذل

على انني أقول كلمة وهي ان الحكومة الخديوية بعد اخفاها لنصائح عبد القادر  
باشا مكنت المهدي من السودان ورضيت بالمذابح والقطائع التي  
ارتكبها المهدي وأول هذه المذابح حملة الجنرال هيكس التي أرسلتها كقطمان  
من النعم قتلها الذئاب من كل جهة

نقول ان حملة الجنرال هيكس أول هذه المذابح اذا قلنا ان الحكومة  
كانت معذورة بسبب الثورة المرابية وغير قادرة على ملافاة ما تقدم من المذابح  
التي أولها واقعة (آبا) الى سقوط الأبيض

هذا وقد علمت ان المال الذي كان يطلبه عبد القادر باشا للقيام بهذه  
الاعمال لا يتجاوز مائة ألف جنيه وبهذا القدر الزهيد كانت الحكومة تقتصد  
بقية النفقات التي انفقها مؤخرًا على ازالة دولة المهدي بعد ان دمرت البلاد  
وصيرتها خراباً لا تسترد حالتها الاولى الا بعد قرن

## ذكر قدوم محمد خالد زقل من دارفور

وفي أواخر سنة ١٣٠٠ هجرية وفد محمد بك خالد زقل وكيل مديرية (داره) على المهدي قادمًا من دارفور برسالة من سلاطين باشا مدير عموم دارفور فاستقبله المهدي خارج المدينة وأطلق له مائة مدفع واستعرض جيوشه أمامه وقدم له هدايا كثيرة من الجوارى الحسان وقرأ كتابا من سلاطين باشا على رؤس الأشهاد في المسجد يقول فيه «أنتي تركت النصرانية منذ زمان مديد واعتنقت الاسلام ديننا وانتي مسلم ومؤمن بالمهدي ومصديق بدعواه وأنا مستعد لتسليم البلاد والدخول في دعوة المهدي» فأنتي علي سلاطين باشا ودعا له بخير وكان ذلك قبل هلاك حملة الجنرال هيكس ببضعة شهور وهنا نورد ترجمة محمد خالد اتماما للفائدة فنقول انه دنقلي من أقارب المهدي يجتمع معه في الجدل الرابع استوطن أبوه دارفور وولد المترجم بها وكان يشتغل بالتجارة حتى حصل علي ثروة عظيمة ثم صار وكيلا لمديرية (داره) وكان ذا دهاء وحيل وزقل لقب له

نعود الى ذكر كتاب سلاطين باشا فنقول يوجد هناك كتاب بعثه سلاطين باشا ولكن مضمونه لم يكن كما قرأه المهدي وليس بعيد ان يكون حرفه كمادته ليبحث به طمأنينة في قلوب انصاره حيث كانوا على وشك مناجزة الجنرال هيكس

وهنا ننقل تلك الاسباب عن سلاطين باشا نفسه فقد قال انه لما أحس بكثرة دعاة المهدي في البلاد أيقن أنه اذا عمد الى اعادتهم الى الطاعة بالقوة لا تلبث الذخيرة أن تنفذ ولا يمكن الحصول على غيرها وحيث قد تكون

## الماقة بلا ريب وبالأ

وكان على (داره) مدير ايطالى توفى بالحى وناب عنه فى وظيفته وكيله  
محمد خالد زقل وكان سلاطين باشا عالما بقرابته للمهدى وقد نبيت اليه أخبار  
ميله اليه ودعوته له سرّاً تخاف سلاطين باشا الماقة ف شخص الى (داره) من  
الفاشر وهناك بث الميون على محمد خالد فتحقت ظنونه وزادت هواجسه  
منه وزاد الطين بلة انه تحقق تفاقم الحطب وأحس بميل كثيرين من الاهالى  
لجانب المهدى وعلم ان المهدى لا يمنعه من ارسال جيش لاخذ دارفور  
عزوة الا تربصه حملة الجنرال هيكس فتأخّر محمد خالد فى مايلفه عنه  
فلم يجحد قرابته للمهدى ولكنه حلف ايمانا غليظة على انه باق على ولاء  
الحكومة والاخلاص لها فساله سلاطين باشا أن يكون رسوله لدى المهدى  
ويحمل كتابه له ويعمل لتأخير زحفه على دارفور حتى الفراغ من حملة الجنرال  
هيكس فاذا كانت الغلبة عليها أسلم سلاطين باشا البلاد للمهدى وان كانت  
عليه كانت الحكومة جديرة بمكافئته وعلى ذلك بارح محمد خالد زقل دارفور  
وافداً على المهدى وكان من أمر الاحتفاء به ماأوردناه

هكذا مارواه سلاطين باشا وقد أصبح محمد خالد احمد أغا الجريدلى

## قاوش أغاسى المديرية

وحكى لنا من نثق بروايته ان وفود زقل الى المهدى كان من الاشياء  
التي قدر بها المهدى على تسكين خواطر كثير من أنصاره الذين كانوا يحسبون  
ألف حساب لحملة الجنرال هيكس التي وصلت اليهم انباءها بفلو كثير فكانوا  
يتحدثون بما لديها من الاسلحة ومعدات القتال بكلام يبعد عن العقل مثل  
قولهم ان الجنود لا يحملون أسلحة بل الرصاص ينقذف من أفواههم وعيونهم

وأنوفهم وإن لديهم نيرانا تسير في الجو كالسحاب ولا تترك شيأ مرت عليه من شجر ومدر إلا جعلته رماداً ومثل ذلك كثير لو أردنا إيرادها لضافت عنه المجلدات. ويقول كثير من ضباط حامية دارفور أنهم كانوا يستطيعون النجاة والفرار من وجه المهدي بطريق الأربعين حيث ينتهي سيرهم في دنقله وهذا زعم باطل لأن حامية مؤلفة من بضعة آلاف شخص عدا عائلاتهم التي تبلغ أكثر من اثني عشر ألف نسمة كيف تستطيع الحرب في وسط صحراء لا يقطعها الراكب في أقل من أربعين يوماً وليس في هذه المسافة ماء غير أربعة مناهل فقط

وبقي محمد خالد في الأبيض مع المهدي حتى فرغ من حملة الجنرال هيكس فأعادته إلى دارفور وجعله حاكماً عاماً عليها وسيأتي ذكر ذلك بعد حملة الجنرال هيكس

### ذكر حملة الجنرال هيكس باشا

لما قررت الحكومة بصفة رسمية إرسال حملة الجنرال هيكس أبلغ المهدي جواسيسه ما عولت عليه الحكومة فأصدر منشوراً يحض الناس فيه على الجهاد في سبيل الله وأمر المقاتلة أن يسكروا خارج المدينة فكانوا يقضون الليل في المعسكر ويعودون في الغداة إلى المدينة وكان هو وخلفاؤه يفعلون كذلك وأصدر منشوراً إلى القضاة والنواب بتأجيل نظر ما يرفع اليهم من القضايا لي ما بعد الفراغ من الجهاد وكان ذلك قبل قدوم الحملة بنحو ستة شهور وأخذ يستعرض جيشه مرتين في الأسبوع. وصفة هذا الاستعراض أن

كل قبيلة تقف تحت رايها وهو يمر عليهم ويقف عند كل راية يعظم من حولها  
وبعضهم على الجهاد في سبيل الله فينتحبون بالبكاء ويعضون الانامل شوقا  
الى الجهاد وفي الحقيقة ان الرجل كان واعظا بليغا يعرف كيف يتمكن من إلاتة  
قلوب أولئك الجهلاء الا أن مواعظه كانت مشوبة باكاذيب وخرافات  
لا يقبلها غير أولئك الجهلاء ويكاد يكون وعظه خلوا من الحكم الدينية ويرجع  
إسنادها الى دعاويه الطويلة المريضة أمثال أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني  
بكيت وكيت

على أن جميع هذه الاخبار المختلفة لا يخفى اختلاقتها على جاهل من عامة  
المسلمين مثال ذلك أنه كان يقول لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أخبرني بان اصحابي افضل من أصحابه لانهم يحاربون النيران ويخوضون  
صفوف القنابل والرصاص بخلاف أصحابه صلى الله عليه وسلم فانهم ما حاربوا  
غير السيوف والرماح ولم يخوضوا غير صفوفها ولا يخفى ما في ذلك من الكذب  
عمدا على الله ورسوله

وأدهى من ذلك كله دعواه أن فضله كفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لا ينقص عنه شيئا وأن خليفته عبد الله التمايشي افضل من ابراهيم الخليل صلوات الله  
وسلامه عليه والخليفة على بن حلو افضل من موسى كليم الرحمن عليه السلام  
والخليفة محمد شريف افضل من عيسى روح الله وكلمته عليه السلام

ودخل عليه مرة شاعر ينظم اشعارا باللغة العامية يدعى ابن التويم وكان يتغالى  
في مدح المهدي حتى افتي كثير من العلماء بكفره واسروا فتواهم حيث أيقنوا أنهم  
ان اظهروها حكم عليهم بالكفر وقتلوا شر قتلة وقال للمهدي اطلب منك  
اعطائي مقاما فقال له اعطيتك مقام حسان بن ثابت رضي الله عنه فخففته

العبرة وبكى وقال ياسيدي إن حسان كان شاعرا مثلي ولكنه كان جباناً  
لا يقاتل مع مولاه وأنا شجاع اخترق صفوف القتال وأنا قائد عشيرتي  
فكيف أرضي بمقام حسان فقال له المهدي قد أضفنا لك مقام خالد بن الوليد  
رضي الله عنه على مقام حسان فانت اذن حائز للمقامين فاستبشر وقبل يد  
المهدي. ومنع أحد الموالى مقام زيد بن حارثة وسمى نساءه بإمهات المؤمنين  
وسيأتي بيان ذلك في غير هذا الموضع

ومن هاته الاكاذيب انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان  
حملة الجنرال هيكس مخدولة وان ارواح كل جنودها تحت مصلاه وانه اذا  
شاء قبض على تلك الارواح فيموت الجند جميعه قبل ان ينادر الخرطوم وانه  
اختار ان يتركها حتى تقدم عليه ليحرز أصحابه ثواب المجاهدين في سبيل الله  
ويفوز من أراد الله به خيرا بالشهادة

وكان أولئك الجهلاء يتلقون هذه الاكاذيب بالارتياح والقبول ولا يجسر  
أحد على اظهار الشك فيها لان عقابه القتل فورا

وأرسل المهدي قائدا من قواده اسمه الحاج محمد أبو قرجه وعمر بن  
الياس أم برير ومعهما أربعون ألف مقاتل من الجمليين والدناقلة وأمرهم ان  
يمسكروا في مكان يدعى (البساطه) بالقرب من أم درمان فاذا غادرت الحملة  
أم درمان ساروا من خلفها بمسافة لا تزيد كثيرا عن مرمى المقذوفات النارية  
وهنا نورد طرفا من ترجمة الحاج محمد أبو قرجه فنقول هو أول من حاصر  
الخرطوم ثم صار أميرا على السودان الشرقي واصله دنقلى استوطن اسلافه  
قرية (القطنية) التي تبعد عن الخرطوم بخمس مراحل على النيل الابيض  
وكان تاجرا متوسط الحال لحق بالمهدي في جبل قدير وصار قائدا من

قواد فرقة الخليفة شريف وكان من احزم أمراء المهدي واعقلهم تزوج ابنت  
حامد شقيق المهدي وكان الامراء يرمونه بالانتماس في الملاذ والمكوف على  
الشهوات لانه كان لا يجاريهم في التعالى في الظهور بالزهد والتشرف كما عليه  
المهدي وخلقاه وقواده وجميع المقربين منه

وابتدأت الحملة سيرها من أم درمان برا وبحرا حتي بلغت (الدويم)  
وهي قرية على ضفة النيل الابيض تبعد عن الخرطوم بنحو عشر مراحل وهناك  
اجتمعت الالوية كلها وأخذت في الالهبة للمسير في الصحراء الى الابيض وكان  
ذلك في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٠ هجرية

وأكره علاء الدين باشا نحو ثلاثين رجلا من التجار والموظفين الملكيين  
على مرافقته واناوب عنه في ادارة شؤون الحكمدارية وكيلها حسين  
باشا سري

ورافقه دليلان أصلهما من قبيلة الجمع قدما الخرطوم بايعاز من المهدي  
وصارا دليلين لها ليسلكا بها الطريق المعطشة المملوءة بالغابات  
وغادرت الحملة الدويم في أواخر شهر ذي الحجة وكان عدد مقاتليها  
أربعة ألوية مصرية نظامية كل لواء يتبعه أربعة آلاف مقاتل فالجملة ستة  
عشر ألفا ومعها ألف جندي من السواري لابسى الدروع والحدود ونحو ألف  
جندي سوداني وجنود أتراك غير نظاميين كلهم فرسان تحت قيادة الصناجق  
عبد العزيز بك ويحيى كامل بك وخير الدين بك

ورافق الحملة مكاتبان حريبان لجريدتي التيمس والدالنيز الانكليزيتين  
وكان عدد الجبال الممدة لحمل الأثقال يربو على ثلاثين ألفا عدا البغال واسلحتها  
من طرزرا منجوتون وأربعة مدافع كروب قطر تسعة وستة مدافع مترليوز

انكليزي بست طلقات وثلاثون مدفعا من الطراز الجبلي وستة عشر ساروخا  
 حربياً أما الذخيرة الحربية فكثيرة جداً والاقوات كافية لمؤنة ستة شهور  
 وسارت الحملة من (الدويم) الى (شاة) ومنها الى عقبة وما كادت تغادر  
 ضفة النيل حتى رأت العدو يقلعها بالجلبة والصياح فاضطرت ان تسير  
 في شكل مربع يحيط بدواب الحمل وكانت لا تقدر على الميتم الا في داخل زريبة  
 من الشوك وكل جنود يتعدون الزريبة عن جلب الحشائش لعل الدواب  
 يقومون في يد العدو وقد مات اكثر الدواب من قلة العلف ولحق الجنود تعب  
 كثير من قلة النوم لان العدو كان يقلعهم بصياحه في كل ليلة مرات عديدة  
 فيقومون للاهبة لصد هجمته فيعود بغير قتال وهكذا حتى مطلع الفجر  
 ولما بلغت الحملة منهلاً اسمه (الهد) بعد عن الايض مسيرة اربع  
 مراحل قام المهدي بحرض قومه على الجهاد ويقول لهم اذا رأيتم العدو فكبروا  
 ثم قولوا ( اللهم نواصينا ونواصيهم بيدك وانت القاتل لهم ) وقبض العدو  
 على الماني كان مهندساً في الحملة بينما كان يرسم بعض الغابات فارسله الي المهدي  
 واكد سلاطين انه هو الذي ابلغه ما يقاسيه الجنود من التعب وما هم فيه من  
 الحور واعتنق هذا الالماني الاسلام وبقي أسيراً بيد المهدي حتى مات ببلاد  
 الحبشة فاراً من الاسر

وكان الخلاف مستحكماً بين الجنرال هيكس وهلاء الدين باشا حتى قيل  
 ان اكثر الجنود والضباط كانوا يظهرون لهيكس الكراهة وعدم الطاعة  
 وفي يوم الجمعة مستهل محرم سنة ١٣٠١ هجرية وصلت الحملة الى (شيكان)  
 وكان بها غدير مملوء بماء المطر وفي اليوم التالي زحف المهدي وعسكر في  
 ( البركة ) على غدير ماء كان يخشى ان تسبقه الحملة اليه وكان عدد مقاتلته المشاة

نحو خمسمائة الف مسلحين بالحرايب والسيوف ونحو ستين الف فارس من  
المسلحين بالبنادق وأصلهم من جنود الحكومة السود الذين غنم منها  
وكان يقودهم حمدان أبو غنجه

وفي صبيحة الاحد ثالث محرم هجم حمدان ابو غنجه بالفرسان على ركن  
من أركان الزريبة فوقف له الجنود وقفة الابطال فرجع بخسارة وقتل في  
هذه المعركة الميرالاي زجب صديق بك وجورجي بك طبيب الحملة وغنم  
المدو مدفين من طرز متر ليوز ونحو عشرين جملاً وبالرغم مما كانت فيه  
الجنود من المتاعب تمكنوا من دحر المدو واعادة النظام وأصيب عبد  
الله بن النور من اكبر قواد المهدي برصاصة في نخذه الايمن وقتل محمد  
فوزي كاتب المهدي وأصله رقيق رتبته الحكومة في مدرستها حتي صار  
تلفرافياً وأخيراً طرد من خدمة الحكومة لاسباب قانونية ثم لحق بالمهدي  
وقتل نحو الثمين من مقاتلة المدو

وفي ذلك اليوم أي يوم الاحد فر جندي اسود وأبلغ المهدي ان الحملة  
قدت الماء منذ أمس وان غدير (شيكاني) نفذ ماؤه ولم يبق فيه غير الوحل  
وان الجنود يأكلون الطين والالواح من شدة الظمأ وقد تمردوا على  
ضباطهم وسقطت هبة النظام من قلوبهم حتي أن الضابط اذا أمر الجنود  
بشيء لا يجاوبونه بغير الضرب وقد مضى عليهم اكثر من أربع وعشرين ساعة  
لم يذوقوا فيها طعم الماء وفي صباح الفد أي الاثنين رابع محرم ربما زحفوا  
على الابيض لانهم علموا بوجودكم في البركة وخلو المدينة من المدافعين

فلما سمع المهدي هذه الانباء جمع خلائاه وقواده والتي عليهم خطبه قال  
فيها ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بهلاك الحملة في صبيحة الفد لو لم

تقدموا نحوها

وفي صباح يوم الاثنين الرابع من محرم صلي المهدي بفلس وقسم جنده على ثلاث فرق وأمرهم بالهجوم على الحملة التي كانت غادرت شيكان سائرة الى الابيض بنحو ميل وكانت تسير بغير انتظام بسبب ما يقاسيه رجالها من الظما فهجم عليها العدو في غضون السير فلم تستطع المقاومة فانقض عليها وذبح كل الجنود ولم ينج منهم الا مائة وعشرون جنديا مصريا وضابطان من رتبة ملازم اسم أحدهما محمد حلي والآخر محمد عزمي وأخذ الدراويش يجرّدون القتلى من ملابسهم ويطلقون النيران في أجسامهم مدعين ان النار انما تأكل أجسامهم اظهاداً لكفرهم وكرامة من كرامات المهدي وزعم المهدي ان احراق النار علامة على ان الملائكة هم الذين قتلهم لانهم حاربوا معه في هذه الواقعة كما حاربوا مع النبي صلي الله عليه وسلم في بدر. وقتل علاء الدين باشا والجنرال هيكس وحسين باشا مظهر ونجا تاجر من الابيض اسمه عبد الرحمن بان النقا وهو ابن الحاج بان النقا الذي تقدم لنا ذكره مع تجار الابيض وكان المهدي أوصى بعدم قتله لانه كان مسجوناً مع الحملة حيث ثبتت خيائته وانه كان عيناً للمهدي عليها

وفرق المهدي الناجين من رجال الحملة عبيداً للامراء واكد عليهم باستخدامهم في خدمة خيولهم وأقام ستة أيام في البركة ريثما أتم بيت المال جمع الغنائم والاسلحة وقفل راجعاً الى الابيض

هذه تفاصيل مهلك حملة الجنرال هيكس التي لا يخفى ما خامر الناس من الخنزف والذهول لما اتصلت بهم أنباءؤها في الخرطوم ومصر وقد كان عبد القادر باشا يرى أن لا لزوم لارسال هاته الحملة بعد ان سقطت

الايض في قبضة المهدي وان خير طريقة يس تخدم فيها هذا الجيش هو اقامة معسكرات منيعة على ضفة النيل الايض عند حدود كردفان لتمنع تقدم المهدي الى الخرطوم من جهة ومن جهة أخرى تناوش حدوده لتضطره الى مهاجمتها اذ لا شك انه يعود مدحوراً منها وقد أدرك القاريء انه كان لا يستطيع الغلبة على حاميات الحكومة بغير الحصار وقد الاقوات أو الماء كما حصل في سقوط الايض ومهلك هاته الحملة التيمسية وبديهي ان المهدي كان لا يستطيع الغلبة عليها مادامت محصنة على ضفة النيل وذخيرتها وميرتها تصل اليها من الخرطوم على طريق النيل

وبهذه الطريقة ينجو بقية السودان من الوقوع تحت براثن المهدية ويصبح من المستحيل عليه لاستيلاء على الخرطوم ونشر نفوذه في السودان كله على ان حصر المهدية في اقليم كوردفان بضع سنين كان ذا نتيجة مرضية لجانب الحكومة لو لم ترسل الجنرال هيكل لان المهدي جمع حوله من المقاتلة مثل العدد الذي ذكرناه ولا بد له من نفقات تقوم بحاجات هذه النفوس ومن أين يقوى اقليم كوردفان على القيام بهذه الاشياء وقد تناقص محصول الزراعة بسبب ان اكثر المزارعين صاروا جنداً وهجروا المزارع وسكنوا الايض مع المهدي وكانت تجارة الصمغ معين ثروة كبيرة لهذا الاقليم وقد أبطلها المهدي

وعليه لا يلبث المهدي اذا منع من التقدم الى الخرطوم أن يضطر الى وضع ضرائب قاذحة على الاهالي لتقوم بنفقاته وحاميته ولا ريب ان تلك الضرائب تستنفد كل ثروة كوردفان في عام واحد وفي الثاني تكون مجاعة يعجز معها من تقديم الاقوات للذين جاؤا معه من القبائل المستوطنة في

جبال قدير وفي أطراف دارفور ولا بد أن أكابر القواد يمدون أيديهم  
وينهبون ما بأيدي قبائل كوردفان فتقع الثغرة بينهما ولا يخفى أن المهدي كان  
يقسم كل ماغضه لاستمالة الناس وليوهمهم أنه منزله عن ادخار المال وإن  
أمنيته هي الدار الآخرة

وبناء على هذه الأسباب يرى المتأمل أن الحكومة أخطأت الصواب  
بإرسال هذه الحملة بل قدمت السودان لقمة دسمة للمهدي ثم هي أصرت على خطتها  
ولم تشأ انقاذ السودان بعد هذه الحملة وذلك أنها صبت آذانها عن إرسال  
جنود مع غوردون باشا حيث كان في الامكان إعادة حفظ الحالة التي كان عليها  
المهدي قبل إرسال الحملة ولكن إرادة الله غالبية على كل شيء لا راد لقضائه  
ولا حائل دون مشيئته

### ذكر ترك السودان

فقدت الحكومة كل جلد لما اتصل بها نبأ فشل حملة الجنرال هيكس  
وكان أول عمل أتمه أن كتبت إلى الحكمدارية تأمرها بإجلاء الحاميات من  
الدويم والكوة وفشوده وسنار لتعزيز حامية الخرطوم وأمرت بترحيل  
المصريين على نفقاتها تدريجاً للجلاء عن الخرطوم فأخلت مراكز الدويم والكوة  
وفشوده من حامياتها وكان ذلك بمثابة أمر صريح من الحكومة لمعوم سكان  
السودان بالانضواء إلى راية المهدي والخضوع لجبروته

وكان دعاة المهدي حوالى الخرطوم وسنار لا يجرأون على الظهور بالدعوة  
خوفاً من الحكومة فكتب لهم المهدي يبشرهم بما أتبع له من الفوز ويأمرهم  
بإظهار الدعوة ومناوأة الحكومة وسيأتى تفصيل ذلك على حدة

ووثب احمد بن المكاشفي الذي تقدم لنا ذكره وحشد نحو سبعين ألف مقاتل حاصر بهم سنار ومنع الحامية من انفاذ أمر اخلائها وسيأتي ذكر ذلك وزاد الطين بلة صدور أمر حال بترك السودان وأخذ أهل الخرطوم ينزحون إلى بربر وأحصى من فيها من المصريين فبلغوا أكثر من مائتي ألف نسمة يتعذرا جلاؤهم عن الخرطوم في أقل من سنتين وعادت القلاقل ودخل السكان أجمعون في طاعة المهدي فكانوا يجتمعون خارج القرى والمدن ويضربون الطبول ويخلمون ملابسهم ويستبدلونها بالجلب المرقمة التي هي شعار المهديّة ويرسلون منهم وفداً إلى المهدي لتقديم الطاعة والخضوع ولم يجد للحكومة نفوذ وسقطت هيبتها وكان المهدي لا يقطع بأن الحكومة عاجزة عن ارسال جنود تمنع تقدمه على الخرطوم ولذلك عاد إلى الأبيض وصوب عزيمته لاسقاط دارفور كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر فرار وكيل مديرية الخرطوم ومحاqqه بالمهدي

أشرنا إلى أعمال محمد علاء الدين باشا حيث أباح وظائف الحكومة إلى تجار السودانين فجعلوا ينزفون إلى المهدي بإيقاقه على الاسرار التي تدبرها الحكومة وكان من بين أولئك التجار رجل اسمه محمد الجزولي توصل لمنصب وكالة المديرية مع عدم الاهلية ثم أرسلته الحكومة لجباية الضريبة من جهة المسلمية التي هي وطنه الأصلي فاجتمع لديه أكثر من اثني عشر ألف جنيه ثم اتصل به صدور أمر الحكومة بترك السودان فقبض على من معه من موظفي الحكومة وشخص إلى المهدي بالأبيض ودفع له المال وأطلقه على ماعولت عليه الحكومة من ترك السودان فكاد يطير من الفرح وأطلق مائة مدفع

وادعي ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالاستيلاء على الخرطوم وأن اصحابه  
سيغنمون اموالهم كما غنم اصحابه صلى الله عليه وسلم أموال القرس والروم  
وكان لحمد الجزولي هم يدعى حمد التلب مات مع حملة الجنرال هيكل  
وكانت له أموال فاستولى عليها ابن أخيه هذا وأودعها تاجراً ذهب بها الى مصر  
ولما ولي التعايشي قبض على محمد الجزولي وشدد عليه في اداء مال عنه  
لانه لبيت المال وتقى معذبا في السجن عدة سنوات حتى مرض به ومات  
بعد اخراجه منه بايام يسيرة ولم ينتفع بنوه بشيء مما اغتاله من مال عنه بل  
ذهب كل ما كان يملكه لبيت المال واقتال التاجر ماودعه من المال وهكذا  
منية الظلم ومصير الظلمة

### ذكر سقوط دارفور

ذكرنا ما كان من أمر سلاطين باشا وانفاذه محمد خالد زقل للمهدي  
ولما هلك حملة الجنرال هيكل رفع أهالي دارفور رؤسهم الى الثورة  
وجاهروا بخلق طاعة الحكومة واجتمع جيش كبير من الثوار وحاصروا  
سلاطين باشا في داره فشاور ضباط الخامية وسائر الموظفين الذين  
رأوا عدم قدرتهم على الدفاع وانهم اذا دافعوا لا يمكن ايصال نجدة اليهم بعد  
هلاك حملة الجنرال هيكل وتقلص نفوذ الحكومة من كوردفان فكتب  
سلاطين باشا كتابا الى المهدي عرض فيه التسليم على شرط ان يكون عمال  
الحكومة آمنين على ارواحهم وأموالهم فاستدعى المهدي محمد خالد زقل  
وكتب له منشورا بالولاية على دارفور من قبله وأوصاه باستصفاء أموال  
عمال الحكومة عند سلاطين باشا فقد أوصاه باكرامه ومراعاته وأن لا يمس

بسوء وانتدب عمر بن الياس أم بربر ومعه نحو عشرة آلاف مقاتل لمرافقة  
محمد خالد وعمرزه بجيش يزيد على أربعين ألفاً وخرج لوداعهم مسيرة ستة  
أميال ثم عاد إلى الأيضا

ولما وصل محمد خالد إلى ظاهر داره خرج للقاءه سلاطين باشا ومعه  
الضباط والمساكرو ودخلوا المدينة وأبرز محمد خالد كتاباً من المهدي إلى سلاطين  
يعلمه فيه بأنه عين أميراً على دارفور وأكد عليه في طاعته وبعد تلاوة  
الكتاب شرع محمد خالد في استلام الجبه خانات والأسلحة وما في خزينة  
الحكومة وبعد الفراغ قبض على عموم الضباط والموظفين وصادر أموالهم  
وشرع في تعذيبهم ليدلوا على ما خباؤه من أموالهم وقتل كثيرين منهم بالتعذيب  
وكان من بين الضباط رجل اسمه حمادة افندي رتبته صاغقول أغاسي  
وكان ذا ثروة تبلغ الخمسة آلاف جنيه غادر القاهرة بنحو ألفين منها وحصل  
على الباقي من الاقتصاد لانه كان مشهوراً بالبخل والحرص فأمسكه الدراويش  
وشرعوا في تعذيبه عدة أيام فكان يتحمل التعذيب بثبات غريب ويشتم  
معذبه ويقول لهم لماذا تضربوني فيقولون له لتدل على مالك فيقول اذا كان  
مالي فأني دخل لكم في اخفائه أو اظهاره فيقولون انه مال المهدي فيقول لهم  
هل مات أبوه وتركه عندي أم كيف تقولون ماله فيشتدون عليه بالضرب  
والتعذيب ولسانه لا يسكت عن سب المهدي عليه وأخيراً توفي من شدة  
التعذيب ولم تسمح نفسه أن يدلهم على ماله وقال لهم لو كان مهدياً لعرف  
المكان المخبوء فيه المال

ولما فرغ محمد خالد من مصادرة أموال المصريين بعث بالاموال إلى  
المهدي وخلقائه وأرسل ألوفاً من نساء المصريين كمحظيات للمهدي وخلقائه

واستكتب سلاطين كتابا الى السيد بك جمعه مدير القاشر بأمره بالتسليم  
 للمهدي وجمع محمد خالد أموالا كثيرة وبني دارا لسكناه وتزوج بأخت سلطان  
 دارفور وابتم له ثمر السعادة وأخذ في الاهبة والاستعداد للزحف على القاشر  
 وروى عن بعضهم ان سلاطين باشا لما أنفذ محمد خالد لم يشأ ابلاغ  
 الضباط بما كان بينهما من الاتفاق وما دبراه لدفع شرور المهدي عن دارفور  
 ريثما ينظران عاقبة حملة الجنرال هيكس فتارالجنود وهجموا على دارمحمدخالد  
 ونهبوها حتى ألحقوا العار بيناته وسجنوا كثيرا من ذوي قرابته والمنتمين  
 اليه وما زالوا مسجونين حتى أطلقهم سلاطين باشا يوم خروجه للقاء محمدخالد  
 ونقل لنا واحد من أولئك المسجونين ان محمد خالد لم يعمد الي نهب أموال  
 الضباط عملا بأوامر المهدي كما أشيع بل لينتقم منهم على فعلهم بال بيته  
 ونهبهم داره

على ان هذه الرواية قريبة من الصحة وقد سألتناه لماذا لم يشرك معهم  
 سلاطين باشا فقال لاني كنت عالما بأنه غير راض عن فعلتهم وانهم كانوا قد  
 هددوه ظلما منهم انه أرسل محمد خالد ليسلم البلاد الى المهدي في حين أن إرساله  
 كان خدعة ليؤخر تقدم المهدي الى دارفور ريثما ينظرون ما يصير بينه وبين  
 حملة الجنرال هيكس وعلى كل حال كان وقوع دارفور في قبضة المهدي  
 ضربة قاضية

ونقل لنا كثير من الضباط ان سلاطين باشا لما رأي ما أتاه محمد خالد  
 مع المصريين من العذاب الاليم كادت نفسه تزهق وفقد صوابه وذهب الى  
 دار محمد خالد وقال له على رؤوس الاشهاد لو كنت اعلم انكم تعاملون  
 ضباطي بهذه المعاملة لاصليتكم حربا يشيب لها لولها الطفل الرضيع ولسمعت

بموت هؤلاء الرجال في ساحة الحرب وأنا على يقين بأن الواحد منهم لا يموت  
إلا بعد أن يقتل عشرة منكم فاخذ محمد يلاطفه ويلين له الكلام وأوصى  
بتخفيف العذاب عن بعض الضباط وأطلق البعض . وكان بعض الحاضرين  
يتوقع شرا يصيب سلاطين باشا على أثر تهديده لمحمد خالد بنجاب ظنهم ولم  
يلحقه مكروه

### ذكر سقوط مديرية كيكايه

كيكايه قاعدة الاقليم الشمالي من العاشر وقد تقدم لنا ذكرها وكان  
حاكمها ضابطا سودانيا يدعى آدم أفندي عامر وكان رقيقاً ثم انتظم في سلك  
الجندي النظامية حتى بلغ رتبة البكباشي

ولما استولى محمد خالد على داره كتب آدم أفندي الى سلاطين باشا  
بصفته مديراً عاماً يستشيرهم عما يفعله فوق الكتاب في يد محمد خالد فامر  
سلاطين باشا ان يكتب له كتاباً يضمنه انه مصدق بمهدية المهدي وانه لا طاقة  
له بمقاومته وينصح له ان يفعل مثله حذراً من ان يخسر الدنيا والآخرة فاطاع  
سلاطين باشا وكتب كما شاء محمد خالد

ولما وصل الكتاب الى آدم أفندي اعلن دخوله في طاعة المهدي وخلع  
طاعة الحكومة وأرسل وفداً الى المهدي ليلفوه الامر فتقبل الوفد  
بالخفاوة وكتب منشوراً اتى فيه على آدم أفندي وجعله أميراً من قبله على  
الاقليم وقائداً على الجند وأرسل له راية عليها شعاره وأمر ان يزحف بمن  
معه من المقاتلة والاسلحة والمدافع وينضموا الى محمد خالد الذي كان وقتئذ  
على وشك الزحف على العاشر

وكتب المهدي أماناً لعاصر أفندي ومن معه من الضباط والموظفين  
واكد ان لا يحسبهم أحد بسوء في أموالهم واعراضهم وقد كان ذلك ولم يصيبهم  
ما أصاب غيرهم من الظلم والحيف ومصادرة الاموال وهتك الاعراض  
وما ذاك الا لانهم سودانيون غير مصريين

### ذكر سقوط الفاشر

مدينة الفاشر هي عاصمة دارفور منذ دخولها في حوزة المصريين وكانت  
مقر السلاطين دارفور

وقد ذكرنا ان سلاطين باشا كان مقياً بها ولكنه فادرها على أثر وفاة  
مدير (داره) الايطالي وكان السيد بك جمه مديراً عليها وقومنداناً لحاميتها  
وهو ضابط مصري

ولما استولى محمد خالد علي (داره) خاطب مدير الفاشر ودعاه للتسليم  
والدخول في طاعة المهدي على الشرط الذي قبلته حامية داره فاجابه بالرضا  
والقبول ولما اتصل به نبأ ما فعله محمد خالد بحامية داره وما عامل به الضباط  
من النهب والسلب وأنواع التعذيب صمم على نكث العهد والدفاع حتي آخر  
لحظة من الحياة فتقدم نحوه بجيش جرار ومعه مدافع وسواريج وجميع الاسلحة  
التي انفذها معه المهدي والتي ضمنها من حاميات دارفور وهجم على الفاشر  
ليأخذها عنوة فقاتلته ببسالة عظيمة والزمته التقهقر بخسائر جمة

وكانت الآبار التي تستقي منها الحامية خارج الاستحكامات ولا آبار  
بداخله فهجم المدوليل على تلك الآبار وردمها وأصبحت الحامية بلا ماء تقاسي  
الظما ثلاثة ايام فاضطرت الي التسليم ودخل محمد خالد المدينة وضاعف عذاب

الحامية ونهب أموال رجالها وسبي نساءهم وساق منها قطعاناً كالغنم بعث بها  
إلى المهدي وخلقائه

وقبض على السيد بك جمعه وكان محمد خالد ينوي قتله ولكنه عدل  
عن ذلك ونفاه بجهة ( كوى ) وبقي منفياً حتى غادر محمد خالد دارفور فأطلقه

### ذكر مسألة الحب خانة بدارفور

كان بحامية (داره) ضابط صغير اسمه محمد سليمان وهو من الأرقاء الذين  
ترقوا تحت السلاح وبعد سقوط الفاشر جعله محمد خالد قائداً على الجنود  
السود الذين غنمهم من الحكومة وجعل على حراسة الحب خانات ضابطاً  
مصرياً اسمه محمد أفندي اللقاني فآقره محمد خالد في وظيفته ومعه عشرة من صف  
ضباط مصريون يشتغلون في الحب خانات بمثل تعبئة الخرطوش وغيرها  
وكان محمد سليمان طامحاً لو وظيفة محمد اللقاني ليكون ذا وظيفتين فأوعز إلى  
رجل من أتباعه أن يقذف في الحب خانة قبساً من النار في الوقت الذي يكون  
العمال مشغولين فيه بأشغالهم قمعاً والتهب البارود وتقاذفت القنابل واحترق  
محمد اللقاني وخمسة من عماله ونجا خمسة منهم كانوا قد تهيأوا عن الحب خانة  
في قضاء حوائجهم فدخل محمد سليمان على محمد خالد وقال له ألم أحضرك  
النصح باجتنب اللقاني وسائر قومه المصريين فانهم أحرقوا الحب خانة من  
تلقاء أنفسهم ليموتوا ويتلفوها أضراراً بنا وإن الخمسة الذين كانوا خارج الحب  
خانة هم الذين رموها بقبس النار فقبض عليهم وضربت أعناقهم لأنهم كفار  
مصريون رحمة الله عليهم أجمعين

## ذكر قتل عمر اغا ترحوه

ذكرنا أن المهدي بمث عمر بن الياس أم برير مع محمد خالد الى دارفور وقد تقدم لنا الإشارة الى المنكرات التي كان يأتيها ابوه الياس ام برير والى ما كان منه من الانحياز لجانب المهدي وشدة بغضه للحكومة

وكان في دارفور صنjq اسمه عمر اغا ترحوه مشهور بالشجاعة والاقdam وله اليد البيضاء في الحروب التي رفعت أوزارها بين الحكومة والمسمي هارون الرشيد المطالب برش دارفور وانه هو الذي قتل وزيره سعد الذي جاء قتله سبب فشل مولاه ولذلك قصة لاياس من ايرادها هنا

وهي أن القائمقام على بك شريف شهيد كوردفان الذي تقدم لنا ذكر قتله مع محمد سعيد باشا كان يقود قوة لمطاردة هارون ووزيره قفرامنه واوغلا في الغابات فتأثرهما حتى لحق التعب فرسانه فأحجموا عن المطاردة الا عمر اغا ترحوه فانه تابع المطاردة بنفسه بالرغم مما لحقه من التعب وفقدان الرفيق حتى أدرك الوزير وقتله وحز رأسه فنازعه خشم الموس (أغا) وقتها (باشا) وادعى انه الذي قتله وبعد التحقيق ظهر فساد دعواه فكافأت الحكومة عمر اغا ترحوه وجعلته قائداً على أربعمئة جندي من الباشبوزق

ولما استولى محمد خالد على (داره) أكرمه وجعله قائداً من قواده وبمته مع عمر بن الياس لمصادرة أموال قبيلة من الاعراب أظهرت عدم الطاعة للمهدوية فجعل عمر بن الياس همه في احراز المال وانفاذه الى آيه في الإبيض ويقال انه أنفد أكثر من ثلثمائة ألف ريال تخاف أن يكون عمر اغا ترحوه عيناً عليه من قبل محمد خالد فرماه عنده بأنه يدبر مكيدة ضده وانه ينوي

الخروج عليه فقبض عليه وعلى الملازم الاول ابراهيم زيان ويعقوب رمزي  
باشكاتب المجلس وكانا صديقين حميمين له وضربت أعناقهم وقيل عن الآخرين  
انهما شريكاه في تدبير المسكيدة وانهما يجعلان له الاسلحة والذخيرة رحم  
الله الجميع

### ذكر قدوم سلاطين باشا علي المهدي

لما تم لمحمد خالد الاستيلاء على دارفور كلها أرسل خطاباً إلى المهدي  
يشره بما أتيج له من النصر وقدم له أشياء كثيرة من الغنائم وأرسل له  
خيولاً عربية تعد بالآلاف فأطلق مائة مدفع ومدفعا اظهاراً للسرور وكتب  
له كتاباً بالتفويض العام في كل ما يراه لازماً لتلك البلاد بنير قيد ولا شرط  
وأذن له بالمبايعة وأمره بإرسال سلاطين باشا فأدركه وقد غادر الأبيض ونزل  
(الرهدة) كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه فخرج للقاءه جمع من الناس وكان  
ممتطياً فرساً ومتابطاً كنانة ملوثة بالنبل

ولعل هذا الفرس هو الذي أخبر سلاطين باشا ان الشيخ مادبو أحد  
شيوخ العربان أهدها له فاعتذر عن قبوله بأن حاله الحاضرة تمنعه من  
ركوب الخيل فلاطفه مادبو وقال له العبارة التي نقلها بحروفها واتخذها مثلاً وهي باللغة  
العامية (إلى عمره طويل يشوف كثير) وقبل منه الفرس ورد له طبولاً  
حربية كان غنمها منه في احدي وقائمه وقال سلاطين باشا ان هاته الطبول  
عندهم بمثابة رايات الحرب عند الأوروبيين  
ولما مثل سلاطين باشا بين يدي المهدي قبل يده وبايه البيعة التي

تقدم لنا ذكرها وسماه عبد القادر سلاطين وأمره بلزوم باب التعايشي والانتصار  
بأمره وسيأتي ذكر بقية أخباره

والفرس التي أهداها له مادبو تسمى ( صقر الدجاج ) أي أنها سريعة  
في اقتفاء أثر النعام وإدراك الصيد لأن صاحبها كان يقتنص بها

### ذكر قتل آدم أم دبالو ملك تغلي

ذكرنا فيما تقدم بعض الإيضاح عن جبال تغلي وهنا نذكر أن المهدي  
لما كان فاراً من وجه الحكومة إلى جبل قدير تقابل مع آدم أم دبالو ملك جبال  
تغلي فأكرم وفادته وأضافه خمسة وعشرين يوماً وأهدي إليه شيئاً كثيراً من  
التبر والماشية وأمدّه بخمسة فارس من قومه أوصلوه إلى جبل قدير وفعلوا  
راجعين إلى جبال تغلي

ولما ظفر المهدي بحملة الجنرال هيكس رغب إلى الملك آدم أن يزوره  
في الأبيض فأجاب الدعوة وقدم في عدد كبير من قومه ومعه مائتا فارس  
مسرلين بالدروع والخود وخيولهم مغطاة بمخيشات من القطن فخرج المهدي  
للقائه بجميع جيشه وأطلق له مائة مدفع ترحيباً بمقدمه واستعرض له جيشه  
وأطلقت نيران البنادق أيضاً ونصبت له السراقات ونحرت النوق لطعامهم  
ومكثوا أكثر من أربعة أسابيع وبلغت درجة إكرام المهدي له أنه كان يحمل  
قصة طعامه بنفسه إلى أن يضمها بين يديه حتى حسده التعايشي الذي كان  
يخافه على مركزه من أي إنسان يحس بإقبال المهدي عليه

وكان الملك آدم استأذن المهدي في العودة إلى بلاده فاغتم التعايشي هذه

الفرصة وأشار على المهدي أن لا يأذن له في العودة ويسأله مرافقته إلى الخرطوم  
للجهاد معه فانكر عليه المهدي هذا الرأي فاقنعه بأنه لا يرغب في هذا الأمر  
وانما يقصد اختباره ويتأكد من طاعته للمهدي فقبل المهدي فلم يظهر من  
الملك آدم غير الاستحسان والطاعة ثم عاد التماشي لانهاء بقية مقاصده  
فنقل إلى المهدي ان الملك آدم ممتعض منه وانه ساخط من فعلته وقد أظهر سخطه  
لكثير من الأمراء حيث قال لهم ان مهديكم كذاب ولا وعد له وقد فررتني  
وابعدني من بلادي ثم انه يريد مرافقتي له حتى يفرغ من الخرطوم وقد نكث  
المهد الذي أعطانيه حيث وعدني بالعودة بعد ايام يسيرة وما زال التماشي  
يسعي به حتى أصدر المهدي منشورا زعم فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم  
أمره بقتل الملك آدم أم دبالو وقاضيه الفقيه أحمد لانها غير مصدقين بدعوته  
فضربت اعناقها وسط الجيش الذي استقبلا فيه واستعرضاه وإلى الله  
تصير الأمور

وهنا نورد صورة كتاب أصدره المهدي نقلا عن الجزء الثاني من كتاب  
منشورات المهدي المطبوع بعد سقوط الخرطوم صحيفة ٣٦ ومنه يفهم ان  
جبال تقلى دانت بالطاعة للمهدي وانه يعتبر ملكها حاكم من قبله وهو  
« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا  
محمد وآله مع التسليم وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله إلى أهل جبل  
الكندرو والصبي والمندل والتم نيل وكافة أهل الجبال المؤمنين بالله ورسوله  
وتابعين لأمرنا فقد أمرنا عليكم عمر بن الملك آدم فقوموا كلكم بحروبكم  
معه إلى قتال الدج الترك والنصارى ولا تأخروا عن القيام مع الملك عمر

فن خالفه فقد خالفنا ولا عهد له عندنا ولا يلومن الا نفسه والسلام التاريخ  
١٢ شوال سنة ١٢٩٩ «

## ذكر قتل المنه

ذكرنا ما كان من أمر المنه وقيامه بدعوة المهدي في كوردقان واستيلائه  
على الطيارة وقد بينا ما أتاه من القضايع والمنكرات  
وكان المهدي يعمده بتبوأ منصب خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه  
ولما زحف المهدي على الأبيض اجتمع عليه «المنه» وزاد في اكرامه وكان يروح  
ويغدو الى المهدي وحوله نحو عشرين من خدامه شاهري السيوف حوله  
خلافا لما كانت عليه عادة المهدي من عدم السماح لغير الخلفاء ان يحيط بهم  
أناس كرامن اظهارا لعلو مراتبهم  
وكان المنه يضابق المهدي ويستنجزه ما وعده به من منصب الخلافة  
فبعده من يوم لآخر لانه كان ينوي خدعة السيد محمد المهدي بن السنوسي  
المشهور بهذا المنصب كما سيأتي ذكر ذلك على حدة  
وقد اغتر المنه بوعود المهدي وأخذ يذيع بين الناس انه رابع الخلفاء  
وكان شديد البغض للخليفة عبد الله التعايشي ويكثر من الوشاية به عند  
المهدي الذي كان لا يتبدل ثقته في التعايشي ولكنه كان يداري المنه ويخادعه  
لما له من المنزلة عند قبيلتي (الجمع والجوامع) اللتين تسكنان شرق اقليم كوردقان  
الذي هو طريق حملة الجنرال هيكس حيث كان المهدي يخشي انتفاض هاتين  
القبيلتين عليه وانضمامهما الى الحملة

ولما فرغ المهدي من أمر هذه الحملة لم يعد قادراً على احتمال ما وقر في نفسه من المنه فاشخصه الى جهة الطيارة وكتب له بالامارة المطلقة عليها فقادر الابيض وخلق بقرية له خارج المدينة وبعد أسبوع انتدب التعايشي التي مقاتل من حملة البنادق والقيين من الفرسان تحت قيادة حمدان ابي عنجه وسلمه كتاباً من المهدي يأمره فيه بمغادرة الابيض بمن معه من المقاتلة ولا يشعر أحداً بوجهة سيره حتى يدرك المنه ويقبض عليه على غرة ويضرب عنقه ويأتيه برأسه ويصادر جميع أمواله فسار حمدان وبلغ القرية قبيل الفجر واجاط بها احاطة السوار بالمعصم وقبض عليه على فراش نومه وقبض على أخيه ووكيله واوثقوا كتافا وقادهم الى الطيارة وضرب اعناقهم بجانب الحصن الذي ذبح فيه المنه حامية الطيارة

ولما دنا الجلاد ليضرب عنقه رفع رأسه وقال للحاضرين « اشهدوا أنني لم أذنب ذنباً غير قتلي للمصريين الذين كانوا بهذا الحصن وقد اغتررت بوعود الظالم المهدي وأعتته فانتقم الله مني وسلطه على ومن أعان ظالماً سلط عليه » وحملت الرأس للمهدي الذي أعلن بان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان المنه منافق إيمانه لا يتجاوز تراقيه وانه ادعى الخلافة كذبا وبهتاناً ولذلك قتله وأظهر التعايشي كتاباً من المنه الى المهدي يقول فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بانه الخليفة الرابع وانه وارث مقام ذي النورين عثمان بن عفان عليه سحاب الرضوان وانه صلى الله عليه وسلم بمقاومة المهدي اذا لم يرضخ لهذا القول

على أن هذا الكتاب ملحق لم يكتبه المنه بل اختلق ذريعة لتبرير عملهم وتسكين خواطر الذين ساعدوا المهدي على امتلاك البلاد واذلال العباد

## ذكر قتل التوم بن زعيم

الكبايش وعجيل زعيم الرزيقات

الكبايش اسم لقبيلة بدوية رحالة تسكن صحراء بيوضة الواقعة بين دنقلة وكوردفان وماشيتها من الابل ويشتمل رجالها بنقل سلع التجار من كوردفان الى دنقلة وبالعكس وهي قبيلة كبيرة يربو عدد نفوسها على نصف مليون نسمة وعندهم الخيول بكثرة والسيوف والحدود والدروع وسائر آلات الحرب التي من هذا القبيل وزعيمها فضل الله بن سالم

ولما وصلت دعوة المهدي الى كوردفان لم يصادف القائمون بها نجاحا عند الكبايش الذين كانوا يجاهرون بولاء الحكومة والبقاء على طاعتها ولما استولى المهدي على الابيض عاصمة كوردفان قصد الانتقام منهم لانهم كانوا يوالون الاعتداء على القبائل التي خضعت لنفوذه ومن ذلك أن الكبايش اعترضوا ظعننا لقبيلة من جهينة كانت تدين بطاعة المهدي ونهبوها فكتب المهدي كتابا الى التوم وصالح ابني فضل الله زعيم الكبايش وعلي بن قريش من مشايخهم ينقله هنا بنصه كما هو مثبت في صحيفة ٢٥ من الجزء الثاني من مجموعة المنشورات وهو

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله الى صالح ولد فضل الله والتوم أخيه وعلي ولد قريش انه ان كنتم منقادين لامر الله ورسوله وتابعين لامرنا في المهدي سلموا الدفع الله ولد محمد الجهمي وأهله جميع ما نهبتوه منهم من مال ورقيق ومواش ونهبوا على جميع أهاليكم

السكبايش ومن معهم ان يتركوا جميع الموائد المخالفة للكتاب والسنة  
 واركوا نهب أموال المسلمين ولا تتعرضوا لأحد بهد ذلك وأقيموا الصلوة  
 في أوقاتها واخرجوا زكاة أموالكم واحضروا عندنا سريما بدار الهجرة فاتها  
 واجبة على كل مسلم فاذا فهمتم ما ذكر فافعلوا جميع ما أمرناكم به وارجعوا  
 لجماعة جهينة ما لهم كله فان سمعتم ما ذكر فعليكم امان الله ورسوله وتفوزوا  
 برضاء الله وان خالفتم أمرنا هذا فعليكم غضب الله ورسوله بمخالفتكم لأمر  
 الله ولا بد من مجازاتكم وخراب دياركم والسلام التاريخ ٢٠ رجب سنة ١٢٩٩  
 ولما وصل الكتاب الى المرسل اليهم اذعنوا بالخضوع للمهدي وهم يظنون  
 له العداة وفعلوا ما أمرهم به ووفد على المهدي التوم بن فضل الله تاباً عما  
 فرط من قومه واثقا بامان المهدي

وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الاول سنة ١٣٠١ قبض التعاشي على  
 التوم وعجيل زعيم قبيلة الرزيقات التي ذكرناها في الكلام على دارفور وضرب  
 عنقهما فتأثر الناس لانهم لم يعلموا من سبب لذلك واجتمع الخليفة شريف  
 ابن عم المهدي وعمه عبد القادر ساني على ومحمود عبد القادر وغيرهم من  
 ذوى قرابته ودخلوا على المهدي وسألوه هل أمر التعاشي بقتل ذينك  
 الرجلين فاجابهم سلباً وانحدرت الدموع من عينيه فقالوا له ان التعاشي  
 فعل هذه القعلة لينفر الناس من مديتك ويشوه سمعتك فاعزله وول  
 أحدنا مكانه وهاهو محمود عبد القادر خير كفؤ لهذه الخلافة فلم  
 يجبههم بغير الاسترسال في البكاء وأخيراً أمرهم بالانصراف حتى يأتيه  
 النبي صلى الله عليه وسلم ويرشده الى حل هذه المشكلة وزاره  
 التعاشي فأمره بلزوم بيته ريثما يأتيه النبي صلى الله عليه وسلم

وفي اليوم التالي خرج ومعه منشور هو الذي أوردنا نحوه عند الكلام على سقوط (باره) وقد اشرنا الى ما كان من أمر هذا المنشور وانه أصدره ليقنع أهالي باره عن المطالبة بحقوقهم

وقد تضاربت الاقوال في أمر هذا المنشور فربق قال ان هذا المنشور أصدره المهدي لاقتناع أهل باره وقال آخرون انه أصدره في هذا اليوم وعلى كل حال فان المهدي خرج على قومه في اليوم التالي بهذا المنشور وتلاه عليهم ليكفوا عن توجيه اللوم ونسبة الظلم لعبد الله التمايشي ويدل هذا المنشور أيضاً على انهما كانا متفقين باطناً على هذا العمل وهما في صورة المنشور بالحرف الواحد نقلاً عن الجزء الاول من كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اعلاماً منه الى كافة عباد الله المؤمنين بالله وبكتابه أما بعد اعلموا أيها الاحباب ان الخليفة عبد الله خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق فهو خليفة الخلق وأمير جيش المهديّة المشار اليه في الحضرة النبوية فذلك السيد عبد الله بن السيد محمد حمد الله عاقبته في الدارين فحيث علمتم ذلك يا احبابي ان الخليفة عبد الله هو مني وانا منه وقد أشار اليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فتأدبوا معه كتأدبكم مني وسلموا اليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله ولا تهموه في فعله بجميع ما يفعله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم أو بأذن منا لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره صلى

الله عليه وسلم والقضاء بإشارته فإن فعله بكم وحكمه فيكم بحسب ذلك واعلموا  
يقيناً أن قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى  
«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة  
من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» فمن كان في صدره  
حرج لاجل حكمه فذلك لعدم إيمانه وخروجه من الدين بسبب غفلته وذلك  
بشاهد قوله تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم  
لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» ولا شك في شرك من  
استنكف عن حكم الله ورسوله سيما بقوله صلى الله عليه وسلم «ان أخوف  
ما أخاف عليكم الشرك الخفي» الخ الحديث مع أنه خليفة الصديق وأول  
المصدقين في المهديّة فانظروا لمكانة الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن  
العظيم وانظروا لمكانة من أورثه الله مكان الصديقين ووازره بالباطن بالحضر  
عليه السلام فهو مسدد مؤيد من الله ورسوله ويد من أيادي الله لنصر دينه  
بإشارة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقد ورد في فضله كثير فحيث فهمتم  
ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والخذلان وسلب الإيمان واعلموا أن  
جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لانه أوتي الحكمة وفصل الخطاب  
ولو كان حكمه على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم فلا تترضوا عليه  
فقد حكمه الله فيكم بذلك ليطهركم ويذكركم من خبائث الدنيا لتصني قلوبكم  
وتقبلوا إلى ربكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسى جزماً فقد خسر  
الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ويخشى عليه من الموت على سوء  
الحاتمة والعياذ بالله لانه خليفة الصديق الذي قال الله في حقه «اذ يقول لصاحبه  
لا تحزن ان الله معنا» وقال صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس على في الصحبة

أبو بكر وقال عليه السلام ما طلعت شمس على أحد بعد النبيين أفضل من  
 أبي بكر وحيث علمتم فهو بمنزلة الآن لأن أصحابنا كأصحاب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وهو المذكور خليفتنا في الدين وخلافته بأمر النبي صلى الله  
 عليه وسلم فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومصدقاً بمهديتي فليسلم  
 للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً وإذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر فاحملوه  
 على التفويض بعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا يا أولى الابصار بقصة موسى  
 والحضر عليهما السلام حكاهما الله في كتابه العزيز لحكم داود وسليمان عليهما  
 الصلاة والسلام لتسلموا من الشكوك والالوهام وإنما أنذرتكم بهذا رحمة  
 لكم وشفقة عليكم وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه وتسبوا إليه  
 الظلم والجور فتهلكوا فامذروا عن أذية أولياء الله فانها أذية الله ورسوله وقد  
 لمن الله ذلك في كتابه فقال دان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا  
 والآخرة كما أن من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب فإن الله غيور على أوليائه  
 فقد علمتم أنه ورد من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند  
 الله من أن يؤذى ولياً من أوليائه وإن الخليفة هو قادة المسلمين وخليفتنا النائب  
 عنا في جميع أمور الدين وأياكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامتثال  
 إليه في قوله والمشاجرة له أو لأحكامه والخلاف والحسد فتوبوا إلى الله وارجموا  
 قبل أن تذهب حسناتكم وتسلبوا ثواب الإيمان وإنما حملني على هذا البيان  
 النصيحة في الله وحمایتكم من الوقوع في هاوية الانفس والاماني فمن تاب  
 تاب الله عليه ومن عاد فينتقم الله منه ويسلط عليه وهذا أمر الله ورسوله  
 فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ولا  
 حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام

## حوادث السودان الشرقي

السودان الشرقي عبارة عن فيافي مترامية الاطراف تمتد من شرق وشمال نهر (أبهر) حتي شطوط البحر الاحمر كمصوع وسواكن وغيرها من تلك الشطوط ومتاخم للاحباش من جهات كثيرة وهو عبارة عن اقليم (التاكا) وقاعدته مدينة (كسلا) ومحافظات الشواطيء كمصوع وسواكن وغيرها وسكانه قبائل ضاربة ألوانهم الى لون النحاس أو بعبارة أخرى كلون زنوج أفريقية الجنوبية الذين تختلف ألوانهم عن زنوج السودان الاوسط وهاته القبائل تشبه بعضها في الاخلاق والعادات مع بعض فروق وكلها لا تتكلم باللغة العربية بل بلغات أعجمية لا كتابة لها وتعيش اكثر القبائل كما يعيش الاعراب الرحالة بالبان الماشية ولحومها وماشيتهم جلبا من الابل وتسكن بعض القبائل رؤس الجبال وبعضها يأوي الى كهوف في الارض متسعة تسع عدة قرى في داخلها

ومن القبائل التي تعيش كمشقة الاعراب قبائل (المهندوه) وبنى عامر والهاباب وأما رار فالمهندوه تسكن حوالي كسلا وبنوعامر والهاباب يسكنان حوالي مصوع وأما رار تسكن ضواحي سواكن وهناك قبائل كثيرة اضربنا عن ذكرها فرارا من التطويل

واكبر هاته القبائل قبيلة المهندوه وعدد نفوسها يتجاوز مليون نسمة وماشيتها من الابل كثيرة جدا ورجالها ميالون الى الحروب وسفك الدماء والنارة على جيرانهم عكس بنى عامر والهاباب المعروفتين بالميل الى الدعة والسكون ونوقهم مشهورة بعظم السنام حتى ان الواحدة منها لا تستطيع القيام

بغير مشقة ومن أشهر القبائل التي تسكن رؤس الجبال وبطون الكهوف ( الباريه ) وهي قبيلة أعجمية ديانها مجوسية ولم تخضع للحكومة ورجالها ذوو بأس وشجاعة يقطعون السبل على المارة ويفيرون على بلاد الحكومة ومنهم قبائل كثيرة تدين بالاسلام وعوائدها تشبه عوائد طوائف الدروز واليزيدية .

وتنسب قبائل بني عامر والهاباب الى رجال من الاكراد سجنهم سلاطين العثمانيين في سواحل البحر الاحمر منذ أربعة قرون أو أكثر فتزوج أولئك المسجونون نساء من الاحباش والزنج وانتشر نسلهم وعاشوا بمعيشتهم البدوية كاسلافهم الاكراد

أما الزراعة في جميع أنحاء السودان الشرقي فانها لا تذكر وأكثر القبائل تعيش بنسير الحبز ووجد منهم من لم يذق الحبز مدة حياته وقس على ذلك سائر القبول فانها غير معروفة عندهم البتة

ويوجد في داخل مدينة سواكن أناس من السكان الاصليين لا يذوقون الحبز مرة في السنة وفذاؤهم قاصر على اللحم والابن وطريقتهم في اللحم واحدة لا تتبدل وهي انهم يأتون بأحجار يغرمون عليها النار حتي تتحول جمرأ فيضعون عليها اللحم حتي ينضج ويصير اللحم لذيذا واسمه ( سلات ) ويمكن لكل انسان أن يحصل على هذا اللحم بثمان بختس اذ الاسواق مملوءة به وثمان الشاة الواحدة لا يبلغ خمسة عشر قرشا مصريا والوعاء الذي يحوى نحو خمسة وعشرين رطلا من الابن لا يبلغ ثمنه أكثر من قرشين

ومن أطف النواذر التي سمعتها ان اعرابيا من قبائل السودان الشرقي التقى بقافلة سائرة من بربر الى سواكن فرأى بين أيديهم بصلا يأكلونه مع

الحيز فأعماه به صلة فأراد أن يشمها ويأكلها كما رأهم يفعلون فتصاعد ريحها  
إلى أنفه فتدفع بها إلى الأرض وأخذ يركض إلى الحي مستصرخاً قومه إلى الانتقام  
من هذه القافلة التي جاءت إلى بلادهم بنوع خبيث ينشر بينهم الأمراض  
وينقل إلى بلادهم جراثيم الأوبئة والأمراض وبعد عناء شديد تمكنت القافلة  
من متابعة سيرها ونجت من الهلكة

ومن ذلك أن رجلاً من أهالي بربر تعرف برجل من كبار الأعراب  
فزل ضيفاً عليه في بربر فقدم له غذاء من طيبخ الملوخية فامتلاً الرجل غيظاً  
وقال لمضيفه هل أنا بمنزلة الثور منك حتى تقدم لي الحشائش الخضراء التي  
لا يأكلها غير ثورك فأخذ الرجل في ملاطفته ليقنعه بأن غذاءه وغذاء ساثر  
مواطنيه من هذا النوع فلم يصدقته وخرج من منزله في أشد حالات الغضب  
فسبحان من أقام العباد فيما أراد

وأهالي السودان الشرقي كلهم يتركون شعورهم حتى تبلغ من الطول  
الحد النهائي وشعورهم صلبة قوية يتركونها واقفة غير مسبولة يخالفها الرأي  
من البمد قبعة من النوع الأسود الطويل جداً ويدهنونها بشحم الجمال أو البقر  
وملابسهم هي ملاءة من (الدمور) ولا يلبسون شيأ من السراويل أو الاقيبة  
ويزعمون أن لباس السراويل والاقبيبة مما يولد الأمراض في الجسم سيما  
أمراض المعدة وحلق الشعر أوقفه مما يولد أمراض العيون وضعف البصر  
هذا ما نوردته هنا عن شرقي السودان عموماً حيث نسرده حوادثه وسيأتي  
الكلام عن كل جهة بما فيه الفائدة والله الموفق



## ترجمة الشيخ الطاهر المجدوب

غير خاف ان عثمان دقنه هو الذي كان داعية المهدي ونائبه في السودان الشرقى وكان عثمان دقنه مريداً للشيخ الطاهر المجدوب ومخلصاً وسيعلم القارىء مما يجيء ان المهدي لم يكن يصطفى عثمان دقنه لهذا الامر الخطير بل الذى اصطفاه له أستاذه الشيخ الطاهر ولذلك رأينا أن ترجمه هنا ثم نعبه بترجمة عثمان دقنه ليكون القارىء على بينة من أمرهما فنقول

الشيخ الطاهر المجدوب هو شيخ الطريقة المجدوبية ورث هذه السجادة عن عمه الشيخ محمد المجدوب الصغير تلميذ السيد احمد بن إدريس المغربي وأصلهما من بطن من بطون قبيلة الجعليين اسمه المجاذيب نسبة الى جدهم حمد المجدوب ويسكن هؤلاء الناس على ضفة النيل جنوب نهر (أبهر) في قرية (الدامر) محل ضريح جدم حمد المجدوب

أما محمد المجدوب عم صاحب الترجمة فانه ولد بهذه القرية ثم هاجر منها ولحق بالحجاز وهناك التي بأستاذه السيد احمد بن إدريس ومكث ملازماً كبقية تلاميذه مثل السيد السنوسى صاحب الطريقة السنوسية المشهورة بأفريقية الغربية والسيد محمد عثمان الميرغنى صاحب الطريقة الميرغنية أو الختمية وغيرهم كإبراهيم الرشيد نزىل مكة المكرمة ثم عاد محمد المجدوب الى الحجاز بعد أن نال من أستاذه كل رعاية والتفات وتحصل على درجة سامية من العلوم العقلية والنقلية ثم غادر الحرمين الشريفين واستوطن ضواحي سواكن فانتظم في سلك أتباعه الالوف من رجال القبائل وترامت شهرته في أطراف البلاد حتى صارت القبائل تحترمه احتراماً زائداً وتعبه حياً فوق العادة

وكانت بينه وبين صاحب الطريقة الميرغنية مناظرات شديدة توارثها  
اتباعهما وكانت أسرة عثمان دقنه من أعظم أتباع الشيخ محمد المجذوب. وله  
ديوان في المدائح النبوية وتوفي ولم يعقب فورثه ابن أخيه الشيخ الطاهر  
المجذوب وكان في بداية أمره على منزلة تقرب من منزلة عمه في قلوب الناس  
وله أملاك في سواكن والحكومة تبالغ في احترامه وتتسابق إلى استرضائه  
حتى كان من أمره ما سنوده ولله في خلقه شؤون

### ترجمة عثمان دقنه

هو عثمان بن أبي بكر دقنه نسبة إلى قبيلة (الدقني) وهي قبيلة صغيرة  
تسكن سواكن وأصلها منسوب إلى قائد تركي نفاه ساكن الجناح السلطان  
محمود وكان عماء وجهين في سواكن أحدهما على دقنه حاز لقب بك من  
الحكومة وكان المترجم صاحب أملاك في سواكن وتاجراً يتردد إلى مصر  
في كل عام

وفي سنة ١٢٩٤ هجرية سافر إلى دارفور ويقال أنه قبض عليه مع قافلة  
نخاسين وسيق إلى المحاكمة ثم فر منها وفقد كل ثروته التي كانت حوالي عشرة  
آلاف جنيه وكان متزوجاً بابنة عبد الغفار الضوي أحد تجار المصريين في  
بربر وكان أعطاه عشرة آلاف ريال ليتجر بها فأضاعها ثم لحق بسواكن ومكث  
بها فحجر الدائنون على أملاكه

وحكى لنا موظف في سواكن أن عثمان دقنه جاءه متظلاً مما أتاه  
الدائنون معه حيث حجروا على كل ما يملكه حتى الضروري لحياته فوجد الموظف  
مرتبكاً في بحر أفكار شديدة فسأله عن حاله فقال أتاني تلعراف أن ابنتي

مريضة جداً فقال له اننى أعرف نوعاً من الزايرة ولكنى اشك فى صدقها  
فقال ولماذا فقال لأنها منذ عشرين سنة مضت تخبرني باننى أصبح ملكاً كبيراً  
وشهرتى تطبق آفاق الارض كلها فقال له الموظف لا بأس من سؤالها من  
صحبة ابنتى فتناول قرطاساً وقلماً وبعد ساعة رفع رأسه وقال له تقول الكاذبة  
ان ابنتك قد زال عنها الخطر وانه يأتىك خبر شفائها قبل ان تقوم من مقامك  
. هذا ثم قال انها تقول ذلك ولكنى أخبرتك بانها تكذب على منذ  
عشرين سنة ولم يتم هذه الكلمات حتى دخل موزع التلغراف ورفع الى  
رسالة قرأت فيها شفاء ابنتى وزوال الخطر عنها فلما سمع عثمان دقته  
هذا الكلام ضحك حتى استلقى على ظهره وقال هذه أول مرة صدقت  
فيها ولعلها تصدق بعد الآن وائى لا انصرف من هاهنا حتى اسألها السؤال  
الذى لم تصدق في الاجابة عنه منذ عشرين عاماً فتناول القرطاس والقلم وأخذ  
يرقم الاعداد وفي النهاية ضحك وقهقه وقال لى انها تقول دنا الاجل فاطرح  
الوجل ثم أخذنا فى حديث آخر فاستأذنى بالانصراف فشيخته الى الباب  
وكررت عليه الرجاء ان لا يجعل زيارته كبيعة الديك فقال مازحاً وهل تحب  
ان تكون بيضة دجاجة فقلت نعم فقال يفعل الله ما يشاء وانصرف فلم أراه  
حتى سمعت بظهوره فى ارباض سواكن وانتشار نفوذه فى كل انحاء السودان  
الشرقى وبید الله كل شيء.

وقد كان عثمان مشهوراً منذ حداثة سنه بالميل الى العبادة ومواظبة  
الصلاة وملازمة أوراد الطريقة وكان مشهوراً بالشفقة والرحمة  
هذا وقد رأينا صوراً كثيرة يقال انها صورته ولاول وقوع بصرنا ادركنا  
انها غير حقيقية بل هى صور وهمية او خيالية تبعد عن الحقيقة بعداً شاسعاً وغاية

ما يقال فيه ان قتل ساعديه واعتدال قامته يدلان على القوة والقوة واشتهر عن عثمان الشراء في الاكل حتى انه يأكل الحروف المشوى وحده وكما اشتهر بالهم فقد عرف عنه الصبر على الجوع حتى انه في اكثر أسفاره وغزواته يصبر من الغذاء اياما معدودة ويقتصر على اكل ورق السدر وغيره من ورق الشجر الكثير المرارة والحاصل انه غريب الشكل في اخلاقه وعاداته وسيأتي ذكر كثير من هذه الغرائب

### ذكر وفود عثمان دقنه على المهدي

كانت الخطابات بين المهدي والشيخ الطاهر المجذوب متبادلة منذ وطن المهدي نفسه على اتعال هذه الدعوى ويقال ان اول خطاب وصل الى الشيخ الطاهر من المهدي مؤرخ في شعبان سنة ١٢٩٨ يخاطب به كل المشايخ ومثل هذه الخطابات كثير وقد اخترنا هذا لنورده هنا تلاقا عن الجزء الاول من كتاب المنشورات وهو بنصه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله جزيل السلام الى كافة الاخوان من المحبين ومشايخ الدين لا يخفى عزيز علمكم ان المؤمنين لا عناية له الا فيما يرضي الله من كمال الايمان والاتباع على السنة والكتاب وبصرف الهمة في هذا الوجه يتولاه الله ويقوم بحظوظه في الدارين واذا التفت الى حظوظه ومصرف همة الى ذلك وكله الله على نفسه ولم يحصل له من حظوظه شيء الا بالتعب القلبي والبدني واتم ايها المؤمنون الذين يظن بكم المعاونة على

تقويم السنة ومعلوم أن جاء الدنيا ولنتها لا يؤثره العاقل العارف لأن ما في  
الدنيا مفارق يصير كأنه لم يكن ولنتها لا تنفي بحسرتها بل عين اللذة تصير عين  
الحسرة حتى لا يجد بيده شيء. فالعاقل العارف لا يسعى إلا في رضا الله وعلى  
ذلك يا حبابي أني لم أقدم على تنبيه الناس أحثهم على النعيم لأقامة السنة إلا  
بأمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ولا يكذب على سيد الوجود إلا  
من لا أخلاق له عند الله ومع ذلك شهد على ذلك جمع من الاتقياء الذين  
يمتثلونهم ومكانهم عند الله لا يخفى وفضلا عن ذلك تعلمون هذا الزمن وما  
فيه من البدع وما لهم تحصن من ذلك إلا بالقرار بالدين وطلب الهجرة بالدين  
في هذا الحال وارد كتابا وسنة ووعيد من ترك الهجرة وارد كتابا وسنة كما  
لا يخفى وقد كاتبت على أمر النبي صلى الله عليه وسلم جميع أهل الدين بالليث  
علي دين الله وأقامة السنة وقد ضمن النبي صلى الله عليه وسلم من يكون  
معنا وما ذلك إلا أمر من الله ورسوله فإن كانت قد بلغتكم تلك الأجوبة  
السابقة فهذا اليكم لتشعروا على ذلك فإن هذا الأمر ما بثته إلا بعد أن خرج من  
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ثم تكرر مرارا عديدة وفضلا عن ذلك أن  
من مثلكم لازم يكون لمثل هذا الأمر أول قائم ويبحث عليه ومعلوم أن من  
تركه وصده عنه فعليه أثم وأثم من صدم جميعا وأعلموا انكم ان اتبعتم هذا  
الأمر صرتم من المقرين والا كان عليكم أثمكم وأثم من تبعكم وهذا الأمر  
حقيقة من الله ورسوله ولا يخفى أنه لا يغير على الله أن يظهر قدرته في أضعف  
خلقه ويظهر الدين على كراهة أهل معصيته فمن أعرض عن ذلك فحسبه الله  
فإن مات قبل ظهوره لم يأمن عقوبة الله في أعراضه عن الحق وصده لمن أراد  
الاستقامة والهجرة لله ورسوله ومعلوم أن من لم يتبع هذا الأمر يخذل في الدارين

ومن حصل له شك يظهر له فيما بعد كما بين والسلام شعبان سنة ١٢٩٨ هـ  
ولما حاصر المهدي الأبيض كان يوالى ارسال الخطابات الى الشيخ الطاهر  
يستحثه فيها على مناوأة الحكومة والقيام بدعوته في السودان الشرقي وأذن  
له بمبايعة الناس نيابة عنه وانه أمير من قبله على هاته البلاد فبث اليه الشيخ  
الطاهر بوفد من أتباعه يرأسه عثمان دقنه ومعه كتاب يقول فيه ان عثمان  
دقنه من خيرة مريديه وأصدق أتباعه وانه من رجال الحزم والعزم وانه  
لا يفضل أبناء النازلين من صلبه عليه وان إمارة شرق السودان خلق بها  
أكثر منى واننى لأستنكف أن أكون تابعا لافضل مریدی عثمان وأكون  
مستشاره ومدبر أموره وأنصح لكل أتباعى بالقيام بنصرته وموازرتة وان  
المانع لى من قبول هذا الامر لنفسى هو الطمن فى السن وعدم القدرة  
على الانتقال والقيام والقعود اذ هي من ضروريات هذا المنصب وبكفني ان  
أكون أول من يذعن بالطاعة لعثمان وفى ذلك من التعضيد والحض لموم  
أتباعى ما يقرن عمله بالنجاح

ولما قدم عثمان على المهدي وجد الأبيض سقطت فى قبضته فتلقاها  
بالخفاوة والاكرام

ولما اطلع على الخطاب داخله بعض الريب فى أمر الشيخ الطاهر وتردد  
فى قبول ما أشار به عليه لانه لم يكن وثقا بانه يرفض قبول الرئاسة لمثل هذه  
الاعذار ويهديها الى أحد مريديه وبعد بضعة شهور تحقق ان الشيخ الطاهر  
مصيب فى كل ما قاله وخصوصا لانه ملازم للخلاوة والانفراد ويتألم من الفوغاء  
وليس بين أولاده من ينهض بهذا الحمل الثقيل وبعد مداوولات كثيرة بينه وبين  
التعايشى أيقن بصحة القول وعزم على انفاذ عثمان دقنه واستناد هذه المهمة اليه

وكان ضمن هذا الكتاب ان الحكومة عولت على انفاذ حملة لقهر المهدي وسيكون طريق هذه الحملة من ثغر سواكن الى بربر وأشار على المهدي بوجوب المبادرة بإرسال عثمان لان أهالي السودان الشرقي كلهم متأهبون للقيام معه وخلع طاعة الحكومة فيتمذر سير الحملة الى بربر وتنهياً للمهدي الفرصة للاستيلاء على الخرطوم لان قيام الثورة في ضواحي سواكن يضطر الحكومة الى إعادة الجنود الى مصري ترسلهم عن طريق دقله أو العطور فلا يصلون الخرطوم في أقل من عامين على ان هذه الطريقة كانت تأتي بالنتيجة المذكورة لو لم يتردد المهدي في قبولها لان الاشهر التي أقامها عثمان عند المهدي كانت كافية لبلوغ معظم الجنود بربر فلم ينجح عثمان فيما كان دبره له أستاذ من عرقلة سير الحملة وسد الطريق في وجهها وان نجح من جهة أخرى حيث خلع أهالي شرق السودان أجمعون طاعة الحكومة والتفوا حوله وبلغ ما كانت تحذره بالارتقاء اليه زيارته ونال فوق ما كان يتناه ثم أخذ أمره بالاضمحلال وساءت أفعاله وثقلت وطأته على الذين شددوا أزره وتجردوا النصرته وكان سقوطه مساوياً لارتفاعه كما سنشرحه بعد

### ذكر أوبة عثمان دقله الى سواكن

لما اقتنع المهدي بسلامة نية الشيخ الطاهر خاف أن تفوته فرصة عرقلة سير الجنود من سواكن الى بربر فسير عثمان دقله من الأبيض في شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٠ وكتب له منشوراً الى جميع أهالي السودان يعلمهم بأمر دعوته ويأمرهم بطاعته وموازرته وقد بحثنا على صورة هذا المنشور في مجلدَي المنشورات فلم نلقها بها ولكن عثرنا على منشور كتبه بعد ان وصل

الى سواكن يعظه فيه واتباعه ويزهدهم في الدنيا

أما المنشور الذي يتضمن توليته فنورد فحواه نقلا عن مصادر أخرى وهو بعد ذكر ما أصاب الاسلام من الضعف وما انتابه من تعطيل الحدود انني قد وجهت اليكم الشيخ عثمان بن أبي بكر دقته السواكني نائبا عني فيكم فبايعوه ووازرهه وانصروه وانني أرف لكم بشرى ما أتاح الله لي من النصر والاستيلاء على كوردقان كلها ولكم البشرى أيضا بان الله سينصركم ويثبت أقدامكم ويورثكم السودان الشرقي ويهلك من فيه من جنود الحكومة لقوله تعالى (ألم نهلك الأولين ثم تبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين) وأما المنشور الذي تضمن عبارات الوعظ والزهد فان بعضهم يقول انه صدر مع هذا المنشور وهذا قول لا نصيب له من الصحة اذ المنشور يتضمن عبارات كثيرة من المدح والثناء على عثمان دقته مما يدل على انه صدر بعد ان عاد عثمان الى سواكن وبدأ بتثيل رواياته التي أدهشت المهدي نفسه كما أدهشت العالم كله لانه لم يكن يتوقع منه مثل هذه الاعمال الباهرة وهامى صورة المنشور بنصها نقلا عن الجزء الاول من كتاب المنشورات صحيفة ٨١

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه وصفيه وعونه ونائبه في اقامة دين الله ذي الرأفة بالضعفاء عباد الله المستسلمين المنيبين الى الله والشدة على المتكبرين اعداء الله عثمان بن أبي بكر دقته وقاه الله كل محنة وجعله الله من أعلا أهل المكرمة. حبيبي ان الدين قد انهدم بسبب تشييد الحظوظ النفسية السفلية التي تزول عن قريب وتجب عن دوام النصيب

فشمرك أنت واخوانك التابعون لنا عن مساعد الجدد على ترك المشتبهات النفسية  
ومقاساة الشدائد التي تقرب الى رب البرية فيدوم خيرها في الدار الآخروية  
والمعلوم أن الخير الذي لا يدوم خير منه الشر الذي لا يدوم لأن صاحب الخير  
الذي زال أشد الناس حسرة وتوجعا وصاحب الشر الذي زال أشد الناس  
فرحاً وسروراً فلما علم العاقل المؤمن بما عند الله عاقبة خيرات الدنيا زهد بها  
لشؤمها عند القوات وشدة حسرتها عند الممات مع أنها تشغل مما في الآخرة  
وتصرف عن القيام لله خالصاً والوثوق بالله صادقاً فانيبوا لما عند الله واكتفوا  
بالله ولا تنعموا في دار البلايا ودار الظالمين الاشقياء فتصرفوا بذلك عما أعد  
للمتقين واقتدوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الاعراض عن الدنيا  
ومتاعها واصبروا على الجوع والخضوع لما عند الله بالقلب القنوع واعلموا أنه  
لو كان في الدنيا خير لصحبها الله على عبده المؤمن ولا عطاء كل ما عند الكفار  
ولكن ليست هذه الدنيا محل العطاء ولا دار الجزاء ولا زمن السراء فاعرفوا  
ما خلقت له من الاكتساب منها الى محل الاجتماع بالاحباء ودوام اللقاء فيها  
يا احبابي ولا تعطلوا بهذه الدار مع من تعطل بها لغروره بمحض البلاء قال الله  
تعالى «انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً وانا لجالعون  
ما عليها صعيداً جرزاً» فخير الدنيا مؤد الى الوقوع في الهوي الخلاء وانظروا  
ثواب ما فيها من البلواء اذ قال الله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع  
ونقص من الاموال والانس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم  
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة  
وأولئك هم المهتدون) فانظروا العطاء الذي في البلاء وهو الصلاة من الله مع  
الرحمة والهداية اذا كان البعد راضياً أو صابراً على مراد الله لما عند الله معتقداً

أولوية الله له وشفقته عليه فيحسن به الظن زيادة عما يحسنه في آية الشفيق عليه الذي يعلم خبرته وقدرته وغناه فيعلم يقينا أن أباه الموصوف بتلك الصفات لولا محض الشفقة عليه وإرادة الخير له لا يفسده ولا يسقيه الدواء المر العفن البشع ولا يأخذ ماله الا لزيادته له فكذلك المؤمن بالله وبأولوية الله يعلم ان عند الله خيرا لا تزنه السموات والارض وما فيها ويعلم انه قادر على اعطائه كل خير ويبيده خزائن الخيرات ولكن المعلوم أن المريض اذا أعطاه أبوه لذيذ الاطعمة عجلت بموته واذا أباح له الملاعب والشهوات عن الحبس للتعليم كبر سفيها جاهلا وكذلك حكمة الله في صرف النعم عن عبده وتغييره عنها في الدنيا من هذا القبيل وأعلا علما في ضرره بالحاضر الذي يعقب حسرة طويلة ولذلك فعل باصفيائه ما فعل مما هو معلوم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (أشدكم بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل) والاختبار في هذا المعنى كثيرة من الكتاب والسنة فانظروا ما ناله العبد بالبلاء في قوله تعالى (وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) فقوله قالوا انا لله وإنا اليه راجعون هو حسن ظن بالله معرفة به لكثرة أياديه ونعمه عليه واشتياقا اليه دون الشهوات التي تكون قبل لقائه فالمعلوم ان من انتسب الى ملك واخلص في انتسابه له وعلم الملك ان له حقيقة عمل له كل احسان ورفعته بكل درجة واذا علم الملك أيضا من قلب ذلك الشخص انه الى ابدته مستعد من قلبه انه لا يرجع الي غيره أعدله ما يقدر عليه من حسن المأوى فكذلك العبد المؤمن لما يعلم أيادي الله عليه وأولويته له مع معرفته انه قادر وغني وخبير يفرح بما يقضيه عليه قائلا انا لله يعني نحن ملك الله وهو الاولى بنا منا ولما يعلم

انه لا مرجع له الا اليه مع معرفة آياديه وعظمته وما أعده في الآخرة يشاق اليه فقط ويصرف نظره عن ما يعطله قائلا وإنا اليه راجعون فيثيبه الله بصلوات عليه فيصلي عليه كما صلي على أحبابه من الانبياء والمرسلين والملائكة والمقربين ويرحمه الرحمة الخاصة التي تليق بعظمته وبما ظنه في الله قد سلك طريق الله والجنة فهداه الله الي ذلك لان الجزاء من جنس العمل ومن جاهد يهديه الله كما قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فلا تطمعوا أحبابي في غير ربكم ولا تتشوفوا لغير دار الدوام مما يزول ويعقب حسرة تطول فتنموا ببلاء الدنيا لحسن الظن بالله وأعرضوا عن متاع الدنيا التي تعقب الشقاء وحثوا اخواننا الذين معكم بالحال والمقال وكونوا كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) ووطنوا أنفسكم على الرضا بقوله تعالى (ولنبلونكم بنىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) لتناووا بالرضا والصبر على مراد الله تحسينا لظنكم بالله الصلوات والرحمة والهداية كما ذكرت ذلك ولا تغفلوا عن ذلك والسلام

(ملحق)

وانه يا حبيبي بعد وصيتي هذه فليكن اعتمادكم على الله تعالى في كامل أموركم تصديقا وامثالا لقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فالتوكل على الله كنز المؤمن لان المؤمن كنزه ربه كما ورد وحيث ان مطمح نظره ربه وصل اليه وجازاه ومن اعتمد على غير الله خذله في عمل حاجته كما لا يخفى

ذلك وأيضاً لا تعتمدوا على الكثرة بل اجتهدوا في الصفوة التي هي الاعتماد على الله وحده وزهد الدنيا والتشوف الى ما عند الله في دار البقاء فالذي عندكم ينفد وما عند الله باق فان الكثرة بغير الله خذلان فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فاصبروا على مراد الله راجين له وانظروا لنصرة الله ولا تمانوا للقوة الاخرى فقد قال تعالى (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً) فانظروا لذلتكم الحقية التي هي عجزكم من أنفسكم اذ أنتم من نظفة مذرة فعل بكم ما ترونه من كمال هيكلكم بقوته والروح التي تتحركون بها هي بيد الله قل الروح من أمر ربي وبذيرها الانسان خير منه الطين لانه يصير منتناً ومن نظر هذا المعنى صرف ان ملكوت كل شيء بيد الله فلا يخشى من غير الله وهو الذي له الخلق والأمر فلا تخشوا الناس واخشوا الله الذي بيده كل شيء وقوموا بأمره له فقد قال الله تعالى (ولينصرن الله من ينصره) فاعتمدوا على الله واكتفوا به واشتاقوا الى الذي عنده والسلام

ولما غادر عثمان دقته بربر وجد آخر حملة من الجنود نازلة على منهل بين بربر وسواكن اسمه (ككريب) فاخذ يبكي وينتحب ويقول لمن معه ثب على هؤلاء الكفار لنقتلهم فلم يوافق أصحابه وكانوا بضعة أشخاص ثم تابع سيره والناس يفدون عليه لاخذ البيعة وتقديم الطاعة والخضوع ومع ذلك كان يكتم أمره ولم يجاهر بدعوته حتي يجتمع بالشيخ الطاهر وقد سلم المهدي كتابين بخط يده الى عثمان ليوصلهما له في أحدهما ان نائبه علي السودان الشرقي هو الشيخ الطاهر ويأمر الناس بمبايعته وفي الخطاب الثاني استعطاف له والحاح بقبول هذا المنصب وانه اذا كان مصرأ

على الرفض وعدم القبول فليكن الأمر الناهي في باطن الأمر علي عثمان دقنه  
وقد أوصي المهدي عثمان دقنه بترك الأمانة لاستاذة إذا رضى بما كتبه  
المهدي وإن أصر علي رأيه الأول فليكن مؤتمراً بكل ما يأمره به وفي كلا  
الحالين إن المسؤل الحقيقي أمام المهدي هو الشيخ الطاهر لا عثمان دقنه  
كل هذا يدل على أن المهدي لم يكن واقعاً بعثمان دقنه وقد اتفق الطاهر  
وعثمان على أن يكون الثاني منفذاً لكل أوامر الأول

على أن عثمان دقنه لم يكن واجداً في نفسه أقل شيء من استاذة وكانا  
على حالهما الأولي وعثمان أطوع له من يده وكل الأعمال التي كلات بالنجاح  
الباهر في أوائل أمر عثمان دقنه كانت من أعمال أستاذة وسيأتي أن الشيخ  
الطاهر لما لحق بالتماشي في أم درمان ظهر الخلل في أعمال عثمان دقنه فاعيد  
إلى سواكن فتدارك الخلل وبعد وفاته هزم عثمان من توكر وتفرقت من  
حوله القبائل. وقصارى القول أن الفاعل الحقيقي لكل ما جرى في السودان  
الشرقي هو الشيخ الطاهر وإن عثمان دقنه لم يكن إلا آلة في يده وهذه  
حقيقة لا ينكرها إلا الذين يجهلون الحقائق ويحكمون بالاشاعة

ذكر محاق الشيخ الطاهر بعثمان دقنه وذبح المسجونين  
كان جواسيس الحكومة في كوردفان أبلغوا الحكمدارية في الخرطوم  
أمر عثمان فمالت على القبض عليه قبل وصوله إلى سواكن فلم تفلح ويقول الثقات  
أنه قضى عدة أيام في بربر عند صهره والحكام لاهون عنه بالرغم عن تشديد  
الحكمدارية في القبض عليه

ولما قرب عثمان من (هندوب) التي لا تبعد عن سواكن بأكثر من خمسة

أميال بحث يعلم الشيخ الطاهر وكان مقيماً في سواكن مغموراً بنماء الحكومة  
الى درجة انها كانت تكلف المسجونين بقضاء حوائجهم الذاتية كالابنية وحفر  
الآبار اسوة أعمال الحكومة

وفي اليوم الثامن من شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٠ هجرية استأذن الشيخ  
الطاهر الحكومة لينادر المدينة الى هندوب حيث عزم على حفر بئر فيها  
وتشيد مسجد فأعطته الحكومة ثلاثين مسجوناً من المصريين ليقوموا بهذا  
العمل وفي اليوم التالي شخص من المدينة ومعه كل أسرته

ولما أطلع عثمان الشيخ الطاهر على ما كتبه المهدي وألح عليه في  
قبول الامارة لم يتغير عن عزمه الاول وقام في وسط الجمع وباع عثمان بيعة  
المهدي ونزع ملابسه ولبس شعار المهدي الذي هو القميص المرقع وقبض  
عثمان على الثلاثين مسجوناً وذبحهم وكان ذلك ضحوة يوم عيد الاضحى فكان  
الناس يقولون نضحى بهؤلاء الكفار

والتفت القبائل كلها حوله وبايموه اقتداء بالشيخ الطاهر وترامت  
أخباره الى كسلا ومصوع ودخلت جميع القبائل في طاعته ماعدا قبيلتي بني  
عامر والهاباب ثم غادر عثمان ومن التف حوله هندوب لقربها من سواكن  
ولحق (سنكات) لبعدها ومنعتها بالوعور والغابات

هذا وقد بقي بعض القبائل يبطن الولاء لعثمان ويظاهر الحكومة  
بالطاعة حتى كانت واقعة سنكات وقيام الاهلين عن بكرة أبيهم بالثورة وخلق  
طاعة الحكومة



## ذكر واقعة سنكات وقتل توفيق بك

لما عسكر عثمان في سنكات أصدرت الحكومة أمراها الى محافظ  
سواكن بوجوب القبض عليه فانتدب توفيق بك مأمورا توكر وستين جنديا  
للقبض عليه ولم تكن الحكومة عالة ان عثمان معه نحو عشرين ألف مقاتل  
واستصحب توفيق بك شيخى قبيلتي الشعياب والنوراب اللذين أكدا له  
سهولة القبض على عثمان وأقسما له أن يكونا عوين له وما كاد توفيق يصل الى  
(سنكات) حتى فرامنه ولحقا بعثمان الذي بدأ يهاجم الجنود وهم بالرغم عن قتلهم  
يردونه ويدفعونه بخسائر وفي آخر الامر تحصن توفيق بك داخل زريبة من  
الشوك واحتفر متاريس ليدافع بها حتى صار من أمر الحملة ان عثمان قتل بها  
بعد هزيمة الحملة التي كان يقودها محمود طاهر باشا وتلتها هزيمة بيكر باشا كما  
يأتى سرد ذلك

## ذكر حملة محمود طاهر باشا

لما قررت الحكومة ترك السودان واخلاء عهده الى محمود طاهر  
باشا قيادة خمسة آلاف من الجنود لاتخاذ توكر وسنكات فشنخت الحملة من  
سواكن الى ترنكيتات بحرا ثم سارت برا من ترنكيتات قاصدة توكر  
وكان عثمان قد علم بأمر هذه الحملة فحشد جيشا جرارا يزيد عدده على  
خمسين ألف مقاتل كلهم في نهاية الحماس ومكن بهم في منتصف الطريق بين  
توكر وترنكيتات ولم تقطع الحملة مسيرة عشرة أميال حتى خرج عليها الكمين  
من كل ناحية وداهمها على غرة فأوقع بها ولم ينج منها غير القائد وقليل من  
الجنود وغنم عثمان كل ذخيرتها ومدافعها

وعلى أثر ذلك جاءت الأنباء الى الحكومة بزيادة الخطر على الخرطوم  
وعولت على اجراء عمل من شأنه أن يسهل اخلاءها وصار العدو يشن الغارة  
حول المدينة ولولا البحر لاستولي عليها فأرسلت الحكومة البريطانية سفنا  
حربية حافظت على المدينة ومنعت وقوعها في قبضة العدو

### حملة بيكر باشا

لما هزمت حملة محمود طاهر باشا انتدبت الحكومة بيكر باشا  
قومندان الجندرية المصرية ومعه نحو أربعة آلاف جندي وفي أواخر المحرم  
سنة ١٣٠١ هجرية استعرض المغفور له الخديوي توفيق باشا جنود بيكر  
باشا في القاهرة وأبدى سروره من حسن انتظامهم ثم غادر بيكر باشا  
القاهرة قاصداً سواكن ومكث أياماً يخبر رؤساء القبائل بخبرات سلمية فلم تسفر  
عن نتيجة مرضية ثم أبدى رغبته الى الحكومة أن تاذن له بمخاطبة قبائل مصوع  
عساه يجد منهم حلفاء يماونونه على فتح الطريق الى كسلا ومنها الى الخرطوم  
فصادفت مأموريته بعض النجاح حيث وجد قبائل بني عامر والهاباب ينفرون  
من المهدوية ولذا لم يدخلوا في طاعتها فتولد عنده أمل النجاح وأخذ يخبر القبائل  
الواقعة بالقرب من كسلا فلم انها كلها دخلت في طاعة المهدوية ورفعت لواء  
المصيان على الحكومة

وبعد بحث طويل علم أن الطريق من مصوع الى كسلا مملوءة بالغابات  
ومحاطة بكثير من الصعوبات وإن الطريق من كسلا الى الخرطوم بميسرة  
وأنه يخترق صحراء قاحلة فعاد الى سواكن وأخذ في الإهبة للزحف علي توكر  
لاتقاذها واتقاذ سنكات

وفي شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هـ جرية البحر بيكر باشا بحملته من سواكن الى  
 ترنكيئات اي في طريق حملة محمود طاهر باشا ثم سار بحملته في ذلك الطريق ولشدة  
 وعورة المسلك وتكاثر الغابات المظلمة والاشجار العظيمة كانت القوة سائرة  
 علي هيئة (يولج) تقدمها المدافع وبجانبيها الفرسان وكان العدو كامنا في الطريق  
 فوثب عليها عثمان واختلطت بمقدمته بمقدمتها فحاول القائد تشكيل قلعة من  
 المشاة ولكن اسراع العدو في الهجوم وخفة حركاته حالا دون اتمام العمل  
 فركن من في الساقة الي الفرار والقوا ما بأيديهم من الاسلحة وأتخن العدو  
 فيهم قتلا وضربا فكانت جملة الخسارة نحو ثلاثة آلاف قتيل ونجا القائد  
 ولحق بترنكيئات وغنم عثمان كل الاسلحة والمدافع التي كان فيها عدد من  
 الطراز الكبير جدا

على ان هذه الهزيمة جاءت تلو التي قبلها وبالا سباب عينها الا أن جنود  
 بيكر باشا أطلقوا نيرانا كانت كافية لارجاع العدو القهقري لو لم يختلط  
 فرسان العدو بفرسان الحملة فتقوض الجانب الذين يحمونه من هيئة المربع  
 المستطيل فكان القشل من نصيب الحملة ولا يعزب عن فكر القاريء ان  
 هذه الحملة جاءت مذبحتها بعد مذبحة الجنرال هيكس فكانت الدهشة بمصاها  
 عظيمة وان توفيق بك كان قد وصلت اليه أخبار تقدمها فكان الامل يملا  
 جانبيه بأن تنقذه فلما بلغه ما أصابها خرج بجنوده القليلين ليخترق صفوف  
 العدو إما له وإما عليه فخرج في حالة تدل على ما كان عليه من الشجاعة التي  
 ضاعفها اليأس وما كادت جنوده تفارق الزريبة حتي أحاط بها العدو من كل  
 جانب ومكان وعدده يربو على ستين ألفا أي لكل رجل من رجاله ألف  
 من رجال عثمان فقتل هو وجنوده بعد دفاع اعترف له وجنوده بفضل الاعداء

وتوفيق بك هذا سوري الاصل كان نصرانياً ثم اعتنق الاسلام ودخل  
في خدمة الحكومة

وعلى كل حال فان عثمان نال في أعماله نجاحاً ما كان المهدي يتوهمه  
وجاءت أعماله في شرق السودان معطلة لما كانت عليه سرعة المواصلات  
بين بربر وسواكن وتقوى به ساعد المهدي حيث كفاه مكافحة جزء  
ليس بقليل من قوات الحكومة كان في الامكان أن تحول بينه وبين تقدمه  
الى الخرطوم لو عمدت الحكومة الى ارسالها مع غردون لدى عودته  
ومن المدهش ان الحكومة في تلك الايام قصدت فتح طريق من  
مصوع الى كسلا فالخرطوم وهي تجهل ما في تلك الطريق من العقبات الكؤود  
والصحاري القاحلة ولو عمدت الى فتح هذا الطريق على شاطئ النيل لم تقم  
في طريقها صعوبات كالتى قامت في وجه بيكر باشا لما عاد فشلا من مخبرة  
القبائل من كسلا ولا أضاعت الاوقات في الاشياء التى لا تعود بفائدة فلا حول  
ولا قوة الا بالله العلى العظيم

### واقعة الجنرال جراهم في التيب

ولما فشلت حملة بيكر باشا قررت الحكومة الانكليزية ارسال قوة  
عسكرية لقهر عثمان دقنه وفتح الطريق بين بربر وسواكن وعهدت بقيادة  
هذه الجنود الى الجنرال جراهم فوصلت هذه القوة الى سواكن في أواخر شهر  
ربيع الثاني سنة ١٣٠١ وبعد بضعة أيام ابحرت منها الى ترنكيثات  
على ان المصائب التى حلت بالملتئين السابقتين دعت الجنرال جراهم  
لاخذ الحذر وعدم الاغترار فصار بحملته وعدد مشاتها ثلاثة آلاف وفرسانه

ثمانمائة ونحو أربعمائة من المهندسين والطوبجية وجعل القرسان في جانبي المربع  
ثم سار المربع من ترنكيتات قبيل الظهر ورافق بيكر باشا الجنرال جرام  
هذا ما كان من أمر الجنرال جرام أما عثمان فقد تحصن في التيب واحتفر  
خندقاً صغيراً أحاطه بمناريس وضع عليها مدافع الكروب التي عندها من  
الواقعتين السابقتين ولكنهم كانوا بلا مؤخرة تحفظهم من الخلف فكانت هذه  
الغفلة مما شجع الجنرال جرام فتقدم هاجماً على العدو وكان ضمن رجاله جنود  
من الذين شهدوا واقعة بيكر فجبنوا ولم يثبتوا في الدفاع وولوا الادبار  
وكانت مقتذوفات العدو متواصلة ومع ذلك لم تجاوبها قنابل الجنرال جرام  
وأخيراً تقدمت الحملة حتى صارت على بعد ميل واحد من حصون العدو والذي كانت  
نيرانه وقنابله شديدة جداً عليها وهناك أخذت نيران الحملة وقنابلهما  
ومترليوزاتها تجاوب مقتذوفات العدو وكان أحد جوانب الحملة عرضة لمقتذوفات  
العدو فأراد القائد ابدال شكل المربع بطريقة تصير الأضرار خفيفة فلم يفلح  
وجرح كولونيل انكليزي فاغتنم عثمان الفرصة وزحف بخفة غربية ثم اشتبك مع  
الحملة وصار القتال بالسلاح الأبيض وبعد بضع ساعات انفصل الجيشان  
ووضعت أوزار الحرب وخسر عثمان نحو ثلاثة آلاف قتيل وتقهقر إلى (توكر)  
وتابع الجنرال جرام مسيره متأثراً له فلم يصادف مقاومة في طريقه  
وكان عثمان يقصد من هذا التقهقر ان يقتل الجنرال جرام ويتأثره فإذا  
توغل في الغابات وأدرك جنوده ببض التيب يكر عليه ولكن الجنرال  
أدرك الحيلة وقفل راجعاً من توكر ولم يتأثر العدو وقتل بكباشي انكليزي  
وجرح بيكر باشا

وقد وصلت أخبار هذه الهزيمة إلى فردون في الخرطوم وهو في أوائل

الحصار فكانت مما ضاعف احزانه وسيأتي ذكر ذلك على حدة

### ذكر تقدم عثمان دقنه الى سواكن

قلنا ان عثمان كان يقصد بالتقهقر التفرير بالحملة حتى تتأثره فلما أدرك قائدها الحيلة وقفلت راجعة الى سواكن أخذ بعض أنامل الندم لفوات الفرصة حيث كان في امكانه معاودة الكرة عليها في طريق توكر أو بعد احتلالها اياها فزحف على سواكن وتحصن في مكان يدعى (طمية) وأرسل قسما من رجاله يناوشون المدينة حتى يضطروا الحامية الى الخروج اليهم فاشتدت وطأتهم على المدينة وكادت تسقط في أيديهم لولا نيران السفن الانكليزية التي اضطرتهم الى النكوص على اعقابهم مرات عديدة وكان ذلك مما أياس الجنرال جراهم الذي كان آملا فتح الطريق بين بربر وسواكن

### ذكر واقعة طمية

ولما كثرت غارات العدو على سواكن حمل الجنود الانكليز على العدو وخرجوا فتقهقروا المغيرون أمامهم حتى بلغوا طمية ولما تراى الجمعان لزم الجنود خطة لدفاع وتحصنوا داخل زريبة من الشوك فانقض العدو عليهم ليلا وذبح عددا كبيرا منهم وما زالوا في دفاع حتى مطلع الفجر فانقسم الجنود قسمين وشكوا مربعين أحدهما يقوده الجنرال بول والثاني يقوده الجنرال دافيس وتقدم هذا نحو العدو الذي قابله بثبات مدهش وقتل باكثر الجنود واختلط بهم فتدارك القائد الامر وتقهقروا بانتظام حتى صار حبال مربع الجنرال بول وأخذ المربعان في اطلاق النار على العدو

مما فتقته تر بنحسائر جمة وبلغ عدد من قتل من الجنود الانكليزية نحو أربعة  
آلاف ويقال ان جنود الجنرال دافيس أظهرت جينا واحجمت عن اطلاق  
النار حتي تمكن العدو من الدنو منها وعادت الحملة الى سواكن

أما عثمان فقد أعاد الكرة على سواكن وأخذ يوالي حث القبائل على  
الجهاد وذلك كله لينع تقدم أى قوة الى بربر يشتد بها ساعد غردون وأرسل  
دعاة كثيرين حصر واكسلا كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

ولما اتحد المربمان تقدمت الجنود قليلا الى معسكر العدو وأشعلت  
النار في معسكره وأحرقت خيامه واسرت كثيرا من المائلات والنساء  
ولحق العدو بعض خور اضطره الى عدم تأثرها حتي بلغت سواكن

وقد تغالي مكاتبو الجرائد الانكليزية في وصف هذه الحادثة الى حد  
انهم قالوا بان الدواويس اشجع رجال في الدنيا وأكثر الناس خبرة  
بفنون الحرب

على أن الحقيقة عكس ما قالوا لان القوم لم يكونوا الا في الدرك الاسفل  
من النباوة والجليل وما أظهروه من الشجاعة كان نتيجة ما كان يقال لهم عن  
نعيم الجنة وحياة الشهداء فهم يريدون احراز ذلك والتمتع به. هذا وقد امتدح  
المجذوب بن الشيخ الطاهر عثمان دقته بقصيدة طويلة عقب هذه  
الواقعة مطلقا

بطل تهاب بنو الاصيفرباسه لم لاوساء صباحهم تكرارا  
والقصيدة طويلة اكتفينا بايراد مطلعها لخلوها من الفائدة وتضمنها الغلو  
في المدح والخروج عن حد الادب في ذم الحكومة وهجائها

## ذكر تقدم الجنرال جراهم الى بربر

وفي غضون ذلك وردت الاخبار الى القاهرة ولندره بقطع الاسلاك التفرافيه بين الخرطوم والقاهرة وشرع العدو يحاصر الخرطوم فقررت الحكومة الانكليزية ارسال حملة الجنرال جراهم لفتح الطريق بين بربر وسواكن وأمرت الجنرال جراهم بالحملة على عثمان دقنه واختراق الصحراء للوصول الى بربر

وكان لثمان دقنه عيون في داخل سواكن يبلغونه كل أخبار الحكومة ونواياها ولما سمع هذا الخبر سر به وعزم على عدم مقاومة الحملة بالقرب من سواكن وإخلاء الطريق لها حتى تتوغل في الصحراء وهناك يثور في وجهها ويتمكن من إبادتها

ولما خرج الجنرال جراهم كان على حذر شديد وتقدم في الصحراء مسيرة يوم وليلة ثم علم بحقيقة ما دبر له وعلم أنه ان تابع مسيره كانت عاقبته لا تختلف عن مغبة حملة الجنرال هيكس فصمم على العودة الى سواكن قبل أن تطرأ ظروف تجعل السلامة في خير كان فعاد ولم يصادف كيدا في ذهابه أو إتيابه

ولما سمع عثمان بعودة الجنرال جراهم أسرع اليه ليهاجه قبل أن يبلغ سواكن فلم يفلح وبلغت الحملة مأمنا سالمة غير ظافرة بشيء مما كانت تتوق اليه وبهذه الحملة ختمت رواية الجنرال جراهم حيث غادر سواكن وانصرفت آميال الحكومتين المصرية والانكليزية عن فتح الطريق بين سواكن وبربر وأصبح الامل ضعيفا من اسعاف غوردون وامداداه من جهة السودان

الشرقي حبال ما أظهره عثمان من القوة والبسالة اللتين أدهشتا العالم أجمع  
وشددت عزائمه وقوت أمله في الاستيلاء على الخرطوم ووقوع السودان  
كله تحت قهره وجبروته

وفي غضون ذلك كانت القبائل التي حول بربر رفعت رأسها للثورة  
وسقطت بربر في يد المهدي والخلاصة أن جميع حركات الجنرال جراهم لم  
تعد باقل فائدة بل كانت مما قوى ساعد العصاة بما غنوه من الأسلحة والذخيرة  
والى الله مصير الأمور

وانسحب الجنرال جراهم من سواكن بكل عساكره ولم يترك غير مائتين  
منهم ليقوموا بحراسة المدينة مع السفن الانكليزية  
وكان انسحاب الجنرال جراهم من سواكن بعد أسبوعين مضيا على حصر  
غوردون وقطع الاسلاك البرقية بين الخرطوم ومصر

### ذكر حوادث كسلا

كان السيد محمد عثمان الميرغني شيخ الطريقة الميرغنية مقبياً في قريته  
(الختمية) بجوار كسلا وقد خاطبه المهدي مرات عديدة يدعوهُ الى القيام  
بدعوته في إقليم (التاكا) فكان لا يجاوبه بحرف واحد واعرض عن إجابته  
كل الاعراض

وفي شوال سنة ١٣٠١ كتب له خطاباً ملأه بالوعد والوعيد وصرح له بان  
لأنجاة له إلا باحد امرين اما اللحاق به أو القيام بدعوته تحت إمرة عثمان  
دقنه وعرض له وسأله ان لا يأنف من رئاسة عثمان دقنه عليه لان ذلك لا يؤخر  
مثله عن نصره الدين ولو كان عثمان (شلكاويا) نسبة الى قبيلة (شلك) في

مقاطعة فشوده وهي قبيلة من العبيد لادين لها ينام افرادها على الرماذ وينسلون  
وجوههم ببول البقر ويمشون عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم وهما هي صورة المنشور  
بنصها نقلا عن الجزء الثاني من المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله محمد عثمان بن  
محمد الحسن ميرغني كان له مولاه الغني امين

أما بعد فجزيل السلام ورحمة الله وبركاته عليكم وعلى من لديكم ثم نعلمكم  
انه قد تكررت المخاطبات منا الي عباد الله بالدعوة الى الله والانابة الى  
ما عنده والقيام بامر الله والالتقياد له والخروج عن النفس والعلاقة المعوقة  
وكل من أخلص لله وكان أمره لله قد اتصل لدين الله معنا ومن لم يجتمع  
وقام بامر الله على قصد إعانتنا وقاسى الشدائد لصفاء سريرته في إثارة ما عند  
الله فهو منا والينا ولو مات على ذلك فجدير ان يتصل بربه ويتنعم عنده بما  
لا يوصف من النعيم المقيم ويستريح من شؤم الدنيا وقد كاتبتك خاصة غير  
مرة رعاية لمقامكم وشفقة عليكم وظنا للخير بكم فما رددتم الينا جوابا ولا  
حضرتم للهجرة ولا حصلت منكم غيرة للدين بأعمال حركت في جهتكم وما  
أدري ما المانع لكم من ذلك مع انكم أولى بالفرح بنا واجابتنا ونصرة دين  
الله تعالى من كل أحد فما الذي أخركم حتي فاتكم العوام وأنتم العارفون  
وأولو الشرف والمقام وذوو الالباب الذين قال الله فيهم «ان في خلق السموات  
والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما  
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت

هذا باطلا سبحانه فكنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيت  
وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم  
فآمننا ۝ وانك من أعظم من يمدويظن بالصدقة والاخلاص لله في مثل هذا  
الامر وما عهدتك انك تتباطى على قدر هكذا لانك جد عارف بعظمة  
ما عند الله وخسة الدنيا وما فيها ووجوب الهجرة الى اذانه لا يخفى على من  
دونك نوراني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم محي ما اندرس من الدين  
ومظهر آثار المرسلين ومن المعلوم ان المهدية اختبار لمن يدعي الدين فكل  
من كان لدين الله الخالص صادقا لا يأي التبدد والالتقياد والتواضع لحوز ما عند  
الله الدائم ومن كان باطلا حب الجاه وما يجبي اليه من الهدايا والوظيفة عند  
غير الله مال الى ذلك وتوقف وصرف جماعة من الناس عن الدين الواصل  
كما كان ذلك دأب القسيسين والرهبان الذين كانوا يعرفون رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ويستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به خوفا من فوات  
الجاه والوظيفة عند الناس وما يجبي اليهم من الهدايا والقطائف حبا لمتاع الحياة  
الدنيا وما ذلك عند الله بمخلص ولا يتولى العبد عند لقاء الله قال تعالى «ليس بامانيكم  
ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجذله من دون الله ولما ولا نصيرا»  
وقال «وما يغني عنه ماله اذا تردى» الى غير ذلك وانك يا حبيبنا ممن لم يكن  
دينه على حرف ان أصابه خير اطمان به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه  
بل أنت ممن يطلب رضا الله ولو تقطعت اربا اربا وفاتت عنك المطالب  
النفسية لما تعلمه من عظمة الله ونعمته وشدة عقابه لمن وقع فيه وكل ذاك  
أنت خير به وشأنك ان تربي من أتاك هكذا فاستعمل ذلك وتبص  
أمرك فانه لا غناء لك من صلاح نفسك واكتساب ما عند الله و  
لك عاقبة انك من

أعظم من يقبل النصيح تواضعا لله الذي خلق وأحيا واليه المرجع ومن أخص المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فإذا بلغك جوابي هذا فاما ان تهاجر الى أنت ومن معك من الاصحاب المحبين من غير نظر الى علاقة واما ان تحاصروا الترك الذين في جهنم وتجاهدوا من اغتر بزينة الدنيا ولا رضا لنا عنكم الا بهذين الامرين فان فعلتم احدهما رضينا عليكم والا فلا وقد تعلم انه لا يتحول أحد بغير الله فلا تخافوا اعداء الله الذين نواصيهم بيد الله واستعملوا امر الله فيهم ولا تأبوا بلاء الله لكم لتصفية الايمان والفوز عند الرحمن فالي متى الفرار من بلاء الله تعالى الذي فيه لكم الكرامة والنفخامة والله تعالى يقول «ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا» وكيف لمثلك ان يركن الى الراحة وترف المترفين في دار الظالمين فانهم همتهك وقوا بالله عزمك وشعر فيما يرضيه جهدك وقد ذكرتك بهذا امثالا لامر الله تعالى لقوله «وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين» هذا واذا توكلتم على الله ورغبتم الجهاد والمحاصرة هناك فاتحدوا مع عثمان دقته مع جميع الاسراء الموجودين هناك ولا تخالفوا عثمان دقته في شيء ولا تأنفوا من ذلك فان منزلتكم عندنا معروفة وأولى التقديم المذكور في ايثار ما عند الله والرغبة في وسع درجات الآخرة لمعلومكم ان ما عند الله خير وأبقى ومعلوم ان العاقل يسمى فيما هو خير ولا سيما وقوة احاطتكم بمعرفة عظمة ما عند الله ومعرفة خسة الدنيا وما فيها فلذلك لا يخفى ان المخلص في طلب ما عند الله يطلب قلبه ان يشيد الدين وبؤيده ولو مع شلكاوى وان قصد المؤمن المصدق حوز رضا الله والسمي فيما يقربه من الله ومن كان على حرف من الدين فرح ان وجد الرياسة والمال والمنافع القانية وان

لم يجد ذلك نازع أو أعرض أعاذنا الله وإياكم من ذلك إذ أن ذلك للمنافقين الذين قصرت همهم على الدنيا فرضوا بها واطمأنوا غافلين عن آيات الله تعالى ولم يجعل الدار الآخرة إلا للمؤمنين المخلصين قال الله تعالى «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً» فارادة العلو مفهومة وإرادة الفساد أعظمها حب الدنيا إذ هي رأس كل خطيئة ولظننا ببراءة ساحتكم عن ذلك كاتبناكم أولاً من ابتداء أمر المهدي لظن الخير فيكم وقيامكم بخالص الدين وما نظن توقفكم عن الهجرة والجهاد إلى هذا الآن إلا بحسد الخاسدين وصرف المعرضين فإذا بلغكم جوابي هذا فحققوا ظني فيكم وقد ذكرنا لكم أن ذا الكشف الصادق والدكم السيد الحسن أشار إلينا مراراً وتكراراً بالمحلات وبعض الصفات التي تحققت فبعد هذا فثلكم أولى بالقيام بما لله وإشاره على جميع المشاهي والسلام شوال سنة ١٣٠١

ولما وقف السيد محمد عثمان الميرغني على كتاب المهدي له أرسل يدعو القبائل لاجتماع عام عند سفح جبل (تكروف) فاجتمع ألوف منهم فقام فيهم خطيباً يسألهم أن يعرضوا عن دعوة المهدي وحذرهم الفتنة فكان جوابهم له السخرية والازدراء فعاد إلى قريته وأخذ في الإهبة للرحيل وبعض النصيح لكل من قابله بمغادرة السودان إلى الحبشة والفرار من وجه الفتنة وقال لا تباه فروا بدينكم وغادر (التاكا) إلى بلاد الحبشة ومنها إلى مصوع فسواكن لأن الطريق من كسلا إلى مصوع كانت مملوءة بدعاة المهدي وأكثر القبائل دانت بالطاعة لعثمان دقنه ولم يتخلف عليه غير قبيلتي (بني عامر والهاب) لأنهما أتباع الطريقة الميرغنية وأوغلتا في البلاد حتى قرب مصوع وتخلقت عليه قبيلة (الحران) وهي قبيلة تسكن شرقي نهر أتره بين حدود الحبشة وكسلا ورئيسها يدعي (عجيان)

فترح باكثر قبيلته الى بلاد الحبشة حيث امدد الملك يوحنا بما يحتاجه وجعله  
مرابطا في حدود بلاده يدفع عنها غارة المهديين ويوالي الغارة على بلادهم  
وسأتي على بقية حوادثه

ونقل لنا بعضهم عن الشيخ مضوي عبد الرحمن انه قال لما دخلت حدود  
الحبشة فارأى من عبد الله التعايشي قابلي الشيخ عجيل الحراني بالخفاوة والاكرام  
فلما حضرت صلاة المغرب قام يصلي بالناس اماما وبعد تكبيرة الاحرام رفع  
صوته بالقراءة فقال ياسيدي محمد عثمان الميرغني الكبير ياسيدي الحسن ياسيدي  
محمد عثمان الصغير وصار يعدد أسماء آل بيت الميرغني صغيرهم وكبيرهم  
ذكرهم واناثهم بيا النداء حتي جاء علي آخرهم ثم كبر للركوع ثم رفع وسجد  
ثم عاد للقراءة بمثل الركعة الاولى ولما انتهت الصلاة كان بجانب رجل من أهل  
العلم فالتفت اليّ مسرعا وقال اياك ان تفوه بنت شفة فقد مضى علينا سنوات  
نصلي هكذا وقد ضربت اعناق كثيرين لاقول كلمة ابدوها في الاعتراض على  
هذه الصلاة فالتزمت السكوت وكانت قبائل شرقي السودان الى اوائل القرن  
الثالث عشر من الهجرة مثل سائر زنوج افريقية ولم ينتشر الاسلام بينها الا  
بعد ان استوطن السيد محمد عثمان الميرغني بين ظهرانيهم

وقبل وصول هذا الكتاب الى السيد محمد عثمان كان رجل يدعى  
الكميلابي جاء من قبل عثمان دقنه بدعوة المهدية وقطع الاسلاك التلفرافية بين  
كسلا وسواكن وقتل صنجا اسمه جباره اغا كان يجبي الضريبة من الاهلين  
فانتدبت الحكومة راشد كمال باشا قومندان حدود الحبشة في قوة  
كبيرة للقبض على هذا الداعية وبعد مسير القوة اياما عديدة صدر لها الامر  
بالعودة فعادت بنيران تصادف كيدا

ويقال إن السبب في رجوع الحملة هو أن جماعة من أعيان البلاد  
 كتبوا عرائض على لسان البرق للحكومة يظهرون ولاءهم وطاعتهم للحكومة  
 وكان ذلك خدعة لها فاعتزت الحكومة وأصدرت الأوامر بـرجوع الحملة  
 ويوجد في صحراء (ريره) التي بين النيل الأزرق ونهر أبترة قبيلة الشكرية  
 التي رفضت الدخول في دعوة المهديّة بمحافضة على ولاء الحكومة  
 وإلى هنا نكتفي بإيراد حوادث السودان الشرقي حيث نشبع الكلام عليها  
 بعد إيراد حوادث الخرطوم وسقوطه في يد المهديين والله الموفق



## ✦ المخرطوم قبل قدوم غوردون عليها ✦

ذكرنا أن الحكومة لما اتصل بها نبأ هزيمة الجنرال هيكس وهلاكه ارتبكت وأمرت بجلاء حاميات الدويم والكوة وفشوده وسنار لتعزز حامية المخرطوم حتى تصبح قادرة على حفظ خط الرجوع إلى مصر حيث عولت على إخلاء المخرطوم وترك السودان غنيمة للمهدي

ولما اتصل النبأ بوكيل الحكمدارية حسين سري باشا أذاعه وأخذ الناس في الإهبة للرحيل ولكن معدات النقل لم تكن كافية فكانت أجرة الشخص في المراكب الشراعية لا تقل عن عشرين ريالاً مجيدياً من المخرطوم إلى بربر وأجرة حمل الجمل من هذه إلى كروكو لا تقل عن خمسين ريالاً مع أن الأولى كانت لا تتجاوز ثلاثة قروش والثانية ثلاثة ريالات وتوالت الإنذارات من المهدي إلى سكان المخرطوم بالتسليم وكان وكيل الحكمدارية يقول للناس جهاراً انزحوا من المخرطوم إلى مصر أو إلى المهدي فقد تركت الحكومة بلادكم والقت زمام أحكامكم إلى المهدي فكانت هذه الأقوال مما جراً الأهليين المتحفزين للثورة وخلع نير الطاعة عليهما هذا وقد ظهر دعاة كثيرون سنورد أخبارهم ونستقصي أعمالهم للوقوف عليها حتى لا يفوت القارئ شيء منها

## ذكر عصيان الشيخ العبيد بدر

الشيخ العبيد بدر من قبيلة اسمها (المسلمية) تسكن في الفيافي التي

تبعد عن ضفة النيل الازرق شرقي الخرطوم وتعيش بين الماشية الصغيرة والزراعة

وكان الشيخ العبيد هذا أمياً يرعى غنم الناس بالاجرة ثم تظاهر بالانخراط في سلك الطريقة القادرية وكان على جانب عظيم من الذكاء والقطانة استخدمهما بين أولئك الاعراب حتى اجتمع حوله اتباع كثيرون ومما اشتهر عنه ان اعرابياً قال له ان حماري ضاع فقال له شرب سمنا فشربه ولما احس بالاسهال خرج الى القلاة فمثر على حماره وسط الاشجار فعد اولئك الاغبياء ذلك من اكبر الكرامات للشيخ العبيد وشرب السمن للدواء شائع في السودان كله حتى ان الدواء اما ان يكون السمن أو الكي بالنار أو العشب أو الرقية بالقرآن

وكان الشيخ العبيد مشهوراً بين قبائل جهته يقصده الناس من اطراف السودان التماساً لبركته ولداواة مرضاهم وعلاجاته قاصرة على السمن ويسميه دوما ( الفقيه سمن ) ويميل لبعض المرضى عمليات جراحية لمرض كثير الانتشار هناك وهو آفة في الرجل يسميها السودانيون (النبت) وفي الغالب ان عملياته تقرر بالنجاح ويرقى بعض المرضى الذين يصابون بالامراض العقلية التي يطلق عليها العامة لبس الجن لا بدان المصابين بها

وقد حصل الشيخ العبيد على ثروة طائلة من هذه الاشياء واهبها نافع الكلمة بين القبائل التي تسكن شرقي الخرطوم وصرعى الجانب عند كل قبائل السودان وهو يسكن في قريته التي تبعد عن الخرطوم مسيرة مرحلتين في الضفة الشرقية واسمها (ام ضبان) أي ان الدباب كثير فيها وسيأتي ذكر قتل محمد علي ونحو ثلاثة آلاف جندي بهذه القرية

ولما ظفر المهدي بحملة الجنرال هيكس أرسل كتابا الى الشيخ العبيد يدعو الى الدخول في دعوته وان لا نجاة له الا بالقدوم عليه أو حصر الخرطوم وعرض له بذكر الشريف أحمد طه الذي تقدم خبر قتله وكان الشيخ العبيد ملازما للحياة مدة قيام المهدي بكوردفان فكان يظاهر المهدي ولا يجب ان تسمع عنه الحكومة الميل لجهته فكان اذا سأله سائل عن حقيقة دعوى المهدي يجيبه بمبارته المشهورة وهي ( اذا كان مهدي جيد لنا وان كان مامهدي شين لنا ) ومعناها اذا كان مهديا فانه جيد لنا وان لم يكن مهديا فاي شيء لنا وهذا الجواب يدل على ما كان عليه هذا الرجل من الدهاء وكان رسل المهدي واتباعه اذا جاؤهم يقابلهم بالاكرام ويسر اليهم انه منهم واذا جاءهم عمال الحكومة أظهر لهم الطاعة ونوه لهم عن الضعف بمبارة عامية مشهورة أيضا وهي ( أنا جنيزه محنطه وجديده مكشنة ) ومعناها انا كالجنائزه المكشنة ان حملت الى المقابر فانها لا تقاوم أو كدجاجة مطبوخة بالبصل لا تقاوم من يريد أكلها ويقول البعض ان الرجل ولو انه أول من حاصر الخرطوم وقتل عددا كبيرا من جنودها في واقعة أم ضبان فانه مكره اخاك لا بطل وكان الشيخ العبيد قبل ظهور المهدي بعدة سنوات يكره دخول مدينة الخرطوم ويقول كلمة مشهورة أيضا ( بركة القيوم ما أدخل الخرطوم ) أي أسأل القيوم أن لا يدخلني الخرطوم وكثير من أتباعه يقولون انه عالم بطريق الكشف وخرق حجب المغيبات بما يصيب أهل الخرطوم من البلاء ولذلك كان يخشى ان يصيبه ما يصيبهم الى غير ذلك من الامور التي ليس في وسعنا ايراد جميعها في مثل هذا المؤلف لعدم فائدتها

وحاصل القول انه رجل من أدهى أهل بلاده ولذا لم نقدر على الحكم

بحقيقة نيته بل ترك الحكم ويقرب من الظن انه كان مكرها لا بطلا والله أعلم بالصواب وهذه صورة الكتاب نقلا عن الجزء الثاني من المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن المبد المفقتر الي مولاه محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه في الله ( العبيد  
بدر ) وقاه الله جميع الضر ووفقه على ما عند الله يسر ومن معه من المحبين  
حبيبي قد تكررت المحاطبات الي عباد الله للالابة الي ما عند الله والانتقاد لامر  
الله والخروج عن النفس والملاقاة المعوقة وكل من أخلص لله وكان امره لله  
قد اتصل لدين الله معنا ومن لم يجتمع وقام بأمر الله علي قصد اعانتنا وقاسى  
الشدائد لصفاء سريره في ايثار ما عند الله ومات علي ذلك اتصل بربه وتنعم بما  
لا يوصف من النعيم واستراح من شؤم الدنيا كاحمد بن طه الشريف  
المعلوم الذي جاهد الترك ومات علي صدق حبه واتباعه وكذلك أمثاله قال الله  
تعالى « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب  
الله » فحاشا ان من له معرفة يجعل فتنة الناس في الدنيا كعذاب الله  
في الآخرة بل هان عليه كل تعب ومشقة في الدنيا ليسلم من عذاب الله  
الذي لا يساوي عذاب الناس في جنبه بشيء ما ولا سيما ما عند الله من الخيرات  
التي لا تزن الدنيا جميعها فيها شيئا قليلا كما ورد فمن نظر ذلك هان عليه فوات  
كل متعة في الدنيا ومفارقة كل حبيب بالنظر الي الدوام العظيم كما هان عليه  
مقاساة شدائد لدنيا بالنظر الي شدة عذاب الآخرة وانك من أعظم من  
يعد ويظن بالصدقة والاخلاص لما عند الله وما عهدتك انك تتباطى  
علي قدر هكذا مع انك جد عارف بمظمة ما عند الله وخسة الدنيا وما فيها

ووجوب الهجرة الى اذانه لا يخفى على من دونك نوراً انى خليفة رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم محي ما اندرس من الدين وسنة رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ومن المعلوم عند ذوي العرفان ان المهدية اختبار لمن يدعى الدين  
 فكل من كان لدين الله الخالص صادقا لا يأتى التعبد والانقياد والتواضع  
 لحوز ما عند الله الدائم ومن كان باطنه حب الجاه وما يجبى اليه من الهدايا  
 والوظيفة عند الناس توقف عن الانقياد لاجل ذلك وصرف جماعة من  
 الناس عن الدين الواصل لله كما كان ذلك دأب الاحبار والقسيسين والرهبان  
 الذين كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتحون به فلما جاءهم  
 ما عرفوا كفروا به خوفا من فوات الجاه والوظيفة عند الناس وما يجبى اليهم من  
 الهدايا والقطائف لمتاع الحياة وما ذلك عند الله بمخلص ولا يتولى العبد عند  
 لقاء الله قال تعالى «ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوا يحزبه  
 ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا» وقوله تعالى «وما ينفي عنه ماله اذا  
 ردى» الى غير ذلك وذلك من المعلوم عندك وانك ممن لم يكن دينه على حرف  
 فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه بل أنت ممن  
 يطلب ما عند الله ولو تقطعت اربا اربا وفاتت جميع المطالب النفسية لما تعلم  
 ما هو عند الله من العظمة التى لا توازيها جميع المطالب بل من فاته ذلك ووقع  
 فى عقاب الله الذى هو معلوم بالشدة أحب ان يفتدي بجميع ما فى الدنيا من  
 محبوباته التى لا يبقى له منها عن قريب اثر شئ منها وكل ذلك وأنت تربي به  
 من أذاك فاستعمل ذلك حبيبي فانه لا غناء لك من صلاح نفسك واكتساب  
 ما عند الله وانك من أعظم من يقبل النصيح تواضعا لله الذى خلق وأحيى واليه  
 المرجع وقد وعد وأوعد كما قال تعالى «وذكر فان لذكرى تنفع المؤمنين» فليس

بعد الله شيء ولا أصدق من قوله وإنك من أخص المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب وفقني الله وإياك والمسلمين لما يحب ويرضى فإذا بلغك جوابي هذا فاما أن تهاجر أنت ومن معك من الاصحاب المحبين ومن يطلب ما عند رب العالمين من غير نظر الى علاقة وإما أن تحاصروا الخرطوم وتجاهدوا من اغتر بزينة الدنيا ومتاعها عن الصدق مع الحي القيوم حتى نأتيكم ولا رضاه لنا عنكم الا بهذين الامرين فاذا فعلتم رضينا عليكم وأنت تعلم انه لا يتحول أحد بنير الله فلا تخافوا أعداء الله الذين هم نواصيهم بيده واستعملوا أمر الله فيهم فانه أحق أن يخشى ولا تأبوا بلاء الله لكم لتصفية الايمان والفوز عند الرحمن فالى متى الفرار من بلاء الله تعالى الذي فيه لكم النجاة والكرامة فقد قال الله تعالى « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا » الى غير ذلك من كلام الله في هذا المعنى فلا تطلبوا الراحة وترف المترفين في دار الظالمين وكل ذلك ذكرتكم به لانك أهل لذلك وممن له الصداقة مع رب العالمين والسلام اهـ

وفي اوائل شهر صفر سنة ١٣٠١ قامت عصابات من اتباع الشيخ العبيد وقطعت اسلاك التلغراف بين الخرطوم وبربر فارتاع لهذا الحادث وكيل الحكمدارية وارسل وفداً برئاسة أحمد بك على جلاب مدير الخرطوم وسر التجار وثلاثة من الاعيان ولما دنا رجال الوفد من ام ضبان قابلهم اتباع الشيخ العبيد بالشتم والسباب وقالوا لهم لما ذا جئتم يا كفار الله اكبر عليكم فلم يجابوهم بشيء بل دخلوا على الشيخ العبيد الذي قابلهم بالحذر الشديد وقرأ عليهم ما كتبه له المهدي فقالوا له نحن عازمون على التسليم والدخول في طاعة

المهدي والخابرة دائرة بيتنا وبين مصر وقطع اسلاك التلغراف يعطل هذه  
 الخابرات وكرروا عليه الرجاء بوجوب التصريح باعادة اصلاح ما تلف من  
 تلك الاسلاك فاجاب الى ذلك وعاد الوفد الى الخرطوم وارسل وكيل  
 الحكمدارية سفيتين بخاريتين عادتا بعد اصلاح التلغراف

وعلى اثر هذه الحادثة سقطت هيبة الحكومة سقوطا نهائيا من قلوب  
 القبائل المجاورة للخرطوم وعدوا ذلك ضعفا وهنا لا مزيد عليها لحقا الحكومة  
 وما اتصلت الحادثة بالمهدي حتى ايقن بما عليه الحكومة من الضعف الذي  
 يجعل وقوع الخرطوم في قبضته ضربة لازب وفي غضون ذلك كان محمد بن  
 البشير داعية المهدي في الجزيرة قد استفحل أمره ودانت بطاعة المهدي على  
 يده أكثر قبائل الجزيرة وبلدانها

ولما أذن الشيخ العبيد للحكمدارية في اصلاح ما تلفه جماعته من الاسلاك  
 التلغرافية قامت عليه قيامة الداعية ابن البشير وشدد عليه النكير وكتب الى  
 المهدي يعلمه بان الشيخ العبيد مذبذب يظن الولاء للحكومة ويخضع للمهدية  
 فكتب المهدي له كتابا جملة آخر خطاب وكتب الى جماعته يستميلهم اليه وهذه  
 صورة ما جاء الكتابين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فجزيل السلام من عبد ربه الواثق بمولاه محمد المهدي عبد الله الى حبيبه  
 العبيد بدر وكافة من كان لله وبذل نفسه في نصرة الدين من عباده المؤمنين  
 أما بعد فالذي نعلمكم به أيها الاخوان أنه تكررت منا اليكم المخاطبات  
 والانذارات والمواعظ المكررات التي يهون في جنبها ارتكاب كل صعب

شديد في طاعة الملك المهيد وقد كنا نمدكم للنائبات التي نزل من عدم الصبر  
عليها أقدام الثقات لتعمير بواطنكم واولقاتكم بذكر الله ودلائلكم لحق الله  
وعكوفكم على قدم الصدق الذي تنافس فيه أهل الله وحزبه وانتم أهل دراية  
ومعرفة وقد علمتم ان القلب اذا خلا من غير الله يمتلئ نورا ويفيض منه  
الى خلق الله ولا شك ان الرباني المتمسك بالله كامثا لكم شأنه هكذا وسيماه  
وعلامته هي عدم الخشية من أحد غير الله والى الآن انتم معدودون عندنا  
لاجل ذلك وقد باننا عنكم عدم الاهتمام والقيام لقتال الكفرة حيث ندبكم  
محمد بن الطيب البصير لذلك فتخلفتم عن إجابته وما كان لكم أن ترغبوا بانفسكم  
عن الله ورسوله وتشاركوا المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاي  
عذر لكم بعد أمر الله ورسوله وأمرنا بهذا وإن كنتم في أشد البلايا فإن  
الدين بالبلوي يزيد تجملا ولا يعرف الذهب من الزيف الا بحرقه في النار ولا  
يرغب عن ملة ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام الا من سفه نفسه  
وما أراكم أن ترضوا بذلك لكونكم عندنا من الاخيار فاطلبوا ما عند الله  
فالبدار البدار وتوبوا مما توقفت لاجله فانه لا شيء يعتذر به ويستعجي المؤمن  
اذا وقف بين يدي الله تعالى وينكس رأسه ذليلا منكسرا حيث آثر الغير  
على محبة الله وتأنى من طلب الله لاجل شيء ظنه عذرا وتوانى عن نصرة الله  
فيود ان تسوى به الأرض من شدة وجله وخجله من الله حيث انكشف  
له حقيقة حاله عند الله وبثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فاذا بلغك  
جوابي هذا فشمروا عزمكم في الله وشدد حزام العزم والحزم وتوكل على  
الله واعتصم به وانتصر بالله فتم المولى ونعم النصير وبوصول جوابي هذا  
اليك اجمع همك في الله وأرسل لجميع اتباعك وأحبائك وأهلك وعشيرتك في

الله وجاهر في معاداة الكفرة واقطع السكك وبارز بالعداوة ظاهراً وباطناً  
 بالقتل والاسر والرباط والحصار ولا تتوقف ابداً لامر ما ان كنت ممثلاً  
 مصداقاً بمهديتنا افعل ذلك ولا تبال بحكم ما فعل محمد الطيب البصير وان  
 خشيت فانضم اليه وهاجر من محلك الذي أنت فيه واتخذ معه كيد واحدة  
 فلا يكون لك بد عن هذا أبداً فخرض المؤمنين على القتال وسلم نفسك  
 واتباعك من الحساب والسؤال فان من قصد الله ورسوله واقامة الدين يجاهد  
 عدو الله ورسوله ولو مع شلكاوى فلا تضر نفسك فلا يكون رضاي عليك  
 الا بفعل ما أمرتك به من أحد الامرين مع عود الافادة اليها عاجلاً لنعلم  
 ما أنت عليه والسلام

ولا تجاوبنا بغير ما أمرناك به ولا تبسط لنا الاعتذار وما قد أنذرناك  
 ومن بلغه الانذار لاحق له في الاعتذار والسلام

« الثاني » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الي احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه  
 خصوصاً دفع الله تلميذ العبيد ولد بدر وكافة عصبته ورجاله واتباعه اجمعين اما  
 بعد فالذي نعلمكم به أيها الاحباب انه جاء الحق وزهق الباطل وقد علمتم  
 ان خروج المهدي وظهوره كقيام القيامة يتضح فيه أهل الدين والايمان  
 ويكشف عن الصادقين من الاحباب وأنتم أبناء الطريقة وخدمتها المريدون  
 لحرث الآخرة والمجتهدون فيها وهذه سنة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قد ظلمت وايدها الله بظهورنا وأوجب عليكم طاعتنا ونصرتنا في الله لاقامة  
 الدين وترك كل ما ألهي وشغل من مال وبنين وحيث فهمتم ذلك فانتكم الهجرة

الاولي وكان الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب اليكم من كل شيء سواه  
فبمجرد وصول جوابنا اليكم محبة رافعه محمد الناصر تحزبوا في الله احزابا احزابا  
وجهزوا حالكم واستعدوا للقتال والجهاد للكفرة بكل ما أمكنكم وانضموا  
الى العبيد بدر وبمجرد سماعكم بملولنا بالبحر الابيض تقوموا بكامل رجالكم  
خفافا وثقالا وقابلوا الخراطوم بجهتكم التي يقال لها القبة وحاصروا أعداء  
الله وضيقوا عليهم فان الله يخزيهم وينصركم عليهم فاني موعود بالنصر والظفر  
عليهم باذن الله تعالى ولو كنت وحدي فمن تخلف بدم مجيئنا قدمه هدر  
وماله وأولاده غنيمة للمسلمين يكون معلومكم ذلك وبمده السلام  
وأیضا كتبنا لوالدكم العبيد بالحصار والجهاد تجاه القبة للخراطوم وان  
يساعدكم على هلاك الكفرة فتعاونوا عليهم فان المؤمنين كالبنیان يشد بعضهم  
بالبعض يكون معلوم والسلام

وسنعود الي ذكر تأثير هذين الكتابين

### ذكر غارة الشيخ مضوي عبدالرحمن علي ارباض الخراطوم ونهب الماشية وهزيمته

في أوائل شهر صفر سنة ١٣٠١ جمع الشيخ مضوي نحو الف رجل  
أغار بهم على الخراطوم ونهب نحو الف رأس من الماشية كانت ترعى خارج الخندق  
ولما تأثرته الجنود فر الى جهة الجديد على بعد مرحلتين من الخراطوم  
جهة النيل الازرق ثم انتدبت الحكة مديرية الاواء ابراهيم حيدر باشا في الفين  
من المشاة المصريين فاجبر من الخراطوم على باخرتين حتي بلغ الجديد فقابله  
الشيخ مضوي براياته وبنوده فصبر لهم حتي اقتربوا من المربع وأصلحهم

ناراً حامية فلم يستطيعوا الثبات عليها وولي قائدهم مذموراً وسقط نحو مائتين منهم قتلى وتفرقوا في القلعة ومنذ ذلك اليوم اختفى أثر الشيخ مضوى ولم يوقف له على خبر إلا بعد أن زحف أبو قرجه وابن البصير وحاصروا الخرطوم من جهة الجريف كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر الداعية محمد بن الطيب البصير

تقدم لنا تعريف قرى الحلاوين عند ذكر الشيخ القرشي أستاذ المهدي ونقول الآن كان في الحلاوين رجل اسمه الطيب البصير كان أستاذ القرشي هذا قبل أن يجتمع بالاستاذ الكبير أحمد الطيب بن البشير ناشر الطريقة السماوية في الأقاليم السودانية وكان الطيب البصير ضريراً فسماه أستاذه بصيراً وكان ورعاً تقياً ذا شهرة كبيرة وسيرة حسنة في أيامه توفي في منتصف القرن الثالث عشر من الهجرة الشريفة وله أولاد أرشدهم محمد بن البصير ولما أباد المهدي حملة الجنرال هيكس أرسل إلى ابن البصير يأمره بالقيام بدعوته وكان المهدي زوج ابنته فاحجم في بادي الأمر وأخذ يدعو الناس سرا ولم يقدر على المجاهرة

وكان في مدينة ولد مدني رجل سوري اسمه محمد اغا جباره وهو والد أحمد جبارة قاضي المهدي الذي ذكرنا خبر قتله يوم واقعة الجمعة بالايض كان يدعو الناس سرا للمهدي بهذه المدينة

ولما اتصل بالحكمدارية هذان الخبران انتدبت احد بك على جلاب مدير الخرطوم وشددت عليه الاوامر بالقبض عليهما فذهب على احدي البواخر واحاط بالقرية التي فيها ابن البصير وبعد ان قبض عليه أوكد قدم

عليه ابن حبوبة شيخ هذه القرى وعرض عليه عشرين الف ريال على أن يترك ابن البصير فقبض المال وكف عن القبض عليه ثم تابع مسيره الى ولد مدني فاقتدى منه محمد اغا جبارة باربعماية ريال وعاد الى الخرطوم ولم نعلم بماذا اعتذر الى الحكمدارية

### ذكر واقعة العسكري بالحلاوين

لما وصلت كتب المهدي الى ابن البصير ومعه اثني مائة غنم من المصريين في حملة الجنرال هيكس لالابس الضباط ونياسينهم أرسل يدعو قبائل الدباسيين والحوالده وسائر أعيان القرى فاجتمعوا عنده في يوم السوق الاسبوعي قتل عليهم كتاب المهدي وأمرهم بالمبايعة فبايعوا وخلصوا ثيابهم ولبسوا المرقعات ثم ضربوا طبول الحرب

وكان في السودان عسكري من الجبهة أرسله حاكم الخط ليدعو الصراف الى تسليمه ما قبضه من الضرائب فقام الصراف ولعام العسكري على وجهه ثم أحاط من في السوق بالمسكري وقتلوه وكان الذين في السوق يبلغون ستين ألفاً كلهم غمساو سلاحهم في الجنة وأخذ من في القرى يهرعون الى السوق كي ينمساو أسلحتهم في جثة العسكري فناء لا بان سلاحهم سينفوس في أجسام كل الجنود ومن ثم أعلنت البلاد كلها دخولها في طاعة المهدي وخلصها طاعة الحكومة

وقال بعضهم ان هذه الواقعة كانت قبل شغوص المدير الى الحلاوين والحقيقة انها كانت بعدها لانه اذا كانت قبلها لم تعد الحكومة الى ارساله ولكانوا قاتلوه بدل ان يرشوه

ويقول كثير من الناس ان هذا المدير كان ذا ميل الى المهدي وقد آمنه على ماله وأولاده ووعدده بالجزاء الحسن وقد قبض غوردون عليه في غضون حصار الخرطوم واظنه لم يتحقق لديه شيء مما نسب اليه والرجل مات قتيلا يوم سقوط الخرطوم رحمه الله وتجاوز عنه

### ذكر كتاب من المهدي الى الشيخ السنوسي

قلنا ان المهدي نصب خلفاء ثلاثة وسمى كل واحد باسم خليفة أحد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين عدا عثمان بن عفان عليه سحائب الرضوان وانه كان ينوي اهداء هذه الخلافة الى حضرة الشيخ محمد المهدي بن السنوسي وفي سنة ١٣٠٠ كتب كتابا مع الطاهر اسحق من أهالي البلاد الواقعة غربي دارفور الى الشيخ السنوسي يخبره بانه كان ينتظره لاقامة الدين والجهاد في سبيل رب العالمين حتي آتته المهديّة الكبرى وان النبي صلى الله عليه وسلم اجلس ثلاثة من أصحابه على كرسي خلفائه وأبقي كرسي عثمان بن عفان رضي الله عنه له وقال هذا لابن السنوسي عاجلا أو آجلا وقال ان نورانيتك تحضر معنا في حضرات كثيرة ورجا منه القدوم عليه أو القيام بدعوته في جهته والنفارة على مصر . قال الرسول لم يجابوب السنوسي بخطاب بل قرأ كتاب المهدي وقال انني لم ابلغ منزلة الغبار الذي تار في أنف فرس عثمان بن عفان رضي الله عنه في احدي غزواته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا جواب عندي على هذا الكتاب ثم أمر الرسول بالعودة من حيث جاء وهذه صورة الكتاب نقلا عن كتاب المنشورات أيضا

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن  
عبدربه الفقير اليه محمد المهدي بن عداة الى حبيبه في الله الخليفة محمد المهدي  
ابن الولي السنوسي فيا ايها الحبيب الواقف على سنة النبي المرشد المرقى العباد  
الى مقام التقريب قد كنا يا حبيبي ومن معنا من الاعوان نتظرك لاقامة  
الدين قبل حصول المهديّة للعبد الذليل وقد كاتبتك لما سمعنا باستقامتك  
ودمايتك الى الله على السنة النبوية وتأهبتك لاهياء الدين بان نصير اليك  
ونجتمع معك فلم ترد الينا المكاتبه وأظن عدم وصولها اليك حتى اني ذاكرت  
جميع من اجتمعت معه من أهل الدين والشيوخ والامراء المعينين فأبوا ذلك  
لهوان الدين عندهم وتمكن حب الوطن والحياة في قلوبهم وقلة توحيدهم  
حتى بايعوني الضعفاء على التفرار بالدين واقامته على ما طلب رب العالمين  
وقنعت نفوس من بايعنا من الحياة لما يرون للدين من الممات ولا زال المساكين  
الذين لم يبالغوا في الله بما فاتهم من المحبوب يزهدون وفيما عند الله يرغبون  
حتى هجمت المهديّة الكبرى من الله ورسوله على العبد الحقير والله هو القاعل  
المختار الذي هو على كل شيء قدير فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان  
اكتب بها الشرق والغرب من غنى أو فقير فصدق بها من أراد الله سعاده  
وكذب بها الاشقياء وصاروا في النكير مع ان النبي صلى الله عليه وسلم قد  
خلفني بالمهديّة مراراً بالجلوس على كرسيه والبسني سيفه بحضرة الخلفاء  
والاولياء والاقطاب والملائكة المقربين والحضر عليه السلام وأعلمت انه  
لا ينصر على أحد بعد إتيان سيف النصر الي من حضرته صلى الله عليه وسلم  
ولا زال التأيد من الله ورسوله يزداد وأنت منا على بال حتى جاءنا الاخبار

فيك من النبي صلى الله عليه وسلم انك من الوزراء لي ثم لازلنا ننتظرك حتي  
 أعلمنا النبي الخضر عليه السلام باحوالكم وما أنتم عليه ثم حصلت حضرة عظيمة  
 عين فيها النبي صلى الله عليه وسلم خلفاء خلفائه من أصحابي فجلس أحد أصحابي  
 على كرسي أبي بكر الصديق وأحدم على كرسي عمر وأوقف كرسي عثمان  
 وقال هذا الكرسي لابن السنوسي الى أن يأتيكم بقرب أو طول وأجلس أحد  
 أصحابي على كرسي علي رضوان الله عليهم أجمعين ولا زالت روحانيتك تحضر  
 معنا في بعض الحضرات مع أصحابي الذين هم خلفاء خلفاء رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم واعلم وان كان لا يخفى عليك ان المهدي كالم الساعة لا يعلمها على  
 الحقيقة الا الله كما بينه المحققون كالسيد احمد بن ادريس فانه قد قال كذبت  
 في المهدي أربع عشرة نسخة من نسخ أهل الله وقال سيخرج من جهة لا يعرفونها  
 وعلى حال ينكرونها وكذلك قال عبي الدين في بعض تفاسيره الى غير ذلك  
 من أقاويل المحققين ولا سيما وان المهدي لا تدعي لكثرة أعدائها وقوتهم وعلى  
 انها لما ظهرت أنا بين أظهرهم في أشد الضعف والقلة فلولا انها من الله  
 تعالى لما مكثنا في الدنيا يوما واحداً من شدة قوتهم وضعفنا وهم محتاطون  
 بنا من كل جانب فآلتي الله في قلوبهم الرعب وصدهم بالحيلة وقد أمرنا  
 النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى جبل بالغرب يقال له (قدير) بلصق جبل  
 يقال له ماسه فجمعوا جموعهم الينا مراراً فقتلهم الله وأحرق جلودهم بالنار  
 يرى ذلك الخاص والعام علامة لشقاوة من أنكر مهديتي وقد أعلم صلى الله  
 عليه وسلم ان من شك في مهديتي كافر وكررها ثلاثاً ومراراً يقول من أنكر  
 مهديتي ومن خالفني فابي أمرى كافر فمن أراد الله له السعادة صدق بمهديتي  
 ومن لا جعل الله له شكوكاً وشبهات تصده عن الايمان بمهديتي فيخذله الله في

الذي قبل الآخرة الا من أراد الله تعالى له الهداية بعد فاذا بلغك جوابي هذا  
اما ان تجاهد في جهاتك الي مصر وجهاتها أو تهجر الينا والسلام ه رجب  
سنة ١٣١٠

وكان الناس متشوقين للوقوف على ما يجاوب به السيد السنوسي ولما لم  
يعلن شيئاً من ذلك تداول الناس ما نقلناه عن الرسول وأمسك المهدي عن  
الكلام في شأن السنوسي حتى كانت أيام الخليفة التعايشي فصعد المنبر في ذات  
يوم وقال ان المهدي أخبره بان خلافة عثمان أمرها مفوض له وانه ان شاء أبقاها  
للسنوسي وان شاء أعطاها غيره وكان يقصد بهذه المقدمة إعطاء الخلافة  
لاخيه يعقوب أو لابنه عثمان الذي لقبه بشيخ الدين ثم رأى له من أميال  
العامه انه ان فعل ذلك لاقى من تشنيعهم مالا يأمن منبته وربما اتخذ البعض  
ذريعة للازدراء باقوال المهدي وحجة لاظهار كذبه وفريته على رسول الله  
صلي الله عليه وسلم حيث قال في خطابه للسنوسي ان نورانيتك تحضر معنا  
في حضرات كثيرة

وقد كان المهدي يحزم بان السنوسي يقع في حبال كذبه ويسقط في  
هواة غدره نخاب ظنه ولم يعد قادراً على الحوض في أمره بما اعتاده من  
تكفير كل من اعرض عن دعوته ورفض عن متابته بعد الذي شاع عنه من  
الثناء عليه والاعجاب بأمره مما تضمنه هذا المنشور

وتوجد أقوال غير متواترة عن المهدي انه قال ان رسول الله صلي الله  
عليه وسلم أخبره بان السيد السنوسي سيموت قتيلاً بسيف دعوته وانه طرد  
من الحضرة النبوية منذ أعرض عن دعوة الهدية وهذه الاقوال معزوة  
الى عبد الله التعايشي لانه يرمي بها الى تمهيد الخلافة المزعومة لابنه أو لاخته

والحاصل ان اعراض السيد السنوسي عن دعوة المهديّة جعل أهالي  
( وادي ) و ( باقرمه ) وغيرهم من ممالك السودان الغربي أعداء الداء للمهدي  
ودعوته وسيأتي ذكر حروبهم للمهدوية وقيامهم لمناجزتها في السودان الغربي  
وعلى ذكر ممالك السودان الغربي نقول ان أميراً من أمراء بلاد  
( فلاته ) اسمه عثمان بن محمد فوديه كتب له المهدي كتاباً قال فيه ان النبي صلى  
الله عليه وسلم بشره بأنه يكون وزيراً من وزرائه وأنه يحضر معه في الحضرة  
فاجابه بكتاب طويل قال فيه انه كان حاضراً معه في حضرة فيها جميع الانبياء  
 والمرسلين والملائكة المقربين وان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بطاعة المهدي  
ونشر دعوته في السودان الغربي فسر المهدي بهذا النبأ ولكنه صادف مقاومات  
عنيفة من السيد السنوسي وكل ملوك السودان الغربي الزمت به بترك هذه  
الدعوة والتبرأ منها بعد ان اتصل به نبأ موت صاحبها

### ذكر فخر الدين مدعي الخلافة

كان لنجاح المهدي وانتقاد الناس له وتصديقهم لما جاء به من الاباطيل  
والخزعبلات وقع سيء عند كثير من رصفائه والذين على شاكلته وبدت  
عليهم علامة الندم على ما فاتهم من الفرصة لان منهم من كان مشهوراً بالصلاح  
وحوله من الاتباع ما يربو على شهرة المهدي وعدد اتباعه  
وكان جماعة من المشايخ يكتبون له أنهم رأوه في الحضرة وشهدوا جلوسه  
على كرسي النبي صلى الله عليه وسلم كما يزعم ويزيدون على ذلك انه صلى  
الله عليه وسلم أمر باعطائهم كذا وكذا أو بولايتهم على بلاد أو بتبويثهم مناصباً  
من مناصب الخلافة فكان هو يقابل كل هذه الدعاوى بالتكذيب وعدم

التصديق ويقنع منتحلها بان الحضرات والاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم  
لا تكون لغيره ألبته وانه لا ولاية ولا كشف في زمانه وانه خاتم الولاية كما  
انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقد  
حذر أرباب الطرق ومنهم من اعطاء اليهود وابطل اجتماعهم واذكر كلام  
ومن فعل ذلك منهم نكل به شرتكيل وما ذلك الا ليتفرد بالسلطة المطلقة في  
الامور الدينية والسياسية

وبعد مقتل الشيخ المنة بايام ادعي غلام من أولاد المشايخ المشهورين  
أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأنه خليفة الخليفة عبد الله التعايشي  
وانه سمع هاتفاً يقول له انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس  
بالعدل. فاجابه المهدي بخطابين فيهما أن الخليفة عبد الله التعايشي هو في باطن  
الامر المهدي وفيه أن الحضرة عليه السلام رأي الاولياء مجتمعين في بيت المقدس  
يستبشرون بظهور المهدي ووزارة عبد الله التعايشي له وأن الشياطين  
يقولون كنا نعيش بالمر والخذاع والآن لا نعيش لنا لان المهدي ظهر ولو  
أشير بالخلافة لغير عبد الله لوجدنا في المهدي دخولا وفي الكتاب الثاني  
تاويلات لما رآه مدعي الخلافة وهامى صورة ماجاء الكتابين نقلا عن  
كتاب المنشورات

«الاول» ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه نضر الدين حسن  
فقد بلغنا جوابك وتلونا وفهمناه وذلك مطلوب كل مؤمن بشفيق ومن ينيب  
الي الملائة الاعلى وأحسن الرفيق وقد بلغنا عنك مرارا وتكرارا من الواردين

والأمرؤدين وبعض من أهل العيان أنك قد تظاهرت للناس بالخلافة وتحكيها  
لنبي صلى الله عليه وسلم مع أن الله أظهرنا رحمة للامة وجعل هذا الامر  
موقوفاً بنا ومتوقفاً علينا وأيدنا على ذلك بما لا ينكره الا كافر والحمد لله اذ  
اجبت منيا بلا سيف فترجو الله على جوابك هذا ان يزيل عنك كل حيف  
ولكن حيي ان المؤمن المؤثر ما عند الله بسبب ايمانه لا بدان يتليه الله تعالى  
على صدق ايمانه فان كان ما ادعاه من الايمان حقيقيا صبر ورضى واحتسب  
لأجره على الله حيث ان النصيب نصيب الآخرة قال الله تعالى «أحسب الناس  
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله  
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» وحيث انك كآبتنا بادعاء الحالة المطلوبة في  
الايمان فاعرض على عبد الله الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم خليفة أبي  
بكر الصديق وأجلسه على كرسيه في أول تأييد المهدي وتواتر بذلك التصديق  
الي ان أظهر الله الدين بموازرتة وقد أنانا خبر من الحضر عليه السلام ان  
الاولياء اجتمعوا في بيت المقدس يقولون الحمد لله الذي أظهر المهدي وجعل  
عبد الله وزيره وثم وجد اجتماع الشياطين وهم مهتمون يقولون كان عيشنا  
بالتش والمكر والخداع والكذب فأتى المهدي وقطع علينا عيشنا ولولا ان  
عبد الله وزير له وكان الخليفة غيره لكنا نوجد في المهدي دخولا فالآن أعرض  
عليه قبل وصولك اليها فان كانت صدقا يتضح وتصبر وترض فيما يحكم به  
عليك ثم بعد ذلك تلاقيني بالنفو والرضى وتكون من أصحابنا المقربين  
والسلام ٢ شوال سنة ١٣٠١ « الثاني »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى الاخ في الله  
 نجر الدين ان امر الخلافة من الله ورسوله الذي عرض لك كما كاتبنا بذلك  
 وقتلناك لما تأتينا نبين لك معنى ذلك وانك اذا كنت سمعت هاتفا من قبل  
 الله باناجملناك خليفة في الارض فهو أن الله جعل كل أحد خليفة عن آباءه وكل  
 قرن خليفة عن القرن السابق قال الله تعالى «ثم جعلناكم خلائف في الارض  
 عن بعدهم لننظر كيف تعملون» وقال تعالى «هو الذي جعلكم خلائف في الارض  
 فمن كفر فعليه كفره» ونظائر هذه الآيات كثيرة وأما قوله جعلناك خليفة في  
 الارض فاحكم بين الناس بالحق فبعد أن عرفت ان الخلافة مجرد الوجود في  
 الارض بعد موت اهلها السابقين وقوله لتحكم بين الناس بالحق هو قوله صلى  
 الله عليه وسلم كلکم راع وكل راع مسئول عن رعيته فالرجل راع على أهل بيته  
 وأولاده يحكم بينهم بالحق ايزيل عنهم الفساد ويدلهم الى رب العباد ويكون  
 لهم خيرا ما يكون إما ما لهم كما تعالى «ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قره  
 اعين واجعلنا للمتقين اماما» فقرة الامين من الازواج والذرية هم المتقون وابوهم  
 امام لهم في تقوى الله وطاعته والقيام بالحق كما سبق في الحديث الآنف ذكره  
 وأما الرؤية النبوية اذا تحققت في كونك خليفة عبد الله فهو أن عبد الله دال  
 لجميع الخلق الى الله وهو خليفتنا على ذلك وانت خليفة على اهلك وذريتك واما  
 عبد الله في الباطن فهو المهدي لانه أول دال الى الله في آخر الزمان وانت خليفة  
 على أهل بيتك وذريتك فهذا بيان ما أشكل عليك وطلبت بيانه منا والسلام  
 ٤ شوال سنة ١٣٠١

وبعد اطلاع مدعى الخلافة على الكتابين قدم على المهدي فقبض عليه  
 التعاشى وسجنه حتى مات واحجم الناس عن ادعاء مثل هذه الخزعبلات

وتركوها للمهدي الذي يزعم ان ظهوره أغلق أبواب المعيشة في وجه الشياطين  
 وأهمهم لالكونه المهدي بل لانه اكذب منهم ويفوق عليهم في المكرو الخداع  
 رابعة ومن النكات المضحكة اني كنت أقرأ هذين الكتابين على أديب مصري  
 فقال لي ان صح هذا الخبر فلا بد أن يكون الشياطين رأوا المهدي قد فاق  
 عليهم في مقام الابل اس وتولي غواية الناس بما جعلهم يحسدونه على نجاحه

### ذكر جمع الغنائم وعسر بيت المال

كان كثير من الامراء واتباعهم اخفوا كثيراً من الغنائم ولم يسلموها  
 الى بيت المال فانتدب المهدي كثيراً من الامراء في كل البلاد التي خضعت  
 له ليجمعوا ما يعثرون عليه في أيدي الناس ويواصلوا التجسس والاستعلامات  
 السرية عن حال الناس ليعلموا من كانت عنده أشياء من الغنائم فتدمر  
 الناس من هذه الحالة فاخذ يطيب خواطرهم باصدار منشورات عديدة في  
 ذم اخفاء الغنائم وتعالى في تلك المنشورات بما لم يعمد له مثيل

وقد كان المهدي وقتئذ واقعاً في أعسار مالية شديدة وما في بيت المال  
 لا يكفي نفقاته ونفقات أقاربه الذين كانوا يتناولون من بيت المال نصيباً وافراً  
 اذ كانت أعلى مرتباتهم خمسمائة ريال واقلها خمسون ريالاً فكتب اليه كثير  
 من القواد والامراء يرضون باحمد سليمان أمين بيت المال وأنه يخص أقارب  
 المهدي بالمعطايا الوافرة دون غيرهم وكان عبدالله التعايشي المحرك لهذه الحركة  
 لان أمين بيت المال كان لا يساويه في المعطاء بأقارب المهدي ويمنع أقاربه المعطاء  
 فكتب المهدي منشوراً قال فيه انه مجتهد وانه يفعل ما يشاء وكتب اليه بعض  
 الناس بنصوص شرعية عن الواجب الذي يتعين اتباعه في أمر توزيع الغنائم

وقسمتها فاجاب عليها كلها بمنشور نشبه هنا نقلا عن كتاب المنشورات ليقف  
القارى على مراوغة المهدي وهربه من الحقيقة وبعد المنشور صورة حضرة  
يعظ فيها الناس وان الذين يخفون الفنائم سيصيهم من العذاب ما يقطعهم  
عن محبته وكل هذه الاخبار موضوعة على النبي صلى الله عليه وسلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم انه من  
خليفة رسول الله محمد المهدي بن عبد الله إعلاما منه لكافة أمرائه ونوابه  
وجميع عماله في سائر الجهات والاقطار مع جملة الفقراء والفقهاء والعلماء والعمار  
والتجار خصوصاً أحبابه وأتباعه المهاجرين والانصار متع الله جميع العاملين  
بها بالنظر الى وجهه الكريم في دار القرار اللهم آمين. أما بعد اعلوا أحبابي انكم  
عندنا من الاصفياء الاخيار الناطرين بنظر أولى النهى والابصار واني قد  
وليت عليكم بولاية الله ورسوله لاقامة الدين وجثتم داعياً الى الله ومبلغاً عنه  
ما حملته اليكم اقفوا آثار من سلف من المهتدين السالئين وعلى نهج سيدنا  
محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين ولم يكلفنا الله واياكم باقامة  
الدنيا والسعي فيها هو مضمون وليس من عرفنا الاصفاء الى طلاب الدنيا  
لنأتي لهم بمافات منها ونجتهد لهم في مصالح تديرها فكل ذلك في أم  
الكتاب مكتوب ومختوم وانما قصدنا منكم جميعا المعاونة في تقويم الدين  
القويم واني في ذلك كواحد منكم ولوددت ان لو قام به غيري وصرت من  
جملة اعوانه فما كان الا ارادة الله من تحملي باقامة الدين وقد بلغكم من  
الانبياء والرسل ما بلغكم من اعراضهم عن الدنيا ومباعدة أصحابهم منها مع ان  
الدنيا هي فانية وعند الله لا شيء وانها أهون عنده من جيفة بالية واني دواما

ادلكم على الله وانهاكم عنها وتطلبون الصرف من بيت المال ونسيتم  
 ما دعوتكم اليه حتى حملكم انكم تهملوني بالتعريض بالمخاطبات وتورون  
 بالشيخ أحمد سليمان وانما فعلتم ذلك كي تطلبوا الصرف في زعمكم لاجل اقامة  
 الدين الذي لست أولى به منكم حيث طلبتم الصرف منا لاقامته وتشيدته  
 ولو شاركنوني في الدين وصرتم فيه مثلي لكان لكم ان لا تطلبوا الصرف  
 مني الا بعد العجز عن الكليات والجزئيات حيث انكم من جملة المهملين  
 للدين والمطلوب حينئذ ان يكون المؤمن مع أخيه كالدين تغسل احدهما  
 الاخرى وان المؤمنين بعضهم من بعض والمؤمنون أوليائي وأعواني حيث  
 يقول الله «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» واذا كنتم كذلك فاذا  
 صدق الايمان قلت أولى به منكم بحسب اتصافكم بهذه الشروط وأما  
 بحسب الاتفاق فيه فقد أنفق أبو بكر ماله وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة  
 فناء لانفسهم وأموالهم في نصرة الدين فقد صاروا لنصرة الدين مع رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم كنفسه بل انهم فدوه بانفسهم وأموالهم وأولادهم  
 وأهلهم برضى من أنفسهم حتى انهم يقدون طمعة الشوكة لرسول الله صلى  
 الله عليه وسلم بارواحهم فضلا عن الغير. أحبابي فانما آتكم ان تقيموا بي  
 دنياكم وتسالوني عن صلاحها وانما كان سؤالكم لي واجتهادكم مني فيما  
 حملته فقط مع مراعاة ما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له  
 في كامل أحوالكم وأموركم ومع ذلك لما رأيت انه لا بد لي من اجابتكم  
 فيما طلبتم جعلت لرد ظلامتكم وقضاء حوائجكم اعوانا وللفصل قضاياكم نوابا  
 والجميع من بعضكم البعض فتركت نوابي وأعواني وفضلتم تهملوني بالتعريض  
 وتسبون أصحابي واعواني وتؤذونني فيهم وقد بلغكم ان أصحابي كأصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيتي كاهل بيته وأنتم تعلمون منع ذلك في كتاب  
 الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف تؤذونني في أصحابي وتنفقون  
 قسمة الله تعالى لكم وتطلبون ما لم يكن لكم مع انكم ليس لكم حق  
 ولا نصيب لكم في مال الأبيض قطعا من جهة كونه غنيمة لانه مما افاء الله  
 به علينا لكونها فتحت بنير قتال فماله كله في بيت المال خاصة وانما كان  
 أعطائنا لكم منه من باب التفضل والاحسان فقط وأما بالنسبة الى الصرف  
 فليس لكم فيه حق الا بعد العجز عن الجزئي والكل كما ذكرنا وبعد هذا  
 طهارة السرائر من التكذيب والجحود والانكار وحل عقدة سرائر  
 الاصرار وبعد التجرد معى لاقامة الدين حيثما كان وبعد ذلك الرضا بقسمة  
 الله تعالى في القليل والكثير دون التشوف والتمنى الى ما فصل الله به بعضكم على  
 بعض في الرزق فانها قسمة أزلية كما قال جل من قائل « نحن قسمنا بينهم  
 معيشتهم في الحياة الدنيا » الآية فهو قضاء سبق كما في الحديث القدسي. أحبائي  
 انكم بايعتموني على المهدية وتزعمون انكم مصدقون بمهديتي وتعلمون الوقائع  
 التي حصلت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد مما فعله رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فمعلوم ان في حين أخذ أموالا كثيرة مما غنمه من حنين  
 فاعطاه للمؤلفة قلوبهم من أهل مكة وكما لا يخفكم انه قد بذل لابناء مرضعته  
 حليلة أموالا كثيرة مع ان المجاهدين غيرهم مساكين وضماف وعطاياهم صلى  
 الله عليه وسلم كثيرة حتى عرفوه بانه يعطي عطاء من لا يخشى فاقة وذلك  
 كله مع وجود المجاهدين كما تقدم آنفا وما ذاك الا بعلمه صلى الله عليه وسلم  
 وفيما رأي من أحوال الصحابة من الجوع والمرى سابقا ومن الضرر الذي  
 لم يحصل على أهل صحبتنا في هذا الزمان فرأى أموال قريش وأموال بني

قريظة والنضير فتمنى ان يكون له شيء من ذلك يزهد به ضرر أصحابه وأهل بيته فقال الله تعالى «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم» الآية فمع انه صلى الله عليه وسلم يري المجاهدين والمساكين أعطى أغنياء من أهل مكة لتأليفهم وضعاف الانصار الذين لم يعرفوا ما حواه رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأليف وعود المصلحة على المجاهدين مما أعطاه وغيره من الحكم فانه أولى لهم وقد فعل في الافياء ما تعلمون مع انه حاصر هو وأصحابه مدة طويلة وغير ذلك مع انكم في زعمكم بعم نفوسكم وبذات أموالكم فلم أمسكتوها ولم تسلموها لبيت الممان ولم تأكلوها وتنفقوها على أنفسكم في إقامة الدين حتي تنفذوها بل تؤخرونها وتطلبون غيرها فانظروا لحالكم معي وحال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ولكن أقول ان الصحابة رضوان الله عليهم مسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يأتي ويذر ويعلمون انه المين للوحي تفصيلاً وانه عنده من العلم ما لا يعلمونه وأنتم بايعتموني على المهديّة وترغمون أني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم واني لكم ناصح أمين وأولى لكم من أنفسكم وأدري بصلاح شأنكم وما تعلمون ماذا أريد ان أفعل فيما بعد في الغنيمة ولا تعلمون ما يعلمه الله مما انطوت عليه سرائركم أني الغنيمة استحقاق لكم ولا تعلمون ما أفعله فيها وهذا الكلام كنتم تحكونه لي ولا تحكونه بالحبيب أحمد وغيره وأولي ان كنتم انصاراً أن تعاونوني فيما حملت به من أمر الخلق وهذه الغنائم راقدة مدة طويلة اطلب الاصحاب في تفريقها فما وجدت ذاهمة يقوم بأمرها وقسمتها مع انه ورد لي فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يقسم وفيما يخص بيت المال للمسلمين وتعلمون ان كنتم من أهل العلم

الخلاف في كون القرآن ينسخ بالقرآن وبالحديث ينسخ القرآن وتزعمون اني  
 مجتهد ولو كنتم مصدقين بمهديتي لما اهتممونني حتى تقولوا ما قلتم فنسأل الله  
 تعالى ان يمن علينا وعليكم بالثبات على الايمان الكامل فتوبوا الي الله جميعاً  
 أيها الاحباب واسلكوا نهج اصفياء الله وأمناء دينه واصرفوا وجوهكم عن  
 الدنيا وأقبلوا للواحد المتعال ولا تشغلوني بطلب الدنيا وكثرة السؤالات  
 الخارجة عن مقتضاها وارفعوا حوائجكم الي بالصدق مع الاقبال ولا تعرضوا  
 لي بنصوصكم وعلومكم عن المتقدمين فلكل وقت ومقام حال ولكل  
 زمان وأوان رجال وقد علمتم ان من صدق مع الله في بيعته في نفسه وماله  
 فبمجرد بيعته خرج عن حكم نفسه فضلاً عن ماله فلا يفعل شيئاً بدون اذننا  
 ومشورتنا هذا في خاصة نفسه وأما بالنسبة الي ماله وهو تحت يده أمانة الله  
 ورسوله حيث بذله لله وصار ملكه لنا فلا يصح له فيه الانفاق في غير اقامة  
 الدين خصوصاً الصرف والاسراف في المباهاة كما علمتم والسلام

(ملحق)

وانه أحبابي بعد هذه المواعظ والتذكارات وبيان الخيرات والاشرار وبيان  
 طريق الالامة وقرب يوم القيامة فمن لم يتعظ ويهتد ويتجرد ويصف من  
 الغنائم والاموال من الامراء فليصر عزله مع تجريده جبراً عن ما يضره فان  
 الجاهل عدو نفسه كما علمتم انه لما حصل التذكير الاصحاب عندنا في غنائم  
 الابيض قد أوعدنا بان من لم يتجرد من الغنائم ويصف من عطب الدنيا ويرغب  
 فيما عند الله ويتوكل على الله وحده لا تصير له إمارة لكون امارتنا للارشاد  
 لما عند الله والخروج من دار الملاهي واذا كان الداعي هالكا وميتا فكيف  
 السلامة للاتباع فلانولي ميتا لا يصلح نفسه والسلام

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله الوالي الكريم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم . ( وبعد ) سأذكر البعض من الوقائع التي وردت في الغنائم وغيرها باختصار فبعد أن وردت الواردات في كيفية الغنائم وضررها بالابيض حكيت للاخوان حضرة حصلت فوق السموات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الاصحاب فلا يصل الي ذلك المحل الا الاصفياء الزهاد الخالصون من العلاقات الدنيوية وتمطل منها بعض من الاخوان لاجل علاقاتهم فلم يطبقوا الصمود اليها من علاقاتهم فأعلمت بذلك من انقطع بسبب علاقته الدنيوية من الرقيق والاموال فتجرد لله عن ذلك وصعد الى الحضرة المذكورة وثم حصلت حضرة قعد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جمع من المقربين ويجلسني عنده فيما روى ويفرز بيننا عوداً طويلاً أملس كأنه شعبة الخيمة الوسطى التي تقوم عليها وفي رأسها الثمر ويقول صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة شجرة الصداقة فكل من له صداقة فليصعد عليها فيصعد عليها قوم ويزلق منها آخرون فلا يقدرّون على الصمود عليها لينالوا ما فوقها من الثمار فكان ما فوقها هو نصيب الآخرة ولا يناله أحد الا بالصدق في الايمان والطلب لما عند الرحمن فأعلمت من تمطل عن ذلك بسبب العلاقات الدنيوية فتجردوا عن ما عطلهم وثم حصلت أيضاً شجرة الصداقة في وقت آخر وطلب الاصحاب بالصمود لنيل الخيرات فوقها فصعدوا الاصحاب الا الذين أكلوا الغنائم فامتلات عليهم سمفا فكلما أرادوا أن يتعلقوا بها ليصعدوا فوقها يزلقهم السمغ الذي عليها وبعض من الاخوان الذين عندهم ولم يحضر المذاكرات حصلت له رؤية وكان المذكور قبل رؤياه متأسفاً على فوات مذاكرتنا للاخوان

في كيفية الفنائم والتجرد عنها ان هي عنده من الانصار قال ولما أعلمني من  
 حضر المذاكرة عزمتم على اخراج ما عندي من الغنيمة وهو أمة وحمارة  
 وقليل من الدراهم قال وبعد عزمي باخراجها ودفعتها لبيت المال أخبره بعض  
 اخوانه بانك كيف تخرج هذه الامة الواحدة التي لا خادم لك غيرها ومن  
 يخدمك ان أخرجتها وأي شيء تركب ان أخرجت هذه الحمارة الواحدة وان  
 قام الامام للسفر لا بد أن تشتري بالجميع جملا تسافر عليه مع المهدي للجهاد  
 قال فطاوعت من ذاكرني من الاخوان بذلك وعزمت على ترك اخراج  
 المذكورات لبيت المال قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أتى للخليفة  
 عبد الله يذكره فقال المذكور في نفسه لما فاتني مذاكرة المهدي فليكن  
 الاسراع مني لحضور مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم للخليفة عبد الله قال  
 فلما حضرت وجدت المذاكرة قد تمت الا اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم  
 يقول للخليفة عبد الله عند فراقه له لاي شيء لم تستوعب أمر المهدي فالذي  
 يأمرك به المهدي كله افعله هذا معنى كلامه للخليفة عبد الله قال ثم أتيت للخليفة  
 عبد الله لاسمع منه مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت مع الخليفة بعضا  
 من ملازميه يصلون معه فقطع الصلاة وقال لي أين الخادم أي الأمة التي من  
 الغنيمة فعدم أتيانك بها لبيت المال أنسذ علينا صلاتنا قال وقال لي الخليفة  
 عبد الله لاي شيء لم تتجرد من الفنائم أما سمعت قول المهدي انه قال تجردوا  
 فما لك لم تتجرد قال فقلت له ما عندي الا شيء يسير فقال هذا القليل أده لبيت  
 المال ولو قرشا واحدا ومثل هذا كثير وبعض من الذين لم يتجردوا من الفنائم  
 تحضر لهم تماسيح تمنعهم من حقوق المهدي وأصحابه الصادقين فتفرقه حتى  
 كان أحد من الاخوان عنده ازار من الغنيمة فقبضه تمساح وأوقعه في المهالك

فاستغاث بالله وبرسوله وبالمهدي فأدركه المهدي فحمله ليخرجه فأمسكه حجر  
 لم يتركه يسلم حتي أقسم انه يعطى ثمن الازار فخلص ثم ان المذكور قوم الازار  
 بنحو ستة دراهم أو أقل فدفعه ليت المال فسار مع الاصحاب وغير ذلك  
 فيأحبابي ان السعيد يخلص في الدنيا قبل الآخرة فهناك تسبق الاصفياء  
 ويعطى أهل حطام الدنيا فقد روى ان القيامة قد قامت والمهدي مع أصحابه  
 الاصفياء دخلوا الجنة بلا حساب ولا رؤية هول ولا مشقة وأحد الاخوان  
 عنده قليل من المال والله أعلم لم يذكر من قلته فحبس من الدخول وصار  
 يصيح ويبكي من شدة الهول حتي خلس بعد نصف ساعة فدخل الجنة  
 والاهوال لازالت على الآخرين فصاروا يتخلصون واحداً بعد واحد على حسب  
 صفائهم وتجردهم من الدنيا فبعضهم يخلص فيصل بعد ساعة وبعضهم بعد  
 ثلاث ساعات الى أن خلس آخر الاصحاب نصف النهار ونصف النهار في ذلك  
 اليوم خمسمائة عام ونصف الساعة نحو الاربعين سنة في ذلك اليوم فن ذا الذي  
 يطيق هذا الهول فيرضي لنفسه مثله بسبب متعة قليلة في أيام قليلة هي في  
 حكم المدم فيرت بسبب ذلك هذا الهول الشديد والكرب الذي يقف فيه  
 جائعاً عطشاً نحو الاربعين سنة أو أكثر فتجرد ذلك الاخ الذي خلس بعد  
 نصف ساعة وحتم أن لا يطلب في الدنيا مالا قليلاً ولا جاها مادام فيها حياً  
 حتي يلاقى الله تعالى هذا ولعلم الاخوان ان من كان مؤمناً بالبعث وقرب  
 الآخرة وحسابها وكثرة خطرها وضررها ورفعة الدين آمنوا وعملوا الصالحات  
 وعظيم فوزهم وملكتهم المقيم الدائم ويعلم شؤم الدنيا وهوانها على الله وشؤم  
 مانعته من الحسرة الطويلة فليتجرد لله لينال جزيل الدرجات ويفوز بدائم الخيرات  
 وليصر من أبناء الآخرة مادام حياً ولا يطلب الدنيا ومتاعها فانها قد انقرضت

وهذه الايام آخر ايامها كما لا يخفى صدق ذلك ولا يجتمع للعبد متاع الدنيا ونعيم الآخرة  
كما ورد أنهما ضربتان وكالمشرق والمغرب فبقدر ما يقرب العبد من المغرب  
يبعد منه المشرق وروي ان بعضا من الاصحاب الذين اكلوا الغنائم وتمتعوا  
وماتوا قبل اخراجها والحال انه أراد اخراجها فمات قبل اخراجها انه حبس  
وعذب ووبخ عليه وقيل له ان المهدي انذرك فبعد انذاره تريد ان نجتمع لك  
متاع الدنيا مع نعيم الآخرة ذق العذاب الاليم فلا عذر لك وغير ذلك وفيما ذكرته  
كفاية لمن له عناية وورد عن الاخوان الذين ماتوا واستشهدوا في حال صفتهم  
وصدق انابهم لما عند الله انهم تنعموا نعماء عظيمة لا تخطر ببال ولا تقاس  
منها ان بعضهم روى في نعيم عظيم وحور وولدان وفرش وأسرة وقصور  
وخيم وغير ذلك فيقال له صف لنا هذا الذي أنت فيه من النعم فيقول هذا  
شيء اكرم الله به عباده المخلصين فلا أقدر ان أصفه ولا أعده فانه لا يوصف ولا  
يعد وبعضهم يرى ان هبوب الجنة تدخل في مسامه وجميع جسده كال دخان  
الذي يخرج من بيت القش فيجد لها لذة أشبه بلذة الجماع ولكن تلك التي  
في الجنة أحلى وألذ أضاعفا مضاعفة لا تخطر ببال ويلتذ بها بجميع جسده  
ويسمع لنساء الجنة نفحات لا توصف لذتها وهن يمشين في الهواء كمشين  
على أرض الجنة فيمشين على وجه الأرض ويطرن ويزرن أزواجهن ويقفن  
معهم في الجهاد ويهلان لهم فان استشهد أخذنه ومضين به الى دار نعيمه وان  
جرح ولم يستشهد قعدن معه يمرضنه الى ان يموت أو يطيب من الجرح \*  
وبعض الاصحاب من شهداء وقعة الشلالى يرى في نعيم عظيم وقصور كثيرة  
فيقول أحد الاخوان الأحياء انكم قد أنزلتم هذا المنزل الكريم وتنعمتم هذا  
النعيم العظيم فاين منازلنا ونعمنا فيقول لا تشفق فان أصحاب المهدي الصادقين

معه لهم منازل ونم كمثل هذا فامض ممي لأريك منازلكم فبريه منازل عظيمة  
ونما نخيمة فيقول متى نلحق بهذا ونخرج من هذه الدار الكدرة المتعبة  
فيقول له لا تشفق فان أصحاب المهدي يصلون قريبا فيتنصمون بنعمهم هذه  
وبعضهم يري بعض اكابر الصالحين المتقدمين فيسأله عن مقامهم مع مقامات  
أصحاب المهدي الذين ماتوا فيقول هيئات فان أصحاب المهدي من علو درجاتهم  
لا نراهم فهم واقون مرقى عظيما وكثيرا يري انهم يغبطون أصحاب المهدي  
ويقولون ليتنا كنا أصحاب المهدي لما يرون من عظيم مكانتهم وفضلهم عند الله  
تعالى وبعضهم يستشفع بالاصحاب ويقول اطلبوا المهدي أن يجعلني من أخس  
أصحابه فاني راض برتبة أخسهم واقرح بها ان وجدت ذلك ومثل هذا كثير مما  
روى في الجنة للاصحاب الصادقين فهم أيها الاحباب ان القدوم الى ما عند  
الله قريب اه

وكانت هذه الشدائد في إبان عودة غوردون ويمكنني أن أقول لورافق  
غوردون لدي عودته جنود يحولون بين المهدي وبين الخرطوم لتحقق  
امنية عبد القادر حلمي باشا التي تقدم لنا ايرادها وهي ان ثروة كوردان لا تقوم  
بحاجة المهدي وجيوشه اكثر من سنتين ثم يعقبها ضيق شديد ثم تكون  
النتيجة انفضاض الناس من حوله وتكاثر الانتفاضات عليه من الاهلين وفي  
ذلك القضاء عليه وعلى دعوته قبل تمكنه من الاستيلاء على السودان برمته



ذكر بنات محمد بن الحاج احمد ام برير

لاها الى السودان عادة من اقبح العوائد واشنعها وهي ان الرجل يقدم  
ابنته أو من له الولاية عليها الي من شاء هدية يطوؤها المهدي اليه كملوكة

يعين ولا حرج عندهم من هذه العادة بل يتفاخرون بها وهي شائعة عن  
الجمعيين أكثر من غيرهم وفي الغالب يقصدون بها الزلفي من حاكم ذي سلطة  
يرجى نواله ويتقى وباله

وقد قدم كثير من أعيان السودان بناتهم كمحظيات للمهدي وخلقناه  
وقواده حتى بلغ عددهن نحو مائة ومن هؤلاء محمد بن الحاج أحمد أم بربر  
ابن أخى الياسام بربر فانه قدم بناته الثلاث هدية للمهدي وقال له على رؤس  
الاشهاد تمتع بهن ياسيدي الامام المهدي المنتظر فاني اهديتهن لك وملكتك  
إياهن فاجابه قبلت منك وانما لا يجوز الجمع بين الاخوات فقال له كيف  
لا يجوز وانما قد وهبت لك المتعة بهن فاعاد عليه المهدي قوله لا يجوز فانظر  
الى جهله المركب وتفرقة العمياء بين حرامين كأن وطأ الحرة بملك اليمين جائز  
دون الجمع بين الاختين أو الاخوات

وكان المهدي يتبسم من الضحك وأمارات الفرح بادية على وجهه لانه  
كان يرى أن مثل هذه المنكرات من أدل الدلائل على أن القوم يحبونه وينقادون  
له انقيادا أعني ويتقربون اليه ببناتهم ولا يلتفتون الى تحريم شرعى كأنهم  
لا يحرمون الا ما حرمه وكأن كل حرام حلاله حلال عندهم

ثم قال المهدي للحاضرين مكانكم حتى أختار واحدة من البنات وبعد  
هنية عاد وقال قد اخترت كبراها من نخذ الاثنين فقال أبوها لا آخذها بل  
أتركها لتكونا خادمتين لك وما زال المهدي يرفض قبولها والرجل يلح  
عليه حتى التفت الى جلسائه فرأى بينهم محمد بن عبد الكريم من اقاربه فقال  
قد وهبت إحداهما لمحمد بن عبد الكريم ثم وهب الثانية الى أمين خاتمه عبد  
الكبير بن احمد الكذاني

وفي اليوم التالي غدا ابوها الى صهره المهدي ودفع اليه كتابا مملواً  
بالاعذار وبسط الحاجة وسأله في آخر الكتاب مبلغاً من المال فاندھش  
المهدي من سخافة الرجل الذي كانه يطلب ثمن بناته فانصرف الى داخل  
بيته ووعدته بالاجابة على كتابه فقدمت له المرأة كتاباً آخر من ايها وجد  
فيه ما في الكتاب الاول فلم يطاق الصبر وخرج الى مكان جلوسه ودعا  
بدواة وقلم وكتب الى صهره كتاباً موجزاً نورد هنا صورته نقلاً عن  
كتاب المنشورات وهي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه وصفيه محمد بن أحمد أم  
برير وفقه الله للخير ومن معه من الاهل وانجم من ظلمة القبر حبيبي  
ان المعطي والمانع هو الله كما أن النافع والضار الله والناس أشباع لاقوام لها  
بقاح ولا نجاح والمعلوم ان الجنة قيامها وخركتها وتصرفاتها بالروح والروح  
من أمر الله واذا أخذ الله سره الذي هو الروح من الجنة وقعت والحركات  
زالت منها فمن هنا يعلم ان تصرفات المبدهي من الله اذ هي من الروح الذي  
هو أمر الله كما قال الله تعالى « قل الروح من أمر ربي » فالؤمن يكون واثقاً  
بالله راجياً ما عنده وخائفاً منه فقط لان من نظر التوحيد بالحقيقة لا يري  
مع الله شيئاً من لا إله الا الله. ومن محمد رسول الله المخبر عن الله بمنيات  
الآخرة من ان خيرها جسيم والدنيا لا تزن جناح بموضة وانصرف قلبه من  
الحسيس الذي هو الدنيا وما فيها الى النفيس الذي هو ما عند الله في الدار  
الآخرة فما عندكم ينقد وما عند الله باق. هذا وان المبلغ الذي ذكرته ان شاء الله

يصل اليك ولكن لا تقل ان القوام به بل ان القوام بالله وهو ضامن الارزاق وما على العبد المؤمن الا ان يسعى لنصيب الآخرة لانه لا نصيب له في الدنيا ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة لا عطاها المؤمن ولذلك قال الله «ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون وليبوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لمامتاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين» والسلام

### ذكر نهب اموال التوم شيخ عرب الكبايش

ذكرنا قصة قتل التوم شيخ عرب الكبايش وبعد بضعة أشهر مضت على قتله أصدر المهدي منشورا بأن جميع ما كان يملكه صار حقا لبيت المال فاشتد محمد بن ادريس بن عمه والحاج محمد أبقرجه ومعهم نحو ألفي مقاتل فذهبوا الي ( جبره ) شمال كوردفان وقبضوا على اموال الشيخ التوم ونسائه وأولاده وعادوا الي الأبيض وبلغ ما قبضه بيت المال اكثر من عشرة آلاف بدنة من الابل وثلاثة آلاف رأس من البقر ونحو عشرين قطيعا من الغنم وبلغ ما ذبحه محمد بن ادريس والحاج محمد أبو قرجه لعدائهما وغذاء من معهما من المقاتلة نحو نصف هذه الاعداد

ولما عادوا الي الأبيض وسلموا ما بأيديهم الي بيت المال قدم كثير من رفقائهم تقارير لأمين بيت المال علم منها ان ذينك الاميرين لم يقدموا الي بيت المال ذير الماشية والاشياء التي لا يمكنهما اخفاؤها وانهما اخفيا كل ذي قيمة من الذهب والفضة ويقدر ما تسرب الي جيبيهما عدا ما تسرب الي جيوب انصارهما بمشرة آلاف أوقية من الذهب ونحو عشرة قناطير من الفضة ولا غرابة في ذلك

فان الرجل كان معروفاً باتساع الثروة وقبيلته الكبائيش اكبر قبيلة في السودان  
واكثرها ماشية ومالا

ولما استوثق أمين بيت المال بصدق الذين دفعوا اليه التقارير عرض على  
المهدي وجوب القبض على ذينك الاميرين وارغامهما ليؤديا الي بيت المال  
ما اغتالاه فرفض المهدي العمل بما أشار به أمين بيت المال تطيباً لحاطر  
ذينك الاميرين اذ هو في حاجة لا كتساب مودتهما

وكان من جملة الفنائم عشرة دروع من الحديد قديمة جداً وعدد ليس  
بقليل من الحيلول العربية وقسم المهدي النساء لجوار وخص عبد الله النعاشي  
بالنصيب الا وفر منهن وأطلق سراح الذكور من أولاده وتركهم في حالة يرثى  
لها من الفقر المدقع يسألون الناس في الطرقات وأبواب الدور ولا يجدون  
من يمن عليهم بكسرة خبز غير افراد قليلين من المصريين وكلما رأهم أحد  
من الدراويش يقول انظروا كيف صارت عاقبة ذراي الكفار الذين لم يصدقوا  
بالمهدي ويؤمنوا بدعوته ومات اكثرهم جوعاً في الطرقات وسيأتي بعد ذلك  
ذكر مصادرة أموال قبيلة الكبائيش وفنائها عن بكرة أبيها والدوام لله وحده

### ذكر قدوم الشيخ الحسين زهراء علي المهدي

الشيخ الحسين زهراء من قبيلة صغيرة تسكن قرية قريبة من «الحلاوين»  
عند مكان يدعى «وادي شمير» فارق بلاده في نحو العشرين من عمره ولحق  
بالقاهرة ومكث فيها اكثر من سبع سنين كان يتلقى العلوم في خلالها  
بالأزهر المعمور وكانت ذاكاء مفرط وقريحة وقادة قل ان توجد بين  
السودانيين حتى قال مشايخه انه نابغة في العلوم المنقولة والمنقولة معاً خلافاً لمواطنيه

من الطلبة السودانيين وتلقى دروساً في الفلسفة والطبيعات زادت قريحته  
اتقداً ثم عاد الى بلاده وفتح مدرسة في قريته واقطع لافادة العلم فافاد  
فائدة تذكر

وكان من عادة الحكومة ان تمديد المساعدة لكل الذين وقفوا  
نفوسهم لتثقيف عقول الاهلين وإزالة جهالتهم مع ان جلهم ان لم نقل كلهم  
يضررون اكثر مما ينفعون اذ هم اغمار لا يعرفون من العلم غير حفظ الفاظ  
القرآن وقليل منهم من يحفظ متن رسالة ابن أبي زيد القيرواني في فقه  
المالكية ولم تلتفت الحكومة الى الشيخ الحسين بما تلتفت به الى اقرانه  
فوفر صدره منها وعظمت سخية صدره عليها

ولما ظهرت دعوة المهدي وتصدى العلماء لدحض حجج منتعلها  
واظهار تخرص مدعيها كان المتوقع ان يحذو الشيخ الحسين حذوهم وخصوصاً  
فيما كان من ترهات المهدي الذي يزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه في  
اليقظة وأمره بتلك الحزعبلات التي جاءت كلها ناقضة لما هو معروف من  
شريعته صلى الله عليه وسلم وحسبنا ان هذه الدعوي مضادة للشريعة  
المطهرة فلم يتصد الشيخ الحسين لتكذيبها سيما وقد كان مشهوراً بين الناس  
بالورع والوقوف عند حد الشرع فجاء امره بالعكس حيث كان يحرض  
الناس سراً على نصرته وموازرتة وقد ارسل له المهدي هدايا من المحظيات  
اللواتي أصلهن حراث مصريات استرقهن المهدي عملاً بفريته التي قال فيها انه  
صلى الله عليه وسلم اخبره بان من أنكر مهديته كافر دمه مهدور وماله  
وأولاده غنيمة للمسلمين فوطئ الشيخ الحسين ولم يتقيس بالشرع كما كان  
يظن به الناس

ولما ظهر المهدي على حملة الجنرال هيكس وفد عليه الشيخ الحسين  
فقابلته بالخفاوة والاكرام وكان الامل يناجيه بانه سيصبح في دولة هذا المهدي  
حائزاً لاسمي مرتبة ومترباً على دست اكبر وظيفه وما كادت تمضي عليه  
بضعة أيام حتى رأى ان هذه الدولة تبغض العلم والمتعلمين ولا يتولي وظائفها  
غير الجاهلين فتولاه اليأس مما رأي فكتب قصيدة طويلة قدمها الى المهدي  
ظاهرها مدحه ونصحه بوجوب اسناد الوظائف الى العلماء وفي القصيدة  
مغامز كثيرة تدل على ما خاومه من اليأس لما رأى ان اكبر وظيفة لدى المهدي  
مُسندة الى أجهل رجل من أتباعه هو عبد الله التعايشي وقد اخترنا ايراد هذه  
القصيدة برمتها للاطلاع عليها وهامى بنصها

|                              |                           |
|------------------------------|---------------------------|
| برح الخفا ما الحق فيه خفاء   | وتوالت الآيات والانباء    |
| فالامر جد والقلوب مريضة      | والداء داء والدواء دواء   |
| والحادثات مصاعق بمنابر       | بعظاتها تتواضع الاشياء    |
| والحق أظهر ان يرى بشواهد     | لم لا وقد قامت به الاسماء |
| والشمس في أوج السماء من مغرب | بهرت عليها هيبة وبهاء     |
| والبدر قابلهما قتم كماله     | وتقلدت بمقودها الجوزاء    |
| ودرار أفلاك الملاذات على     | أقطابها فزهت بها العليا   |
| وتكاملت في كل مجد أبجد       | لما استقام زمانها الاشياء |
| ما ان ترى الا جيلا زاهراً    | بهرتة في حلل البها زهراء  |
| وسقته من خمر الهوى بعيونها   | ولي شقور شفاها لمياء      |
| بالآية الكبرى التي بظهورها   | كل الرضي وانجابت الاسواء  |
| مهدي رب العرش منتظر الوري    | والي الولي والاكرمون وراء |

السابق ابن السابقين الى الهدى  
 وبهم تبلج كل غصن مشر  
 تسقى بمذب رائق من البحر  
 وهي وجاد على الانام بما تري  
 بشري لنا بظهور مهدى الورى  
 جمعت حذافير الولاء لنا به  
 رفعت منه يد بقدرة قادر  
 بمكانه الامن المؤبد وقته  
 اتم باسم كان من جد القضا  
 وله الاشارة من الست بربكم  
 ما حالهم ما بالهم لم يسموا  
 من يحفظ التنزيل من يدري الذى  
 من يحفظ الاخبار عن اهل النهى  
 ويرد اشكال الامور لشكلها  
 ويزى القبيح بداية ونهاية  
 مثل الذى فى بحر جهل ليله  
 لا والذى خلق النوى وهدي الورى  
 علماء أمة أحمد ناشدتكم  
 أرضي وترضون الضلال بعيدا  
 ويخيب ظني فيكم وعشيرتي  
 ونكون دون الدين من بين الورى

من معشر تجت بهم زهراء  
 بحلاء تزهو روضة خضراء  
 من فيضها ملأ البحور الماء  
 من فيته الهامى صميم سماء  
 إيه ونمي بمدها نماء  
 وعلى الجميع من الامام خباء  
 فوق المباني ما عليه بناء  
 والارض أرض والسما سماء  
 جار وقد حكمت به الاسماء  
 طوعا له وليس مع العلماء  
 نفسى لهم مما يشين فداء  
 فيه ومن لم يدرك ذاك سواء  
 وتمين ذلك فطنة وذكاء  
 ولها عليه من الثناء سناء  
 ويروم أحسن ما الاله يشاء  
 داج وأشرق ما يراه مساء  
 وله وراء مماتهم إحياء  
 ردوا جوابي انكم علماء  
 ظهر الهدى وانجاب عنه قداء  
 اتم وتقسم جمعنا الغرياء  
 كلنا يدي احسانا خرقاء

ردوا علي أعيدكم من شامت  
 مهدي أمة أحمد بي لم تذر  
 فتكرت من ذاك كل مقاصدي  
 مالي سواك وليس بعدي من جفا  
 وأرى علي بوقت عدلك دائما  
 وأنا المصغر بين ظهرائهم  
 لم تعرف الايام قبلك منزلي  
 واستعملتني اليوم في عاداتها  
 أجهلت فيما لا أرى اجماله  
 ومواضع التفصيل دوني شأنها  
 فلسان حالي ألكته فهاهتي  
 جهل الولاة أمات دين محمد  
 وتراكت ظلماتهم بين الوري  
 يا ابن النبي محمد ووليه  
 أنا عبد عبد أستعبد بذمتي  
 ما بي استهانوا بل بشرع محمد  
 واماته الجم النفير مهاجرا  
 فتناولنه من اللثام واعطه  
 واشترط عليهم ما أردت من الهدي  
 رسم ترقق بالسنا فله الهنا  
 وكسته أثواب الرضا مهدي

لكن أجيدوا فالجواب شفاء  
 خلا يدوم له لدى اخاء  
 فاذا الجميع سوي علاك هباء  
 لكن بذاك جري على قضاء  
 بين الوري تكبر الاسماء  
 حسي التصاغر انهم اكفاء  
 ولذلك لم يرفع علي لواء  
 فأطعن من ولي اليك رجاء  
 حقا ولكن للامور مضاء  
 لعبت بها من دوني الاهواء  
 بمضال داء مالدیه دواء  
 وأهيله ماتوا وهم أحياء  
 لما اطمأن لهم ودام ولاء  
 وأمينه ماذا اليك مرء  
 أبدا اليك ولي هنا أعداء  
 فقلبه من أثر الدمار حياء  
 وله بماء سمائك الاحياء  
 صنف الكرام فأهله العلماء  
 يعطوا اليهود لانهم أمناء  
 اذ ناله بعد الفناء بقاء  
 تلو المضرة أختها السراء

فقدابها يختال في حلق البها  
كم ارتقى من روض دانية الجنا  
طارحتها تحف الكلام فنوعت  
واذا نسيات الصبا دعت الصبا  
ترتاع ان هتفت بها من كوة  
عاش ابن سينا جهده أوصافها  
دقت ورقة وارتقت في سكره  
كيف التواصل والقوى نهت السري  
فتزلت حاجاتها في سوح من  
وتركتها وكفى لقائي مرة  
تلك الذي جهد الزمان لوصلها  
حتى بالطف المهيمن مكنت  
فقدابها متصرفا في أهله  
ودعا بها لله دعوة قاهر  
فأجابه أهل الزمى في طاعة  
وديار من ناوي الهدى منقضة  
حاكت بها يسري الشمال عجائبها  
في نان أيام الدنية عطلت  
في تاسع من رابع في الثامن  
والله دمر من طمني وأباده  
ولقد تبدد جسمه برماحهم

ولكل شيء شدة ورخاء  
ثمر الرضي تدينه لي وجناء  
تحف الملام وهاجها ادلاء  
لوصالها تنصل الاعضاء  
سحرا لتجديد السلام رخاء  
بشفائه فاذا هي المنقاء  
بلمي شفاه دونه الصبياء  
اذ مسها من ضعفها الاعياء  
بحمولهم تنزل الضعفاء  
اذ لا يدوم مع الزمان لقاء  
وله بذلك غدوة ومساء  
أغراضه منها يد يضاء  
يعطى ويمنع من يرى ويشاء  
سمعت بعز مكانها المظاء  
سفكت بها قبل اللقاء دماء  
وسقوفها بين السقوف هواء  
شملا تفتقه يد عسراء  
بيض المها وجواهر ونساء  
بمد المئين وللأمور مضاء  
حتى تولى قتله الضعفاء  
فكانه من خلقه أشلاء

صالوا به وذويه بين حصونهم  
 شادوه بالحصن القوى وأيدوا  
 في كل مزغال شرارة بندق  
 وكروهم كالرعد بين صواعق  
 الله أكبر أن يرد وجوهم  
 ولجوه عمدا باختيار صادق  
 وقت بذمة أحمد ومحمد  
 فعلوا وما فعلوا ولكن لا بهم  
 وسموا خراطيم الشقا بحوازم  
 نوح الحمام نوح غير موسى  
 تنشق بعد عير عنبر مسكها  
 وبنات آرام ترامت من ذوى  
 فصل الطلول هناك عن أسياهم  
 وامرر بهم وعلى الديار فخها  
 واغش القبور بمنحة وهدية  
 واستجوب الاطواد صرعى بينها  
 وتخط خط النار تعرف خط من  
 والنار ترعى فى الجسوم كأنها  
 ما النار شأن النار أعجب ما أرى  
 عنها استفد خبرا وكن متبصراً  
 عبر تجل على قلوب ذوى الذكا

فى خندق غرت به الاذواء  
 بالنار من فى النار فى جناء  
 رام طوي من فى يديه خواء  
 للمسلمين وكل ذاك عداء  
 عن شأنه أو تمنع البأساء  
 ولهم يد فى فتكه خرقاء  
 مهديهم وجنوده شهداء  
 رام بهم ولهم بذاك سخاء  
 بيض بكت آثارها بيضاء  
 بعد الوساد وعينها وسناء  
 رمم الاثام وذا التراب وطاء  
 أوج الملا ما عندهن غطاء  
 ورماحهم فى الكافرين رواء  
 ان الديار من الدمار هباء  
 ان القبور ببعضها شهداء  
 ماذا الرغام وفى النفوس اباء  
 بح المهدى لما نهاء شقاء  
 عشب لعمري ان ذا لبلاء  
 تجري بهم وجسومهم سوداء  
 فى أمرها وليعلم منك بكاء  
 إليه وتكسف بينهم ذكاء

أتظن تلك كرامة مأنوسة  
وهدي لدين محمد من يهتدي  
هم والذي برأ الوري هم لاسوي  
وقدا النفوس انا فاني دونهم  
هم كالنجوم هدي وفي الجدوى ندي  
ماذا الذي تقاس من أفعالهم  
مادونهم مرمي مرید صادق  
فسوي خلافت احمد مهدي الوري  
الا الذين غدوا على آناهم  
ذاك الرفيق الزمه واترك غيره  
واعصم سقاءك بالوكاء من الظما  
واسحب خبيرك في الثري خوف الثوي  
واحلل أسيرك هاهنا إن تستطع  
خفض عليك فلك خطوب ترسل  
وعلى النبي وآله صلي الذي  
وكذاك سلم ذا العلامة أنشدت

ولما اطلع المهدي على القصيدة التبس عليه فهمها وتردد في حل معيياتها  
فدفعها الي عبد الله التعايشي الذي اطلع عليها كاتبه فوزي بن محمود بادية  
فلم يهتد الي فهم ما أبطنه الناظم وغاية الامر انه قال لعبد الله التعايشي  
ان الناظم لا يقصد بقوله . جهل الولات أماب دين محمد . غيرك وانه ينصح  
للمهدي بتولية العلماء وإقصاء الجهلاء ويقول انهم أمناء وأنت وأمثالك خائون

فقبض التعاشي على الشيخ الحسين وزجه في السجن وبعد أيام أطلقه بعد أن قاسي من المذاب اشده وأخذ عليه اليهود بعدم العودة الى مثل هذه النصيحة وقال له في عرض كلامه سبب سلامتك أن تنسي كل ما تعلمته من العلوم وتصير كأنك لا تعرف كلمة واحدة منها وأن تعلم من علومنا ولا تقرأ من الكتب غير منشورات المهدي لأن كل الاحكام والشرائع التي كانت قبل ظهور المهدي قد نسخت بظهوره فاجاب الشيخ الحسين على هذه الاقوال بالسمع والطاعة

ويذهب بعضهم الى ان الشيخ الحسين كان ذا نظر سياسي أعماه عن النظر الى مفتريات المهدي حيث يرى أن المهدي سيشيد دولة وطنية سودانية وحجة الداهيين الى هذا موجودة في هذه القصيدة حيث يقول وتقع جمعنا الغرباء . وقد جاء هذه التلميح في مقام الاحتجاج على العلماء الذين تصدوا للتكذيب المهدي ونقض حججه الواهية وفيه رمز الى تبرير الوسطة التي اتجت هذه الغاية

وقال آخرون انه يقصد بالغرباء عبد الله التعاشي وقومه البقارة الذين خاف عاقبة تمكنهم من البلاد لانهم غرباء وبلادهم واقعة جنوب دارنور وحاصل القول أن القصيدة تحتل تاويلات كثيرة ليس في وسعنا ايرادها كلها وسنمود الى بقية أخبار الشيخ الحسين وقتله قبيل فتح أم درمان

### ذكر انذارات المهدي للشيخ محمد الامين

الشيخ محمد الامين البصير رئيس العلماء بالسودان ولد بضواحي الخرطوم وأصله من قبيلة اسمها ( المحس ) فقد بعثه منذ طفولته وحفظ

القرآن الشريف قبل أن يبلغ العاشرة من عمره وانقطع لدراسة العلوم الشرعية على يد أستاذه الشيخ أحمد بن عيسى الأزهرى تلميذ مولانا الشيخ أحمد الدردير المشهور حيث قضى ثلاثاً وثلاثين سنة في صحبته وتلقى العلوم عليه ثم عاد إلى وطنه بالسودان وإلى ينسب انتشار العلم في تلك الاقطار وكان الشيخ أحمد بن عيسى بحراً زاخراً في جميع العلوم العقلية والنقلية تقياً ورعاً له قدم راسخ في الصلاح

ولزم الشيخ محمد الأمين أستاذه حتى نال من العلوم نصيباً وافراً وظهر عليه النجاح والذكاء فلقبه أستاذه بالبصير عكس الضير

ولما ولي جعفر مظهر باشا حكمادية السودان رفع منزلة الشيخ محمد الأمين وعينه رئيساً لعلماء السودان وكان يقول لا يفتى وأمين بالسودان تنوياً بما عرفه من فضله وغزارة علمه في فقه المالكية

ولما ظهرت بدعة المهدي كان أول من تصدى لتكذيبها فالف نصيحة ملاها بالأدلة الشرعية على بطلان ما ادعاه المهدي وشفعها بأبواب إمامة مولانا أمير المؤمنين السلطان «عبد الحميد خان الثاني» وأثبت نيابة المتفوق له الحديو محمد توفيق باشا واستنتج أن المهدي خارج على الإمام وسرد الأدلة الشرعية التي تدل على رسوخ قدمه في الشريعة المطهرة وسيأتي ذكر تلك الرسالة وغيرها من رسائل العلماء التي ألفت رداً على المهدي في غير هذا المكان

وكان المهدي شديد البغض للشيخ محمد الأمين حتى كان يعبر عنه بقوله أعمى البصيرة الذي أضله الله على علم وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة

وقد تبودلت بين الشيخ والمهدي خطابات عديدة كان الشيخ يحضه

النصح فيها ويدعوه الى التوبة فكان يجاوبه بالمغالطة والاستمالة وهذه صورة  
ما جاء في كتابين من المهدي له وفي أحدهما يقول ان البيان لا يهدي وانما  
المهادي هو الله ويقول في الثاني انك لا تجهل ان النبي صلى الله عليه لم يكن  
أصوليا ولا نحويا «الاول»

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله الى شيخ الاسلام المكرم والاستاذ  
المعظم الشيخ محمد الامين جعله الله من المكرمين لا يخفى على عزيز علمك وجيل  
فهمك ان البيان لا يهدي وانما المهادي هو الله تعالى وقد أعلم الله نبيه صلى  
الله عليه وسلم بان ليس عليه الا البلاغ وانه لا يهدي من أحب واني قد كاتبتك  
لظن الخير فيك وأعلمتك بالحقيقة التي لا كذب فيها ولست فيها بمتحيل ولا  
بمتصنع وانما هو الحق الصدق الآتى من الله ورسوله فقد أيدنى الله تعالى  
بالمهدية الكبرى ومعلوم انه لا يكذب على الله ورسوله الا من لا خلاق له  
عند الله تعالى ومن يعلم علم يقين ان متاع الدنيا قليل لا يزن جناح بعوضة  
لا يؤثره ولو آثره على ما عند الله زال كأن لم يكن وأعقب عليه حسرة لا آخر  
لها فلا يؤثر جاء الدنيا على التقوي والاقتداء بالانبياء والاصفياء الا من لا عقل  
له واني عبد مسكين لا طاقة لى بقوام أدني شيء فلو لا اني على نور من الله  
وتأييد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدرت على شيء ولا ساغ لى  
ان أحكى شيئا وما أخبرت عن النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبرت الا بامر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم باخبار ليست  
عند الاولياء ولا عند العلماء وقد قال تعالى «ويخلق ما لا تعلمون» وقد جمع النبي

صلى الله عليه وسلم أرواح الذين أنكروا مهديتي من الأولياء العارفين والعلماء العاملين ووبخهم غاية التوبيخ وعدد عليهم الذم الدينية والدينية والظاهرية والباطنية وما صرف عنهم من البلائ الحسية والمعنوية وقال لهم ما شكرتم نعمة الله تعالى حيث أنكرتم مهدياً فلان وقد أعطاكم الله نعماً فما شكرتموها حيث لم تصدقوا بمهدياً فلان وفلان هذا قد شكر نعم الله فولاء عليكم وإعطاه المهدية فكيف تنكرون حصول المهدية له قالوا تبنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا منه العفو فطلبوا مني العفو فمن له بعبادة صادق باني المهدي المنتظر ومن لا جعل الله له عوارض تصده عن التصديق بالمهدية لي وقد دلت كرامات على صدق اخباري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا تنفع الكرامات والآيات من أراد الله شقاوته وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم مراراً أن من شك في مهديتي كفر بالله ورسوله وإن من عاداني كافراً وإن من حاربنى يخذل في الدارين وماله وأولاده غنيمة للمسلمين وليكن معلوماً عندكم أنني لا أفعل شيئاً إلا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم والجهاد الذي حصل للترك فإنه أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرني صلى الله عليه وسلم بأسرار كثيرة إلى آخر فتح البلاد بالدين والسنة وببعض ما يحصل فيها وأنني منصور دائماً على من عاداني وأقسم صلى الله عليه وسلم باني منصور ومنظور من الله تعالى وقد كشف لي يوم القيامة وإن الترتك الذين قتلهم شكوا للحق عز وجل وقالوا يا الهنا ويا مولانا الامام المهدي قتلنا من غير انذار فاقول يا رب انذرهم وأعلمهم فلم يقبلوا قولي وتبعوا قول علمائهم وصالوا على وحضر شاهداً على ذلك سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقال لهم ذنبكم عليكم الامام المهدي أعلمكم وأنذرهم فما قبلتم وسمعتهم قول علمائكم فاقبل

بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم  
لكننا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن  
المهدي بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وأما عدم تسليم أهل الدولة من أول  
الامر فانها حكمة أزلية ووقت تسليمهم علمه عند الله وفي ذلك اسوة برسول  
الله صلى الله عليه وسلم حيث لم تسلم له الملوك من أول الامر وقد حصلت  
له صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاق عظيمة ومقاتلات كثيرة مع الاكابر  
وعلماء اليهود والنصارى الذين كانوا يدعون انهم يكونون أول اتباعه صلى الله  
عليه وسلم وكانوا يستفتحون به وكل ذلك وهو صلى الله عليه وسلم خير خليفة  
الله عز وجل واني مقتف أثره ومهتد بنوره وقد أخبر ان الترك لا يطهرهم  
الا السيف الا من تداركه الله بطقه وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم ان الامة  
تهتدي لي بدون المشقة التي حصلت له صلى الله عليه وسلم واتباعه واني مخلوق  
من نور عنان قلبه صلى الله عليه وسلم وبشرني صلى الله عليه وسلم ان أصحابي  
كأصحابه وان عوامهم لهم رتبة عند الله تعالى كرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني  
فان الفضل بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء وقد يدخر الله للمتأخرين ما عسر على  
المتقدمين ولكن لا يخفى عزيز علمك ان العلماء ينكرون كثيراً من أمور  
المهدي لانه ليس على معتقدهم الذين يظنونونه ولانه يخالف مذاهبهم فلهديتي  
من الله دلائل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ومما يخبرك بعدم معلومية  
عين المهدي للعلماء اختلاف الروايات وكثرة الاقوال عن أهل الكشف  
والمعلوم ان ما علمه في ازله لا يكون على هذه الروايات الكثيرة وقد وردت  
فيه أحاديث منها المقطوع والموضوع والضعيف بل الحديث الصحيح ينسخه  
الحديث الصحيح كما ان الآيات تنسخها الآيات والتصديق بالمهدية صعب

لا يوفق له الا من أدركه الله بسابق سعادة لانه لا يهتدي الى معرفة حقيقته  
الا الاولياء العارفون الذين لم يحجبوا عن رؤية نبيهم صلى الله عليه وسلم وأما  
ما ذكرت في رسالتك الى فمعلوم جواب كل كلمة منها في اصابة أمري لمن  
أنصف وكنت أردت ان أبين جواب كل كلمة ولكن قد علمت ان الهداية  
ليست من كثرة البيان وانك ان امنت النظر بعد تصديقك بمهديتي  
وجدت جواب ذلك أوضح من الشمس كما علم ذلك كل من صحبني من العلماء  
على التصديق بمن هو دون علمك في الظاهر ولو علمت حقيقتي لما كنت  
تكتب لي ما كتبه ولما وسمك الا المماونة لي على ما قلني الله تعالى فتدرك  
عمرك فقد مضى ولا تؤثر على اجابتي أهلا ولا مالا ولا جاها لنفوز بالفوز العظيم  
والخير الجسيم ولا تعاون الظلمة بعد هذا فانه لا يخفك ما أحدثوه في الاسلام  
وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيهم باخبار كثيرة ومثلك تكفيه الاشارة  
والسلام « الثاني »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فجزيل السلام من عبد ربه الوائق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الي سلم  
الشريعة المحمدية المستفيض من رحمة ربه بالعلوم النقية حبيبا وصفينا في  
الله على المحبة الايمانية الاصلية محمد الامين كان الله في عونك ووفقك لمرضاته  
ولزوم طاعته آمين أما بعد فالذي نعلمك ايها الحبيب ان المتحابين في الله على  
منابر من نور يوم القيامة وأن من أراد الآخرة سعي لها سعيها وشتت شمله  
في الله ليكون من ابنائها وأهلها وبذل جهده في طلبها لا يدرك ما فات من أمرها  
وقد أوتيت من العلم بها وبحقارة الدنيا وخسستها نصيبا وافرا ورجو الله ان

يكون نور العلم معك حجة لك وإنى قد عددت وكررت لك الانذارات  
 والمواعظ التي تشهد حقيقتك بها وخاطبتك - إبقاء قبل كل الناس وخصصتك  
 بالحقيقة التي لا شيء بعدها وندبتك إلى الإجابة لداعي الله فلم تجب دعوتي ونظرت  
 إلى الثقل والملائق المعوقة القاطعة عن الله ولحن ظني فيك ومحبتى لك  
 في الله وأرادتى لك البر والخير الدائم والنعيم السرمدي والملك الكبير عند  
 الله لم أياس من مخاطبتك ولم أتوقف عن دعوتك لأنى مأمور بذلك المنهاج  
 على سلوك قدم الحق ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الله  
 تعالى لإرشاد أمته وأنت جدير بذلك لأن أحوج ما يكون لك المال إليه  
 وغاية المعرفة بالله اجلال الله وتعظيمه والقيام بأمره حيثما كان على الراس  
 والعين سيما وانت من أكابر العلماء الوارثين قدم الشريعة المحمدية ومقتدي بك  
 فإلى متى ترضي لنفسك التخلف عن إجابة الله ورسوله وترضي لها أن ترغب  
 عن ملة إبراهيم ومحمد عليها الصلاة والسلام حبيبي إن كنت كما ظننت فيك  
 من الإيمان بالله واليوم الآخر فالماضي لا يماضي فبوصول جوابي هذا إليك أترك  
 المواطن والمساكن وحبا ولا تنظر لمال ولا ولد ولا أهل ولا أحد بل  
 لا تراعى إلا أمر الله ورسوله والمبادرة للهجرة ولرؤية الضر والنفع من الله  
 فقط كما ورد كتابا وسنة ولا تراعى غزارة علمك وكثرة فهمك ولا تستحقر  
 طلبنا لك فإين ما عند الله الذي منه الحلول والقوة وبإادر لا جابتنا بهمة  
 وشفقة ولا تخش بعدها من عقاب ولا عتاب فأنت في أمان الله ورسوله  
 وأماننا إذا طاولت الأمر كما ذكرنا فلا ترضى عليك إلا بالهجرة فقط دون  
 أمر آخر وما أراك أن ترضى بغير ذلك فأحسن بظننا فيك ولا تحوجنا إلى  
 خطاب بعد هذا حيث علمت عزمنا عليك بالهجرة فلا عذر لك أبدا عنها

حبيبي وقد كتبت لك سابقا لجودة فهمك وزيادة فطنتك فيما هو حقيقة بلا  
 تصنع لتجيب الدعوة الى الله وتنتفع قبل الناس ولكن حبيبي تعلم ان من  
 كبر وبلغ الغاية في الكبر عاد الى التسافل الى ان يكون أرذل من كل شيء  
 والصغير لا زال يزداد فلا تنظر حبيبي لكبرك في السن والعلم وصغري في  
 السن والعلم فانك تعلم ان الله يختص برحمته من يشاء ومن له نور ايمان  
 لا يخفى عليه مهدي بنظر نور الايمان وكثير من العلماء الاكابر الذين لهم سابق  
 سمادة رأوا ذلك فرجموا عما كانوا عليه وأتوني نادمين وانك تعلم ان النبي صلى  
 الله عليه وسلم ما كان أصوليا ولا نمويا بل نبيا أميا وخصه الله بخاصية لا يعلمها  
 الا هو مع انه يتيم وبين أميين ولم يكن في آباءه ملك الى آخر ما استنبأ عنه  
 هرقل ابا سفيان ليري به الحقيقة والتأهل للنبوته فعرفها مما أفهمه به ولكن  
 حجبه ما تعلمه من الملك والجاه والصيت وحب متاع الحياة الفانية ولم يفهم  
 عنه ذلك شيئا كما تعلم ذلك فلا تتوقف لما تظن من قصورى فسلم الامر لله  
 وانقد لتسعد ولا تكن ممن حجبه الجاه والمال الفانيان فانقطع عما عند الله  
 ولا تكن ممن حجبه الكبرياء عن التواضع لله والانقياد للحق فانك تعلم  
 ان علماء اليهود والنصارى كانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتحون به  
 فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به خوفا من مفارقة الجاه والرياسة وما يجبي اليهم من  
 الهدايا والقطائف التي يتمتعون بها في الحياة الفانية وقد ساعدوا الكفار  
 والمشركين لطلبهم متاع الحياة الفانية ولثلا يزاحموا الفقراء المساكين الذين  
 الذين خرجوا عن الجاه والمال واختاروا ما عند الله لاستحقاقهم لهؤلاء وتكبرهم  
 عليهم وبنظرهم لكبريائهم وجاههم وما يجبي اليهم من متاع الحياة الفانية أظلم  
 عليهم أن ينظروا عزة ما عند الله وان الشاكرين العارفين نعمة الله في الدين

هم الذين اختاروا فراق كل عزيز لاجل ذلك وهان عليهم فراق الوطن والاهل  
والاولاد والاموال لما ان حدها قريب ليس لها عند الله مجدوي وانما يبقى  
ما اكتسبه العبد مما يقربه الى الله زلني قال الله تعالى «وما أموالكم ولا اولادكم  
بالتي تقربكم عندنا زلني» ولثلا يقف المؤمن مع ما ذكر عن ايثار الله وطلبه  
قال الله تعالى «قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم» الخ واذا أراد المؤمن  
السفر لطلب الله ورسوله وايثار ما عنده وهجس له الاهل والبنون والاموال  
كفاه قول الله تعالى «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» وقول النبي صلى الله عليه  
وسلم «اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الاهل والمال والولد» وان المؤمن  
يعلم من نور الايمان ودلالة القرآن ان الذي وجه وجهه له هو الذي يخلق في  
أهله ولا يخفي عليه حالهم وفضل الله أوسع من فضله عليهم وهو أقدر من  
قدرته وأدلة ذلك من الكتاب والسنة متضحة ومثلك حبيبي لا يعرف  
باكثر من ذلك وما تعبت لك في النصيحة الا لارادتي لك الخير والسلام  
ربيع الآخر سنة ١٣٠١

### سقوط شكا وحفرة النحاس

«شكا» إقليم واقع في الصحراء التي بين بحر النزال ودارفور وسكانه  
أعراب جل ماشيتهم البقر ويطلق على جميعهم اسم «البقارة» ومنهم قبائل الرزيقات  
والهباية وبنو هلبه وغيرهم من قبائل البقارة  
ولما استولى المصريون على دارفور افتتح غوردون باشا «شكا» وجعلها  
مديرية وكانت مملوكة بالنحاسين ولهم فيها شركات تقيم معسكرات يطلق  
عليها اسم (الديم) أي المعسكر وهي توالي الغارات على بلاد العبيد للسلب والنهب

وحفرة النحاس بالقرب من شكا جعلها غوردون مقاطعة ووضع فيها  
حامية وفيها معدن نحاس كبير اخرجت منه الحكومة شيئاً كثيراً الى عهد  
غوردون ثم أهمل أمره من خلقه من الحكام ونقلت الحامية منها وسيأتي  
ان الخليفة التعايشي اعتني بأمره واستخرج منه شيئاً كثيراً من النحاس واكتشف  
معدناً للرصاص ومعدناً للكحل استخرج منها شيئاً كثيراً

وكان في شكا أخوان نخاسان دتقليان يدعيان محمد وكرم الله كرجساوي  
وفدا على المهدي بعد سقوط الأبيض في قبضته وأخبراه بقدرتهما على نشر  
دعوته في «شكا» وحفرة النحاس وبحر النزال ولما استولي على دارفور أشخصهما  
الى شكا في ألف مقاتل فقد ما عليهما وكان بهما الصاغ منصور أفندي حسن  
ومعه أكثر من ألف جندي جلهم من الجنود غير النظاميين يطلق عليهم اسم  
(الخطرية) أي المتطوعة

ولما صار كرم الله كرجساوي على مقربة من شكا كتب الى الخطرية  
يلتمهم بقدمه وسألهم اللحاق به فاجابوا دعوته ولحقوا به واجتمع عليه نحو  
خمسة آلاف مقاتل من الدتقليين النحاسين فكتب الى منصور أفندي حسن  
يدعوه الى التسليم والدخول في دعوة المهدي وبمث له بكتاب من سلاطين  
باشا يخبره بتسليمه للمهدوية وتصديقه بدعوة المهدي وقد كتب هذا الكتاب  
بناء على رغبة المهدي

ولما وقف منصور أفندي على الكتابين توقف عن التسليم في بادئ  
الأمر واستشار من معه الجنود وكانوا نحو ثلاثمائة فكرهوا ان يقاتلوا  
جميعاً وافقوا على التسليم وكتبوا الى كرجساوي يسألونه ان يأمنهم على أموالهم  
واعراضهم فكتب لهم بهذا كله واقسم لهم بالايان المغلظة على الوفاء فسلموا

أنفسهم وأسلحتهم فلم يلتفت الى شيء مما اشترطه على نفسه بل قبض على منصور أفندي ومن معه من الضباط والموظفين المصريين وذهبهم عذاباً أثمياً ليدلوا على أموالهم وأخذ نساءهم وبناتهم غنيمة له ولانصاره ولم يس أحد من السودانيين بسوء

ولما دانت له البلاد بالطاعة تقدم نحو حفرة النحاس وضم الى جنده من فيها من النحاسين وأرسل للمهدي بالوف من الارقاء وبخمس ماغنه من أموال المصريين وبناتهم وأخذ في الاهبة للتقدم الى بحر النزال

### سقوط بحر النزال واسر ليتن بك مديرها

بحر النزال هي البلاد التي تقدم لنا الكلام عليها قبل ايراد حوادثه وكنت أول حاكم ولى عليها باسم الحكومة الحديوية لما عينني غردون مديراً عليها فأعلنت ضمها الى الحديوية وقد سردت اكثر حوادثها الى خروج سليمان ابن الزير على الحكومة بها وتولية «جسي باشا» عليها وقتل هذا الخارج له واشياعه واقصاء النحاسين منها

وأقول الآن بعد ان غادر جسي باشا بحر النزال خلفه في وظيفته موسى شوقي باشا من الضباط المصريين وكان وكيله انكليزيا اسمه «ليتن بك» ثم عزل موسى شوقي باشا وخلفه ليتن بك

ولما استولى كرجساوى على شكا تقدم نحو بحر النزال بخمسة آلاف مقاتل أويزidon وأرسل الى ليتن بك انذاراً دعاه فيه الى التسليم ومع الانذار كتاب من سلاطين باشا يختلف فخواه عن الكتاب الذي أرسل الى منصور أفندي حاكم «شكا»

وكان مع لبتن بك نحو ألف وخمسمائة جندي جملهم من «الخطارية» أخذوا  
ولحقوا بكرغساوي ولم يبق معه غير عدد قليل من المصريين من الضباط  
والموظفين وهب الأهليون العبيد وأعلنوا دخولهم في طاعة كرغساوي ومنعوا  
وصول الإقوات إلى لبتن فاضطر هو ومن معه من المصريين إلى التسليم بعد أن  
استأنوا كرغساوي فأمسك بهم ثم قبض عليهم وأذاقهم عذاباً صراً واستعفى أموالهم  
وهتك أعراضهم ثم بعث بهم جميعهم أسراء للمهدي

وفي غضون مسيرهم في الطريق استأنس رئيس الحراس بلبتن بك  
واسرأليه أنه ينفذ المهدي ويعلن الولاء للحكومة ولا ملبتن بك على خضوعه  
بغير مقاومة فكشف له دخيلة أمره وقال اني لم أسلم الا لما رأيت جندي  
خذني والتف حول عدوي ولو لا ذلك لدافعت حتى آخر نسمة من حياتي  
وعندي ان الموت أفضل من الوقوع في يد هؤلاء البرابرة المتوحشين

ولما وصل لبتن بك إلى المهدي أخبر رئيس الحراس المهدي بما دار بينه  
وبين لبتن بك من الحديث فأسره المهدي ولم يطلعه

ولما سمع لبتن بك بقدم غردون إلى الخرطوم كتب له يعلمه بأمر تسليمه  
ويشرح له الأسباب التي تقدم لنا إيرادها ودفع الكتاب إلى قبلي اسمه  
صالح شنوده كان كاتباً في بحر النزال

وكان لبتن بك لما قابل المهدي اعتنق الاسلام على يده فسماه

عبد الله

وغادر صالح شنوده معسكر المهدي قاصداً الخرطوم فقبضت عليه  
طلائع المهدي وأعادوه إلى المهدي فأخذ مأمراً من الكتب وعذبه حتى أطلعه  
على الحقيقة فزجه في السجن وقبض على لبتن بك وسجنه وبالغ في تهذيبه

ثم أرسل له كتاباً وهو في سجنه يقول فيه ان رئيس الحراس لما أخبره لم  
يلتفت الى اخباره بل كانت يتوقع أنه سيحسن اسلامه بعد موافقته له  
وشرح له مسألة القبض على صالح شنوده وقال له انك اذا ثبت في سريرتك  
ورجعت عن غوايتك لا بد ان يأتيني خبر من الغيب عن ذلك ولا بد ان النبي  
صلي الله عليه وسلم أو الحضرة يخبرني بامرئ وبقي لبني في اسوء عذاب  
وسنعود الى تمة اخباره حتي وفاته

وكان سقوط بحر الزال في أواخر شهر جمادى الأخرى سنة ١٣٠١ هجرية  
وهاهي صورة كتاب المهدي الي لبني بك نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المفتقر الي الله محمد المهدي بن عبد الله الي عبد الله المسلماني وقاه  
الله السوء وجعله من أهل التداني كان سابقا أخبرنا الاخ الصادق وفي  
المهدي الذي جاء محبتكم من كوردفان بانه أظهر لك انه لم يكن راضيا بالمهدي  
وقصد بذلك الوقوف على حقيقتك فاعلمته بان التسليم الذي حصل منك  
ليس على غرضك وانما هو لعدم الموازر على الحرب لاجل أن العساكر التي معك  
سلمت جميعها وأظهرت النفاق معها وانك على ما أنت عليه من الكفر  
ومراكنة الترك فصفحنا عن ذلك أملا في أنك ان لا قيتنا يصف إيمانك ويتم  
تصديقك وتسليمك لنا بالذاكرة ولما قابلتنا ذا كرتك وأعلمت ان أمرنا هذا  
الهي وان الله اذا أراد أمرا امضاه ولم تنفع في مقابله مدافع ولا جيوش انكليس  
ولا غيرها ولا بواير ولا كافة الحيل اذ انه لا يغلب الله غالب وكل ذلك لتصني  
معنا سريرتك ويصير لك الحظ الوافر عند الله وتال معادة الابد وتكون

من الاصحاب المؤمنين الذين لهم عند الله حسن المكانة المعظمى وكل ذلك  
خير لك ابدى حتى ظهرت خيانتك وتصميمك على النفاق بمكاتبتك لردون  
واظهارك له انك لم تسلم باختيارك وانك منتظر نجدة الانكابر واظهارك  
له ان جماعتنا اكثرهم مرضي جاثون لا يقدرّون على حرب شهر كل ذلك ظهر  
عند ضبط صالح شهوده لحياته أيضا فمن الآن وصاعدا ان تبث من سريرتك  
بينك وبين الله واعتقدت ان هذا السجن لتصفيتك وتجريدك عما يضرّك عند  
الله وصدقت مع الله في تسليمك لنا لا بد ان يظهر لنا على سمعتك أوبخبار  
من النيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من الحضر عليه السلام وان  
لم تقب من سريرتك وبقيت على نفاقك كذلك فلا بد ان يظهر لنا فتريد عذابا  
على عذابك والآخرة أشد عذابا وأشد تنكيلا فان أراد الله بك خيرا يهدك  
وتظهر هدايتك لاتباعنا والصدقة معنا وان أراد الله شقاوتك وعذابك في  
الدنيا والآخرة تصمم على ما أنت عليه من النفاق ولا تقل ان الهداية التي  
تنفع بادعاء الاسان فان ذلك لا ينفع كما رؤي عليك حين أتيتنا من عدم الصفا  
على وجهك فان اهتديت من سريرتك سترى خير الدنيا والآخرة ان شاء  
الله تعالى والسلام ٢٠ محرم سنة ١٣٠٢

### ذكر عودة غردون الى السودان

لما سقطت وزارة شريف باشا وخلفتها وزارة نوبار باشا كانت الحكومة  
الحديوية في ارتباك فقدت معه كل تدبير وذلك انها كانت لا تكاد تقرّ شيئا في  
السودان حتى تنقضه قبل أن يمض على تقريره يوم أو بعض يوم  
وبينما هي في هذه الحالة عرضت عليها الحكومة البريطانية تعيين

غردون باشا بوظيفة حاكم على السودان ومنحه سطة مطلقة . وكان هذا العرض في شهر صفر سنة ١٣٠١ هجرية

وفي منتصف شهر ربيع الاول أعلنت الحكومة رفض هذا الاقتراح ثم لم تمض بضعة أيام حتى تلقينا من مصادر الاخبار الرسمية نبأ مغادرة غردون لوندرة قاصدا القاهرة حيث أمر بتقديم نفسه لجناب السرافلن بارنج قنصل جنرال انكلترا في مصر

وفي يوم ٢٦ ربيع أول سنة ١٣٠١ كان وصول غردون القاهرة وفي اليوم التالي اجتمع بالسرافلن بارنج وتلقى منه كل التعليمات التي يجب عليه اتباعها في مأموريته

## ذكر العفو عن المؤلف وارجاع رتبة والقباه

ونياشينه اليه ومرافقته غردون الى السودان

قصص في أول الكتاب ما أصابني من تجريدي من رتي والقباه ونياشيني التي أحرزتها في إيان مرافقتي لغردون في خط الاستواء لما كان حاكما على الاقاليم الاستوائية وقد مضى على نحو سنة ونصف

وفي شهر ربيع الاول سنة ١٣٠١ جاءني خطابان أحدهما من الجنرال وود باشا سردار الجيش المصري والآخر من نوبار باشا رئيس الوزارة يرجوني كل منهما ان اقبله في الغد فذهبت الى السردارية وقابلت وود باشا فأخبرني ان غردون بمث اليه بتلغراف يعلمه بعزمه على مرافقتي له في العودة الى السودان فأجبت به بأنني مطرود من خدمة الحكومة فقال اني لأجهل ذلك ولكن غردون سيطلب لك العفو من سمو الخديو

المعظم وختم كلامه بلزوم أخذ الالهية والاستعداد الى السفر فودعته  
وانصرفت بعد ان وعدته بأخذ الالهية ثم ذهبت الى نوبار باشا فأعلمني ان  
غردون بعث اليه بتلغراف كالذي بعث به الى وود باشا وكان حديثه معي كحديث  
وود باشا فانصرفت عنه بعد ان أكد عليّ في الاستعداد للسفر

وفي يوم وصول غردون باشا الى محطة سكة حديد القاهرة كانت غاصة  
بالمستقبلين من ضباط الانكليز وموظفي الحكومة ورجال التشريعات الحديوية  
ولما وصل القطار الذي كان يقبله استقبل بكل حفاوة وكرامة ولما  
وقع بصره عليّ تقدم نحوي وصاحني مخاطباً انك يا عزيزي متوجه معي  
الى السودان فسردت عليه ما لحقني من التجريد والطارد فطيب خاطري  
قائلاً سأطلب من الجناب الحديو العفو عنك وارجاع كل ماسلب منك  
فشكرته ثم قدمني لكل الذين استقبلوه من الانكليز وسرد عليهم تاريخ  
مرافقتي له في المرتين السابقتين ثم اركبني معه العربة الى منزل وود باشا حيث  
كان مدعوّاً الى مأدبة هناك وبعد وصولي لهذا المنزل استأذنته في الانصراف  
بعد ان أكد عليّ في العودة اليه في الغد

وفي نحو الساعة التاسعة صباحاً عدت اليه بمنزل وود باشا فقابلني بوجه  
باش وقال لي اذهب الى نوبار باشا لاستلام الاوامر بسفرك فقلت في نفسي  
كيف أستلم الاوامر بالسفر قبل صدور العفو وترددت قليلاً ثم امتثلت  
وذهبت الى نوبار باشا فقابلني بالاكرام واجلسني بجانبه وقال ان غوردون  
باشا مسافر على عجل وانه يرغب مرافقتك له وانني أعطيك راتب ثلاثة شهور  
كرتب أمير الاي ثم انك لا تبلغ بربرحتي أكون قد التمت من الجناب  
العالي الحديو العفو عنك وارجاع كل رتبك ونياشينك لك وسأرسل لك

البرآت والنياشين قبل وصولك الى بربر فقلت له لا يمكن ذلك ابدا ولا  
أرضى بمفادرة القاهرة قبل ان أحرز رضا مولاي الخديو وأحصل على العفو  
منه فاخذ يراجعني ويقسم لي الايمان المغلظة بصيرورة ذلك لاحالة فلم أقبل  
وما زال يراجعني وانا مصر على الرفض واخيرا استأذنته في الانصراف وعلامات  
الغضب ظاهرة على وجهي فقصدت محل غوردون وأخبرته بما يجري بيني  
وبين نوبار باشا فاستاء وقال لي لم يكن اتفاق مع نوبار باشا هكذا تم ركب  
عربته قاصدا السراي الخديوية وتقابل مع الجناب الخديو وعرض على  
مسامحه طلب العفو عني فاجابه بان هذا مطرود من خدمتي ومعه من هم  
أرفع منه ومن هم دونه ولا يوافق العفو عنه دونهم فقال له يا مولاي انك  
جدير بالعفو عنهم كلهم فقال ولكن الظروف غير الجدارة واني أعطيك  
ضابطا بدله ولو من ضباط حرسى فالح غوردون في الرجاء وقال اننى رغبت  
مرافقة اثنين كانا معي وحضرا معي فتوحات خط الاستواء وهما ابراهيم  
فوزي وكاتبي محمد بك التهامي الذي أسفت لفقده البصر مما كان حائلا دون  
مرافقته لي وأخذ يسرد على مسامع الخديو الخدمات الجليلة التى قت بها  
معه من رحلة خط الاستواء والخدمات التى اديتها فى غضون ولايته على  
السودان فوعد الخديو بالعفو عني فشكره غوردون وانصرف وارسل الخديو  
يدعو الوزراء للاجتماع عنده

ولما عاد غوردون من السراي الخديوية قص على كل ما دار بينه وبين  
الخديو من الحديث ثم دفع الى كتابا بالفرنساوية وأمرني بإيصاله الى الخديو  
فى الساعة الثانية بعد الظهر فحمت الكتاب وذهبت الى المعية اتمثر فى أذبال  
الحجل وأعرض انامل الندم ولات ساعة مندم وتمثل لي ما فرط منى في ولاء

المرايين باقبح صورة وزاد عليه تبكيت الضمير حيث تذكرت ما كان من  
الجناب الخديو ونصحه لي بالابتعاد عن المسألة المراهية وتذكيره لي بنعم  
والده علي واني ان تابمت المرايين كنت مقابلا لهاته النعم بالعقوق والكفران  
فلم التفت الى الذكرى بل انعمست في الفتنة المراهية وكان ما كان حتي كاني  
قدت العقل وهدمت الرشد ولا حول ولا قوة الا بالله

ولما دخلت المعية السنية وجدت طه باشا ويوسف شهدي باشا جالسين  
في أودة التشريفات ومعهما كثير من الضباط فسلمت عليهم فلم يردوا تحييتي  
وظهر علي وجوههم التقطب والعبوس والتفتوا الى محققين ثم أداروا وجوههم  
يتعاززون علي فتقدمت وجلست بجانبهم غير مكترث بشيء مما أبدوه وبعد  
هنية دخل علينا زكي بك تشريفاتي خديو فاندھش لرؤيتي بهذا المكان  
ولكنه تجلدوا أخفى ما خامره وحياتي قائلا ( طيبين يا مسيو فوزي ) فقلت  
له ( طيبين يا مسيو زكي ) وبعد هنية أشار الي بالدنو من مجلسه  
وابتدرني بقوله . ألم تعلم يا أخى ان ضباط الثورة المطرودين محظور عليهم  
الجمي الي هنا فقلت نعم فقال وما الذي جاء بك فقلت أقصد التشرف بمقابلة  
الحضرة الفخيمة الخديوية فقال اني اخشى عليك من زيادة الغضب وألح علي  
بالمداول عن هذا القصد فشكرته وأخرجت له كتاب غردون فنظر الي  
العنوان وأسرع بإيصاله الي الخديو ثم عاد وقال لي علي مسمع من الحاضرين  
ان الجناب الخديو يسلم عليك وبعد خمس دقائق تحظى بمقابلته فاندھش  
أولئك الذين لم يردوا تحييتي والتفتوا نحوى يرحبون بي بقولهم ( مرحباً ) فلم  
التفت اليهم ولم أرد تحية واحد منهم وقلت في نفسي واحدة بواحدة  
وبعد مضي الخمس دقائق دخلت علي الجناب الخديو فوجدته واقفاً

فلم أتمالك نفسي ووقفت على قدميه وأنا أقول ( العفو يا أفندينا ) حتي انحنى على وأخذ بكتفي وهو يقول ( استغفر الله قد عفوت عنك وردت عليك ربتك والقابك ونياشينك وكل ما جردت منه ) وكررها ثلاثا فوقفت على اقدامي فجلس وأمرني بالجلوس وأخذ يعاتبني وأنا لا أقول له غير « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » ثم استدعي خيري باشا المهر دار وقال له انني عفوت عن ابراهيم بك فوزي ورددت له كل ما سلب منه فدعا له بطول البقاء وأمنت على دعائه وبعد برهة عاد ومعه البراءات والنياشين فوقف الحديوي على قدميه وسلمني البراءات وقال لي اذهب الى منزلك وتقلد بزة عسكرية لاقلدك النياشين بيدي فذهبت وبعد برهة عدت فقلدني النياشين بيده وجلس وأمرني بالجلوس وقص عليّ خوي الشهادات الحسنة التي شهد بها غردون عن سلوكي معه في الايام السالفة وأعرب لي عن أمله في نجاح غردون وأوصاني بطاعته وحذرني من مخالفته ووعدني بالالتفات ونوال الخيرات ثم انصرفت شاكرًا بعد ان ودعني بأرق الفاظ المجاملة

ثم قصدت محل اقامة غردون وأنا متقلد نياشيني ومتحل بملابسي الرسمية فاستقبلني بالضحك الذي يشف عن زيادة السرور وأمرني بأخذ الالهبة حيث السفر في الساعة التاسعة من مساء الغد من محطة بولاق الدكرور فعدت الى منزلي وأنا مشغول بأخذ الالهبة للسفر ومقابلة المهشين من الاهل والخلان

وقصصت على غردون كل ما دار بيني وبين الجناب الحديوي من الحديث وكتب الى المالية بصرف مرتب ثلاثو شهور مع نفقات السفر وفي اليوم التالي قبضت المال وتأهبنا للارتحال والحمد لله على كل حال

## ذكر سفر غردون باشا

في مساء يوم ٢٨ ربيع أول سنة ١٣٠١ في الساعة التاسعة مساءً أعد قطار خصوصي في محطة بولاق الدكرور ليقبل غردون باشا ومن معه الي أسبوط فازدحمت المحطة بالمودعين وفي مقدمتهم نوبار باشا رئيس الوزراء ومعه النظار وقنصل جنرال الدولة الانكليزية وعدد عظيم من ضباط جيش الاحتلال والموظفين الانكليز وبعض من رجال التشريعات الخديوية

واتصل بي ان عبد القادر حلمي باشا تحدث مع غردون يومئذ في شأن مأموريته وقال له انني أتوقع لك شراً مادمت قاصداً السودان بلاجند وأما مأموريته السلمية فاني أجزم منذ الآن بأن المهدي وأعوانه لا يقابلونها الا بالسخرية والازدراء على انني أقول لك لو كان معك الفاجندي فان أخبارهم تصل الي المهدي بغلو كثير وخصوصاً اذا ذاع ان جنوداً غيرهم قادمون لامدادك وفوق ذلك فاني أشك في وصولك الخرطوم سالماً فأجابه غردون على كل ما قاله بقوله ان مى الله وحده وخاطب عبد القادر حلمي باشا الكولونيل ستيوارت الذي ذكرنا انه سافر بمأمورية سرية الى الخرطوم في عهد ولاية عبد القادر حلمي باشا عليها واختاره غوردون لمرافقته بما خاطب به غردون فأجابه انني لا أشك في صحة كل ما قلته ولكنتي رجل عسكري أطيع أوامر رؤسائي طاعة عمياء لان أقل احجام مني يمد جينا وانني لأرتاب في انني ذاهب لحقني بنفسي

وفي الساعة العاشرة سافر القطار بين هتاف الجماهير قاصداً أسبوط التي وصلناها في صباح الغد فاستقبلنا مديرها وتناولنا طعام الغداء على مائدته

ثم ركبنا باخرة في النيل الى أصوان وهناك قابلنا قسوس من الكاثوليك كانوا دعاة للنصرانية في السودان وهجروا الخرطوم لما أحسبوا بأحداق الخطر بها فقضينا معهم بضع ساعات كان غردون يسألهم في خلالها عن الاحوال فكانت أجوبتهم لا تختلف عما قاله عبد القادر حلمي باشا لغردون

ثم غادرنا أصوان الى الشلال وركبنا باخرة هناك قاصدين كروسكو وبعد مسيرة يومين وصلناها فألقينا الجمل ومعدات السفر كلها في انتظارنا فعيثي غردون قومنداناً للحملة وأخذت في الاشتغال بتجهيز وحزم الامتعة حتي الظهر ثم أقيت التنبيهات على رعاة الجمل بأن السير يتبدى في الساعة الثالثة بعد الظهر وعدت الى الباخرة وأخبرت غردون بجميع الترتيبات وكان جالسا على ظهر الباخرة ومعه الكولونيل ستيوارت والجنرال جراهم أخذ قواد جيش الاحتلال وكان عين لمرافقة غردون الى كروسكو ثم جلسنا نحن الاربعة لتناول طعام الغداء فقال غوردون للجنرال جراهم انني التمت من الجناب الحديوي الاحسان على الكولونيل ستيوارت وابراهيم فوزي برتبة اللواء ليكون الاول وكيل والثاني قومنداناً للمساكر البرية والبحرية فأجاب الجنرال جراهم بالاستحسان

وبعد الغداء طير رسالة برقية للجناب الحديوي بهذا الالتماس ثم امتطينا الجمل وغادرنا النيل في طريق الصحراء قاصدين آبار المرات التي هي منتصف الطريق بين « ابو حمد » الواقعة على ضفة النيل وبين ( كروسكو ) وسنعود الى هذا الموضوع في غير هذا المحل

## ذكر كتاب غردون الى المهدي وهديته

قبل أن يسادر غردون كروسكو كتب كتابا الى المهدي ومعه هدية من نوع الهدايا التي تقدم لمشايخ الاعراب كالبنش وغيره وخوى الكتاب كما يأتي بالايجاز انني اعترف بك سلطانا على السودان الغربي كله وملكا مطلقا على كل اقاليمه التي هي كوردقان ودارفور وانني لما بلغني ما اصاب اهل السودان من سفك الدماء وتوالي الحروب خاسرني غم شديد ولذا قد عينتني حكومة جلالة ملكة بريطانيا العظمى وامبرا طورة الهند واليا على السودان وصدقت على ذلك الحضرة الفخيمة الحديوية وانني من صميم قوادي ارجب توثيق عرى الملائق الودية بيني وبين سلطنتكم وأرجوان تسمعوا باعادة المواصلات التلغرافية وأظن ان أدوات ذلك قد تلقت في غضون الخطوب وقد أصدرت الاوامر الى مركز الحكمدارية بأن يعطى لكم كل ما تطلبونه من أدوات التلغرافات وأن يستقبل رسولكم كما يستقبل أعظم سفير وقد داخلى حزن شديد لما علمت بقطع طرق السودان الشرق التي جاءت حائلة بين المسلمين وبين مكة المكرمة التي يقصدونها في كل عام لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام فهما بنا لفتح هذا الطريق والقاء السلاح لنشيد أركان الراحة ونوطد دعائم السلام

هذا ملخص خطاب غردون للمهدي وسنأتي على اجابة للمهدي عليه بعد وقد طير رسالة برقية الى الحكمدارية يأمرها باستقبال سفير المهدي باطلاق المدافع والزينات واعطائه كل ما يطلبه من أدوات التلغراف فقبولت هذه السياسة من الخرطوم بالدهشة والاستغراب ولكن الآمال كانت

تخيل لهم ان غردون لابد أن يكون معه جنود يجبرون المهدي على قبول  
مثل هذا الامر ويمنعونه من التقدم الى الخرطوم على ان الامر الذي  
لامراء ولا جدال فيه ان المهدي كان يرضخ صاغراً لما رسمه له غردون  
لو كان هناك جنود ولو بضعة آلاف

### الخرطوم وغردون

ما كاد نبأ تعيين الجنرال غردون يبلغ الخرطوم حتي كان الاهلون  
المصريون في فرح شديد ظناً ان غردون لابد أن يكون قادماً بعناية كبرى  
من الحكومتين البريطانية والحدوية وانهما لا يتخيلان عن مساعدته بجنود  
يقدر بها علي ارغام المهدي ومنعه من التقدم اليهم فأرسلوا اليه بالتلغرافات  
وفي كلها التنويه بأنه محط الآمال

وأرسل علي لسان البرق منشورات فيها الاعتراف بسلطة المهدي علي  
السودان الغربي وانه عين من قبل الحكومة البريطانية الخ ما جاء في  
خطابه الي المهدي

وزاد انه تجاوز عن المتأخرات من الضرائب والاموال الاميرية وتجاوز  
عن ضرائب ثلاثة أعوام في المستقبل

وأرسل تلغرافاً بفصل حسين سري باشا من وكالة الحكمدارية وتعيين  
الكولونيل دي كوتلجف بدله وهو انكليزي كان في الخرطوم منذ سنة  
بهمة سرية

وأرسل تلغرافاً ايضاً بتعيين عوض الكريم أبي سن زعيم قبيلة الشكرية  
مديراً للخرطوم وسنأتي علي ترجمته وأخباره بمد

وأرسل ايضا على لسان البرق أمراً بتعيين الفقيه عبد القادر بن أم صريوم  
قاضيا لقضاة السودان

### ذكر وصول غردون الى ابو حمد

وبعد مغادرتنا كروسكو ظللنا سائر اربعة ايام بلياليها لم نذق الراحة  
فيها غير ساعتين في كل يوم وليلة وماؤنا وزادنا على ظهور المطايا لا يرى المسافر  
في تلك الصحراء القاحلة طيراً ولا وحشاً ولا شجراً حتي القينا عصا السفر عند  
آبار «المرات» وهي واقعة في منتصف الطريق بين ابو حمد وكروسكو وماؤها  
ملح لا يستقر في جوف شاربته حتي يأخذه الاسهال

وبعد استراحة ليلة وبعض يوم استأنفنا المسير قاصدين ابو حمد  
وبعد مسيرة ايام وليال أخرى وصلنا ابو حمد وهي أول حدود مقاطعة بربر  
من جهة الشمال وأول حدود اقليم دنقله من الجنوب وسكانها يقال لهم  
(الباطاب والمناصير) وهم من جنس قبيلة الجعليين التي سنتكلم عليها بعد  
وبلادهم قاحلة وكأها مكسوة بالحجارة ولا قوت لاهلها غير ما يجلب الى بلادهم  
من محصولات البلاد الشمالية والجنوبية

ويحكى ان رجلاً من الباطاب كان يأكل نوعاً من الحبوب اسمه  
(قوسيل) فسقطت من يده حبة وكان الظلام حالاً فصرخ صرخة ارتجت  
لها جوانب قريته فنسل الناس نحوه يصيحون هل لدغتك أفي فقال سقط  
من يدي ثور قوسيل فاصطكت أسنانهم وسقطوا على الارض لعظم تأثرهم  
لانهم يعدون الحبة كشور من البقر والقوسيل نوع من اللوبيا

واستقبلنا في ابو حمد حسين باشا خليفة مدير بربر ومعه أعيان المديرية

فألقى عليهم غردون خطبة أبان فيها أنه تجاوز عن كل المتأخرات لغاية سنة ١٨٨٣ كما أنه تجاوز عن ضرائب ثلاث سنوات في المستقبل وأنه أطلق لهم النخاسة وألقى الاوامر الصادرة بمنع هذه التجارة فقال له أحد شيوخ الاعراب أنك مايتنا من هذه الضرائب وأنا لا نأمن أن يخلقك حاكم آخر فيعود الى جبايتها ما دامت اسماؤنا في بطون الدفاتر فقال له صدقت وسأصدر الاوامر باحراق هاته الدفاتر لزيادة الظمائية فشكروا ودعوا له وللخديو

ثم قال لهم وبعد مضي الثلاث سنين أنظر في تخفيض الضرائب وتزيلها حتى تكون أقل بكثير مما هي عليه الآن ثم قال وائني أحذركم من الركون الى المهدي الكذاب خصوصا وأنتم تعلمون انه دقلي كاذب في كل ما ادعاه وأنه لا يقصد غير تقويم معاشه وتسلمته عليكم فصاحوا جميعاً بصوت واحد انا ندافع عن سلطة الحكومة بما ندافع به عن أبنائنا وأنه يستحيل علينا ان نخضع لهذا الكذاب فشكروهم وأحسن على كثير منهم بالرتب والنياشين على ان ذلك كان منهم محض خداع لانهم كانوا يخشون ان يكون مع غردون جنود

ثم طير غردون رسالة تلمرافية الى السرافلن بارنج يقول فيها ان المقابلة والمحادثة التي دارت بينه وبين الاهلين في أبو حمد تبشر بنجاح مأموريته وتزيد ثقته بالفلاح سيما وان الاهلين وعدوه بان يقبضوا على كل داع يقوم بدعوة المهدي بين ظهرانيهم

وقضي غردون جزءاً من الليل في مشاهدة الالعب التي أقامها الاهلون احتفاء به وهي لعبة (الدلوكة)

وفي الغد استأنفنا السير على ظهور المطايا الى بربر حيث كانت البواخر في

انتظارنا وكنا كلما مررتا بقرية استقبلنا أهلها بالابتهاج والفرح وكان  
غردون يوزع عليهم الملابس والدراهم وبعد مسيرة خمس مراحل وصلنا بربر  
فالقينا بها شريعة من المساكر مصطفىة في انتظارنا ثم أطلق واحد وعشرون  
مدفعاً ترحيباً بقدم غردون وبعد الاستراحة في سراي المديرية ابتدئت  
المقابلات فدخل عليه قناصل الدول وحادثوه في شأن مأموريته ولم يخفوا  
عنه ما داخلهم من الارتياح في نجاحه فقابل تصريحاتهم بعدم الاكتراث  
ثم دخل عليه موظفو الحكومة فكانت آراءهم كأراء القناصل فقال لهم  
ان الجنود على اثرى قادمون من مصر ثم دخل عليه الاعيان فوعدهم بالاجتماع  
عنده بعد الظهر

وبعد تناول طعام الغداء عقد جلسة من الاعيان وكبار الموظفين للمشورة في  
أمر المهدي فقال له الاعيان ان المهدي اشتدت شوكتة وخضع له السودان  
القربى كله وان لديه من الاسلحة خمسين الف بندقية من طراز رامنجتون  
وخمسين مدفعاً وانه لا يخضع أبداً لما جئت به الا اذا رأى قوة تضارع قوته  
أو تربو عليها فقال لهم مهما يكن من أمره فان الحكومة الحديوية أقوى سبباً وان  
حكومة جلالة الملكة فيكتوريا تساعدنا وانه لا بد من ان نقهره عاجلاً أو  
آجلاً ثم ختم أقواله بالقاء الاوامر المشددة على الكل بالاخلاد الى السكينة  
والابتعاد عن المهرج وأنساب الفتن

### ذكر مغادرة غردون بربر

وبعد قضاء ثلاثة أيام في الراحة من وعشاء السفر أبحرنا من بربر  
قاصدين الخرطوم على احدى البواخر وكنا كلما اقتربنا من الخرطوم نرى

من الاهلين نفوراً منا حتى بلغنا ( السبلوكه ) وبينما كانت الباخرة تمخر الماء  
عند جبل الرويان اللذين هما جبلان على ضفتي النيل يخترقهما النهر اذ  
سمعت صياحاً في الضفة الغربية فامسكت النظارة المعظمة فابصرت بها  
عشرة أشخاص ممتطين خيولهم يصيحون بقولهم ( نحن مظلومون يا أفندينا )  
ثم أبصرت كيتاً خلفهم يبلغ مائتي فارس يتوارون وراء الجبل وخيل لي من  
هيئة ملابسهم المرقمة انهم عصاة يقصدون الواقعة اذا القت الباخرة مرماها  
فقلت لربان الباخرة الذي كان ممسكاً نظارته أيضاً ان هؤلاء يقصدون البطش بنا  
ونحن ومستخدمو الباخرة لا يربو عددنا على خمسة وعشرين رجلاً وان  
غردون اذا سمع صياحهم الذي لم يكن الا خدعة أمر برسو الوابور واذا  
رسا الوابور وقفنا في حبالهم بلا ريب ولا سبيل لا قناع غردون بسوء  
قصدهم كما انه لا سبيل لنجاتنا الا بشيء واحد وهو أنه اذا أمرك بإيقاف الباخرة  
تعتذر له بان هذا الشاطئ مملوء بالصخور ولا يمكن الرسو فيه فتردد الربان  
في قبول ما أشرت به عليه وقال لي ان أمرت برسو الباخرة امتثلت الامر  
فاخذت ألح عليه وبينما نحن في المحادثة خرج غردون من غرفته وما كادت  
اذنه تسمع الصياح حتى أمر الربان برسو الباخرة فامتثل ولم يلتفت الى  
ما حدثته به فقلت لغردون ان هذا مكان قفر وليس حوله قرى وانني أرى  
وراء هؤلاء الصائحين كيتاً والأولي بنا ان نعدم بالنظر في ظلامتهم بعد خروجنا  
من بين الجبلين فغضب غردون ولم يكثر بنصيحتي وقال لي أرى انك بعد  
رجوعك للقاهرة فقدت ما كنت أعرفه فيك من الشجاعة والجرأة وأظن  
ذلك نتيجة الانغماس في الترف فقلت له لم يكن شيء مما رأيت وظننت بل  
انني رأيت الكمين وهو ما دعاني للريبة في أمرهم فازداد غضبه ودخل غرفته

وأعرض عني كل الاعراض وما كاد يبلغ فرقتي حتى أطلق علينا أولئك المتظلمون النيران وظهر السكين على سفح الجبل فاطلع غردون فرآي العشرة صاروا ماثنين يطلقون النيران علينا ويسهوننا باقبح السباب فأخذ يضحك ويقول لي لا تؤاخذني يا عزيزي فوزي فقد بلغت في لومك مع ان الحق معك وأنا المخطيء.

ثم اناب بعد خروجنا من بين الجبلين لم نر أحدا وعرجنا على مكان يدعى (ولد أبو حليمه) فيه محطة للخشب الذي يوقد للسفن فالتفت الباخرة مرساها لأخذ ما يلزمها من الخشب فالتفتنا بهذه الجملة شيئا كثيرا من الخشب في مكانين متقاربين ولم نجد أحدا من الحفراء أو المتعهدين بجانبه فخرج نوتية الباخرة وأخذوا يحملون الخشب الى داخل السفينة وأنا واقف أحتم على الاسراع وخرج غردون وجلس في ظل شجرة تبعد عن النهر بنحو مائة ياردة

وبينا نحن داثبون على العمل لمحت شخصا لم أكن رأيته قبل في السفينة فدنا مني وحياني فعرفته واذا هو جندي من جنودى الذين كانوا معي في خط الاستواء يعرفني جيدا ويعرف غردون فأجبت أن استطلع ما عنده من الاخبار فقطع على الكلام وقال اتنى فائد من حيث جئت انما جئت لاخبرك للصدقة القديمة بيننا بان سكان هاته الجملة سمعوا بقدمك مع غردون وسيهجمون عليكما في هذه اللحظة وانصرف مسرعا وماد من حيث جاء فأسرعت الى غردون فوجدته غائبا في لجة أفكار فابتدرته بقولى قم بنا بسرعة الى الباخرة فقد طرا أمر يمنعنى من الكلام فقام معي مسرعا ولم يبدأ أقل مراجعة وضحمت بالنوتية ادخلوا الباخرة ولم نكد ندخل حتى هجم على السفينة عدد كبير فأسرعنا الى قطع الحبال وتأخر عن الدخول شخصان من النوتية لاذحام الطريق الموصلة

من البر الى السفينة فقتلها المدو وأخذ يطلق النار علينا ويسبنا  
وبعد ان توسطت الباخرة لجة النهر قصصت على غردون أمر ذلك  
المسكري فتعجب وأثنى عليه وعلى مروءته وأظهر رغبة شديدة في مكافأته  
على حسن صنيعه  
ثم تابعنا مسيرنا حتى وصلنا أم درمان فالتقينا بها نقطة من الجنود قابلتنا بالحفاوة  
وأطلقت المدافع وبعد ان تفقدنا حصونها تابعنا سيرنا الى الخرطوم  
على ان غردون استشر بان أموريته لن تصادف نجاحاً وانه كان مخطئاً  
في قدومه بلا جنود وانه تسرع ولم يثبت في ارسال تلغرافه الى السرافلن  
بارنج ولكن كان عنده بقية أمل حيث كان ينتظر اجابة المهدي

### وصول غردون الى الخرطوم

ولما أبحرنا من أم درمان رست بنا الباخرة في ( المقرن ) أي نقطة  
اجتماع النيلين الابيض والازرق وبعد أن ادت الحامية التحية العسكرية أخذنا  
نتفقد الحصون فسر غردون من متانتها وأثنى على المساكر وشجعهم ثم  
استأنفنا السير الى الخرطوم وهناك ألفينا المساكر مصطفىين والاهلين  
محتشدين فخرجت من الباخرة انا والكولونيل ستيوارت صحبة غردون فاندش  
الناس وقالوا أمن هؤلاء الثلاثة يخاف المهدي ويترك التقدم علينا ان هذا  
شيء عجيب

ولما وصلنا الى سراي الحكمدارية وقف غردون عند السلامك ودفع  
فرمان توليته الى الشيخ حسين المجدي رئيس أساتذة المدرسة الاميرية فصعد  
على منبر الخطابة وقرأ الفرمان بصوت مرتفع والناس منصتون لسماعه كأن

الطاير على رؤسهم ثم أطلقت المدافع ثم صعد على المنبر ابراهيم بك مأمور بالضبطية وأخذ يملئ عليه هذه الخطبة وهي « يا أهالي السودان عموماً ان الجنب العالي الحديوي يسلم عليكم صغيراً وكبيراً أحراراً وعبيداً انا وذكوراً وكذلك جلالة الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند وانكم لا تجهلون شفقتي عليكم ومحبتتي لكم وقد ساءني ما سمعته عنكم حيث نشبت الحرب بينكم وتعطلت تجارتكم وسفكت دماؤكم ومنتم من تادية فريضة الحج التي هي من أركان الاسلام وزيارة قبر النبي عليه السلام وقد أساء هذا الحال كلا من جلالة الملكة وسمو الحديو المعظم فانتدبت من قبل حكومة جلالة الملكة لا كون واليا على السودان ومرخصا فوق العادة وقد صار فصل السودان عن مصر فصلاً تاماً وفوض الى الحكم المطلق وقد خابرت حضرة السيد محمد أحمد المهدي بفحوى مأموريتي واعترفت له بالسلطة المطلقة على السودان الغربي برمته على شرط ان لا يمد يده لغيره. هذا وقد انيت جميع الاوامر الصادرة بمنع تجارة الرقيق وتجاوزت عن جميع المتأخرات من الضرائب لغاية سنة ١٨٨٣ وقد تجاوزت أيضاً عن ضرائب ثلاث سنوات منذ أول سنة ١٨٨٤ وأمرت باحراق دفاتر المتأخرات وأمرت باطلاق جميع المسجونين على اختلاف جرائمهم وتنوع جناياهم وعزمت منذ الآن ان لا يكون أعضاء حكومتي الا من الوطنيين حيث انني اود تشكيل حكومة وطنية ليحكم السودان نفسه بنفسه وقد عينت عوض الكريم اباسن مدير الاخرطوم وأحسننت عليه برتبة الباشوية ولى الامل بان العلائق ستصبح بيني وبين سلطان الغرب وثيقة العري وقد أمرت منذ اليوم بفتح ابواب الحصون واتلافها وسحب الجنود منها لتلقتوا الى عمران بلادكم وحرث اراضيكم

وانما تجارتكم ومنى عليكم السلام ، اه وكان أهل الخرطوم يسمون هذه  
الخطبة ودموعهم تنهر من أعينهم حيث كانوا موقنين بان هذه سياسة  
خرقاء وأن المهدي سوف يتقدم نحوهم ويقهرهم  
ثم دخل عليه العلماء مسلمين وقالوا له إنا نصبح قتلي وأسرى في الغدان  
اتلفت شيأ من الحصون وان المهدي لا يلتفت الي شيء مما دعوته اليه ولا  
يرده عن بغيه غير جيش جرار وان من حولنا من الاعراب متحفزون للوثبة  
علينا فظهر لهم التردد ولكنه كف عن تخريب الحصون وتدميرها  
وعلى أثر ذلك هجر المدينة كثير من الناس قاصدين القطر المصري  
واستقال كثير من الموظفين ومنهم الكولونيل دي كوتلجن فتمجبت من  
اصرار غردون على رأيه الاول بعد ان رأي الخطر الذي أحرق بحياته مرتين  
في الطريق وعلم اجماع الآراء على عدم نجاحه

### ذكر عبد القادر بن أم مريوم

عبد القادر بن أم مريوم فقيه من أهالي القرى التي حول الخرطوم  
وأهالي هذه القرى كانوا يتقادون له ويعظمونه فقصد غردون توليته القضاء  
رجاء ان يؤثر بنفوذ على أهالي هاته الجهات ويمنعها من الدخول في دعوة المهدي  
ولما وصل غردون الخرطوم وفد مسلما عليه فأكرم وفادته وأحسن  
عليه بثلاثمائة ريال فأخذ يقول على رؤس الاشهاد ان محمد احمد كاذب في  
دعواه وانه لم يكن مهديا وبعد قبضه الثلاثمائة ريال قال لنوردون اتى ذاهب  
الى قريتي لا صود بمائتي وعشيتي فقال له غردون أخشى ان لا تعود فتال  
له أقسم بسبعة ايمان يعرضن على الله لاعودن بمائتي وعشيتي واتى أموت

على ولاء الحكومة وطاعتها ولو بقي من عساكرها واحد فاتي اكون الثاني  
فاذن له غردون في العودة الى قريته واكد عليه في الاسراع بالتقدم وشيعة  
الى الباب

وفي اليوم التالي ورد على غردون كتاب من عبد القادر المذكور يقول  
فيه اني انصح لك ولمن معك من الموظفين ان تسلموا للمهدي المنتظر  
الذي من شك فيه فقد كفر وان النبي صلى الله عليه وسلم بشرني به منذ  
ثلاث وثلاثين سنة وقال لي صلى الله عليه وسلم انك تصير أحد وزرائه فتفيظ  
غردون من هذا الكتاب وكتب منشوراً قال فيه من جاءني برأس عبد القادر  
ابن أم مريوم فله جائزة الف جنيه ولحق عبد القادر بالمهدي فعقد له لواء  
بالامارة على كل أهالي القرى المجاورة للخرطوم وفي يوم سقوطها دخل منزل  
محمود محي الدين أحد أعيان المدينة وقتل صاحبه وسبي نساءه  
وجاءت هذه الحادثة من اللواتي آذن بان مساعي غردون ذاهبة ادراج  
الرياح وانها لا تجدي نفعا ولا تفي فتبلا

### ذكر عوض الكريم ابن ابي سن

قلنا ان غردون عين عوض الكريم ابن أبي سن مديراً للخرطوم  
واهداه لقب باشا وعوض الكريم هذا زعيم قبيلة (الشكرية) وهي رحالة تسكن  
شرقي النيل الازرق في صحراء (ريه) الواقعة بين نهرا تبه والنيل الازرق  
وماشيتهما من الابل والبقر كثيرة جداً وعددهن نفوسها زهاء خمسمائة الف  
نسمة ورجالها مشهورون بالشجاعة وقوة الباس وعندهم من الخيول العربية الجيدة  
كثير وكان أحمد باشا أبو سن والد عوض الكريم مديراً للخرطوم وزعيماً

لهذه القبيلة وقبيل وفاته قدم القاهرة وقدم للخديو اسماعيل باشا هدايا كثيرة  
وتوفي بالقاهرة بغتة خلفه ابنه عوض الكريم في زعامة قبيلته

ولما ظهرت دعوة المهدي كانت قبيلة الشكرية وزعيمها من أصدق  
القبائل ولاء للحكومة واجتمع منهم نحو عشرة آلاف مقاتل ساعدوا  
الحكومة على اخلاء التتة التي أضرم نارها الشريف أحمد طه الذي تقدم لنا  
ذكر واقته وقاتله وشهد عوض الكريم وكثير من رجاله أكثر الوقائع مع  
عبد القادر باشا حلبي وبالجملة فإن هذه القبيلة حافظت على ولاء الحكومة ولم  
تؤثر تخرصات المهدي على عقول زعيمها وعشيرته أسرة أبي سن

ولما فتك المهدي بحملة الجنرال هيكس وانتشرت دعوته في السودان  
الوسط حوالى الخرطوم كانت قبيلة البطاحين التي تسكن غرب صحراء دبره  
قد دخلت في دعوة المهدي وقبيلة البطاحين هذه رحالة أيضا وماشيها كماشية  
قبيلة الشكرية إلا أنها أقل منها نفوسا إذ لا تبلغ نفوس قبيلة البطاحين خمسين  
الف نسمة ولكن رجالها مشهورون بالقوة والاقدام وهم لصوص يقطعون  
الطرق في كل أنحاء السودان فلا تكاد تكون عصبة لصوص أو قطاع طرق  
إلا من البطاحين ولما دخلت هذه القبيلة في دعوة المهدي وقويت شوكة  
الداعية محمد بن الطيب البصير ابتعدت قبيلة الشكرية عن صفة النهر وأوغلت  
في الصحراء الى قرب نهر أتبره فاوعز ابن البصير الى قبيلة البطاحين بمناوأة  
قبيلة الشكرية والفارة عليها لسلب ماشيتها

وكان عوض الكريم يقصد من الدنو من نهر أتبره مقابلة بيكر باشا  
حينما عزم على فتح طريق من مصوع الى كسلا ومنها الى الخرطوم حيث  
يخترق صحراء دبره ثم لما عاد بيكر باشا الى سواكن وفشلت حملته كانت عيون

عوض الكريم تأتية بالاخبار من سواكن عن حركات الجنرال جراهم وكان  
مؤملا الاجتماع باى جنود تقدم لتعزيز حامية الخرطوم أو انقاذها  
ولما حصر المهديون كسلا أحدثت الاخطار بقبيلة الشكرية وكثرت اعتداءات  
البطاحين عليها فعمدت الى مظاهرة المهدي وكتبت له بالخضوع والطاعة  
وسألته ان يعتبرها خاضعة له فكان جوابه لها ان ذلك لا يكون بغير انضمامها  
الى محمد بن البشير واتحادها معه لقتال جنود الحكومة فكانت تعتذر تارة  
بمرض زعيمها وأخرى بتوالى غارة البطاحين عليها

ولما وصل غوردون الخرطوم بعث بكتاب الى عوض الكريم باشا ابى  
سن يعلمه بتعيينه مديرا للخرطوم ويدعوه لاستلام منصبه فوصل الرسول  
مع رسول قادم من المهدي بكتابين لعوض الكريم وسائر أفراد اسرة ابى  
سن فاخلى عوض الكريم وأسرته برسول غوردون وسأله هل جاء معه  
بجنود فقال لا ولكنهم سيجيئون فحشا عوض الكريم التراب على رأسه  
وقال يا ضيعة الأمل ثم كتب الى غوردون بخرج موقفه وعدم قبوله هذا  
المنصب وأرسل اليه بالكتابين اللذين جا آه من عند المهدي وزاد ان البطاحين  
يسافرون بكثرة الى بربر ليساعدوا داعية للمهدي قدم اليها ولا بد انهم  
يتغلبون على بربر وان بقائي في هذا المكان انفع لك من قدومي الى الخرطوم  
اذ لا بد لي ان أظهر أية نجدة تتقدم اليك من شرقي السودان فوقع رايه موقع  
القبول والاستحسان عند غوردون فاقره عليه وهاهي صورة ما جاء في الكتابين

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن  
العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى أحبابه في الله واعوانه على سكة

رسول الله عوض الكريم أحمد أبي سن وعبد الله أحمد أبي سن وعبد الله أحمد أبي  
 سن ومحمد أحمد أبي سن وصمارة أحمد أبي سن وعبد القادر أحمد أبي سن والأمين  
 أحمد أبي سن وأبي عاقلة أحمد أبي سن وحسان أحمد أبي سن وعمر أحمد أبي سن  
 ومحمد عوض الكريم وعلي عوض الكريم وعبد الله عوض الكريم ومحمد  
 عوض الكريم وعوض الكريم أحمد وأخوانهم وأولادهم وعشيرتهم  
 وقبيلتهم أحب إلي من الدنيا ظل زائل ونعيمها مائل هائل وسرورها فم وراحتها  
 تعب وهم والركون إليها غرور وكفى بذلك شهيدا وما الحياة الدنيا الا متاع  
 الغرور وجمعها شتات وشتاتها عقل وثبات والتخلي عنها نعيم والتخلي بها نار  
 وجحيم ومكرها خفي حائق والالتفات لها عن الله عائق والتعلق بها خمول  
 وبوار والسعي في طلبها دمار وخسار والتمتع بعيشها ضرر والفرح بها انقباض  
 وكدر والتنم بها بؤس وطالع سعدا غارب منحوس وشربها سراب وصفاءها  
 عقاب وحلها مر وميلها غدر وحنانها قطيعة وصلتها فظيعة وعاقبتها ندم  
 ووجودها محض عدم وخيرها يسير وحسابها كثير وطلبها وبال وبقاؤها محال  
 وعلوها سفل والاجتهاد في طلبها حق وجهل وكفى في التحذير منها والتباعد  
 عنها قول الله المتين «وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب» ولا يفتربا للعب واللهو الا  
 الخامدون وقول النبي الاواب الناطق بالصواب «لو كانت الدنيا تزن عند الله  
 جناح بعوضة لما سقي كافرا منها جرة ماء» فانظروا رحمكم الله الى خستها وما  
 فيها ودم خالقها وبارئها ومبدعها ومنشئها ورسوله المأمون الذي اوضح للخلق  
 السر المكنون فكيف بعد هذا تركنون اليها وتعدونها دار اقامة مع انها جنة  
 أعدائكم المبعدين عن رحمة الله والكرامة ولو كانت فيها خير للمؤمنين  
 السالكين طريق خير المرسدين لما خرج منها صلى الله عليه وسلم ولم يضع

لبنة على لبنة ولما زهدوا الصحابة ونظروها حقيرة ممتحنة أمالكهم في رسول الله  
أسوة حسنة واتباع لسيرة أصحابه الواضحة المستحسنة فأخرجوا عنها فاتها  
ذمية وتجنبوا نتائجها فاتها عقيمة واصبروا على شدائدنا وبلاياها وجاهدوا  
النفس وصدوها عن ركوب مطاياها وشدوا أزرهم على إقامة الدين وعلى أعداء  
الله الكافرين والخروج عن طاعتهم وتشيت شملهم وتفرق جماعتهم وبارزوا  
بالمصيان لتناولوا كمال الرضوان وقاتلوا فاتهم مخذولون وجاهدوا فأنكم  
عليهم منصورون وشعروا في ذلك عن ساعد الجد والاجتهاد لنيل غاية القصد  
وبلوغ المراد وقابلوهم بعزم قوي وصدق نية وغيرة وحمية وحسن طوية  
وارغبوا فيما أعد الله للمجاهدين وابدلوا نفوسكم وأموالكم في الله طمعا  
فيما ادخر لانصار الدين قال الله تعالى «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم  
وأموالهم بأن لهم الجنة» فكيف بعد ان جعلت الجنة ثمنا للنفوس والأموال  
تأخرون عن الجهاد ولا تبادروا اليه بكامل الأحوال ما هذا التواني والتأخير  
وأنتم لا تملكون لانفسكم نقيرا ولا قطير وخذوا بزمام حزمكم وسارعوا  
الي مقرة من ربكم وبادروا الي قول نبيكم ايما عبد من عبادي خرج مجاهدا  
في سبيلي وابتداء مرضاتي ضمننت له الجنة ان أرجعته أرجعته بما أصاب  
من أجر أو غنمة وان قبضته غفرت له ورحمته أو كما قال فكونوا عباد الله  
إخوانا في الدين وجاهدوا في الله فان الانهماء في الدنيا ضلال مبين وقاتلوا  
الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ولا تهنوا في ابتلاء القوم  
ان تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وأعدوا  
لهم ما استطعتم من قوة ولا تتأخروا عن جهادهم وخذلوهم بقوة وذلك  
بإضمامكم مع محمد الطيب البصير وإعمال الرأي والمكيدة وما يجب للمعدو

والتدمير واعتمدوا على الله العالم بما في الضمير وأخلصوا النية فان خلوصها  
 مطاياكم وحسنوا الظن في عالم سرهم ونجواكم وكونوا يداً واحدة وشدوا  
 بمعضكم بعضاً فانما الرجال بالاخوان والمعاضدة وتيقنوا ان عفونا لكم عن  
 الهجرة ورضانا عنكم مقرون بذلك ولا تأخذكم نخوة الجاهلية والتفاخر  
 بالآباء فان الله عالم بما هنالك بل أفيقوا من سكرة الغفلات وأندموا على الزمن  
 الذي صرفتموه في البطالات فان الدنيا ذهبت والآجال اقتربت وطلب الآخرة  
 أصنى لكم وانقضى وما عند الله خير وأبقى واحرصوا على ما فيه نجاحكم وفلاحكم  
 واعلموا ان الجهاد فيه صلاحكم ورباحكم وإياكم وسماع قول من يترككم ولا  
 ينصحكم ويحسن لكم ما فيه هلاك نفوسكم وفي مهاوى الهلاك يطرحكم  
 وتيقنوا ان صميتنا مبنية على الانكسار وصفاء السرائر من دنس الاغيار  
 واطلاق النفوس من سجن حب الدنيا وطلب ما أعد الله للمجاهدين  
 والمتقين من الرتب العليا فان كنتم صادقين في جوابكم المحضر اليها بالصحة  
 والاتباع فخرضوا قبائلكم وعشيرتكم واحضروا بانفسكم تنالوا كمال المزية  
 وحسن الارتفاع وكونوا أنتم ومحمد البصير في المعاونة على شعائر الدين يداً  
 وساعدوا واحذروا الكبر الذي يصعد عن الله ويباعد في الحديث القدسي  
 العظمة ازارى والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما غمسته في ناري واشتاقوا لما أعد الله  
 للمجاهدين حيث قال في كتابه العزيز « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله  
 أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون  
 بالذين لم ياحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فاعتبروا  
 يا أولي الابصار وانظروا بعين الحقيقة والاستبصار والسلام

« الثاني » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم  
( وبعد ) فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى أحبائه عوض  
الكريم أحمد أبى سن والطيب محمد وحمد احمد أبى سن وعبد الله أحمد أبى  
سن وعبد الله أحمد أبى سن ومحمد احمد أبى سن وعمارة أحمد أبى سن وعبد  
القادر أحمد أبى سن وأبى عاقلة أحمد أبى سن والامين أحمد أبى سن وحسان  
احمد أبى سن ومحمد عوض الكريم وعلى عوض الكريم وعبد الله عوض  
الكريم وحمد عوض الكريم ويوسف أحمد أبى سن وأولاد محمد أبى سن  
وجميع أتباعهم وعائلتهم وخواصهم أحبائي قد قال الله تعالى لئن لم  
عليه وسلم « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على  
نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه  
غفور رحيم » ومعلوم انكم تعلمون ان الله أنزل القرآن ليهتدى به وهو الذى  
هدي به نبيه صلى الله عليه وسلم وهو شفاء ورحمة للمؤمنين فامعنوا النظر فيما  
دل اليه وآمنوا بما جاء من عند الله يقين فان المؤمنين قد وحدوا الله بما  
سمعوه فيه من آيات الانفس والآفاق فلما نظروا انه لا يقدر على ذلك أحد  
سواه وعلموا ان ملكوت كل شيء بيده لم يخافوا الا من الله ولم يرجوا  
سواه فمن له نور بالتصديق بما عند الله آثره على كل شيء ولا سيما اذا  
سمع قوله تعالى « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى » والاحوال  
السابقة معلومة وقد علمتم فوات ما رغب فيه من متاع الدنيا من قبلكم فاذا  
صددتم وعلمتم انى داع الى الله لمصالحكم التى لا يعود عليكم سواها وكل  
ما آثرتموه من متاع الدنيا فانما يعود بالحسرة الطويلة عند الفوات كما حصل

لمن سبق فأفبقوا فانكم عتلاء وأهل قريحة فلا تضيعوا فيما قال الله فيه  
 « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » فإذا بلغكم جوابي  
 هذا وكنتم مصدقين كما حسنا فيكم الظن بحسب مجاوبتكم وما أسررتهموه  
 من بعض الاحسان على الامل بحسب حسن الظن وكل ذلك لا يخلص  
 الانسان بل يخلصه صفاء وحسن تصديقه لما عند الله الذي يوجب له ايثار ما عند  
 الله فان الذين كانوا جامدين على مام فيه من الجاه والمال احتجبوا عن الاتباع  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانوا ينتظرونه ويستفتحون به فلما جاءهم  
 ما عرفوا كفروا به خوفاً من فوات المال والجاه وخوف الخلق والطمع في  
 المال فاخلصوا لله كما كتبتم الاتباع فانه لا يخلص عند الله الا الاتباع الخالي  
 من النفاق الذي هو ايثار الآخرة على الدنيا واذا آثرتم الآخرة وعلمتم مالكية  
 الله وانه لا اله الا الله وان الذي أخبرنا بخسة الدنيا ونفاسة الآخرة بمقاله وحاله  
 محمد رسول الله صادق أمين فاخرجوا عن ملكية الترك واستعملوا شرع الله  
 ولو متم في ذلك فان الدار الآخرة والحياة حياتها ولا متاع خال عن طول  
 الندم الا متاع الآخرة ولا والي في الدارين ولا حبيب غير مفارق الا الله  
 فأنبيوا للآخرة وثقوا بالله واصبروا على بلاء الله الذي فيه لكم التصفية  
 وتكثير الدرجات الدائمة ولا تقفوا مع الزائلات فيفوتكم بها خير الدوام  
 ومع هذا فشمروا على احياء شرع الله في أنفسكم ومن معكم ولا تتبعوا الا  
 طريق الرسول صلى الله عليه وسلم الي أن يأتيكم منا أمر أو نأتي بالبحر الايض  
 فتلحقوا بنا فيه واكتفوا بالله وأنبيوا اليه ولا تلتفتوا بعد هذا الى غير الله قال  
 الله تعالى « وأنبيوا الى ربكم وأسلوا له من قبل أن يأتيكم المذاب ثم لا تنصرون  
 واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم المذاب بغتة وأنتم

لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانا لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين الآية وأيضا من المعلوم أن المنيب لما عند الله الذي عرف قدرة الله تخاف منه يمثل أمر من ولاء الله للدلالة اليه والدعاية الى ما عنده فإن لم يمثل ويدخل في التسليم في جميع الامور حارب الله ورسوله فاذا وصلكم جوابي وكنتم مؤمنين مطيعين لله فكفوا عن البطاحين وإن كان لكم عليهم تبعات فاصبروا حتى يحكم الله بينكم على يدنا فيوصل لكل ذي حق حقه والسلام ربيع الاول سنة ١٣٠١

### غردون وابن البصير

ذكرنا ما كان من أمر ابن البصير ودعوته للمهدي في الخلاوين وسائر بلاد الجزيرة وأنه كان في قلة وقد سعت الحكومة في القبض عليه فلم تفلح

ولما وصل غردون الى الخرطوم كتب الى ابن البصير كتابا يخبره فيه باعترافه بسلطة المهدي على السودان الغربي وإن بلاد الجزيرة خارجة عن دائرة نفوذه وأن قيامه بدعوة المهدي في تلك البلاد يخالف لهذه المعاهدة وأنه إذا كان لا بد من بقاءه تحت سيادة المهدي فليغادر الجزيرة ويلحق به أو ليكن خاضعا لأمر غردون ودفع الكتاب الى رسول أصله من الذين وقعوا في أسر الحكومة من العصاة

ولما وصل الكتاب الى ابن البصير جمع أهل مشورته وتلا عليهم الكتاب فقالوا بلسان واحد أنه ضرب من الشعوذة ونوع من الاسعار وإننا نحن

انصار الدين وقد عصمنا الله من أن يؤثر فينا هذا السحر فكتب ابن البصير  
الى غردون كتاباً تنحاشي عن ايراده لما تضمنه من الشتم وبذاءة القول في حق  
غردون وجلالة الملكة فيكتوريا والتهديد حيث قال له اننى قادم عليك ومتحفز  
لنأجزئك ايها الكافر ولما اطعم غردون على الكتاب مزقه لشده تأثره مما  
تضمنه من الاهاجى السافلة وجاء كتاب ابن البصير ضغثاً على ابالة حيث لم  
يبق عند غردون ذرة من الامل وامر بترميم الحصون وإصلاح ما تلف  
منها واخذ في إعداد معدات الدفاع والتأهب للطوارئ

### ذكر خطاب المهدي لغردون

ذكرنا ما كتبه غردون للمهدي وما اهداه له من الملابس  
ونقول الآن لما وصلت الهدية والكتاب للمهدي كتب الى غردون كتاباً ضمنه  
الاحتجاج عليه بعدم جواز ولايته على المسلمين ودعاه فيه الى الاسلام وعرض  
له بذكر خضوع دارفور له وانتشار نفوذه في جميع انحاء السودان الغربي  
وبعث له بصور الانذارات التي خاطب بها يوسف باشا الشلالى ومحمد سعيد  
باشا حاكم كوردفان والجنرال هيكس وقد تقدم لنا ايراد انذار يوسف باشا  
الشلالى فلا حاجة الى اعادته هنا

وعرض له بذكر سلاطين باشا وغيره من الذين دانوا بطاعته وذكر  
تاجرا يونانيا اسمه ديمتري سجاهه اعتنق الاسلام وحسن اسلامه  
وأرفق الكتاب بأخر شكر فيه غردون على الهدية التي اهداها له  
واعتذر عن قبولها بعدم حاجته الى مثلها لان ملابسه مما يليه الزهاد الذين  
يعرضون كل الاعراض عن متاع الدنيا وذكر انه مرسل بهدية الى غردون

من نوع ملبسه يسأله قبولها والتعلي بها اذا وفقه الله لاعتناق الاسلام  
وكتب على ظهر الغلاف بخط يده ان محمد سعيد المسلماني الذي كان اسمه  
جورجو اسلامبوليه اخبرني بأن السيد أفندي نعيم الاجزاي يعرف لغة  
اوربية فاسألك ان تقف على ماحواه الكتابان وليترجمهما هو لك والسيد أفندي  
نعيم هذا كان سيدلي الحكومة بالخرطوم وأصله مصري ومحمد سعيد أو جورجو  
تاجر سوري وقال المهدي في كتابه الى غردون ان محمد سعيد باشا مدير كردفان  
بعد ان مات جاء خبر بانه صار من السعداء بسبب انه بايعه وجلس معه وهما في  
صورة ما جاء في الكتابين وصورة انذار وصل الى هيكس قبل مقتله بايام

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم  
وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى عزيز بريطانيا  
والخديوية غردون باشا قد وصانا جوابك وفهمنا ما فيه وانك تزعم ارادة  
اصلاح المسلمين وفتح الطرق لزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام واتصال  
المودة فيما بيننا وبينكم وحل المسيحية من النصارى والمسلمانيين وان تجعلني  
سلطانا على كوردفان فاقول والامر لله اني قد دعوت العباد الى صلاحهم  
وما يقربهم من ربهم وان يفرغوا من الدنيا القانية الى دار البقاء ويعملوا ما  
يصلحهم في آخرتهم وقد كتبت الى حكمدار الخرطوم وأنا « بابا » بدعايته الى  
الحق وبان مهدي من الله ورسوله ولست في ذلك بمتحيل ولا صريد ملكا  
ولا جاها ولا مالا وانما أنا عبد أحب المسكنة والمساكين واكره الفخر  
وتعزيز السلاطين ونبؤهم عن الحق المبين لما جيلوا عليه من حب الجاه والمال  
والبنين وهذا هو الذي صدهم عن صلاحهم وأخذ نصيبهم من ربهم فاخذوا

الفاني وتركوا الباقي واشتغلوا بما لا يكون من الفانيات ولم يسموا قول الله  
 ولا رسوله ولم يذكروا خبر القرون الذين لم يغب عنهم ذلك شيئا وندموا  
 على قدر الذي تمتعوا به فايدنى الله تعالى بالمهدية الكبرى لدلائلهم الى الله  
 تعالى وليتركوا المزايا والنعم الفاني الى العز الدائم الابدي في دار النعيم  
 المقيم ولا عرفهم ضرور من يريد لمعالجة ويظن انه ساع في رضى الله ويكون  
 له نصيب في الآخرة وقد قال المسيح عليه السلام يا معشر الحواريين ابنوا  
 على موج البحر دارا تلصقكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا ومن ظن انه يخوض البحر  
 من غير بلل فهو مضروب فكذلك من ظن انه يجمع الدنيا ويريد عزها  
 وجاهاها ويكون له في الآخرة شأن. فأنب الى الله الباقي واخضع لجلاله واطلب  
 عز الآخرة ولا تظن ان هذه الدنيا دار حتى تسمى لملكها وعزها وكيف  
 من يكون على خلاف طريق النبي صلى الله عليه وسلم يفتح باب زيارة قبره ولم يكن  
 النبي صلى الله عليه وسلم ممن يرغب زيارة الكلاب كما ورد ان الدنيا جيفة  
 وطلابها كلاب ولم يكن يرغب من عبد غير الله ونسي الله واعرض عن كلامه  
 وطلب متاع الحياة الفانية فان كنت شفيقا على المسلمين فبالاولى اشفق على  
 نفسك وخلصها من سخط خالقها وقومها على اتباع الدين الحق باتباع سيدنا  
 محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أحيا ما اندرس من ملل الانبياء  
 والمرسلين وأتى مصدقا لما بين يديه من الكتب فجميع الانبياء عليهم السلام  
 لو حضروه لما سلكوا غير ملته وكلهم يتمنون ان يكونوا من أمته ومن حضر  
 بعثته ومن بعدهم لا يقبل منه دين غير دينه فطهر نفسك أولا بالدخول في ملته  
 ثم أشفق على أمته بسلوك سنته فعند هذا تكون الشفيق ومن غير هذا فألك  
 من الحقين رفيق كيف وقد قال الله تعالى ديا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود

والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين» الى ان قال «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون» وانما قد امتثلنا أمر الله فما نتخذ ولينا الا الله ورسوله والمؤمنين وعلى ذلك قد وعد الله بالغلبة كما سمعته من قول الله هذا حيث ان الله يقول هم الغالبون فلا غلبة لغيرهم فان رجعت عما أنت عليه من ملة غير الاسلام وأثبت الى الله ورسوله واخترت الآخرة تتخذك ولينا وتكون من اخواننا وتكون المودة المطلوبة عند الله ورسوله وتكون ممن امثل أمر الله بعد هذه الآيات فاستحق الوعد والبشارة في قوله تعالى «ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» الآية فبعد هذا تتصل المحبة والمودة فيما بيننا وبينك وتكون ممن عمل بالقرآن والتوراة والانجيل وتكون قد اتبعت بأتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عيسى وجميع الرسل والنبين وحزت الخير الابدي والا حيث علمت ان حزب الله الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون من كلام الله فاعلم ان حزب الله واصل اليك ومزيل لك عما شاركت به خالقك فادعيت ملك عباده وأرضه مع ان الارض لله يورثها عباده الصالحين وأما المسلمانيون والمسيحيون الذين دعوت الى اطلاقهم اليك فانا أريد لهم الصلاح والنفع عند الله وفي دار الابد كما أريده لك ولكافة عباد الله فلا أبعدهم من جنهم الى عنيتهم فان الله قد أيدني رحمة للعباد لا تقذفهم من الهلاك الذي هم واقعون فيه لولا رحمة الله بظهورى فيهم واعلم انى

المهدي المنتظر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا حاجة لي بالسلطنة  
 ولا بملك كدخان ولا غيرها ولا في مال الدنيا ولا زخرفها وانما أنا عبد الله  
 دال على الله والي ما عنده فمن كان سيديا آجاني واتبعتني ومن كان شقيا أعرض  
 عن دلالتني فإزاه الله عن موضعه وأذله وعذبه عذاب الابد وقد أيدني الله  
 تعالى بالانبياء والمرسلين والملائكة والمقربين وجميع الاولياء والصالحين لحياء  
 دينه وقد بشرني النبي صلى الله عليه وسلم ان جميع من يلقتني بمداوة يخذله الله  
 ويهزمه ولو كان الثقلين الانس والجن فلا تقتر قهلك كما هلك اخوانك  
 فافهم وسلم تسلم. وأما الهدية التي أرسلتها لنا فلي حسب نية الخبير جزاك الله  
 الخير وهداك الى الصواب واعلم انه كما كتبنا لك أنا لا نرغب متاع الحياة  
 الدنيا وزينتها وانما هي قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند الله نصيب فها هي  
 مرسولة اليك مع ما نرغبه من اللبس لنفسنا ولاصحابنا الذين يريدون الآخرة  
 ويرغبون فيما عند الله من الخير الباقي الابدى ليستحقوا بذلك نعيم الابد  
 وملك الدوام كما درج على ذلك الانبياء والمرسلون وجميع السعداء من عباد  
 الله الصالحين وتعلم ذلك أنت حقيقة من سيرة عيسى عليه السلام وحواريه  
 وقد قال كبيت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي فتعلم بذلك ان من خالفه من  
 الاحبار والرهبان وجميع من يدعي اتباعه ليسوا محقين وانما غرهم الحياة  
 الفانية والامتنعة الآيلة الى ان تكون جيفة وعذرة ثم عدما محضا فتكون  
 حسرة وندما عند فراقها لما فوته من اكتساب خيرات الدوام ثم ان مثل  
 هديتك عندنا كثير ولكن أعرضنا عنه طلبا لما عند الله وأقول في ذلك كما  
 قال سليمان عليه السلام لبقيس وقومها اتمدون بمال فما آتاني الله خير مما آتيكم  
 بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم

منها اذلة وهم صاغرون، واعلم انك اذا اتيتنا مسلماً نريك ونريك من النور ما يطمئن به قلبك ويحول به طمعك في الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك ان رأينا فيك خيراً وصلاً للمسلمين وليناك كما فعلنا ذلك بحمد خالد المشهور بزرقل مدير (دارا) سابقاً فإنه لما اتانا ورأى الحق وفرح بقلنا غاية وندم على ما فات مما ضيعه من عمره في القاني واطمان قلبه بالله واختار الآخرة ووثق بالله وليناه على دارفور وقد كتب لنا قبل ذلك عبد القادر سلاطين بالتسليم فاكرمناه والى الآن نريد كمال تربيته وهو الآن في خير كثير وكذلك السيد جمعه الذي كان مدير الفاشر الآن أرسلنا الى محمد خالد المذكور يأتي به الينا لكمال التربية والارشاد وبلغنا حسن اسلام الدمري سجاهه وصدق اتباعه لنا واتابته الآخرة وكذلك جميع أمراء النقط بدارفور قد اذعنوا لله كباقي سلاطين دارفور وسلموا جميعاً أمرهم الينا في حب الله ورسوله فحسن تسليمهم واتباعهم لنا وكذلك الملك آدم ملك جبال تقلى الآن أتى مهاجراً لما رأى الحق وحسن اتباعه وصدقه وقد اكرمناه وهو الآن معنا بخير كثير وهلم جرا فكل سعيد لا بد ان يتصل بنا من جميع أقطار الارض ومن أبي لا بد ان يخذله الله ويمدبه في الآخرة كما أشار الى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم مراراً وليكن معلوماً عندك يا حضرة الباشا ان جميع الذين قتلوا على يدي قد انذرتهم أولاً انذاراً بليغاً وهاهو واصل اليك انذار ولد الشلال بعد مخاطبته لى وانذار هكس باجوبة عديدة للعامة وجواب مخصوص له ولا كابر جيشه وقد أرسلنا الى باشة الابيض بجواب فقتل رسلنا وبعد ان وقع في يدنا اكرمناه واعطيناه جبة جميلة ليتدرج الى الصدق مع الله ولا زلنا نكرمه ونعظمه ليقتردي بنا ويصدق مع الله فيكون من الاصحاب الذين هم كالنفس فلم يصدق ولا زال

يقع فيما يهلكه ونحن نصفع عنه حتى أخذته نيته فمات ومع ذلك لاجل مبايعته  
ومجالسته معي أياما قد اتانا خبر بعد موته أنه عفى عنه في الآخرة فصار من السعداء  
والعبد اذا كان يسعد في الآخرة فهو المقصود ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها  
بل انما متاعها يكثر الحسرة والحس فقط يوم القيامة ونيتي بالعباد سعادتهم في  
آخرتهم الابدية وازالة الهلاك عنهم من الله ولذلك لاطقت جميع الاكابر وأهل  
الدولة بالقول والفعل ليمرفوا ما عند الله فيرغبوا فيه ويتركوا الخسيس القاني  
وهكذا جميع من وقع في قبضتنا من الاكابر من اهل الدولة والحكام ما عملنا  
معه الا الخير والا كرام فمن صدق منهم معنا فهم الآن في خير كثير وازدياد  
شرف والسلام - جماد أول سنة ١٣٠١

وبعد هذا البيان فان اهتديت وسلمت لي واتبعني حزت شرف الدنيا  
والآخرة وفزت باجرک وبأجر جميع من اتبعك والا هلكت فكان عليك  
اثمك ومثل آثام جميع من اتبعك وان كان لك حسن نور في العقل تعلم اني خليفة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تهمني فيما أسوق به الى الله والدار الآخرة  
ولا تسمع على قول الظالمين الحساد الذين يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم  
ويأبى الا أن يتم نوره وقد قال صلى الله عليه وسلم من شك في نصرة المهدي  
فليقرأ قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على  
الدين كله ولو كره المشركون وقوله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله  
ولزيادة الشفقة عليكم لزممت التحشية بهذا والهادي هو الله وكثرة البيان  
لاتهدي هدايا الله والعباد الى الصواب آمين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم \* والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

(وبعد) فن عبد ربه الفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا  
 باطلاعك على مآدؤن بالجواب اليك تعلم باطنه وبه كسوة الزهاد أهل  
 السعادة الكبرى الذين لا يبالون بما فات من المشتهيات طلبا لعالى الدرجات  
 وهى جبة ورداء وسراويل وعمامة وطاقيّة وحزام وسبعة فان أنبت الى الله  
 وطلبت ما عنده فلا يصعب عليك أن تلبس ذلك وتتوجه لدائم حظك وهامو  
 الرسول الذي أتى منك واصل اليك مع رسل من عندنا كما طلبت والسلام  
 «صورة ما كتبه المهدي على ظهر المظروف الذي أرسل الى غردون»  
 سألتك بحق الله ونبه عيسى عليه السلام أن تقف على أجوبتنا هذه بالحرف  
 وقد أبلغني محمد سعيد المسلماني الذي يسمي جورجو اسلامبوليه أن رجلا يسمي  
 السيد افندي نعيم الاجزائي له معرفة بلفتكم وبالخط العربي وما دام أنه  
 يعرف الخطين والفتين نرغب منكم الوقوف على مافي هذا الظرف جميعه  
 حرفياً على يد المذكور أو من هو مثله وقد سألتك السؤال المذكور لما ذكرته  
 والسلام اهـ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم (وبعد)  
 فن الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع من أهل  
 الجردة ممن له عقل فانه لا يخفى على ذي عقل ان الامر بسيد الله ولا يشركه  
 في ذلك بنادق ولا مدافع ولا سواريح ولا عصمة لاحد الا من عصمه الله  
 تعالى فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تغتروا باسلحتكم ولا بجموعكم  
 التى تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله فانه لا قوة لشيء دون الله وان قلم  
 إن مهديتنا مكذوبة فاعلموا ان التكذيب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف

المخلوق ويستعجز قدرة الله فاذا فهمت ذلك فلا تفرنكم أقوال علمائكم فان  
الترك الذين قتلهم شكوا للحق عز وجل وقالوا يا الهنا ومولانا إن المهدي قتلنا  
من غير انذار فاقول يا رب انذرتهم فلم يسموا وحضر على ذلك شاهدا سيد الوجود  
صلى الله عليه وسلم وقال لهم الامام المهدي انذركم فلم تسمعوا له وسمعت قول  
علمائكم فذنبكم عليكم فاقبل بعضهم على بعض يتسلاومون فقال الذين  
استضعفوا للذين استكبروا لولا اتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين  
استضعفوا اتحن صدورناكم عن المهدي بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين فان كان لكم  
نور تؤمنوا بالله ورسوله والدار الآخرة وتصدقوا بمهديتنا وتخرجوا اليها  
مسلمين ومن أسلم يسلم وان ايتم الا الجحود والاعتزاز بالمداغ والبارود فاتم  
مقتولون كما أخبر سيد الوجود وأسوانكم ماسبقكم من الجنود والسلام - ١٩ ذي  
الحجة سنة ١٣٠٠

وقدم على غردون رسولان مع رسوله يحملان الكتب والهدية التي  
هي جبة مرقعة وسراويل وعمامة كلها من نوع خرقة اسمها (الدمور) تصنع  
في السودان وهي أردأ من النوع الذي يعمل في مصر أسرع للسفن الشراعية  
ولما وصل الرسولان الى الخرطوم شهرا سيفيهما فأمرهما ضابط باب  
الحصن باغمادهما فلم يطيعاه فأمر غردون بالمحافظة عليهما حتى يصل السراي  
وهاج أهل الخرطوم عليهم وهم الصبيان والرعاة برجمها بالحجارة فتمنوا ولما  
دخل على غردون قال له (السلام على من اتبع الهدى) وسلماء الكتب  
والهدية ولما نظر الهدية غضب ورفضها برجله وقال (غوديم) ثم اطلع على  
الكتب وابقى الرسولين بطرف حاجب السراي ريثما حرر للمهدي كتابا قال  
فيه اني أدعوك الى السلم وانت تدعوني الى الحرب وادعوك الى حقن الدماء

وأنت لا تميل الا الى سفكها فاقول لك الآن لا بد من قهرك وكبح  
جراح طفيتك ومهما يكن عندك من الاتباع فلا بد ان ترضخ صاغراً أو  
تهلك حيال قوتي الحكومة الخديوية والدولة الانكليزية وعاد الرسولان الي  
المهدي واشتغل غردون بمخبرة مصر ولوندره بالتلغرافات التي تذكرها فيما يأتي

### مأمورية غردون الحقيقية

عقدت هذا الباب يانا شافيا لما سردته قبل من مأمورية غردون التي  
كانت ترمي اليها حكومة انكلترا وقد حسر اللثام عنها غردون نفسه فيما كتب  
من مذكراته المشهورة بتاريخ ٢٢ يناير وهي بنصها

أرى ان حكومة جلالة الملكة قد عقدت النية على ان لا تأخذ على عهدها  
المهمة الكثيرة الصعوبة التي غايتها وضع حكومة منتظمة لأمم السودان وانها بدلا  
من ذلك قد صممت ان ترد الي هذه الامم حريتها وان لا تسمح للحكومة  
المصرية بالتدخل في شؤون تلك الامم اه

وعليه فان مأمورية غردون منحصرة في هاته السطور بمعنى ان  
حكومة جلالة الملكة كان غرضها ان يمد غردون السبيل لوقوع تلك البلاد  
في مغالب الفوضى وبعبارة أخرى ان يقضي على نفوذ مصر في تلك الارزاء  
هذه كانت مقاصد انكلترا أما الخديوى توفيق باشا فان مقاصده الحقيقية  
اعادة الامن والسلام الى هاتيك الاقطار ثم اجبر على تحويل مقاصده بجعلها  
قاصرة على انقاذ المخلصين من رعاياه من الخطر المحدق بهم واخلاء السودان  
اخلاء تاماً عن كل المصريين والذين استوطنوه من العناصر المتعدنة واقامة  
حكومة وطنية بها

ويظهر جلياً ان الحديوي كان مرتاباً في نجاح مأمورية غردون بالطريقة  
السلمية التي كان متمسكاً بأذيالها ولذلك صرح للبارون دي مالورتي بالتصريحات  
الآتية وقد نشرها البارون في الصحف الانكليزية الكبيرة وهي كما يأتي  
لم يكن في استطاعتي ان أبدي دليلاً على حسن مقاصدي باحسن من  
تعيين غردون باشا حكامداراً عاماً للسودان ومنعه كل السلطة في عمل ما يراه  
ضرورياً لاصابة الغرض الذي ترمى اليه حكومتي وحكومة جلالة الملكة .  
حتي اني قلدته نفس السلطة المخولة لي وتركت له الحكم على الحالة الراهنة ولا  
ريب في ان ما يستطيع اتيانه من الاعمال احسن ما يكون . وقد قبلت سلفاً  
ما يمكن ان يقترحه من الوسائل الى ذلك اذ ما يراه حسناً من التصرفات يكون  
الزامياً بالنسبة اليها ثم اني بعد ان جعلت عظيم ثقتي بهذه الكيفية في هذا  
الباشا لم اشترط عليه الا شرطاً واحداً وهو ان يبذل عنايته فيما فيه طائفة  
العناصر المتعددة من اوروبيين ومصريين وها قد أصبح الآن الرئيس  
المفوض يرافقه حسن آمالي في هذه المأمورية التي هي من الخطارة والاهمية  
بمكان فان قلبي يذوب عند ما أفكر في الالوف المألفة من رعاياي المخلصين  
الذين تكفي غلطة منه لهلاكهم . واني لا أشك في انه سيبذل كل ما في وسعه  
لحقن دماء اكثرهم على الاقل . فان نجح بعون الله في اخلاء الخرطوم وأهم  
مواني السودان الشرقي فله الشكر مدي الدهر على ريعتي التي ترتد فرائصها  
من توقع ما يخشى حصوله بعد حين . أما قولي لك انه ينجح في مأموريته فهو  
من قبيل المجازفة مني في الكلام كثيراً فان امامه قوات اكثر منه عدداً  
وأهولاً غير اننا نرجو الخير وأما هو فيمكنه ان يعتمد على أصدق مساعدة  
وأسرع معونه مني انا وحكومتي بقدر ما تصل اليه يد الامكان اه

ويظهر من هذا التصريح ما قلناه من ان الحديوأجير على قبول مأمورية غردون على علاقتها ولما رآها ترمي الى غرض إيقاع السودان في مهاوى القوضى اقتنع بأمنية واحدة هي انقاذ رعاياه المخلصين من الشرور التي كان متوقفاً حصولها من نتيجة مأمورية غردون الذي أرسل ليموت حتى يموت به غرض دولته

على ان غردون لم يكن جاهلاً بكنه تلك النية ولهذا كان يرسل التلغرافات تتري ويدون المذكرات لا ليقتنع قومه بالممدول عن ذلك العزم بل ليجمل التاريخ حكماً بينه وبين قومه لا اعتقاده ان تلغرافاته ومذكراته لا بد ان تنشر على الجمهور ويطلع عليها العالم أجمع وهم لا بد ان يحكموا له لا عليه وقد تحققت أمنيته حيث نشرت الحكومة البريطانية تلك المذكرات والتلغرافات في كتبها الزرقاء وكان لها من الاهمية فوق ما كان يتناه صاحبها وقد دارت مباحث كثيرة بشأنها في اندية انكرا وبرلمانها ومجلس لورداتها وأهم هاته التصريحات ما فاه به مستر غلادستون في مجلس العموم حيث قال «ان حكومة جلالة الملكة تأخذ على عاتقها مسؤولية المأمورية التي القيت مقاليدها الى غردون أدياً وسياسياً وانها ستعمل كل ما في رسمها للوصول الى نتيجة مرضية اهـ

ثم فاه غلادستون أيضاً بتصريح اوضح من هذا حيث قال «ان مهمة غردون هي اخلاء السودان واتقاذ موظفي الحكومة ثم قال ان ثقتنا به عظيمة ولنا مبالغين في شيء من روايتنا واننا عقدنا النية على ان لا نغاجاه بعمل دون استشارته وأخذ آرائه»

وغير هذا وذلك كثير من التصريحات التي لا مشاحة في انها كانت من

معيات السياسة حيث يري من ظاهرها ان غردون لو أشار باصبعه للملات  
انكلترا البر والبحر رجالا وسفنا وانقذته من كل خطر يهدده وقد اكدت  
الحوادث خلاف هذه الاقاويل فان الانكليز صموا آذانهم دون نجاته حتي  
قضي عليه ولم يمدوا له يد المساعدة وذلك أدل دليل على ان ما عقدوا نيتهم  
عليه لم يكن غير ما أصاب غردون وماتم من إعطاء أمم السودان حريتهم ومنع  
الحكومة الحديوية منعا باتا من التداخل في شؤونهم وسنورد بعد هذا  
كثيراً من مذكرات غردون وتلغرافاته وهي تؤيد ما قلناه وثبت كل ما أوردناه  
والله الهادي الى سواء السبيل

### ذكر تلغرافات غوردون

لما يثس غردون من نجاح مأموريته السلمية وانقطع جبل رجائه بما  
ورد عليه من كتب المهدي وداعيته محمد بن البصير اجتاز النيل الازرق الى  
الشرق عند قصر راسخ بك وأرسل احدى عشرة رسالة برقية الى السير  
بارنج يخبره فيها بما وصلت اليه حالته وان العدو على وشك الزحف عليه  
للاحاطة بالمدينة وان الاسلاك البرقية ستقطع قبل أن يتمكن من مخبرته مرة  
أخرى وأرسل برسائل أخرى الى الحديو المرحوم توفيق والى نوبار باشا رئيس  
الوزارة المصرية وقشد فوردت عليه من السير بارنج رسالة جاء فيها انه لم يفهم  
ما تضمنته الاحدى عشرة رسالة وان الاولى به أن يخبره بقصده بعد طول  
التفكير مع ان ما جاء في الاحدى عشرة رسالة يتضمن شيئاً واحداً هو بالايجاز  
وجوب ارسال النجدة لاسمائه وحفظ خط الرجوع من دقله الى بربر  
ولعل جناب السير افان بارنج كان يقصد من قوله لم أفهم انك لا تجهل

ان مقاصد حكومة جلالة الملكة غير ماتطلبه ولم أفهم منك هذه العظايات  
حيث انك لا تجهل انها لا تحول عما عقدت بينها على انفاذه وفي تفرافات  
غردون ان الاسلاك البرقية على وشك الانقطاع وانه من المتعذر  
بعد هذه الفرصة وصول اخباره الى القاهرة فكانت اشارة السير بارنج  
بمخبرته بعد التفكير امرا في غاية الصراحة بعدم لزوم المخبرة حتى يقضي الله  
امرا كان مفعولا

وأرسل غردون تفرافا في أول مارس سنة ١٨٨٤ الى السير بارنج جاء  
فيه ما يأتي

لم أزل أعتقد كمال الاعتقاد ان اخلاء السودان ممكن لكن أقول لك  
انه من المستحيل اجلاء المستخدمين المصريين عن الخرطوم اذا لم تساعدني  
الحكومة في الطريق الذي أوضحته لها اه

فأجابه السير بارنج بتاريخ ٢ مارس بالرسالة الآتية

قد وصلتني الاحدى عشرة رسالة التفرافية المرسلة الى في الاربعة أيام  
الاخيرة بخصوص مسائل السياسة العامة واني شديد الرغبة في مساعدتك  
بكل طريقة لكنني لم أتمكن من معرفة ما رغبه للآن وأرى ان أحسن طريقة  
هى ان تلخص المسألة جيدا وتخبرني تفرافيا بما تستصوبه اه  
فأجابه غردون بالرسالة الآتية

يجب على الحكومة مساعدتي وان اجابة مطالبي ضربة لازب  
هذه خلاصة ما بادل بين غردون والسير بارنج من التفرافات وقد  
كان هذا يعرضها كلها على الحكومة الانكليزية ويشبهها بمبارات تفرقها. منها  
تفراف السير بارنج الى اللورد فرانفيل بتاريخ ٤ مارس حيث قال ما يأتي

ان الجنرال غردون والسير ستوارت يلحان بوجوب فتح الطريق بين  
سواكن وبربر لنجاح مأموريتهما الحاضرة  
أما أنا فلا يمكنني تعضيد ما جاء بتلغراف ستوارت من ارسال فرقة  
من الحيلة الانكليزية أو الهندية الى سواكن  
وأرسل السير بارنج الى اللورد غرانفيل الرسالة الآتية أيضاً  
أتشرف بأن أخبر سعادتكم ان الجنرال غردون كتب الى تلغرافياً  
بأننا لو أرسلنا مائة جندي الى أصوان ووادي حلقا يأمن من كل خطر  
ويكون في حالة اطمئنان كالسواح المسافرين في النيل وينتج منها تحويل صغير  
أما أنا فلا أريد مطلقاً أن أخطر بحياة فرقة صغيرة مؤلفة من مائة جندي  
فقط اهـ

وقد كان غردون لسوء حظه يبيت بتلغرافاته الى السير بارنج وقد رأيت  
كيف انه كان ينصب نفسه لما كسبه والنصح للحكومة البريطانية بعدم  
الالتفات الى شيء من مطالبه حيال تلك التصريحات التي تقدم لنا ايرادها عن  
الجناب الحديوي و-اسة الانكليز الذين تعهدوا بمساعدته ومعاونته في سبيل نجاح  
مأموريته حتي أن نجاته كانت متوقفة على ارسال مائة جندي الى أصوان  
وحلقا فلم ير السير بارنج لزوماً للمخاطرة بهذه الكوكبة الصغيرة فهل بعد  
ذلك كله من حاجة الى برهان بان غردون أرسل ليموت ويترك السودان  
الى القوي. ويرى القاري فيما أوردناه من تلغرافات السير بارنج الى غردون  
بتاريخ ٢ مارس عبارته التي يقول فيها انني شديد الرغبة في مساعدتك بكل  
طريقة ثم ما أوردناه بعدها من تلغرافاته الي دوائر انكلترا وعرفلته لكل  
مشروع من شأنه ان يساعد غردون على النجاح حتي انه نصح الحكومة

الانكليزية بمسند ارسال مائة فارس الى أصوان ووادي حلفا لان أرسالهم  
يكون سببا في إبعاد الخطر عن غردون ببعض الأبعاد

على أن ارسال المائة فارس الى حلفا كان يقصد به غردون ان أخبارهم  
تصل الى المهدي بنلو كثير حيث يظن ان جنودا قادمون لامداد غردون  
فلا يجسر على التقدم عليه ومناجزته

ولو عملت الحكومة الانكليزية براى غردون وأرسلت المائة فارس لكانت  
النتيجة حسنة ولم تسقط بربر في أيدي المهديين حيث بسقوطها أهدق الخطر  
بغردون وانقطع أملهم من وصول نجد عن طريق حلفا أو سواكن لان بربر نقطة  
التقاء الطريقين

وكان قصد غوردون بكل مخبراته مع السير بارنج أن يكون التاريخ  
حكما بينه وبين انكلا ترا كما قدمنا ولذا بحث بتلغرافات قبل وصوله الى الخرطوم  
فخواها ان الاضطرابات اقل مما كان يظن وانه يرى ان لامندوحة له من  
تمحيص حكومة جلالة الملكة النصيح بتسكين الاضطراب في السودان  
الشرقي وتقوية خطوط الاتصال بين بربر وشواطي البحر الاحمر من جهة  
وبين حدود مصر من جهة أخرى وحاول اقناع السير بارنج بان السودان  
مفتقر كل الافتقار الى اشراف الحكومة الحديوية عليه بحقوق السيادة  
وسأله ابدال فرمان الذي كان يحمله بآخر يحتم على السودان وجوب الخضوع  
الى مصر فذهبت مساعيه كلها ادراج الرياح وأصر السير بانج على انفاذ الخطة  
التي توخاها أولا ولم يلتفت الى شيء من نصائح غردون الذي كان يرى ان  
وقوع السودان كله في قبضته سيكون خطرا على مصر وان احتلال انكلا ترا لوادي  
النيل يحتم عليها العمل عاجلا لابعاد كل الاخطار عن البلاد التي احتلهاها

ليوطدوا دعائم الامن والراحة في ارجائها

وجاء ضمن نصائحه ان حكومة جلالة الملكة ستتضرر يوماً لمناجزة المهدي وكبح جماح طغيانه وسوف تكبد من الضحايا ما يبلغ عشرة أضعاف ما تكبده الآن لو عملت بمشورته وقبلت نصيحته فلم يلتفت السير بارنج الى شيء من ذلك كله بل أصر على انفاذ مرسومه ساسة قومه غير مكترث بشيء من الضحايا التي يتكبتها سكان السودان عموماً وسكان الخرطوم خصوصاً والحاصل ان التلغرافات غردون لم تعد بفائدة ولو صغيرة واصبح لامناص له من الوقوف امام الصعوبات التي كان يراها تدنونه حتى وقع القضاء وتقلب المهدي على السودان والامر لمن له الامر

ولما كانت الصور الرسمية التي بأيدينا قد لعبت بها أيدي الضياع ايام وقوعنا في أسر المهديين اضطررنا لنقل هذه التلغرافات من كتاب مصر في عهد الاحتلال الانكليزي لمؤلفه هنس رزيرالاماني مترجماً وكلها طبق الحقيقة

### اول حصار الخرطوم

ذكرنا ما كان من أمر الشيخ العبيد وما ورد عليه من كتب المهدي وقطعه الاسلاك التلغرافية ثم سماحه باعادة اصلاحها وفي غضون اشتغال غردون بمخاطبة السر بارنج ارسل اليه الشيخ العبيد كتاباً يدعو فيه الى التسليم في هذا اليوم وانه امر بقطع اسلاك التلغراف في الغد فكتب اليه غردون يلاطفه ويسأله ان لا يكون مع المهدي لمكانته من الصلاح والشهرة فرد عليه اسوأ رد وفي يوم ١٦ مارس زحف ابراهيم والعباس ابنا الشيخ العبيد ومعهما سبعون الف مقاتل على الضفة الشرقية

من الخرطوم وقطعوا الاسلاك قبل الظهر وتقدموا الى ضفة النيل واطلقوا  
النيران على المدينة وكان جل مقدوفاتهم يسقط على سراي غردون لان موقفهم  
كان تجاهها

واجتمع في سراي غردون من سكان المدينة نحو النسيمة يظهرون  
شديد اسفهم وكان هو واقفا كواحد منهم الا انه كان مصوبا نظارته المظلمة  
الى مكان اجتماع العصاة وكان اكثر الناس مثله وسمع البكاء والولولة من دور  
المدينة كلها لان السكان كلهم مدركون خطارة الحالة وشاعرون بما يحدق بهم  
من الاهوال والمصائب وغردون كان في الباطن مثلهم لا يقل عنهم الا انه كان  
يظهر عدم الاكتراث ويبدى من الضعف قوة ومن اليأس رجاء حتى كان ظهوره  
بهذه الصفات مما ساعد كثيرا على بث روح الشجاعة في قلوب السكان

## واقعة الحلفاية واصابة المؤلف برصاصة

والاحسان عليه برتبة اللواء

في اليوم الذي ظهر فيه العصاة وقطعوا الاسلاك البرقية عهد الى غردون  
ترتيب الحامية في الضفة الشرقية حول قصر راسخ بك وتفقد الخندق المحيط  
بذلك القصر فاجتزت النهر وعدت بعد ان رتب الحامية فالتفت البواخر على  
أهبة السفر وبها نحو ثلاثة آلاف جندي بين نظاميين وغير نظاميين  
فاستدعاني غردون ودفع الي امرأ بقيادة هاته الجنود وأمرني بمباغثة العصاة  
الذين عسكروا في الحلفاية على بعد أربعة أميال من قصر راسخ بك فاجبرت  
على الباخرتين ولدي وصولنا الى الحلفاية ألفت المدوقد تحصن بها وراء  
متاريس وشاد نحو ثلاث طواب فأخذ مني العجب مأخذا حيث لم يكن قد

مضى عليه اكثر من بضع ساعات منذ حلوله في هذه الجهة وكانت متاريسهم  
وحصونهم بشكل نصف دائرة فرجتها الى النهر وعرضها الى القلعة  
وبعد ان ألقت الباخرتان صراسيمها شكلت قلعة زحفت بها على ميسرة  
العدو الذي قابلنا بثبات غريب وصوبنا قنابلنا الى الثلاثة طواب واجتحننا  
المتاريس من جهة الميسرة وبعد ساعتين ثبت فيهما الجنود ثباتاً غريباً استولينا  
على المتاريس والطوابى وطردنا منها العدو وتقدمت ميمنتنا واحتلت الاكواخ  
التي كان النساء والاطفال فيها وساقتهم أسرى وقبضنا على عدد كبير من  
الرجال أسرى كذلك

وكانت مدينة العدو باقية على المقاومة فتقدمت نحوها بميسرة جنودي  
فتمكنت في برهة يسيرة من الزمن من طردهم واحتلال موقعهم فتأثر بهم  
الجنود الذين اضطرت لارغامهم على العودة الى النظام وعدم تأثر العدو لان  
الظلام بدأ بارخاء سدوله علينا وبينما أنا على هذه الحالة أصابتنى رصاصة في  
نخذي الايمن اخترقت اللحم ونفذت الى العظم فاحتملني الجند وعادوا بي  
البواخر واستولت عليهم دهشة شديدة عادوا بسببها الى البواخر بدون انتظام  
ولو لم يكن العدو قد لجأ الى الفرار لكانت العاقبة سيئة ولم يفقد من الجنود  
غير اثنين وواحد من قواد الباشبوزق

ولما عدت الى المدينة استقبلني غردون ملهوقا ولما رأيته ملقى على الفراش  
والدماء تسيل من نخذي تأثر الى درجة كاد يفقد معها عقله وأصدر في الحال  
أمره باحتمالي الى دارى وأمر طبيبه الخاص بالاشتراك مع أطباء الحامية  
وشدد عليهم في وجوب الاعتناء بمعالجتي وخاطبني قائلاً قد آذمت عليك  
برتبة اللواء وسلمنى اعلاناً بذلك

وظلمت ملازم الفراش نحو ثلاثة أشهر كان يزورنى خلالها كل يوم وقد رجوته مراراً عديدة ان يقلل من زيارتى حرصاً على عدم ضياع أوقاته فى غير الاهتمام بشؤون الدفاع عن المدينة فلم يفعل بل ظل على عادته حتى من الله على بالشفاء وأصدر الأطباء قراراً بأن الإصابة كانت خطيرة جداً وكان يخشى على حياتى منها وأن مانشأ عنها من العاهة يستحيل زواله وامادتى الى الحالة الاولى

### واقعة القبة

القبة قرية على ضفة النيل الشرقية بينها وبين الخرطوم النيل وموقعها بازاء المدينة وسكانها سود وبها ضريح قديم لشيخ اسمه (خوجلى) يزعم أولئك السكان اهم من نسله وهي مرتفعة عن البحر وهواؤها جيد يقصدها أهل الخرطوم للنزهة والرياضة

ولما هزمنا العدو فى الحلفاية تراجع فى ليلته وتجمع فى هذه القرية واتخذ جدران المنازل متاريس واخذ يطلق النيران على المدينة حتى تعذر على السكان الاستقاء من النهر فوضع غردون تحت سرايه مدفين من طرز كروب واخذ يطلق واحدا بنفسه والمستر باورق فصل انكثرا فى الخرطوم يطلق الثانى والرصاص يهطل عليهما كالطروهما فى غاية الثبات وقيل الظهر امر بتشكيل قوة من الف جندي تكون محمية بالقنابل تفاجى مكامن العدو لتطرده فسارت القوة برأ من حصن قصر واسع بك يقودها ضابط عظيم فامسك العدو عن إطلاق النيران حتى أشرفت على متاريسه فهاجها فرسانه فاطلقت النيران عليهم حتى ولوا الادبار ودخل ثلاثة فرسان المربع فاوقعوا القتل فى الجنود وانتثر عقد نظامهم وولوا الادبار الى الحصن وكان غردون ينظر ذلك بعينيه

فأظهر الاستياء للقائد وأمره باستئناف الهجوم في الظهر حيث تمكن من  
دحر فرسان العدو الذين وثبوا عليه ثانية ودخلت الحامية القرية وأجالت عنها  
العدو وخرج كثير من سكان الخرطوم ولحقوا بالحامية ونهبوا القرية وأضرمت  
النار في المساكن ثم عادت الحامية إلى حصن راسخ بك عند غروب الشمس  
وبذلك عاد بعض الأمن إلى ضفة النهر وأمسى السكان قادرين على  
الاستقاء منه إلا أنهم كانوا يماودون الكرة ويطلقون النيران على المدينة  
فمقد غردون مجلساً من القواد وموظفي الحكومة وبعد المداولة أقر على  
إنفاذ قوة كبيرة تسير من قصر راسخ بك برا إلى الحلفاية تهجم العدو وتطرده  
من معسكره.

وكان غردون يظن أن هذه الحركة ستكون نتيجة الفوز كما حصل  
للقوة التي كنت قائدها تخاب أملة حيث خان اثنان من القواد وذبح نحو  
ثلاثة آلاف نفس من الحامية كما تراء مفصلاً فيما يأتي

~~~~~

ترجمة السعيد حسين وحسن إبراهيم

السعيد حسين الجمياني نخاس كان مع ابن الزير وقد ذكرنا أن غردون
ولاه على إحدى المقاطعات بدارفور هو والنور عنقره لما اعتزلا ابن الزير
وهو من قبيلة حقيرة اسمها (الجمياني) تسكن على بعد خمسة عشر
ميلاً من شمال الحلفاية وعدد نفوس هاته القبيلة لا يتجاوز الخمسة عشرة
قاحلة مكسوة بالحجارة ولا ماشية عندها وقوام معيشتهم على الأعمال
الدينية كأعمال القملة في الأبنية وغيرها وكثير منهم لصوص وقطاع طرق
كما أنهم لا يأنفون الكسب ببذل العرض وخلع برقع الصون والعفاف كالذين

أشار اليهم سلاطين باشا في كتابه المعلوم

ولما كانت النخاسة والاصمال التي يقوم بها محترفوها لا تختلف عن مهنة
الصوصية انتظم من هذه القبيلة أفراد في سلك النخاسين كان من بينهم
السعيد حسين هذا حتى صار من أمره ان غردون لما استماله ولاء على احدى
المقاطعات الواقعة بين دارفور وبجر النزال ثم خرج على الحكومة حتى جرد
عليه حاكم دارفور حملة أرجعته الى الطاعة قسرا وجاءت به الى الخرطوم
ولدى عودة غردون أنتم عليه برتبة الميرميران الرفيعة مع لقب باشا
وعينه قومنداناً على جنود الباشبوزق وجعل حسن ابراهيم المترجم الثاني
وكيلا له حتى كان من أمرهما ما نوردده بعد

وأما حسن ابراهيم فانه ابن عم يوسف باشا الشلالى وكان نخاساً أيضاً
وترجمته لا تخالف ما أوردناه في ترجمة ابن ممة وقد أنتم عليه غردون برتبة الميرميران
كالسعيد حسين وعينه وكيلا لقنادية جنود الباشبوزق

واقعة الخلفاية الثانية

لما عقد غردون النية على انفاذ حملة أخرى الى الخلفاية لتطرد الدراويش
منها عهد بقيادتها الى السعيد حسين الجمياعى وحسن ابراهيم الشلالى وكان عدد
جنودها ثلاثة آلاف من الباشبوزق وألغا من الجنود النظاميين ومعها
مدفعان من الطراز الجبلى وساروخان حريان وزحفت الحملة فى غداة اليوم
الرابع من بداية حصار الخرطوم

ولما التقى الجمعان لم يقذف الجنود رصاصة واحدة حتى انحاز القائد
السعيد حسين ووكيله حسن ابراهيم الى الاعداء وجردا سيفيهما وقالوا

الله أكبر على الكفار ووضعوا السيف في رقاب الجنود الذين اختل نظامهم وذبح
العدو منهم أكثر من ثلاثة آلاف وغردون واقت على سطح سرايه يرى
هذا المنظر الفظيع ويضرب الأرض برجليه ويمض أنامله ثم اعترته نوبة شديدة
فقد معها عقله وحاول أن يلقي نفسه من سطح السراي فأمسكه المستر باور
فنصل انكلترا

ووقف عند المدفعين والساووخين نخاس اسمه مولا بك ودافع حتى
قتله العدو وبلغ عدد الذين نجوا من غير أن يصيبهم سوء نحو خمسمائة نفس
ولما وضعت الحرب أوزارها بقي السعيد حسين وحسن إبراهيم مع
ال دراويز وقدمت الاطعمة فاكلا مع الامراء وجري الحديث بينهم
فقال لهما أحد الامراء أرى انكما قد أدتما واجيكما وأخشي عليكما شراً أن
عدتما الى المدينة فقالا خفض روعك فانه لا بأس من عودتنا واننا لا نقنع
بما فعلناه بل لا بد من احضار رأس غردون لناخذ بشار الذين قتلهم
من اخواننا النخاسين في بحر الفزال ودارفور ثم عادا الى المدينة بالليل فسألها
غردون عما رآها يفعلانه فقالا ان الجنود اظهروا جبناً واننا فعلنا ذلك
لنكرهم على الثبات فاعتناظ من هذا الكلام وأمر بالقبض عليهما وسجنهما
في القشلاق وألف مجلساً عسكرياً لمباشرة التحقيق فظهرت ادائهما فحكم
عليهما بالاعدام وصدق عليه غردون ولما أخرجوا الى ميدان القتل هاج الجنود
وهجموا عليهما وضربوهما بالماول حتى ماتا وعجز القواد عن كبح جماح الجنود
حتى ينفذ حكم الاعدام بالطريقة القانونية

ولحق غردون تأثير سيء من هذه الحادثة حيث أصيب بمرض كاد يودي
بحياته ومع اشتداد وطأة المرض عليه كان لا يمد الى الراحة والنوم على

القراش الا بعض سويقات من النهار اما الليل فانه كان يقضيه ساهرا على
الحصون يتلقى أخبارها كل لحظة ويأمر بزيادة التيقظ
على ان حركة العدو وان كانت في الشرق والمدينة مأمونة من جهة الخندق
المحيط بها فقط الا ان أهالي الضواحي الذين ذكرنا انقيادهم الي عبد القادر أم
مريوم هجروا قراهم وأوغلوا في الغلوات وامتنعوا عن الدخول في المدينة
وتقديم الاغذية لان ابن البصير والشيخ العبيد كتب اليهم بان كل من دخل
المدينة كافر محاد لله ورسوله وماله وأولاده فنية للمسلمين
وقد هجر المدينة نحو ثلاثين الف نسمة من السكان السودانيين ولحقوا
بدعاة المهدي فامر فردون بهدم منازلهم وجمع أخشابها لوقود الواپورات
وسكان المدينة ولم يبق في المدينة غير المصريين وسيأتي ان عددهم
يقرب من مائتي الف نسمة عدا الذين هاجروا من المدينة الى القطر المصري

ذكر حصار الفكي المصطفي المخرطوم

﴿ من جهة الضفة الغربية ﴾

الفكي المصطفي بن الفكي الامين بن ام حقين كان أبوه الفكي الامين
معتقداً وكان يسكن جزيرة في النيل شمال أم درمان على مسيرة مرحلة واحدة
وتوفي بها وله خريج في الشاطئ الغربي
وكان الفكي المصطفي مشهوراً بالسكينة والابتعاد عما لا ينفي منقطعا
لحرارة أرضه والقاء دروسه وارشاد مريديه فارسل له المهدي كتابا معنونا
بعبارة مبهمه هكذا (الي العقلاء الكرام) مع رسول زوده وصايا شفاهية
حيث قال له ادفع له الكتاب وقل له بعد اطلاعه عليه اذا لم تكن معنفاً كن

علينا وانه لا نجاة لك بغير أمرين إما ان تجمع اليك قبائل الضفة الغربية من
الجموعية والجميعاب والسروراب والفتيعاب وتحاصر الخرطوم وإما ان تدخل
مع غردون في المدينة وتكون معه علينا

ولما اطلع على الكتاب أرسل يستصرخ هاته القبائل فנסلوا اليه
وبأيموه على طاعة المهدي وخلع نير الحكومة فزحف بهم على أم درمان وعسكر
ازاء تقطها

وكان الغالب عليه ملازمة السكون فكانت الحامية في راحة حيث كان
لايهاجها الا نادرا ولا يناوشها الا مناوشات خفيفة وهامى صورة الخطاب نقلا
عن كتاب المنشوات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن
العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى العقلاء الكرام لا يخفى عزيز
علمكم ان ما سوى الله هباء وكل مافي الدنيا زوال وما للعبد الا العمل الصالح
الموافق للسنة وما سوى ذلك يهود بالحسرة والندامة واني قد كاتبت جميع
المحبين ومشايخ الدين وانذرت بصكروب تحصل ولا فرج عنها الا
باجتماعنا وذلك باشارة من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وبأمر منه مع
بشائر لنا جسيمة وأوامر عظيمة وأشار لنا صلى الله عليه وسلم الى محل يكون
فيه قوام الدين وصلاح أمر الدارين وفضلا عن ذلك انه لا سعاية للعبد الا
في الدين الخالص الموافق للكتاب والسنة واذا لم يكن العمل على ذلك فهو
مردود كما ورد. وحيث ان هذا زمان توافقت فيه الناس على البدع ومحبة
الدنيا وصار لهم ذلك عادة واسترقت الطباع بعضها ومعلوم ان الطبع

يسرق الطبع والانسان على دين من معه في الدنيا ويمحشر يوم القيامة عليه
قال صلى الله عليه وسلم « يحشر المرؤ على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »
واذا فهم الماقل هذا من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فلا شك انه ينحاز
الي من ينهضه حاله ويدله على الله مقاله وذلك هو الفقير المتجرد عن السوء
المقبل على المولى الذي لم يكن له قبله ولا مقصد الا الله تعالى وقد تجرد عن
كل شيء سواه وتحقق بحقيقة لا اله الا الله وقد ورد. اذا رأيتم العالم يحب
الدنيا فاتهموه على دينكم. وفي بعض الكتب الالهية يقول الله تعالى « لاتسألوا
منى عالما اسكره حب الدنيا فيقطعكم عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق
على مبادي » ومعلوم ان العبد اذا لم يكن له مقصد في التجرد لله تعالى يلاحظ
في جميع كلامه وأحواله ما يزيد جاهه ورئاسته ولا ينقاد للحق حيث كان بل
يتكبر عليه ولا يخرج من جاه ولا رئاسة لجرد الحق وفي مثل هذا قال الله
تعالى « واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ومثل
هذا الضرر ورد الدم لحب الجاه والمال قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه
والمال يثبتان النفاق في القلب كما يثبت الماء البقل » وقال صلى الله عليه وسلم
« ما ذئبان جائعان ارسلتا في زريبة غم بافسد لها من حرص المرء على المال »
الحديث وقال تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في
الارض » الآية والادلة الشرعية من الكتاب والسنة وبأمر من سيد الوجود
صلى الله عليه وسلم كاتبناكم بالاجتماع معنا ومعلوم انه لا امان الا في الكتاب
والسنة كما ورد ان المؤمن لا بنية له ولا مطلب له الا الدين فن كانت مهتما
بايمانه ودينه شفيقا على أمر ربه أجاب الدعوة واجتمع معنا للمعاونة على
تقويم الكتاب والسنة ومن له جاه ورئاسة وانقاد للحق وانخلع عن جاهه

ورأسته لله وللانقياد على الدين الخالص عوضه الله خيرا منه قال صلى الله عليه وسلم «انك لن تجد فقد شيء تركته الله» أي لن تجد له ألما ولا هاهوا قال تعالى «ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» الآية ومن أشفق على جاهه ورأسته وماله ولم يخرج من ذلك أوقته في الصوم وفي سخط القيوم وزالت منه واعتبته الحسرة فقد قال صلى الله عليه وسلم «من جعل الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأت به من الدنيا الا ما قسم الله له ومن جعل الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة» الي غير ذلك والقليل من ذلك ينفع المؤمن القابل والكثير وان أفىض لا ينفع المنافق الغافل والسلام»

حوادث بربر

بربر اسم لاقليم من أقاليم السودان يحده من جهة الجنوب اقليم الخرطوم عند موضع اسمه (حجر العسل) وهو جبل صغير أحجاره من الصوان ويحده من جهة الشمال مقاطعة دنقلة ومن جهة الشرق اقليم كسلة ومحافظة سواكن

وسكانه ينقسمون الى قسمين رحالة وقرويون والرحالة هم قبائل أعجمية يشبهون قبائل السودان الشرقي في الاخلاق والمادات ويطلق عليهم اسم (البشاريين) ولهم أعجمية

وأما سكان القرى فأكثرهم بطون من قبيلة الجميلين ومعايشهم من

الزروع وبعض الماشية الصغيرة وأرضهم لا تجود بمحصول يقوم بحاجة السكان لأن طريق الري هي بالسواقي فقط وفيها عناء كبير والأمطار قليلة لا تجود السماء عليهم بمطر يقوم بري أراضيهم إلا نادراً وقد ضبطوا أن يربح لا تسقى بالمطر إلا في كل سبع سنين أو عشر مرة واحدة ولهذا كان العيش في ذلك الاقليم شظفاً خلافاً للسودان الجنوبي ومن الامثلة العامة في حقهم (يكيلون بالطاسة ويحسبون القراصة) والطاسة مكيال لا يتجاوز رطلاً من القلة ومعنى يحسبون القراصة أنهم يقدررون للرطل عدداً معلوماً من الخبز والقراصة اسم لكل قطعة تصنع من خبز الذرة الذي يطلق عليه اسم (كره)

ولهذه الاسباب ترى الجعليين يتطوحن في بلاد السودان وسكان تلك البلاد يحترقونهم فأهالي السودان الغربي يسمونهم (بائي الشطيطة) وأهالي السودان الجنوبي يسمونهم (ناس عره) أي ركاب الحر لانهم يشترك منهم أكثر من عشرين في ركوب حمار واحد

ومع هذا كله تراهم من أكثر قبائل السودان شراً ولهم دعاوي طويلة عريضة في الانساب حيث يزعمون أنهم من نسل العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وأن أجدادهم استوطنوا السودان من عهد قيام الدولة العباسية في بغداد والحقيقة أنهم من نسل العرب الذين دخلوا السودان من صعيد مصر وبعيد عن الاحتمال أن يستوطن بنو العباس بلاد السودان في عنقوان دولتهم وعظيم سلطانهم ولا توجد بين صفحات التاريخ اشارة الى ذلك مع ان المؤرخين ملأوا الكتب باخبار دولة بني العباس رضى الله عنه الى حد أنهم كانوا لا تفوتهم اخبار الندماء وما شاكل ذلك من الدقائق والجلال

على ان الجعليين لم يكونوا منفردين بهذه الدعوى بل جميع قبائل السودان حتى العبيد سكان الجبال ينتسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم والى آل بيته الطاهرين حتى يخال الانسان ان السودان كان موطنه صلى الله عليه وسلم وانه كان خاليا من السكان قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وقد اشتهر عن الجعليين الكذب وعدم الوفاء وكل الحصال الممقوتة وانهم على الدوام مع الفئة الغالبة وهم شديدو البغض للمصريين وكل ابيض ولهم اعتقادات في غاية السخافة. منها ان بياض البشرة يدل على أن صاحبه عجري لأصل له وان الانسان لا يكون ذا نسب أو حسب الا اذا كانت بشرته سوداء وكل ابيض محقر عندهم حتى انهم لا يسمونه الا (الجعيدي) أي العجري ولهم أخلاق وعادات غريبة لا فائدة في سردها هنا اكتفاء بما تقدم

ذكر محمد الخير داعية المهدي في بربر

محمد الخير هذا هو الذي تقدم لنا ذكره وانه كان صاحب مدرسة علمية وان المهدي كان تلميذا بمدرسته وأصله من قبيلة اسمها (القبش) وهي قبيلة صغيرة تسكن ضفة النهر الغربية بأزاء «الخيرق» مركز مديرية بربر وهذه القبيلة تنسب الى رجال أصحاب أضرحة في هذه الجهة اسم أشهرها عبد الماجد ويطلق عليهم اسم (القبش) الذي معناه زهاد متقشفون قدموا الى بربر من بلاد تكروور في السودان الغربي

وكان محمد الخير هذا فقيها يعلم الناس الفقه وكان مشهوراً بالتقوى ويقول بعضهم انه ذو ضلع كبير في اتحال دعوة المهدي وان صاحبها صدع بها عن

رايه وعمل بإشارته

وكانت الحكومة تعطى محمد الخير راتباً شهرياً يبلغ خمسة جنيهات

وبضعة ارادب من الذرة

وتقل لنا أحد تلاميذه انه لما تصدر للتدريس كان ذا تحقيق في مذهب
إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه ومع هذا كان لا يعرف شيئاً من النحو
والصرف وعلوم البلاغة فاحتره تلاميذه وأسموه مرات عديدة انتقاداتهم
على جهله حتى أن أحدهم قال له يوماً يا سيدي الشيخ انك لا تعرف اعراب جاء
زيد فكيف يليق بنا ان نتكوف حولك في حين أن تكوفنا هذا لطلب العلم وانت
مفتقر اليه اكثر منا فتأثر من هذا القول وقام من مجلسه وبعد صلاة العشاء
دعا اثنين من خاصته وركبوا دوابهم بغير أن يشعر بهم أحد وقصدوا الخرطوم
ومنها الى ضواحي المسلمية حيث اجتمعوا بالشيخ الحسين زهراء وقص
عليه محمد الخير ماجري له مع تلميذه فقال له قد محضك والله النصيح ثم
انقطع لدرس النحو وعلوم البلاغة على الشيخ الحسين نحو عامين أدرك
فيهما ما يدركه غيره في أربعة أضعافهما ثم عاد الى مزاوله دروسه في بربر وبلغت
الحبة بينه وبين أستاذه الشيخ الحسين درجة لا توازي

ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر

حسين باشا خليفة مدير بربر سابقاً من قبيلة العبابدة التي تسكن ارباض
اصوان وكان أباه ادلاء الحكومة في طريق السودان المسمى (المطوور) ثم
ولى على مديرية بربر في عهد ولاية ممتاز باشا على السودان فظهر من أعماله
ماوجب عزله وسجنه في القاهرة حتى جاءت وزارة المرحوم شريف باشا فعين

مدير اعلی بربر قبیل عوده غوردون باشهر قليلة ونسب اليه في فضون نزوح
المصريين الي القاهرة انه كان عاملا على مما كستهم وعدم السماح لهم بالوصول الي
القاهرة وكان صديقا حميلا لمحمد الخير داعية المهدي في بربر



ذكر قدوم محمد الخير بدعوة المهدي الي بربر
في جمادي الآخرة سنة ١٣٠١ هجرية قدم محمد الخير الي بربر عائداً من
عند المهدي في الابيض وقد كتب له كتابا الي مكان مقاطعتي بربر ودنقله بانه
تعين من قبله أميراً عليهم وأمرهم بمبايعته نائباً عنه
وكان محمد الخير يطلق عليه اسم محمد الضكير فأبدله المهدي باسم محمد الخير
وكانت شخوصه الي المهدي بعد ولاية حسين باشا خليفة علي
بربر فانه لما قدمها اختلى به وقال له أراك تأخرت عن واجب عليك فاقدم
علي المهدي وأبلغه خضوعي له ودخولي في دعوته وكان حسين باشا يقصد
من هذا العمل ان يولي المهدي علي بربر ودنقله فقبل محمد الخير ما أشار به
حسين خليفة الذي أعطاه نفقة السفر ودفع اليه كتابا برسم المهدي فشخص
من بربر الي الابيض فقبل من المهدي باكرام عظيم وحنافاة ليس لها مثيل
وبعد أيام كتب له بالامارة علي بربر ودنقله وأهداه شياً كثيراً من
الجواري والحيول والنوق فقتل راجعاً ولما بلغ أول حدود بربر من جهة
الجنوب استقبله الاهلون باحتفال عظيم وأرسل السكتب يدعو الناس لاجتماع عام
في المنة وهي منتصف الطريق بين بربر والحارطوم فنسلوا اليه فدعاهم الي البيعة
للمهدي فظهر كثير الارتياب في صدق دعواه فقام فيهم خطيباً وقال أشهد
الله وملائكته انه المهدي المنتظر وقبض علي لحيته وقال لهم انه اذا لم يكن المهدي

المنتظر فجروا لحتى هذه بين يدي الله عز وجل وقولوا هذا أضلنا سواء السبيل
فصدق الناس وبايعوه على طاعة المهدي وحرب الحكومة ولبسوا شعار المهدي
ورقموا ملابسهم وهرع الناس اليه من كل انحاء البلاد وانضم اليه عدد ليس
بقليل من الاعراب وتقدموا نحو حامية شندي

ذكر واقعة شندي

شندي قرية على ضفة النهر الغربية شمال المتمة بميل واحد وهي التي
ذكرنا قبل خبر قتل الامير اسماعيل بن محمد علي باشا فيها بعد فتح السودان وجل
سكان هذه القرية مصريون وكانت قاعدة لاجل المراكز
ولما وصل محمد الحير المتمة وبايعه الاهلون على طاعة المهدي كانت في
شندي حامية تبلغ زهاء الثلاثمائة جندي جاها من الباشبوزق فناوشها العدو
مناوشات عديدة ومنع وصول الاقوات اليها وحينما سمعت الحامية بقدم
الداعية محمد الحير عقدت النية على الخروج من معقلها ومتابعة السير شمالا
للاضمار الى حامية بربر فباغتها بمجنوده واخذها ذبحاً بينما كانت تحاول الخروج
ومثلوا بالاطفال والنساء تمثيلاً تقشع من فظاعته الابدان
ومما يذكر هنا ان محمد الحير منع اتباعه منعاً باتاً عن مدأيديهم الى نساء
المصريين بأنواع السبي والهنك الذين كان المهدي يفعلها مع نساء المصريين
وكتب الى المهدي كتاباً مطولاً قال فيه اني لا أري وجهاً من الوجوه الشرعية
يسوغ لنا ان نعامل نساء المصريين بالمعاملة التي جرت عليهن فاضطر المهدي
الى اجابته بان فوض له العمل في هذا الشأن بما يراه موافقاً فمنع كل اتباعه
من هنك أعراض المصريات ومن فعل ذلك عاقبه عقاباً صارماً

هذه حسنة نذكرها هنا لمحمد الخير ونقول ان عمله وان جاء ضربة شديدة على الخرطوم لان سقوط بربر قضى على أمل وصول النجدة الى غردون لكن شره كان أخف من شر المهديين كلهم . وبعض الشر أهون من بعض

وكانت واقعة شندى هذه في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هجرية

سقوط بربر

لما سقطت شندى تقدم محمد الخير بجموعه الي بربر في أوائل شهر رجب سنة ١٣٠١ هجرية ومعه نحو سبعين الف مقاتل وسلاح جلهم المعاول والمخاريث لان الجعليين فلاحون لا سلاح عندهم وكانت حامية بربر لا تتجاوز الا ربعمائة جندي تحرس خندقا يزيد طوله على أربعة أميال وليس لديها من المدافع غير مدفعين من الطراز الجبلي العتيق

ولما اقترب من بربر أرسل انذاراً للعامية والسكان يدعوم فيه الى التسليم فامتنعوا وأحاطوا بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم ومكث محاصرا لها مدة سبع ليال كانت المخبرات السرية جارية في خلالها بينه وبين حسين باشا خليفة مدير بربر الذي كان يؤمل ان المهدي لا يولي غيره عليها وكان في بربر خمسون الف جنيه أرسلت من مصر لتفقات حامية الخرطوم وأرسلت الباخرة الفاشر لحملها الى الخرطوم فاخذ حسين باشا يماطل ربان الباخرة حتى لا يصل المال الخرطوم ويكون غنيمة عاجلة للمهدي وقد وصل الى بربر شيء كثير من ملابس غردون وأمتعته التي أرسلت

خلقه من مصر كلها وقت في أيدي الدراويش

وفي صبيحة اليوم الثامن من بداية حصار بربر اجتمع الدراويش ودخلوا
المدينة عنوة بدون ان يصيبهم أقل ضرر وانحنوا الالهالي قتلا ونهباً وذبحوا
اكثر من ثلاثة آلاف من المصريين اما حسين باشا خليفة فقد أحاط بداره
حرس محمد الخير ومنعوا وصول أي اذي له بالرغم عن تكوف العصاة حول
بيته وعزمهم على الانتقام منه

واشتغل محمد الخير بجمع الغنائم وعذب المصريين غداً باليما ليدلوا على
خبائهم ودفائهم وامتنع كثير من قواد الجعليين ان يؤدوا الى بيت المال
ولو قليلا من الاموال التي تحت أيديهم فكتب محمد الخير الى المهدي ينبته
بوقوع بربر في قبضته ويخبره بما كان من أمر الامراء الذين امتنعوا من
تسليم ما بأيديهم من الاموال الى بيت المال

ولما وصل كتاب محمد الخير الى المهدي أمر بإطلاق المدافع جريا
على عادته وامتلاً غيظاً من أولئك الامراء اذ كان في حاجة عظيمة الى المال
فكتب الى محمد الخير يأمره باكرامهم الي تأدية المال له وشفع الكتاب
بصورة موعظة في ذم اغتيال الغنائم وما هو نص الكتاب والموعظة نقلا
عن كتاب المنشورات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبدالله الى صفيه عامله على بربر
وجهاها محمد الخير بن عبدالله خوجلي وقاه الله كل تعويق وأدام له التوفيق
وحققه بحقائق التحقيق وانا له أعلى رفيق آمين بعد السلام عليكم ورحمة الله

وبركاته حبيبي انك حقيق بمعرفة ما عند الله من كريم المكانة وعظمة ما هنالك
 مما لا يقاس بشئ وخسة ما في الدنيا وان كثرت ونما ومن المعلوم عندك أيها الحبيب
 أن الدنيا لا شئ فهي لا تزن عند الله جناح بعوضة فلذا لم اذا كرك في الشأن
 الذي يحصل فيها ولعلمي بانك امين ولا تدخلك ترهات الخيال الذي فيها
 وتزين باطلها وان مقصودك اقامة الدين ولذلك قد اكثرت التذكير مني
 للاخوان في التنفير عن الدنيا والترغيب في الله وفيما عند الله وفيما يخلص العبد
 ويرفعه عند خالقه مع شدة التعريف لحسنة الدنيا ونفاسة الآخرة والتعريف
 لمظمة الله وكمال قدرته على كل شئ وأن من أراد خيره وقربه عنده نفعه
 عن الدنيا وأراه قرب زوالها مع قلة قدرها وشؤم ما تعقبه من طول الندامة
 والوبال يهون على المؤمن جفاؤها ويزيد الشكر لله في انزواتها واكتساب
 نعيم الجنة وعلاؤها من اصابة الظلم والنصب والمخمة في سبيل الله واغاية
 الكفرة بمواطئ امكنتهم وثغورهم وانالة الجرح والقتل في سبيل الله مما فيه
 حسن المكانة الدائمة والوظيفة الكبرى التي لها قدر عند الله تعالى كما ذكر الله ذلك
 والمؤمن انما يرغب النصيب الدائم الذي وعد الله به المؤمنين الصادقين في ايمانهم
 بالصبر لما عند الله يقينا بما وعد به وتفويضه فيما أراد ودل عباده اليه وابناء
 الدنيا من الكفرة والمنافقين انما ترغبتهم الوظائف والأموال القانية لانهم
 لا يجدون في قلوبهم الايمان واليقين بما عند الرحمن من حسن المكانة الدائمة
 ودرجات الجنان وانه يا حبيبي جميع من صمبني وسمع مني وعلم ما أنا عليه صار
 غرضه ما عند الله وفرغ قلبه من فاني اللذات الى دائم الخيرات ومن نافق
 ولم يسر على منهجى فقد فوت ما عند الله واظهر الله نفاقه وطرده عن الصحبة
 ورمي عليه الممالك في الدنيا قبل الآخرة وأنت حبيبي لممك بالنجاة عند الله

تعالى علي التسليم لي والعزم علي اتباع ما ألهمني الله كنت سألتني عن الفنائم وطريق العمل فيها وقد أعلمتك بما هو جار فيها سابقا لامور منها الظن ان ماورد لنا في المديرية الغربية خصوصية حتى سألتني أمين بيت المال عن فنائم بربر فلم تظهر لي الخصوصية عن تكرار سؤاله . وقد ورد لنا من الغيب أن ضرر ذلك كثير ولا بد ان يصلحكم منها شيء . ولما كان الاخوان الذين معك تريد لهم الصفا والسلامة والدخول في عظيم الكرامة والتباعد من عطب دار الملامة أخبرت أمين بيت المال بما وصلكم عنه فانه وان كان منكم من تناول من الفنائم على ما ذكرته لك سابقا فقد تجدد الوارد وأتى من الغيب كبير الضرر في تناول ذلك وزيد الآن ان يقتدي الاخوان بما ورد لنا من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم على ما رأينا انه صلاح للمسلمين واصلاح للدين بما ألهمني الله من الالهام الصائب الذي لو كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حاضرا الآن لفعله وانك حبيبي غير منهم عندنا في الصداقة والامانة معنا ومع الله ورسوله فيما تطلبه عند الله ومتيقن فيك موافقتنا فيما يرد علينا من الامور التي فيها صلاح الدين والمسلمين وليكن معلوما عند الاخوان ان حب الوظائف والاموال والمتاع هو الذي عطل الدين واستقامة المسلمين ولولا الفقراء والمساكين والاغنياء الذين تجردوا عن الدنيا ليقينهم بما عند الله لما تقوم هذا الامر وكامل الذين معكم من الانصار يلزمهم أن يسلكوا هذا المسلك ولا ينسبوا لانفسهم اغاظة الكفرة والنصر عليهم فان النصر من عند الله فان وقفوا مع ادبهم مع الله تعالى ونسبوا الامر اليه وصاروا عبيدا له نالوا عظيم المسكنة التي يصفر في جنبها كل نعمة وملك يذكر لأن الله تعالى يعطيهم من عظمة المقدار ما لا يخطر على بال فضلا عن المجاهدين المكرمين والشهداء

المعظمين فان الله يعطى الصالحين الذين هم دونهم مالا عين رأت ولا أذنت
سمعت ولا خطر على قلب بشر فمن عاين هذا مع الرضى عند رب العباد
لا ينظر الى خسيس الدنيا الذى لا يزن جناح بموضة فلا يبدلوا نصيبهم هذا
العظيم الدائم بما لا يزن جناح بموضة ويزول عن قرب ولا يدخلهم العجب
وينسبون قيام الله بهذا الشأن الى أنفسهم فتفسد أعمالهم ولا يفتروا بما فتح
عليهم من الدنيا فيؤثروه على ما عند الله ويفرحوا لثلا يقع من انطوى على
ذلك فى وعيد قوله تعالى « حتى اذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة » الآية
الحالـه والكتاب مطول وكل ما فيه لا يخرج عما تقدم ولا عن مضمون
الموعظة الآتية . وتاريخه ٢ صفر سنة ١٣٠٢

وأما الموعظة فنأتى عليها برمتها لزيادة الفائدة . وهى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فأتى
سأذكر البعض من الواقعات التى وردت فى الغنائم وغيرها باختصار فيمىد
ان وردت الواردات فى كيفية الغنائم وضررها بالايض حكيـت للاخوان
حضرة حصلت فوق السموات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الاصحاب
فلا يصل الى ذلك الحل الا الاصفياء الزهاد الخالصون من العلاقات الدنيوية
وتعطل منها بعض من الاخوات لاجل علاقاتهم فلم يطبقوا الصمود اليها
من علاقاتهم فاعلمت بذلك من انقطع بسبب علاقته الدنيوية من الرقيق
والاموال فتجرد لله عن ذلك وصعد للحضرة المذكورة وثم حصلت حضرة
قعد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جمع من المقرين واجلسني عنده فيما روى
وغرز بيننا عودا طويلا امس كانه شعبة الخيمة الوسطانية التى تقوم عليها وفى

رأسها الثمر ويقول صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة شجرة الصداقة فكل
من له صداقة فليصعد عليها فيصعد عليها قوم ويزلق منها آخرون فلا
يقدرّون على الصعود عليها لينالوا ما فوقها من الثمار فكان ما فوقها هو نصيب
الآخرة ولا يناله أحد الا بالصدق في الايمان والطلب لما عند الرحمن فاعلمت
من تعطل عن ذلك بسبب العلاقات الدنيوية فتجردوا عما عظمهم وثم حصلت
أيضا شجرة الصداقة في وقت آخر وطلب الاصحاب بالصعود لنيل الخيرات
فوقها فصعدوها الاصحاب الا الذين اكلوا الغنائم فامتلات عليهم صمغا فكلما
ارادوا ان يتعلقوا بها ليصعدوا فوقها يزلقهم الصمغ الذي عليها وبعض من
الاخوان الذين عندهم شيء ولم يحضر المذاكرات حصلت له رؤية وكان المذكور
قبل رؤياه متأسفا على فوات مذاكرتنا للاخوان في كيفية الغنائم والتجرد عنها
لمن هي عنده من الانصار قال ولما أعلني من حضر المذاكرة عزمتم على
اخراج ما عندي من الغنية وهوامة وحمارة وقليل من الدراهم قال وبعد
عزمي على اخراجها ورفعيها لبيت المال أخبره بعض اخوانه بانك كيف تخرج
هذه الامة الواحدة التي لا خادم لك غيرها ومن يخدمك ان أخرجتها وأي
شيء تركب ان أخرجت هذه الحمارة الواحدة وإن قام الامام للسفر لا بد ان
تشتري بالجميع جملا تسافر عليه مع المهدي للجهاد قال فطاوعت من ذاكرني
من الاخوان بذلك وعزمت على ترك اخراج المذكورات لبيت المال قال
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم أتى للخليفة عبد الله يذاكره فقال المذكور
في نفسه فأتني مذاكرة المهدي فليكن الاسراع مني لحضور مذاكرة النبي
صلى الله عليه وسلم للخليفة عبد الله قال فلما حضرت وجدت المذاكرة قد
تمت الا اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول للخليفة عبد الله عند فراقه

لاي شيء لم تستوعب أمر المهدي فالذي يأمرك به المهدي كله افعله هذا معنى كلامه للخليفة عبد الله قال ثم أتيت الخليفة عبد الله لاسمع منه مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت مع الخليفة بعضا من ملازميه يصلون معه فقطع الصلاة وقال لي أين الخادم أي الامة التي من الغنيمة فقدم آتيانك بها لبيت المال أفسد علينا صلاتنا قال وقال لي الخليفة عبد الله لا شيء لم تجرد من الغنائم أما سمعت قول المهدي تجردوا فمالك لم تجرد قال فقلت له ما عندي الا شيء يسير فقال هذا القليل أده لبيت المال ولو قرشا واحدا ومثل هذا كثير وبعض من الذين لم يتجردوا من الغنائم تحضر لهم تماثيل تمنعهم من حقوق المهدي وأصحابه الصادقين فتفرقهم حتى كان أحد من الاخوان عنده ازار من الغنيمة فقبضه تمساح وأوقعه في المهالك فاستعان بالله وبرسوله وبالمهدي فادركه المهدي فعمله ليخرجه فاخذ به حبر لم يتركه يسلم حتى أقسم انه يعطي ثمن الازار بثلث ثم ان المذكور قوم الازار بنحو ستة دراهم أو أقل فدفعه لبيت المال فصار مع الاصحاب وغير ذلك فبا أحبائي ان السعيد يتخلص في الدنيا قبل الآخرة فهناك تسبق الاصفياء ويعطى أهل حطام الدنيا فقد روى ان القيامة قد قامت والمهدي مع أصحابه الاصفياء دخلوا الجنة بلا حساب ولا رؤية هول ولا مشقة واحد الاخوان عنده قليل من المال والله أعلم لم يذكر من قلته خبس من الدخول وصار يصيح ويبكي من شدة الهول حتى خلص بعد نصف ساعة فدخل الجنة والاهوال ما زالت على الآخرين فيتخلصون واحدا بعد واحد على حسب صفاتهم وتجردهم من الدنيا فبعضهم يخلص فيصل بعد ساعة وبعضهم بعد ساعتين وبعضهم بعد ثلاث ساعات الى ان خلص آخر الاصحاب نصف النهار ونصف النهار في ذلك

اليوم خمائة عام ونصف الساعة نحو الاربعين سنة في ذلك اليوم فمن ذا الذي يطيق هذا الهول فيرضي لنفسه مثله بسبب متعة قليلة في أيام قليلة هي في حكم العدم فيرتب بسبب ذلك هذا الهول الشديد والكرب الذي يقف فيه جائعا عطشان نحو الاربعين سنة واكثر فتجرد ذلك الاخ الذي خلص بعد نصف ساعة وحتم ان لا يطلب في الدنيا مالا ولو قليلا ولا جاها مادام فيها حيا حتي يلاقى الله تعالى. هذا وليعلم الاخوان ان من كان مؤمنا بالبعث وقرب الآخرة وحسابها وكثرة خطرها وضررها ورفعته الذين آمنوا وعملوا الصالحات وعظيم فوزهم وملكهم المقيم الدائم ويعلم شؤم الدنيا وهو انها على الله وشؤم ما تمقبه من الحسرة الطويلة فليستجروا لله لينال جزيل الدرجات ويفوز بدائم الخيرات وليصير من ابناء الآخرة مادام حيا ولا يطلب الدنيا ومتاعها فانها قد انقرضت وهذه الايام آخراياها كما لا يخفى صدق ذلك ولا يجتمع للعبد متاع الدنيا ونعيم الآخرة كما ورد انها ضربتان وكالمشرق والمغرب فيقدر ما يقرب العبد من المغرب يبعد منه المشرق وروى ان بعضا من الاصحاب الذين اكلوا الثنائم وتمتعوا وماتوا قبل اخراجها والحال انه أراد اخراجها فمات قبل اخراجها انه حبس وعذب ووبخ عليه وقيل له ان المهدي انذرك فبعد انذاره تريد ان تجمع لك متاع الدنيا مع نعيم الآخرة ذق العذاب الاليم فلا عذر لك وغير ذلك وفيما ذكرته كفاية لمن له عناية وورد عن الاخوان الذين ماتوا واستشهدوا في حال صغائهم وصدق انابتهم لما عند الله انهم تسعوا نعمة عظيمة لا تخطر ببال ولا تقاس. منها ان بعضهم رؤي في نعيم عظيم وحوار وولدان وفرش واسرة وقصور وخيم وغير ذلك فيقال له صف لنا هذا الذي أنت فيه من النعم فيقول هذا شيء. اكرم الله به عباده المخلصين

فلا أقدر أن أصفه ولا أعده فانه لا يوصف ولا يعد وبعضهم يرى ان هبوب
الجنة تدخل في مسامه وجميع جسده كاللدخان الذي يخرج من بيت القش
فيجد لها لذة أشبه بلذة الجماع ولكن تلك التي في الجنة أحلى واللذة أضعافا
مضاعفة لا تخطر ببال ويلتذ بها بجميع جسده ويسمع لنساء الجنة نغمات
لا توصف لذتها وهن عشرين في الهواء كمشين على أرض الجنة فيمشين على
وجه الأرض ويطنون ويترن أزواجهن ويتقن معهم في الجهاد ويهللن لهم
فان استشهد أخذنه ومضين به الى دار نعيمه وان جرح ولم يشهد قعدن
معه يمرضنه الى ان يموت أو يبريء من الجرح وبعض الاصحاب من شهداء
وقعة الشاللي يرى في نعيم عظيم وقصور كثيرة فيقول أحدا لاخوان الحيين
انكم قد انزلتم هذا المنزل الكريم وتنعتم هذا النعيم العظيم فاین منازلنا
ونعمنا فيقول لا تشفق فان أصحاب المهدي الصادقين معه لهم منازل ونعم كمثل
هذا فامض معي لأريك منازلكم فيرهبه منازل عظيمة ونما نخيمة فيقول مق
نلحق بهذا ونخرج من هذه الدار الكدرة المتعبة فيقول له لا تشفق فان
أصحاب المهدي يصلون قريبا فيتقدمون بنعمهم هذه وبعضهم يرى بعض اكابر
الصالحين المتقدمين فيسأله عن مقامه مع مقامات أصحاب المهدي الذين ماتوا
فيقول هيات إن أصحاب المهدي من علو درجاتهم لا تراهم فهم راقون مرقق
عظيما وكثيرا يرى انهم يضبطون أصحاب المهدي ويقولون ليتنا كنا أصحاب
المهدي لما يرون من عظيم مكانتهم وفضلهم عند الله تعالى وبعضهم يستشفع
بالاصحاب ويقول اطلبوا المهدي يجعلني من أخس أصحابه فاني راض برتبة
أخسهم وأفرح ان وجدت ذلك ومثل هذا كثير مما روى في الجنة للاصحاب
الصادقين فيها أيها الاحباب فان القدوم الى ما عند الله قريب والسلام

ولما اطلع محمد الخير على ما كتبه المهدي استدعى الامراء وتلا عليهم
الكتب المذكورة فأصروا على الامتناع وأبو الانصاع وامتنع كل واحد
بعشيرته وخيف وقوع الفتنة وقبض محمد الخير على زعانف منهم وكتب يخبر
المهدي بما وصلت اليه الحالة فأمره بالتساهل وصرف مزيمته الى تجنيد
الرجال واعداد الجيوش للغارة على دنقلة والوقوف في وجه الحملة الانكليزية
فكانت قد بدأت حركاتها في دنقلة

واستقرت قدم محمد الخير في بربر ودانت له البلاد وخص ذوي قرابته
وتلامذته بكل الوظائف فحق عليه الجعليون وأضربوا له المداوة وذهب وفد
منهم الى المهدي يشكو من محمد الخير فغضبهم وأرجعهم خائبين حتى كان من
أمرهم ما ذكره في أيام التمايشي الذي كان شديد البغض للجعليين ومتربصاً
بالفرصة للانتقام منهم على هذه القعدة وسيأتي ذكر ذلك كله في مكانه والله الموفق

ذكر امارة ابي قرجة علي البحرين من قبل المهدي

ذكرنا ما كان من أمر الداعية ابن البصير وما وشي به على الشيخ المبيد
ونقول الآن ان المهدي انتدب الحاج محمد أبا قرجة الذي كان متأثراً حملة
الجنرال هيكرس وكتب الى الذين دخلوا في دعوته بطاعة أبي قرجة
وانه أمير على البحرين الابيض والازرق فنادر أبو قرجة الابيض ومعه
عشرون ألف مقاتل ولما وصل الى شاطيء النيل الابيض أرسل يدعو جميع
الداقلة أقاربه الذين كانوا مستوطنين في قري عديدة اشهرها قرية القطينة
على بعد نحو مائة ميل من جنوب الخرطوم
وكان أبو قرجة ينوي الزحف على الخرطوم من القطينة ولكن الاخبار

فاجأته بالواقعة الاولى بين صالح بك الملك والداعية ابن البصير فزحف من القطينة الى فداسي ومعه زهاء ستين ألف مقاتل مسلحين ببنادق من طراز رامنجتون ومعهم مدافع وسواريج وكان ذلك في منتصف شهر جمادي الاولى سنة ١٣٠١

ولما وصل أبو قرجة الى الخلاوين وزع عماله على الجهات وعزل عمال ابن البصير فاشتد الحصار بينهما وخيف وقوع الشريينهما فكتب المهدي الى ابن البصير يأمره بطاعة أبي قرجة فلم يستطع غير تقديم طاعته وانتدب أبو قرجة أخاه نصرا عاملا على المسلمية وعهد اليه مصادرة أموال كثير من الذين يبطنون ولاء الحكومة فتحصل على شيء كثير من هذه الاموال وقبض نصر على الشيخ محمد بن القبة وكان عالما بنحريراً لانه قام خطيباً في أهالي المسلمية وسرد عليهم الادلة الشرعية التي تظهر بطلان كل ما انتحله المهدي من الدعاوى الكاذبة

ولما اوقف الشيخ محمد بين يدي نصر سأله عما نسب اليه فأعاده امامه وقال اني لا أرهب الموت في الله فأمر به فسيق الى السوق وضربت عنقه ويروى عن بعض الحاضرين ان أبا قرجة كان يكره قتله لانه كان يمتدح فيه الصلاح

ذكر حروب صالح بك الملك في فداسي

صالح بك الملك صنجق من الشايقية كان يقود أربعمائة جندي من الباشبوزق وكان ذا مهارة وعقل راجح شهد أكثر الوقائع مع عبد القادر حلي باشا فشهد له بالشجاعة والمهارة

وقد ذكرنا فيما مضى انه دخل سنار مع مائة وخمسين جنديا بعد غارة عاصر
ابن المكاشفي عليها

ولما وصل غوردون الى الخرطوم أرسل الى سنار يستقدم صالح بك
الملك الى الخرطوم فغادر سنار برا ومعه صنجقان يقود كل واحد منهما
مائتي جندي

وبعد مسيرة يوم وليلة من سنار رأي في طريقه ان البلاد كلها دخلت
في دعوة المهدي فاستشار قواده فأشاروا عليه بالعودة الى سنار فلم يرق له
ذلك حيث علم ان الاعداء يطمعون فيه ويتأثرونه فتابع سيره الى الخرطوم
وما كاد يصل الى جهة «فداسي» وهي قرية على ضفة النهر حذاء المسلمية حتي
قام الجمليون الذين يسكنون المسلمية واستصرخوا عليه سكان القرى القريبة
من المسلمية فاجتمع عدد يربو على الخمسة آلاف وهاجموه وكان قد أخذ
أهبة وتحصن داخل زريبة من الشوك فاقتحم الدراويش الزريبة ووقف
هو وعساكره وقفعة الابطال فقتلوا أربعة آلاف مقاتل ورجع الباقون
بالهزيمة والفشل واتصل الخبر بابن البصير فتقدم الي فداسي في جمع كثيف
للحرب فقهقر بخسارة ثلاثة آلاف قتيل ولكنه بقي محاصرا للجنود حتي قدم
أبو قرجة ووقعت بينه وبين صالح بك واقعة خسر فيها أبو قرجة أكثر من
ثلاثة آلاف مقاتل ثم أرسل أبو قرجة الى الشيخ العبيد يستقدمه فقدم على
باخرة من بواخر الحكومة وقعت في يد الدراويش وأرسل أبو قرجة الشيخ
العبيد الى صالح بك فاجتمع به وقال له ان الخرطوم قد سقطت في قبضتنا
وحلف له على ذلك أيما مغلظة

وكان رسل صالح بك قد وصلوا الخرطوم فأبلغوا غوردون ان صالح بك

في حاجة شديدة الى اللدد وأن ذخيرة أو شكت أن تنفذ فكتب اليه غردون
يعمده بالنظر في أمر ايصال النجدة اليه وكان ايصال المدد متعذراً لمدة وجوه
منها عدم وجود جنود في الخرطوم تستطيع المخاطرة والتقدم براً من الخرطوم
الى فداي

وقد كان من الممكن ايصال النجدة بحراً لو كان النيل مرتفعاً لان البواخر
لا تستطيع السفر من الخرطوم وقتئذ اكثر من ثلاثة أميال
وفي أوائل شهر جمادي الاخرة سنة ١٣٠١ فقد صالح بك كل أمل
بوصول المدد اليه كما فقد كل ذخيرة فاسلم نفسه الي ابي قرجة الذي ارسله
اسيراً للمهدي

وبسقوط فداي أخذ أبو قرجة وابن البصير يستعدان للزحف على
الخرطوم وحصارها من جهة الخندق
ولما وصل صالح بك الى المهدي قابله بشيء من الاكرام وأخذ يحثه
على الطاعة والالتقياد لاوامره ثم قبض عليه وسجنه مع سلاطين باشا ولبتن
فكتب اليه عدة كتب يسأله الصفع عن زلته فكان يجاوبه بان السجن خير
له من الاطلاق لان فيه تنظيف سريره من النفاق والميل الى الكفار
وتبقى مدة في الاسر حتى توفي أواخر سنة ١٣٠٦ من الهجرة

ونذكر هنا بعض ما كتبه له المهدي نقلاً عن كتاب المنشورات لما فيها
من الفائدة والدلالة على ان صالح بك كتب الي غوردون يعلمه بكثير مما دبره
المهدي فوقت الكتب بأيدي جواسيس المهدي وقفي صالح بك مدة في
عذاب السجن والاشغال الشاقة وحفر يده بثرأ يزيد ممها عن مائتي متر
وكان غوردون قد أنعم عليه برتبة الميرميان الرفيعة مع لقب باشا

وهذه صورة كتاب من كتبه له

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
 فن العبد المفتقر الى مولاه المهدي بن عبد الله الى صالح الملك وقاه الله كل
 كفر وشك وجعله من أهل الخير الذين يخشون الله الملك لا يخفوا أن الله
 قادر وبيده كل شيء وقد جعل الدنيا دار ابتلاء ليميز المصدقون بدار الجزاء
 من زائل لباقي العارفون بقدرته الله على كل شيء المتحققون أنه لا يجري في
 الكون شيء الا بإرادته وما فعل فعلا الا كان على حكمة بالغة فمن أعرض
 عنه جهلا به عاقبه عقوبة شديدة لقيام البراهين على السنة الرسل والأولياء
 الدالين على الله وعلى ما عنده ومن أعرض على معرفة كانت الحجة عليه أكد
 وعذابه أشد وأشد وانك قد عرفت في الجواب الذي أرسلته الى الردون
 أولا أن القدرة كلها لله ولا ينال دين الله أحد الاغلبه وان الله برحمته قد
 أنقذك من الوقوع في الورطة وذلك على مهديه بالخروج من الظلمات الى النور
 ومع ذلك كله لواقع حقيقة جعلت ذلك ظاهرا فقط وان باطنك منطوق على
 غير ذلك مخاطبا به الردون في الجواب الثاني وما أعرضت وتوليت بذلك
 عن الله والدار الآخرة الا لحبك الحياة الدنيا وصارت مبلغ علمك ولو كان
 إيمانك بالله وبما عند الله صادقا لما نافقت بطلب خسيس الدنيا من الجاه والمال
 ولما باطننت به الردون ولما كنت تنصرف عن الله وعن مهديه بسبب جوع
 أو حطة كما انك تعرف ان المصدقين بما عند الله قد صبروا على ما هو أشد
 مما حصل عليك اضمافا وقد ذهبت في الله أموالهم وفارقوا ديارهم وتزلزلت
 أولادهم وأحبابهم راضين بذلك عارفين ان الملبى بذلك ربهم لتعظيم ثوابهم

وتصفية إيمانهم ولكن أقول صدق الله في قوله حيث قال «ومن الناس من يبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة» الآية فلو كان إيمانك على تمكين ويقين لعددت ما يحصل لك من البلاء رحمة من الله بك إيمانا بما عند الله وبحسن قضاء الله وجلب ذلك خير ما عند الله فلو تقطعت بذلك أربا أربا لما خادعت الفردون حيث ان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يقول «ما بلى أحد مثل ما ابتليت» وكل ما بليت بالاجوع والاثقال والعري والخوف لعرفت ان ذلك قليل في جنب الذي تطلبه عند الله ولقلت نعم ما هو الفوز عند الله اذ يقول الله تعالى «استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين» الى قوله «وأولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» فاعرضت عن الله ولم تصدق بكلام الله وقد قال الله تعالى «فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم» ومع شؤم الحالة واستحقاقك فيها القتل قد أردنا تصفيتك وتكفير خطاياك بالسجن والحبس والنفل لتكون مع المكرمين الصادقين في طلب ما عند الله من المزايا العظيمة الدائمة رحمة بك فلما نلت ذلك كنت تحمد الله على قدر ما يزيد عليك التأديب اذ في كثرة ابتلايا المزايا كما ورد ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها الذي تنأسف على فراقه فاذا أذاك جوابي فقوض أمرك لله وترقب حسن ما عند الله وأعرض عن الدنيا وما فيها

لتنال الرضا الكامل والسلام ١٤ محرم سنة ١٣٠٢

وهذه صورة كتاب آخر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد

فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى محبنا صالح الملك وقاه
الله كل سوء ومهلك وجمله ممن للخيرات تملك آمين أيها الحبيب لا يخفى ان
هذه الدار منقضية وقد خلقها الله لا تزود لدار القرار والسعي فيما يقرب الى
الخالق المختار واعلم ان حبسك هذا ليس لمؤاخذه وانما هو شفقة بك وتقديم
الي خيرك الدائم وتنهير وتبديد لك من سوء ملايم واني أعرف بحالك
ابوصلاحك منك وليس عندي قصد نفسانيات كما لا يخفى على جميع المؤمنين
والمؤمنات وستنظر خير ذلك وكما لوحث بخلق النبي صلى الله عليه وسلم من
صفحه ورحمته فبفضل الله تعالى قد خافني الله بذلك رحمة منه لا بحولي ولا
بقوتي ولكن بتسليمك لنا وحسن الظن بنا تجد عظيم المنى فحسن ظنك في
الله وفينا فبحسن البداية تجد كمال النهاية والسلام

ذكر زحف المهدي من الابيض الى غدير الرهد

لما علم المهدي ن دعوته قد انتشرت في أكثر أنحاء السودان وأن نفوذ
الحكومة قد تقلص ولم يبق في السودان غير الخرطوم وسنار وكسلة وكلها
محصورة بجنوده جمع اليه أهل مشورته وكان من رأى عبد الله التعايشي أن
لا يغادر المهدي الايض عاصمة كوردفان وأن يبعث بالجيوش لاختضاع
الخرطوم وسنار وكسلة وحمل أموالها وذخيرتها ليشترى ساعده ويتقدم الي
دارفور ومنها الى ممالك السودان ليؤسس بها مملكة تكون بعيدة عن
احتمال غارة المصريين عليها فعارضه أحد الخلفاء فقال انا لا تقف عند الخرطوم
بل لا بد لنا من التقدم الي مصر ومنها الى الشام فالحرمين الشريفين وان
تقدمنا الى جهة الغرب يدعو كثيراً من الناس للشك في أمر المهدي حيث

انهم يرون لاثبات المهدي ضرورة قيام صاحبها بها في الاماكن المقدسة ونحن
قد وعدناهم بصيرورة ذلك لاحالة وعليه فان انصراف وجهتنا عن الخرطوم
يفتح باباً لمثل هذه الشكوك التي ربما كانت سيئة المنبة فوافق المهدي علي
هذا الرأي تبعاً لاميال اقاربه الذين هم من دنقلة ويكرهون الابتعاد عن
أوطانهم والتطوح في السودان الغربي ومن جهة أخرى ان أهالي السودان
الاطوسط اذا علموا بنيتة علي الزحف الي السودان الغربي رغبوا عنه ووالو
الحكومة. والحاصل انه عقد النية ووطد العزم علي الزحف الي الخرطوم
وأخذ يحث الناس علي الهجرة ومغادرة ديارهم مقبحا لهم منافع الدنيا وجاء
باشياء كثيرة من المواعظ في ذم اقتناء البقر والابل وغيرها من الماشية وان
الله متكفل بارزاق العباد فلا يليق بالمبد ان يركن الي الزرع ويهتم بامر
المعيشة فصادت مواعظه آذاناً صاغية من أهالي كوردفان فكانوا يحرقون
منازلهم ويبيعون ماشيتهم أو يذبحونها ويلحقون بالمهدي في الابيض حتى
اجتمع حوله زهاء ثمانمائة الف مقاتل ضاقت بهم الابيض وقل الماء وارتفعت
أثمانه حتى بلغ ثمن جرة الماء عشرة قروش صاغ لان الآبار قليلة في الابيض
ويبلغ عمقها مائتي متر ولا يتيسر حفر بئر في أقل من سنتين لان الارض
محشوة بصخور صلبة من الصوان

وفي أوائل شهر جمادي الآخرة خطب في الناس وقال لهم ان المسيح
الذي جاء في الدنيا سيأتي الابيض بعد شغوصي منها وان كل من تخلف عني وقع في
فتنته وصار من أتباعه ثم غادر الابيض الي جهة (غدير الرهد) الواقع في
الجنوب الشرقي من الابيض علي مسيرة مرحلتين ونزل بالرهد وأنشأ اكواخا
من البوص لسكناء وتابع الناس مسيرهم خلقه فصار ما بين الابيض والرهد

كدينة آهلة بالسكان لكثرة الذين يسرون في الطريق بينهما
واستخلف المهدي على الابيض عمه محمود بن عبد القادر وهو من
اكبر انصاره الذين شادوا أركان دعوة المهدي معه وسنعود الى ذكر بقية أخباره
وثورة جنوده عليه وقتله

ومعسكر المهدي في الرهد ووفد عليه كثير من أهالي الجزيرة لتقديم
الطاعة له فكان يقابلهم بالأكرام ويحثهم على العودة الى بلادهم للجهاد وأقام
المهدي في الرهد وأرسل جيوشه كلها للقارة على جبل الداير الذي لا يبعد عن
الرهد الا مسيرة مرحلة واحدة

ذكر حرب المهدي مع اهل جبل الداير

جبل الداير واقع في الجنوب الشرقي من الابيض عاصمة كوردقان
وسكانه من العبيد النوبيين وهو جبل يبلغ طوله ثلاثين ميلا وعرضه
ينقص قليلا عن هذا القدر وحجره من الصوان بمكس قته فاتها
أرض زراعية من أجود أراضي كوردقان ينبت فيها الزرع وينبع فيها
الماء وفي تلك القمة اكثر من مائة قرية يسكن كل واحدة منها ما بين ألف
عشرة آلاف نسمة يزرعون ويرعون الماشية في نباتها الكثير وعندما
النحل بكثرة حتى أن قيمة العسل كالماء ومن اكثر محصولات ذلك الجبل
نوع (التبغ) المسمى (كدكراوي) وهو شديد التخدير لمن يدخنه أو يلوكه
في فمه على الطريقة المعروفة باسم (مدغه) وهؤلاء السكان لا دين لهم مثل
سائر عبيد أفريقية والوانهم شديدة السواد وأجسامهم عارية من الملابس
الاما رز صغيرة يسترون بها عوراتهم

وليس لهذا الجبل الا - بيل واحد للصود على قمته اذ يبلغ ارتفاعه نحو ألفي متر
ونقل لنا أحد المصريين انه صعد على قمة جبل قلي الواقع جنوب سنار
عند منابع النيل الازرق في يوم كثير الغيوم فابصر جبل الدائر وجبال قلي
كقطع من السحاب خضراء وقال له سكان ذلك الجبل هذا جبل الدائر
وهامى جبال قلي

وعليه فان جبل الدائر ذو منعة طبيعية يستطيع أهله مع بعدهم عن
المعدات الدفاعية أن يجعلوا الاستيلاء عليه رابع المستحيلات

وفي عام سنة ١٢٨٥ هجرية كان حسن حلمي باشا الجويسر مديراً
لكوردفان وقصد اخضاع جبل الدائر لسلطة الحكومة فزحف عليه بطابور
من المشاة النظاميين ونحو أربع مائة من جنود الباشبورق الغير نظاميين وأخذ
لنفسه الحذر حتى لا يشمر النوبيون بقدمه اليهم ثم تمكن من الصعود على
قمة هذا الجبل على غرة من أهله الذين لو علموا أمر تقدمه عليهم لاستطاعوا
دفعه بغير كبير مشقة

ولما استقر الجنود في قمة الجبل قابلهم السكان بجيش جرار وأصلوهم
حرباً كانت نتيجة انتصار المصريين وتقهقر النوبيين بخسارة بضعة آلاف
من مقاتلتهم ثم ان القائد لما أمعن النظر في قمة الجبل هاله ما فيها من الغابات
الكثيفة وكثرة الوحوش الضارية وأخصها النمر التي تضطر السكان الى ان
يتصموا داخل اكواخهم وزرائبهم قبل غروب الشمس بساعتين ويقضون
ليلهم في كروفر مع النمر التي تهاجم منازلهم وزرائب ماشيتهم هجوماً عنيفاً
في كل ليلة

ولما رأى ذلك صرم على العودة من غير ان يحنى شيئاً من ثمار انتصاره فإشار عليه واحد من صناعق الباشبوزق اسمه مصطفى أغا بالتريص قليلا قبل مشورته وبعد بضعة أيام جاء رؤساء القرى يقدمون طاعتهم فلتقام بالاكرام وفرض عليهم مائتي الف قرش ضريبة يؤدونها للحكومة في كل عام فاسرعوا بالأجابة وأدوا هذا المال وقفلوا راجعين بعد ان أقام منهم رؤساء وحكاما يمثلون سلطة الحكومة عليهم ومن ثم صارت أبواب جبل الداير مفتوحة في وجه التجار ويجلب منها العاج وريش النعام والعسل والتمر هندي والتبغ والسسم ويوجد في هذا الجبل معادن حديد بكثرة والاهالي يجهلون كيفية استخراجها

وبعد ما فتك المهدي بحملة الجنرال هيكس أغار أهل جبل الداير ليلاً على شيكان محل مصرع الحملة واختطفوا كثيراً من البنادق والخرطوش فكتب المهدي الى رؤسائهم يدعوهم للدخول في طاعته ويسألهم ان يردوا ما اختطفوه فقابلوا دعوته بالرفض وعدم الاكتراث فخذ عليهم وصم على مفاجأتهم للانتقام منهم ولما اجتمعت انصاره في الرهد انتدب القائدين عبد الرحمن النجومي صاحب الراية البيضاء ومحمدان أبوعنجه قائد الجهادية وأمر الثاني بطاعة الاول فزحفا على جبل الداير في أربعين الف مقاتل منهم عشرون الفا يقودهم حمدان أبوعنجه وسلاح جلهم من بنادق رامنجتون وعسكر هذا الجيش في سفح الجبل عند قرية اسمها (سدره) وأخذ يوالي الهجوم صباحا ومساء على الجبل فيقالبه النوبيون بدفاع يضطرونهم الى التقهقر بخسائر غير قليلة والمهدي يوالي ارسال المدد في كل يوم حتى بلغ عدد الجيش مائة الف مقاتل

واشتد الخلاف بين عبد الرحمن النجومي وحمدان أبي عنجه وكان
التعاشي ظهيراً لحمدان لما بينهما من القرابة ولأنه من رايته فالح على المهدي
فكتب منشوراً إليهما بأن كل المقاتلة من أهالي السودان اتعربى يكونون
تحت إمرة حمدان أبي عنجه أما الجمليون والداقلة فالأمير عليهم عبد الرحمن
النجومي ويكون كل واحد من الأميرين مستقلاً بنفسه

وكتب المهدي منشوراً إلى الأميرين ومن معهما قال فيه إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أخبره في حضرة أن أنصاره إذا هاجوا جبل الدائر في
صبيحة يوم الخميس يندك تحت أقدامهم وتتصدع صخوره ويصير هو ووجه
الأرض سواء

وفي ذلك اليوم صلى الأميران الصبح بنلس ودقوا طبولهم وهاجموا
الجبل وبعد قتال عنيف دام إلى عصر ذلك اليوم انهزم الدراويش شر هزيمة
وتركوا في ساحة الحرب أكثر من عشرة آلاف قتيل عدا المجروحين الذين
يربو عددهم على هذا القدر وعاد كثير من الدراويش وفي أنفسهم شيء
كثير من المهدي الذي كذب عليهم ووعدهم بذلك الجبل وقد صرح لي خير
واحد من كبار الدراويش بأنه كان قوى التصديق بدعوى المهدي في السر
والعلانية ولكن منذ واقعة الدائر صار لا يصدق دعواه الا ظاهراً خوفاً
على نفسه من الوقعة والانتقام

ولما اتصل بالمهدي خبر الهزيمة التي لحقت أنصاره كتب إليهم بدعوتهم
إلى العودة إلى معسكره بالهدوء وقال لهم ضمن كتابه إن رؤساء الجبل
جاءوه ليلاً وقدموا له الطاعة والخضوع وإن النبي صلى الله عليه وسلم أمره
بالكف عن مناوأتهم والاحسان إليهم والحقيقة إن رؤساء الجبل لم يخضعوا

له ولا رأيتهم عينه وقد كذب عليهم ليموه على عقول البسطاء بانه قادر على التغلب عليهم

ولدى عودة الدراويش الى الرهد قابل أسراؤهم المهدي وذكروا له ان الجبل ذلك امامهم كما أخبرهم ولكن سبب الهزيمة عدم الوفاق بين القائدين فأتى عليهم وشكرهم وانصرفوا من عنده والناس متعجبون من اكاذيب المهدي وأسراؤه مما

ذكر رد طالقة الثلاث

لما عسكر المهدي في الرهد ووفد عليه كثير من أهالي الجزيرة لتقديم الطاعة والخضوع استفتاه كثير من أولئك الوافدين في أمر زواجهم اللواتي وقع عليهن الطلاق ثلاثا قبل ظهور دعوته أو كانت طالقة أو اثنتان منهن قبل دعوته وقد بنى المستفتون فتاويهم على شيء مما قاله في دعاويه التي تقدم لنا إيرادها من ان الزمن الذي تقدم على ظهور دعوته حكمه حكم زمن الجاهلية الذي تقدم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فاجاب على هذه الفتاوي بمنشور صرح فيه بجواز وطئ أولئك المطلقات من غير ان ينكحن أزاجا غير الذين طلقوهن بدعوى انهن كن غير مؤمنات ثم تطرف الى ذكر نساؤه فذكر انهن كنساء النبي صلى الله عليه وسلم وتعرض الى تفسير بعض الآيات القرآنية التي نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفسرها بما يطابق هواه وانه سمع كلاما من قبل الله عز وجل ليس بصوت ولا حرف وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان ملك الالهام مصاحب له . والحاصل ان ذلك المنشور مملوء بالاكاذيب التي تدل على ما كان عليه المهدي من البدع والضلال

• وهذا هو نص المنشور الآنف الذ كر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .
وبعد فيقول العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله انه قد كثر الضرر
والتشكي الي وطلب النوث من الانصار الحاصل منهم الطلاق قبل زمن
المهدية ولا يخلو ذلك من الضيق والخرج منهم ومن نسايتهم وقد تابوا والى
الله انابوا وللالة والاجتماع في دين الله طلبوا ومرارا أعرض عن ذلك
وأقول أليسوا كانوا مؤمنين وأفتى للبعض ان عدم الحسبة في الطلاق لاهل
القيقر والنساء اللاتي لم يكن مؤمنات لانهم لاعصم لهم فلا يكن لمن حسبة
طلاق حتى كثر الضرر في ذلك والتردد فاهتمت بذلك وتضرعت وابتلت
الي الله في ذلك ليحصل لي فرقان من كتاب الله تعالى لانه سبحانه قد وعد
بالفرقان والمخرج للمتقين وفوضت الامر الى الله وتركته حتى ورد علي وارد
في آخر ورد الراتب وقد كان هذا الامر خارجا من بالي فوردت لي هذه
الآية وهي قوله تعالى « وما جعل عليكم في الدين من حرج » مع الالهام انها
المخرج من ذلك الضرر الحاصل في الطلاق قبل المهدية وان الطلاق قبل
المهدية لا يحسب لمن تمت الثلاث ولو بعد المهدية وسبق طلاق قبل المهدية
وبعد المهدية لاتكون الفتاوى التي كان العلماء يفتون بها في مطلقة الثلاثة
وقد وقع في قلبي حيثذا أعني في وقت ذلك الوارد لنا من قوله صلى الله عليه
وسلم انما لما نخرج من «أبا» الى الغرب فالناس يدخلون في دين الاسلام جديدا
علي أو كما قال وقد وقع لبعض نسايت تمام عدد الطلاق ووقع بعضها قبل
المهدية وقد تضرروا بأنفسهم بأهليهم وبعض الاصحاب وأمرتهم بأن يتزوجوا

فلم يرتضوا حتي ورد الخبر بمنع ذلك بالخصوصية التي يأتي ذكرها ولا زالوا
يتضررون فقلت لاسبيل الى ذلك الا بشيء يأتي لنا من الله ورسوله صلى
الله عليه وسلم مع وقوع بعض حضرات نبوية في حسبتها من نسائي ووقوفها
معهن في التصفية وبعض حضرات حصل فيها الامر برجوعها من كثير من
آوي صالحة في حسبتها من نسائي وبكل ذلك كنت أجد في نفسي الحرج
من الرجوع لها مع تمام حصة الطلاق حتي ورد لي الوارد فيها مع ذلك الوارد
المتقدم ذكره وهو قوله تعالى «لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما»
الآية فلا أدري الا وقد انفرج ما بي من ذلك الخوف وانشرح لها صدري
بغير ما أعهد والامر لله والله تعالى في كل وقت شأن وقد جاء الاخبار من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مي ملك الالهام من الله يسدني وعينه
فن هذا الخبر النبوي علمت ان الذي يلهمني الله به بواسطة ملك الالهام لو
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرا لفعله وقد ورد لي مرارا الخصوصية
التي كانت له صلى الله عليه وسلم في نسائه مع التوصية منه صلى الله عليه وسلم
ان تنزل نسائي كنزلة نسائه صلى الله عليه وسلم ولما أهديت الي النساء مع
الوارد لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن أخذني خجل من ربي
سبحانه في أمرهن وأنا في ذلك فجاءني سلام سمته بجميع جسدي من غير
حرف ولا صوت ولا سر ولا جهر ولا بعد ولا قرب ولا أقدر على تكيف
شيء منه فدلتني على أسرار كثيرة والله المثل الاعلى وتعالى الله عن كل ما يخطر
ببال وأمر ذلك مفوض الى الله تعالى ولكن حصل لي مع ذلك الالهام الذي
يحصل لي فانشرح لي به الصدر وانحل قلبي مما كنت مهتما به وحصلت لي
اسرار كثيرة يغمض فهمها وقد حصل لي مثل واقعة هذا السلام شيء يشبه

ذلك في كيفية بعض النساء بشارة نسيها مع تسمية الولد والبنت اللذين يجعلهما
الله تعالى منها فسميته بسائر جسمى باطنا وكل ذلك بحول الله وفضله لا يشغف
في النساء ولا أبري نفسي الا أن يزكيني ربي وعلم حالي عند ربي ، واعلم ان
ظن المؤمنين بي حسن ولكن لحوف دخول الشيطان على من ضعف قلبه
مع العلم ان خلافتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا بخلافه الخلفاء السابقين
سأبين بعض النصوص المذكورة في بعض التفاسير في قوله تعالى «لا تحل لك
النساء من بعد» لينحل قلب بعض الاخوان الذين تقع في قلوبهم عداوة
الشيطان بسبب النساء اللاتي ارادهن لي ربي سبحانه وانما الشيطان يجري
من ابن آدم مجرى الدم فاذا فقد العبد كثرة انوار الحجة واليقين بالحقيقة التي
نحن عليها أخاف أن يضره الشيطان. قال عكرمة والضحاك «لا تحل لك النساء
من بعد» أي الآلاتي أحللنا لك وهي قوله «انا أحللنا لك أزواجك اللاتي
آتيت أجورهن» الآية ثم قال «لا تحل لك النساء من بعد» أي الآلاتي أحللنا
لك بالصفة التي تقدم ذكرها وقيل لأبي بن كعب لو مات نساء رسول الله
صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل قوله
تعالى «لا تحل لك النساء من بعد» قال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال
تعالى «يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك» الآية ثم قال لا تحل لك النساء من
بعد وبين بعضهم في هذا المقام انه صلى الله عليه وسلم تجوز له ثلاثمائة امرأة
وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات «ولا
أن تبدل بهن من أزواج» يقول ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود
والنصارى يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية : ولو أعجبتك
حسنهن الا ما ملكت يمينك» أحل له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن

يتسري بهن • وروى عن الضحاك ولا أن تبدل بهن من أزواج يعني ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حبالك أزواجا غيرهن بأن تطلقهن فتكح غيرهن فخرم عليه طلاق اللواتي كن عنده وحرمن علي غيره حين اخترته فاما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه وغير ذلك من نحو هذا • أقول وبعد هذا قد حصلت لي في هذا المعنى اسرار كثيرة يطول ذكرها والحمد لله على خاصيتنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنايته بنا ودعائه لنا قديما وحديثا فان شرف التابع من شرف المتبوع والسلام اه

زحف ابي قرجة علي الخرطوم

لما سقطت فداسي في يد أبي قرجة وأرسل صالح بك الملك أسيرا الي المهدي كتب المهدي الي أبي قرجة يأمره بالتقدم الي الخرطوم من جهة الجريف وفي أوائل شهر رجب سنة ١٣٠١ وصل أبو قرجة بجيش جرار الي قرية الجريف التي تبعد عن الخرطوم مسافة أربعة أميال علي ضفة النيل الازرق وعسكر هناك وشاد اثنتي عشرة طاية حبال استحكام الخرطوم وانضم اليه دعاة المهدي الذين كانوا حول الخرطوم وفي مقدمتهم الشيخ مضموع عبد الرحمن وفي ثاني يوم وصوله الي الجريف جمع مقاتلته وهجم بهم علي الاستحكام فسكت الجنود ولم يرموه بالنيران حتي اذا صار علي قرب الف مائة متر من الاستحكام انفجرت فيهم الالغام التي كانت مدفونة في الارض واطلق الجنود النيران علي العدو فتقهقر أبو قرجة وبلغت خسارته أربعة آلاف قتيل عدا المجروحين

وكانت هذه الالغام قد وضعت قبل زحف أبي قرجة بنحو عشرين

يوما وقام بتجربتها غردون والمستر ياورقنصل انكلترا في الخرطوم
وعاد أبو قرجة الى معسكره في الجريف وأخذ يوالي اطلاق النار على
الاستحكام دون ان يجسر على الدنو منه وكان مع أبي قرجة نحو مائة نفر من
أقاربه الدناقلة وكانوا نخاسين في جهات خط الاستواء ولهم مهارة في اتقان
رماية الرصاص مثل اكثر النخاسين حتى انهم يقفون في ظلام الليل على بعد
مرمى الرصاص وينادون باسماء دنائلة نخاسين بقوا على ولاء الحكومة
هم وقائدهم ساقى بك الدنقلاوى الذي كان نخاسا أيضا فاذا أجابهم المنادي
قذفوه بالرصاص فيصيبه وأخيرا أصدر غردون امرا منع به كل كلام بين
رماة أبي قرجة وساقى بك

ومكث أبو قرجة محاصرا الخرطوم من شهر رجب الى اليوم السابع
من شهر شوال حتى هزمه محمد علي باشا وسنعود الى ذكر ذلك

ذكر تفشي الجدرى بين الدراويش

كان غردون أمر بوضع مادة الجدرى في جوف الكلال فاذا قذفت من
المدافع وقعت في وسط الدراويش فغير أن تنفجر فيأخذونها ويمجدون الماء في
جوفها فيقولون انها من كرامات المهدي ويتبركون بالمادة الجدرية ويمسحون
بها وجوههم قشاشا فيهم الجدرى وقد رعدت الوفيات به كل يوم بخمسين نسمة
ولم يفتنوا لشيء ما واتصلت الاخبار بالمهدي فبنى عليها ما بنى وزعم ان النبي صلى
الله عليه وسلم أخبره بأن الكلال تحول ماء كرامة له وكثير من البسطاء يعتقدون
ان هذه المكيدة كرامة ثابتة للمهدي

واقعة الجريف

في صبيحة اليوم الرابع من شهر شوال سنة ١٣٠١ انتدب غردون الميرالاي محمد علي بك حسين ميرالاي لواء السودان الاول ونحو ألف جندي من الباشبوزق وعدة الجميع خمسة آلاف مقاتل وخمس بواخر قد صنعت بالقولاذ لمهاجمة معسكر أبي قرجة فتلقاهم بثبات غريب وما زالوا في كروفر حتى جاء الليل ولم تسفر الحرب عن نتيجة وثابر القائد على خطته وأحاط بطوابي الدراويش وضايقتها من جهة البحر وهاجمها من البرمدة يومين وفي اليوم الثالث تمكن محمد علي بك من الاحاطة بطوابي العدو حيث استولى عليها بعد الظهر وفر أبو قرجة ومعه أربع مائة نفر من خواصه وقتل من الدراويش نحو عشرة آلاف مقاتل وغنم الجنود مافي معسكرهم من المؤن والذخائر واحتملوا شياً كثيراً من الاقوات التي ساعدت سكان المدينة وخفضت ثمن الاقوات فيها وعثر الجنود في منازل الامراء على كميات كبيرة من المسكرات كانوا يخفونها في منازلهم ويعاقرونها سرا ولحق أبو قرجة بالقلاة وأرسل يهمل المهدي بما أصابه من القتل فوافاه الكتاب وقد غادر الرهد قاصداً «شاة» القرية من النيل الابيض فاستاء من هذا النبأ

وروى سلاطين باشا ان عبد الله التعايشي استدعاه وقال له ان غردون رجل داهية وذو حيل وانه هجم على أبي قرجة وهزمه من الجريف وان المهدي ينوي ارسال عبدالرحمن النجومي لانه الرجل الذي يمكنه قهر غردون فقال له سلاطين عسى أن لا تكون خسائر أبي قرجة عظيمة فقال لا حرب بغير خسارة

وكتب المهدي الى ابي قرجة يشجبه ويأمره بالانضمام الى الجيش الذي يقوده
عبد الرحمن النجومي وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأن هذه المصيبة
خاتمة المصائب التي يختبر الله بها أصحابه وانها آخر هزيمة تلحقهم حتى
يفتحوا الخرطوم

واقعة الحلفاية

(وهزيمة الدراويش فيها)

وفي يوم ٨ شوال سنة ١٨٠١ بعد عودة محمد علي بك من الجريف سار
بالقوة التي كانت معه الى جهة الحلفاية وكان بها أولاد الشيخ العبيد الذين
تقدم لنا ذكر حوادثهم وهجم على حصونهم فدافعوا نحو ثلاث ساعات ثم
انهزموا واستولى الجنود على مواقعهم ولحق المهزومون بالهلاكة

وكان أبو قرجة أرسل الشيخ مضوى بخمسمائة مقاتل لتعزيز حامية
الدراويش في الحلفاية وذلك قبل هزيمته ببضعة أيام وعاد محمد علي بك الى
الخرطوم ظافراً بعد أن وضع حراساً على الحلفاية وأمرهم بهدم القرية وحمل
أخشابها الى المدينة

وأنهم غردون على محمد بك برتبة اللواء الرفيعة وتلقاه بالاكرام حين
عودته الى المدينة

وكان غردون يظن ان نتيجة الواقعتين الجريف والحلفاية ستكون عودة
أهالي القرى الى الطاعة على أثر هزيمة الدراويش فخاب ظنه حيث فر الاهلون
الى الدراويش وتركوا قراهم ومنازلهم ومزارعهم فاستفاد سكان المدينة بعض
الفائدة حيث كانوا يؤلفون عصابات يخرجون بها ويحتملون الغلال وسائر

الاقوات من منازل الاهلين

ووقت انباء هذه الهزيمة موقفاً سيئاً عند المهدي حيث تقدم بنفسه

الى الخرطوم

على ان الذي ساعد على هذه الانتصارات هو ارتفاع النيل ومساعدة

البواخر للجنود ولولا ذلك لم تقدر على هزيمة العدو وطرده من
الجرىف والحفاية

وبقي الحال على ما هو عليه في المدينة وابتعد الدراويش عن ضفة النهر

وأوغلوا في الفلوات واسترد المدفع الذي غنمه الدراويش في الواقعة التي خان فيها

السعيد حسين الجمياعي وحسن ابراهيم الشلالى

واقعة ابي حراز

أبو حراز قرية واقعة في الضفة الشرقية للنيل الازرق وهي تبعد عن

الخرطوم بمسيرة سبع مراحل وهي التي قتل فيها الشريف أحمد بن طه وقد
تقدم ذكر قتله

سار اليها محمد على باشا في خمس بواخر تقل أربعة آلاف جندي بعد واقعة

الحفاية يدعو أهلها الى الطاعة والخضوع للحكومة قروا من وجهه ولم يحاربوه

وأباح القرية للجنود فنهبوا ما فيها من الاقوات وشحن من غلالهم نحو النقي

أردب ونحو ثلاثمائة قنطار من البن الحبشي لان هذه القرية مركز للتجارة

الحبشية والقوافل الذاهبة الى حدود الحبشة والآية منها تنزل فيها ثم عادت

الجنود الى الخرطوم بنير ان تصادف كيداً

واقعة القطينة وقتل ساتي

القطينة قرية واقعة جنوب الخرطوم على ضفة النيل الأبيض وساتي بك هذا كان نخاساً ثم صار موظفاً أميرياً في بحر النزال ولما وصل غردون الى الخرطوم عينه قائداً على اربعمائة جندي من الباشبوزق وأصلهم من جنود الخطرية الذين كانوا في بحر النزال

وفي أواخر شهر شوال سنة ١٣٠١ اتصل بغوردون ان شخصاً اسمه علي عبد الله من أهالي القطينة وصهر المهدي جمع جموعاً من بلده ينوي بهم الزحف على الخرطوم فانتدب ساتي بك بجنوده على باخرتين لاكتشاف أولئك المجتمعين

ولما وصلت الباخرتان الى القطينة هجم علي عبد الله ومن معه على ساتي بك هجوماً عنيفاً قُتِلَ لهم وهزمهم عدة مرات وما زالوا في كروفر حتى أصيب ساتي بك برصاصة قضت عليه وانهمز جنوده ولحقوا بالباخرتين المتين أفلتا بهم وعادتا الى الخرطوم

واقعة العيلفون

العيلفون قرية على ضفة النيل الأزرق تبعد عن الخرطوم بمسافة واحدة ولما انهزم الدراويش من الحلقة لحقوا بام ضبان قرية الشيخ العبيد وفاوضوه في الامر فكتب منشوراً استصرخ فيه القبائل فاجتمع عليه نحو عشرة آلاف مقاتل وأرسل الشيخ مضوي الى العيلفون لجمع أهاليها وأهالي القرى التي حولها قتال عليه نحو خمسة آلاف مقاتل عسكر بهم في العيلفون

وانتدب غردون اللواء محمد علي باشا ومعه خمسة آلاف جندي ونحو
خمس آلاف من أهالي الخرطوم خرجوا متطوعين طمعا في الكسب وقد
أذن لهم غردون بمرافقة الحملة لأن ما يكسبونه من الاقوات والماشية يعود
بفائدة إيجاد القوات في المدينة وسارت الحملة من الخرطوم أوائل شهر ذي
القعدة سنة ١٣٠١ على خمس بواخر وعشرة صنادل ومراكب شراعية

وعند ما وصلت الميلتون هجمت على المعصاة فقابلوها بثباب عظيم ثم
أحاطت بموقعهم واصلتهم نارا حامية وقتلت منهم عددا يربو على الأربعة
آلاف وفر الشيخ مضوي في نحو مائتين ولحق بام ضبان وانضم الى الشيخ
المبيد وغنت الحملة شيئا كثيرا من الماشية والحبوب ووصلت أخبار الانتصار الى
غردون فسر بها وملأت الآمال جنبيه وأثنى على محمد علي باشا وأعجب بمهارته

واقعة ام ضبان وقتل محمد علي باشا وحملة

لما انتصر محمد علي باشا في واقعة الميلتون ارسل جواسيسه الى ام
ضبان فمادوا وأخبروه كذبا بأن الشيخ المبيد في عدد قليل من الرجال وان
الذين حوله لا يبلغون الالف ويظهر أن أولئك الجواسيس كان الشيخ
المبيد استمالهم ولقنهم هذه الاقوال ليجر الحملة الى ام ضبان وهناك يبطش
بها في وسط الغابات وقد افلح سعيه حيث لم يكد محمد علي باشا يسمع هذا
الخبر حتى زحف بحملته ومتطوعته على ام ضبان التي تبعد عن الميلتون بنحو
أربعة أميال في الصحراء

ولما توسطت الحملة الطريق خرج عليها كمينان من وسط الغابات كين
من خلفها والثاني من أمامها وداهما على غرة فاشتر نظام الجنود واثخن العدو

فيهم قتلا ونزل محمد علي باشا واركان حربه عن دوابهم وجلسوا علي الارض حتى قتلوا

وكان فعلهم هذا تبعا لعادة متبعة عند أهالي السودان وهي أن لا يفر الانسان سيما اذا كان رئيسا أو مشهورا بالقروسية لئلا يقتل منهزمالان ذلك من اكبر العار عندهم ولولا ذلك لكان في استطاعة محمد علي باشا واركان حربه النجاة بدوابهم

وقد وقت هذه النازلة وقعا سيثاعند غردون وأسقطت منزلة محمد علي باشا من قلبه لانه كان معجبا بمهارته ولم يكن يظن انه يتبع عادة همجية يضحي فيها حياته وحياته اركان حربه فضلا عما اتاه من الطيش والتهور اللذين ساقاه الى المخاطرة بالزحف علي أم ضبان بدون صدور اذن من غردون الذي كان يؤكد علي كل الحملات التي يبعثها بعدم التوغل في القلوات والابتعاد عن شاطئ النهر وقد خالف محمد علي باشا هذه القاعدة وساق الحملة الى موقف الموت والهلاك

ونجا من رجال الحملة نحو مائتي جندي فقط والذي ساعدهم علي النجاة نحو ثلاثين فارسا كانوا مع الحملة فامتطي كل اثنين ظهر حصان وامسك بعضهم باذئاب الخيل فوصلوا الى البواخر التي أقلمت بهم الى الخرطوم وما انتشر نعي القتلي حتى ضجبت المدينة بالبكاء والمويل اذ لم ينج احد من المتطوعة ووقع الخبر موقع الصاعقة علي غردون الذي أيقن بخرج الموقف وان العاقبة ستكون سيئة وخصوصا أن الجواسيس اخبروه بتقدم المهدي علي الخرطوم وان عبد الرحمن النجومي علي وشك الوصول اليها هذه الواقعة جاءت ضربة قاضية علي الخرطوم اذ فقدت فيها نحو خمسة

آلاف جندي جلهم من رجال الالاي السوداني الاول ومن أقوى الجنود
الذين في الخرطوم واكثرهم دربة ولولم يفقد غردون هذه الجنود لكانت
في الامكان استخدامهما في مواقع كثيرة مثل واقصة الجريف والحفاية وأبي
حراز والعليةون ولا يخفى ان تلك الوقائع عادت بفائدة طرد العدو أولا
وجلب الاقوات ثانيا ولو استمرت هذه القوة تهاجم البلاد في ابان الفيضان
وتتقم ما فيها من الاقوات لاجتمع في المدينة شيء كثير منها ولم تقع الحامية
والمدينة بين انياب المجاعة التي كانت من أقوى الاسباب التي ساعدت
المهدي على اسقاطها ووقوعها بين مخالبه

أوراق البون

لما بدأ حصار الخرطوم كانت الخزانة الاميرية خالية من النقود فاصدر
غردون أوراق بون من فية قرش واحد الي الف قرش وكتب على كل
ورقة ما يأتي «هذا المبلغ مقبول ونجري دفعه من خزانة الخرطوم أو مصر
بعد مضي ستة شهور من تاريخه ابريل سنة ١٨٨٤» وبلى ذلك ختم غردون
وتوقيعه بخط يده

وصرفت مرتبات الحامية والمستخدمين من هذه الاوراق ولكن
التجار لم يقبلوا التعامل بهذه الاوراق فرفعوا اثمان الاشياء الى درجة
جعلت قيمة المائة قرش كعشرين قرشا فقبض غردون على اثنين منهم وأمر
بإبعادهما عن الخرطوم خارج الحصون ليلحقا بال دراويش ثم رق لهما وأعادهما
الى المدينة بعد ان اكد عليهما بعدم العودة الى مثل هذا الذنب فاعطياه
الندم على الوفاء

وبالرغم عن التشديدات سقطت قيمة أوراق البون حتى صار الصرافون يأخذون المائة قرش بقرش واحد واستمر هذا السقوط الى نهاية الحصار ووقوع المدينة في قبضة العدو.

ولم يكن هذا السقوط واقفاً عند ورق البون وذلك ان قيمة الجنيه الانكليزي سقطت حتى صار الصرافون لا يقبلونه الا بريالين أعني اثنين وثلاثين قرشاً مصرياً وتناول هبوط قيمة الجنيه صنف الذهب كله فان الاوقية من الذهب السنارى الذى هو كالذهب البندقي تباع بثمان ريالاً مجيدية أو أقل وليس لذلك سبب غير ان الذهب فى الخرطوم أكثر من كل أصناف المعاملة وصغار الباعة يأبون التعامل بالمسكوكات الذهبية مثل سائر أهالى السودان ويفضلون الريال المجيدى على أى نوع كان من النقود.

وقد كانت أوراق البون فى بداية اصدارها مكتوبة بخط اليد وفى ذات يوم جاء الى صراف الخزانة شماس من القسوس الافريقيين كان بيده اوراق من ورق البون يروم توريدها فى الخزانة وأخذ رجعة بها على مالية مصر وكانت هذه الاوراق مما حصله هذا الشماس من ثمن اثمار بستان لاو تلك القسوس واسم هذا الشماس دومينيكو.

ولما قلب صراف الخزانة تلك الاوراق ظهر له ان بعضها مزور فأمسكها وساق دومينيكو الى غرفة وكيل المالية الذى تحقق تزوير تلك الاوراق وأسرع بإبلاغ غردون الذى تولى استنطاق الشماس بنفسه حيث ظهر له انه لم يكن هو الفاعل ثم حجز الاوراق المزورة عنده وأمر بإعطائها بدلتها وبث العيون فى المدينة للوقوف على الفاعل فقبض على صابر وأخيه ابنى عبد الغنى السلاوي فاعترفا امام غردون بأنهما الفاعلان وضبطت الآلة التى صوراً عليها ختم

غردون وتوقيعه وقالوا ان الذي اضطرهما لارتكاب هذه الجريمة هو الضنك
المسبب عن الحصار فعفا عنهما ولم يعاقبهما وأحسن على كل واحد منهما بخمسين
قرشاً مرتباً شهرياً يتناوله من الخزينة ومن ثم أمر بطبع أوراق البون في المطبعة
الاميرية ولم يجسر أحد بعد ذلك على تقليدها

ذكر وصول البواخر الى سنار

في أوائل شهر ذي القعدة سنة ١٣٠١ هجرية أرسل غردون الميرالي
بجيت بطراق بك ومعه أربع بواخر الى سنار فوصل الى نقطة (جادين) الواقعة
شمال مدينة سنار فالتى بها حامية من سنار تلقته بالترحاب وأخبرته ان
المدينة باقية للآن وانها تمكنت من قهر العدو عدة مرات وان الأقوات
متوفرة فيها ثم سلمته ألف أردب من الذرة حملها على بواخره وعاد بها الى
الخرطوم فانتدب غردون اللواء محمد نصحي باشا بالبواخر الأربع ودفع له
عشرة آلاف جنيه من ورق البون لتصرف منها مرتبات الحامية بسنار
وأرسل الاعلانات بالانعام بالرتب والمدايات على مدير سنار وضباط
حاميتها وكبار موظفيها ومن هاته الرتب رتبة اللواء للرحوم حسن صادق
باشا مدير سنار وقومندان حاميتها

وفي أواخر شهر ذي القعدة وصل محمد نصحي باشا بالبواخر الى سنار
وقوبل بفرح وابتهاج عظيمين من الحامية والسكان وقفل راجعاً ومعه ألف
وخمسمائة أردب من الذرة

ذكر خيانة ابراهيم رشدي كاتب غردون

كان ابراهيم رشدي كاتباً صغيراً في الحكمدارية ثم صار كاتباً لجبلرباشا
الاماني الذي كان وكيلًا للحكمدارية وفصل عنها وعين مفتشاً لمنع تجارة
الرقيق فقدم القاهرة معه واستقال ججلرباشا من وظيفته وبقي ابراهيم
رشدي بالقاهرة حتى قدمها غردون فعينه كاتباً له وسافر معه فاحسن عليه
بالرتبة الثانية وأبلغ مرتبه الى ستين جنياً شهرياً مع ان مرتب هذه الوظيفة
كان لا يتجاوز عشرين جنياً وتحصل ابراهيم رشدي على ثقة عظيمة عند
غردون فاستعمل هذه الثقة فيما يعود عليه بالمنافع الشخصية حيث أخذ يبيع
الوظائف بيع السلع حتى حصل على ثروة طائلة من هذا السيل وليته كان
يبيع الوظائف لمن فيهم بعض أهلية أو استحقاق

وكان له والد يبلغ من العمر زهاء ثمانين عاماً كان ضابطاً برتبة ملازم
ثان وهو أي لا يعرف الكتابة والقراءة واسمه محمد أغا التتاني فرقاه الى
رتبة اميرالاي وعينه قومنداناً للطوبجية حالة كونه لا يعرف شيئاً من هذا
الفن وغاية أمره انه كان ضابطاً في البيادة برتبة ملازم ثان كارقى كثيراً من
قوي قرابته الى وظائف سامية وكلهم بعيدون عن الاهلية والاستحقاق
بعد السماء من الارض

ومن هاته الترقيات انه رقى عديله الى وظيفة رئاسة مجلس الاستئناف
مع انه لا يعرف كلمة من القانون وكانت صناعته البزازة في الخرطوم وورقى
واحد من أصهاره كانت صناعته تبيض الاواني النحاسية الى رتبة ملازم
ثان في الجيش وسماه «خضر جودت» بعد ان كان اسمه خضر النحاس ومثل

هذه الترقيات كثير وانما أوردنا بعضها هنا للدلالة على أعمال هذا الكاتب ولم يمض على وصول غردون الى الخرطوم اكثر من ستة شهور حتى أصبح ابراهيم رشدي في خلالها ذا ثروة تعد بعشرات الالوف وبني له داراً زخرفها ووضع فيها من الرياش ما ادهش الناس وأوجب ارتياب غردون في نزاهته ولما وصلت بواخر نصحي باشا الى سنار كان معه فتح الله افندي جهامي السوري أحد معاوني الحكمدارية فسلمه المدير حسن صادق باشا عشرين أردبا من الذرة البيضاء المعروفة باسم (مقد) وهو نوع من الذرة لكنسه أبيض وطعمه قريب من طعم القمح ونحو عشرة قناطير من السمن وثلاثين خروفاً من الضأن ودفع له كتاباً خصوصياً برسم غردون

ولما عادت البواخر الى الخرطوم سلم فتح الله افندي الذرة والسمن والخرقان والكتاب الى ابراهيم رشدي بصفته كاتباً لغردون فقبض الكتاب وقرأ ما فيه حيث علم ان هذه مرسلة من مدير سنار هدية لغردون فارسل هذه الاشياء الى منزله ولم يذ كر لغردون شيئاً من أمرها حتى اتصل به ذلك من طبيبه الذي تلقى هذا الخبر من فتح الله افندي جهامي فاستدعى ابراهيم وسأله فانكر انه تناول كتاباً أو شيئاً من فتح الله المذكور فشهد بعض موظفي الحكمدارية بانهم رأوا الكتاب لما دفعه اليه فتح الله وانهم رأوا الاشياء المختلصة وانه أخبرهم بان غردون تنازل له عنها فامر بتفتيش منزله فوجدت فيه الاشياء في أوعيتها وعليها كتابة تفيد انها مرسلة برسم غردون وفشت أوراقه فوجد الكتاب المرسل من مدير سنار بينها فاعتباط غردون من هذه الحادثة التي برهنت له على خيائه ودناؤه مع كونه موضع ثقته وامين سره وأمر بالاشياء فاضيفت لجانب الميري لانه كان من عادته أن

لا يقبل هدية أبدا من صغير أو كبير وقد رأيت ذلك منه منذ مرافقتي له حتى
 انه كان اذا نزل بقربة مدة تجوله في السودان لا يقبل من أهل القرى ضيافة
 ولا شيئا مالا ويدفع ثمنه حتى شربة الماء لمن يناولها له ولو على ضفة النهر
 ثم انه أمر بتشكيل مجلس لتحقيق جرائم ابراهيم رشدي فثبت ان ما اغتاله
 ثمننا للوظائف التي باعها يربو على عشرة آلاف جنيهه وانه كان قد زور
 توقيع المرحوم جعفر مظهر باشا حينما كان حاكما على السودان
 وظهر من التحقيق أيضا انه كان قد تناول رشوة من الحائنين السعيد
 حسين الجميعاني وحسن ابراهيم الشلالى اللذين ذكرنا خيانتهمما وقتلهمما وأن
 كثيرا من الذين ابتاعوا الوظائف منه كانوا يقصدون من شرائها الوقوف على
 أسرار الحكومة ليوقفوا المهدي عليها
 ولدى نهاية التحقيق حكم عليه بالتجريد من كل ألقابه ورتبه والفصل
 من وظيفته والحرمان من كل وظيفة أميرية وعين بدله قرياقص بك
 القمص الذي كان وكيلا للمالية ومات ابراهيم رشدي قتيلا الدراويش يوم
 سقوط الخرطوم

ذكر ما تداينه غردون من النقود

ذكرنا ان ورق البون هبطت قيمته هبوطا فاحشا فتذمر الجنود من
 هذا الهبوط فاخذ يطلب من الاعيان نقودا بوجه السلقة فكانوا لا يقدمون
 له الا قليلا واخيرا قال لهم اتى استدين منكم لنفسي لالحكومة وأجعل
 لكم فوائد على كل ما استدينه منكم فتسابق الناس الى اجابته لانهم كانوا
 يمتدنون فيه الوفاء فقد واه في يوم واحد عشرة آلاف جنيه حررها كميالات

على نفسه بخطه وختمه وجعل مواعيدها كلها وصول الحملة الانكليزية الى
الخرطوم وبهذه الطريقة اجتمع لديه من المال ما قام بمرتبات الحامية وخفف
عنها ما كانت تتدمر منه من هبوط اوراق البون ذلك الهبوط الفاحش

ذكر مدالية حصار الخرطوم

صنع غردون مدالية في وسطها الهلال والنجمة مكتوب حولها
هكذا « حصار الخرطوم سنة ١٣٠١ » وجعلها على ثلاث درجات الاولى ذهبية
والثانية فضية والثالثة نحاسية
وكل انسان كان محصورا في الخرطوم يحق له حمل هذه المدالية من النوع
اتى بغير أن تكون بيده براءة واما النوعان الاول والثاني فيحتاج حاملهما
الى براءة من غردون

وظائف المؤلف بعد الاصابة

لما أصبت في واقعة الحلقة كنت بوظيفة قومندان الحامية ومكنت
ثلاثة شهور طريح الفراش ولكنتى كنت قائما في خلالها باعباء وظيفتي فكانت
تقارير القوادتصل الى واصدر لهم الاوامر ليل نهار بدون انقطاع
ولما من الله على بالشفاء استحسن غردون تعييني في وظيفة رئيس
أركان حرب الحكمدارية حيث اكون مشرفا على جميع أعمال قومندان الجنود
الذي عين بدلي

ولما كثرت دسائس المهدي داخل الخرطوم وخيف وقوع ما لا تحمد
منه اخاف غردون وظيفة محافظ الخرطوم على عهدي مع بقائي في

وظيفة رئيس أركان حرب الحكمдарية فكنت قائماً بأعباء هاتين الوظيفتين حتى سقطت الخرطوم .

و كنت أغدو الى الحكمدارية في الصباح لتلقى تقارير القواد ثم ابرحها الى المحافظة في الظهر حيث ألتقى أخبار المدينة ثم أعود الى الحكمدارية في المساء لاصدار الاوامر عن الحركات العسكرية ثم أقضي أكثر ساعات الليل متردداً بين الحكمدارية والمحافظة وقد تمضي علي ثلاثة أو أربعة أيام لأجد في خلالها فرصة اذهب فيها الى منزلي وفي أكثر الليل تطراً أحوال توجب سروري على مواقف الحامية بعد نصف الليل وربما ركبت باخرة للذهاب الى حصن راسخ بك أو حصن أم درمان أو حصن جزيرة (توتي)

وقد فوض الى النظر في أمر توزيع الديون التي تطلب من أعيان المدينة وقبضها منهم وقد اتفق لي مرات عديدة ان أرسل الى منزلي أطلب غذاء وأنا بالمحافظة مثلاً ثم يطراً ما يلجئني الى التوجه الى الحكمدارية فأوصي بإرسال الغذاء الى فيها ثم اضطر لمراقبتها قبل ان يدركني وأنا بها وربما اكون في مثل هذه الحالة في حاجة شديدة الى الغذاء ولا يمكنني تداركه اذ الحاجة ضاربة أطنابها في المدينة

وقد وقع أكثر من مرة ان الخادم يؤخذ منه الغذاء ويختطفه الناس في الطرق قبل أن يهتدي الى المحل الذي أنا فيه

ذكر احمد العوام واحراقه الحجة خانه وبقية حوادثه

ولما وصل غردون الى الخرطوم وأصدر الاوامر بإطلاق المسجونين معها كانت جرائعهم اطلق احمد العوام بضمانة رجل من سكان الخرطوم يدعى أبا

بكر الجاركوك وكان هذا الرجل مسجوناً بعد النفي من الاسكندرية لانه كان من أهلها وذا ضلع كبير في حوادثها الراية

وكانت المخازن المعدة لحفظ الجبه خاته خارج المدينة بالقرب من الاستحكامات . ولما بدأ الحصار كانت مقذوفات العدو تصل اليها فأمر فردون بنقلها الى مكان وسط المدينة تصير فيه بعيدة عن كل خطر فلم يوجد في المدينة بناء يقوم بالفرض غير دار الكنيسة الكاثوليكية وكان القسوس قد هجروا الخرطوم الى مصر ولم يبق بها غير الشماس دومينيكو فعرض عليه فردون استئجار دار الكنيسة لحفظ الجبه خانات فامتنع من الاجابة ورفع الامر الى المسيو هنزل قنصل النمسا في الخرطوم فاحتج على فردون بعدم موافقة ذلك وحصل بينهما مآلدى الى انقطاع الملائق ونقلت الجبه خاته الى دار الكنيسة وكان منزل احمد العوام ملاصقاً لها فأشعل النار في الجبه خاته بقصد احراقها فدورك الامر واطفئت النار قبل ان تبلغ أمكنة المواد الملتبئة وكنت وقتئذ مباشراً لاطفاء هذا الحريق فحشرت الشبهة في احمد العوام وبعض الجيران والقيت القبض عليهم وأخذت أباشر التحقيق بنفسى فظهرت براءة الجيران فأطلقتهم ووجدت النقب الذي وصلت منه النار الى الجبه خانات في منزل احمد العوام

وقبل ذلك وصلت الى تقارير الجواسيس بان احمد العوام هذا ميال الى المهدي وانه ألف كتاباً سماه « نصيحة الخاص والعام » في ذكر المهدي عليه السلام ، فرفعت خلاصة التحقيق الى فردون الذي أصدر امره الى فتح الله جهامى احد معاونى الحكمدارية أن يأخذ معه الشيخ حسين المجدي رئيس أساتذة المدرسة الاميرية والمدرس بجامع الخرطوم ويفتشا منزل احمد العوام

ويضبطا أوراقه فتوجها وضبطا الاوراق ووجدا النصيحة المذكورة مكتوبة بخط يده ووجدا غيرها كثيرا من القصائد التي ألّفها في مدح المهدي وتصديق دعوته والحض على رفع لواء العصيان على الحكومة وحملت الاوراق كلها الى غردون الذي أمر بزوج احمد العوام في السجن وأبقى الاوراق عنده وأحيل على المحاكمة فحكم عليه بالاعدام فاستبدل غردون هذا الحكم باخراجه الى الدراويش فعارض المجلس في ذلك قائلا ان لحاقه بالمهدي لا بد أن يكون ذاعاقبة سيئة حيث يوقفه على حلة المدينة وينبهه الى ما هو في غفلة عنه فقبل ما أشار به المجلس وأمر بصلب احمد العوام فراجعت في أمره والنست أن يكون انفاذا لحكم ليلا في منزله فقبل التماسي وأعدم احمد العوام في منزله ليلا وبعد سقوط الخرطوم وقعت النصيحة والقصائد في قبضة المهدي فسر بها وأمر بطبعمها فطبعت وأظهر الاسف على قتله وقال انه أشد ايمانا من مؤمن آل فرعون وتمنى أن يكون للعوام ذرية أو ذوو قرابة يصلهم ببعض ما كان يصل به احمد العوام لو قدر له الاجتماع به

أما النصيحة فمقسمة الى خمسة فصول ومقدمة. الفصل الاول في ذكر امامة جلالة السلطان عبد الحميد حيث طعن على امامته أشد الطعن وجاء بأدلة أوهى من نسج المنكبوت ونذكر منها نبذة للدلالة على سخافة مؤلفها وفقدانه العقل وهي انه زعم ان لفظة خان الرادفة لاسماء الخلفاء العثمانيين مأخوذة من الخيانة وذلك ان السلطان سليم خان سرق مخلفات النبي صلى الله عليه وسلم وخان العهد الذي أعطاه لمن كانت عنده بارجاعها له ولا يخفى ما في ذلك من الدلالة على مبلغ علم ذلك الجاهل. وفي الفصل الثاني مطاعن كلها من قبيل تفسيره للفظه خان موجهة الى ساكن الجنان محمد علي باشا عي

الديار المصرية وفي الفصل الثالث ذكر الحوادث الراية والثناء على أولئك الثوار . والفصل الرابع في دعوة أهالي القطرين المصري والسوداني لاتباع المهدي وأنه هو المنتظر

وأما الفصل الخامس فقد خصه لذكر المهدي وقال انه يؤجل الكلام فيه الى ما بعد اجتماعه بصاحبه فكتب فيه الشيخ الحسين زهرا كلاما طويلا يرمي به الى ما جاء في الاحاديث من ظهور المهدي ويرد على الذين تذرعوا بما ورد من الاختلاف الى تكذيبه



بعثة الكولونيل ستيوارت وقتله

لما أيدت حملة محمد علي باشا ونمي الى غردون تقدم عبد الرحمن النجومي الى الخرطوم وان المهدي زحف عليها بخيله ورجله ايقن ان صيره الى الملكة ولا نجاة له بغير وصول النجدة اليه من مصر

ولما كان غردون لا يجمل ان مصر لا تستطيع مساعدته الا اذا شاءت حكومة جلالة الملكة فيكتوريا وقد قلنا ان غردون حاول عبثا تحويلها عن الخطة التي وطدت المزم على انفاذها وهي ترك السودان للفوضى والقاء حبله على غاربه بعث الكولونيل ستيوارت وزوده بكتب الى رؤساء حكومة الجناح الحديوي وحكومة جلالة الملكة وكل هذه الكتب لا تخرج عن التماس المعونة وطلب النجدة مع وصف حالة سكان الخرطوم وما يتوقعه لهم من المصيبة اذا وقعوا تحت مغالب المهدي

وأحصى المصريين الذين يسكنون الخرطوم فبلغ عددهم مائتي الف نسمة وارسل قائمة الاحصاء مع الكولونيل ستيوارت

ثم استدعى أعيان الخرطوم وضباط الحامية والموظفين والنزلاء الأوربيين إلى مجلس عام وشاورهم في أنه يريد عمل طريقة لخلاصهم من قبضة المهدي وأنه خابر الحكومتين المصرية والانكليزية وأنها إذا لم تصفيا لندائه فلا بد من مخافة جلالته السلطان عبد الحميد خان باسم سكان السودان عموما وسكان الخرطوم خصوصا يسأله احتلال سواحل البحر الأحمر سواكن ومصبوع بجنود شاهانية وإرسال مائة ألف جندي من الجيش العثماني لاختاد الثورة وتسكين حركة العصيان وتكون بعدئذ أقاليم السودان خاضعة لسيادة جلالته مباشرة بدون واسطة الخديوية المصرية وأن حكومة السودان تقوم بنفقات هذه الجنود بعد زوال الفتن وإعادة المياه لجاريها فوافق الجميع على هذا الاقتراح ووقع أربعة آلاف رجل من أعيان الخرطوم عدا الضباط والموظفين والملكيين على عريضة استرحام بهذا المعنى ترفع إلى مقام مولانا السلطان عبد الحميد خان ووقع عليها أيضا كل مكاف من سكان الخرطوم وسلمت العريضة إلى الكولونيل ستيوارت وأكد عليه غردون بضرورة إرسالها إلى جلالته السلطان على لسان البرق لدي وصوله إلى دنقلة

وعين المسترياور فنصل انكلترا في الخرطوم لمرافقة الكولونيل ستيوارت والموسيو هر بن فنصل فرانس في الخرطوم وأوصي الاثنين بمساعدة الكولونيل ستيوارت وأكد على الموسيو هر بن ببذل المساعدة لدى حكومة فرنسا حتى لا يقف حملة القراطيس المصرية من الفرنسيين حرجا في طريق أي مشروع يعود بفائدة انقاذ الخرطوم من الوقوع تحت جبروت المهدي

نعم إن غردون كان لا يجهل أن انكلترا لا ترضى احتلال الجنود العثمانية لسواحل البحر الأحمر كما أنها لا ترضى بإدخال جيش تركي في السودان

ولكنه قصد أن يكون التاريخ حكماً نافذاً بالحكم بينهما وبينه وإن لا تكون عليه تبعة هلاك الآلاف من سكان الخرطوم أمام الله والعالم أجمع ولكن لسوء الحظ لم تكتمل تلك العرائض إلى دنقلة حتى أوقعها نكد الطالع في يد المهدي بعد قتل الكولونيل ستيوارت فاستفاد منها فائدة حيث تحقق أن حكومتها أنكرت ما مصر متقاعدتان عن إرسال المدد إلى غردون فوطن العزم على الزحف على الخرطوم والقضاء الأخير على سلطة الحكومة في السودان كلها حيث علم حقيقة مقصد أنكرت وأنها ما بدت غردون إلا ليلته السودان

وعينت الباخرة عباس لتقل الكولونيل ستيوارت ومن معه وعليها مدفع وأربعة عساكر طوبجية ورافق الكولونيل ستيوارت حسن أفندي حسنين تلغرافجي أنكليزي بالخرطوم بصفة مترجم ورافقه أيضاً محمود حلمي أفندي غراب باشكاتب المالية بصفة كاتب له

والتمس من غردون نحو ثلاثين رجلاً من الأوروبيين والسوريين كانوا تجاراً في الخرطوم أن يسافروا بمائلاتهم على مراكب شراعية تقطرها الباخرتان اللتان تخفزان باخرة ستيوارت حتى يجتازوا بربر ثم يجتازون الشلالات فيصلون إلى حدود دنقلة فاجاب التماسهم وعين باخرتين كبيرتين وعليهما نحو ألف جندي ومدافع تحت قومندانة القائم مقام عثمان حشمت بك وأصدر إليه الأوامر بالمسير بجانب باخرة ستيوارت وإن تكون مراكب التجار مقطورة خلف الباخرتين فإذا اجتازوا بربر ترك المراكب وشأنها وإن يقف بالباخرتين عند مكان اسمه (غنيطة) شمال بربر مدة أربع وعشرين ساعة حيث تكون في خلالها باخرة الكولونيل ستيوارت اجتازت الشلالات وكان عند الدراويش باخرتان كبيرتان في بربر يخشى منهما أن تتأثرا باخرة

الكلونيل ستوارت وتلحقا بها المطب وعين مع ستوارت ملاحين
دقلين لهما معرفة باجتياز الشلالات

وغادر الكلونيل ستوارت الخرطوم في أواخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٠١
هجرية ومعه الباخرتان وخلفهما مراكب التجار ومكث سائراً ثلاثة أيام حتى
بلغ بربر وكان الرصاص يهطل عليه في خلالها من ضفتي النهر كالطرر
ولما وصلوا بربر أطلق عليهم الدراويش القنابل من خمسة مدافع والرصاص
ومع ذلك اجتازها بغير أن يصيبه أدنى ضرر

ولما وصلت البواخر والمراكب إلى (غنيطة) أمر عثمان حشمت بك
بترك المراكب وكان الهواء عاصفاً فلم تستطع السفر
وأما باخرة الكلونيل ستوارت فأتجهت في سيرها جهة الشمال ولم
تكد تسير ميلاً واحداً حتى أمر عثمان حشمت بك الباخرتين بالاقلاع والعودة
إلى الخرطوم فاندحش الكلونيل ستوارت من عمل هذا القائد ومخالفته
للاوامر التي تلقاها من غردون فامر ريان باخرته بالاسراع في السير فاجتاز
الشلال الأول بسهولة

ولما نظر الدراويش في بربر عودة الباخرتين أرسلوا باخرة من اللتين عندهما
لتلحق باخرة الكلونيل ستوارت فظفرت بمراكب التجار وعادت إلى بربر
حيث لم تقدر على اجتياز الشلال وسار نحو خمسمائة من الدراويش على ضفة
النهر ليلحقوا ستوارت

وفي اليوم الثالث من اجتياز الباخرة للشلال وصلت إلى جزيرة يحيط
بها الماء من كل جانب وهناك اختلف الملاحان الدقلان فقال أحدهما الدنو من
الشاطئ الغربي اسلم من الدنو من الشاطئ الشرقي وقال الآخر إن الدنو من

الضفة الشرقية اسلم من الدنو من الضفة لاخرى وبينما كانا مختلفان ارتطمت
الباخرة بصخرة اتلفتها فدخلت المياه الى جوفها وألقى الملاحان الدنقلبان انفسهما
في جلة النهر وسبحا فيه الى حيث لا يعلم أحد وجهتهما وألقى الكولونيل
ستيوارت المدفع والخرطوش في قاع البحر ونقل أمتعته وأمتعة من معه على
زورق صغير كان معه

وعندئذ أظهر ستيوارت أسفه على تركه زورقين كان غردون قد أمره
باخذها وقال له انهما يساعدانك على النجاة اذا قدر لباخرتك عدم النجاة من
الشلالات فتركهما ستيوارت ولم يعبأ بنصيحة غردون
وكان ستيوارت صعب المراس قوي الشكيمة مستبداً برأيه في
أكثر الاحوال

ولما استقر ستيوارت في الجزيرة أشار عليه من معه أن يسافر على الزورق
ومعه بضعة أشخاص ليصل الى حدود دنقله اذ لم يكن بينه وبينها غير مسيرة
يوم واحد فرفض اقتراحهم ولم يقبله ثم عرضوا عليه أن يبعث رسلا على الزورق
الى حدود دنقله فاذا وصلوا سالمين وعلم بهم قومندان الحدود أرسل مدداً
لانتقاذهم وكلتا الطريقتين كانت كافلة انتقاذه وبلوغه دنقلة سالماً ولكنه لم
يقبل واحدة منهما أيضاً

وفي أصيل النهار سمعوا صائحا على ضفة النهر فامعنوا النظر فعلموا ان
الصائح هو ذاك الملاحان اللذان ذكرنا فناديا ستيوارت ومن معه قائلين
لاباس طيكما وانكم ازاء قرية تدعي السلامانية وانها من حدود دنقله ولم تزل
على طاعة الحكومة ولم تدخل في دعوة المهدي وهم يطلبون ارسال مندوبين
يتحققون بقاءهم على طاعة الحكومة

وكان حسن أفندي حسنين التفرانجي الآنف الذكر يترجم هذه الأقوال
 الى اللغة الانكليزية بين يدي الكولونيل ستيوارت الذي أمر حسن أفندي
 حسنين ومحمود حلمي غراب أن يصطحبا معهما بضعة رجال من ملاحى
 الباخرة ويذهبوا الى قرية السلامانية من الشاطيء الشرقى للنهر فامتنعوا قالا له
 ان ذهابنا بهذه المأمورية مخاطرة بحياتنا فاحتدم غيظا وتوعدها بالقتل رميا
 بالرصاص اذا لم يبادرا بالذهاب فاطاعاه خوفا من هذا الوعيد واجتازا النهر
 على الزورق واجتمعا بالملاحين وفصدوا القرية فوجدوا اثثة أشخاص جالسين
 في فناء مسجد ومعهم رجل كفيف البصر فطهرهم حسن حسنين ومحمود
 حلمي وقال لهم ان باخرتنا قد غرقت امام قريتكم فان كنتم على طاعة
 الحكومة رجوناكم ان تمدوا لنا يد المساعدة لنصل الى دنقلة فاجابوهم
 بانهم لم يزالوا على طاعة الحكومة وانهم خاضعون لحاكم إقليم دنقلة
 مصطفى ياوز باشا وحلفوا على المصحف الشريف بان ما قالوه عين الحقيقة
 وطلبوا من الرسولين ان يؤمناهم فقالا ان ذلك ليس من خصائصنا بل
 هو من خصائص الرئيس الذي هو الكولونيل ستيوارت وقفل الرسولان
 راجعين الى الجزيرة ومعهما رجلان من الثلاثة الذين جرت المحادثة معهم
 ورغب الرجل الضرير ان يسير معهما فصار الكل واجتازوا النهر على الزورق
 ولما مثلوا بين يدي ستيوارت اعادوا ما قالوه لرسوليهم اللذين ابلاغاه
 ما دار بينهم من الحديث وما كان من أمر حلفهم على المصحف فلم يرتب في
 انهم صادقون في كل ما قالوه فامنهم على انفسهم وبالحق في اكرامهم والاحتفاء بهم
 واعادهم الى قريتهم وقضى تلك الليلة في الجزيرة
 وفي صباح الغد جاءه الرجلان اللذان كانا عنده بالامس وقالوا له ان

شيخ قريتنا المدعو سليمان بن نعمان بن قركان مسافرا في بعض شؤنه
وقد آب من سفره بعد عودتنا من عندكم بالامس وقد احضر نوقا لملككم
عليها الى دنقله وان النوق في انتظاركم على الضفة الشرقية فاجتاز السكولونيل
النهر ومعه القنصلان وخمسة ثلاثون ملاحا من خدام الباخرة واربعة جنود
طوبجية وثلاثة موظفين ملكيين هم حسن حسنين ومحمود حلمي غراب
وثالث قبطي كان كاتباً ايضا وبعد ان نقلوا متاعهم الى الضفة وجدوا بها سبع
نوق وقبل لهم ان غيرها سيأتيكم على الفور وجلسوا منتظرين بقية النوق
ولما انتصف النهار جاء من القرية رسولان قابلا السكولونيل وقالاه
ان شيخ البلد يدعوكم لمأدبة ادبها اكرما لكم فلبس ملابسه كأنه مدعو
لمأدبة في بلاد آمنة ولم يأخذ لنفسه أقل حيلة وسار معه القنصلان وحسن
افندي حسنين ليترجم بينه وبين الاهالي

ولما اقتربوا من القرية قابلهم الاهلون بالبشاشة والترحيب وادخلوهم
الى أودة كبيرة وجدوا بها نحو خمسين شخصا متزيين بزى التجار فرحبوا
بهم واجلسوا كل اثنين على (عنقريب) ثم هناؤم بالسلامة وخرجوا من
عندهم بعد أن وعدوهم باحضار النوق لحملهم الى دنقلة

وبعد خمس دقائق عاد الخمسون رجلاً وبايديهم الاسلحة من الحراب
والبلط الصغيرة ووضعوا السلاح في رقاب السكولونيل ستيوارت والقنصلين
فسقطوا قتلاء يتخبطون في دماثهم واصيب حسن افندي حسنين بجروح
عديدة سقط منها يتخبط في دمه فظنوه قد فارق الحياة مثل رفقاءه الثلاثة
وتقدم نحو اربعمائة رجل من القرية الى شاطئ النهر وذبحوا جميع الذين
كانوا هناك من رجال السكولونيل ستيوارت وجمعوا ما عندهم من الاوراق

وارسلوها الى محمد الخير حاكم بربر من قبل المهدي فاسرع بارسالها الى المهدي الذي كان وقتئذ قد غادر الرهد ونزل في جهة (شاة) القريبه من النيل الايض فسر بها واطلق المدافع سرورا بهذه البشرى وارسل الي غردون بكتاب يدعو فيه الى التسليم ويعلمه بما اصاب ستيوارت ووضح ملخص جميع الكتب والرسائل التي كانت صحبة الكولونيل ستيوارت وقد اضربنا عن ايراد ذلك الكتاب اكتفاء بملخصه

هذا وقد كان الخمسة درويش الذين تاثروا الكولونيل ستيوارت من بربر قد وصلوا الى قرية السلامانية واشتركوا مع سكانها في هذه المذبحة أما تدير الحيلة على الوجه الذي يبناء فقد دبره شيخ القرية سليمان بن نعمان ابن قر وسيأتي في هذا الكتاب ذكر قتله انتقاما عن هذه القمعة الشنعاء ولا بد من ايراد شي في هذا الباب من ترجمة سليمان بن نعمان فنقول هو زعيم قبيلة اولاد قر من بطون قبيلة الرباطاب التي تقدم ايراد ترجمتها وهي من قبيلة الجعليين التي تكلمنا عنها آنفا

وأما حسن افندي حسنين الذي نجما من هذا الخطب فانه لما قلبوا القتل وسلبوا من الكولونيل ستيوارت ملابسه وكذلك القنصلان والقوا بمجنتهم الى الصقور والكلاب وجدوا حسن افندي حسنين حيا فتآمروا على قتله فشفع فيه الرجل الكفيف البصر والرجلان اللذان رافقاه الى الكولونيل ستيوارت فقبلت شفاعتهم واستلمه احد المشايخ كاسير لديه وكلفه برعى اغنامه مع ما كان يقاسية من آلام الجروح التي كان يضمدها ويمالجها في غضون اشتغاله برعى الماشية في القلاة ثم ارسل محمد الخير حاكم بربر يطلب ارساله اليه فقيده وساقوه مكبلا بالحديد حتي بلغ بربر مقر هذا

الحاكم فزجه في السجن حتى تشفع فيه كوستي الايطالي فاطلق بكفائه
وسنذكر قصة كوستي فيما سيأتي

وبعد خلاص حسن حسنين من سجن محمد الخير لحق بام درمان ثم
غادرها الى كسلاكي يفر منها الى مصر وقد كان شرع في الهروب مع زوجته
وابنه فاقترست السباع وزوجه وابنه ووقع أسيراً بين مغالب المهدويين فسجنوه
ثم وجد سيلا الى النجاة واللعاق بام درمان حيث أقام بها الى حلول الحكومة
بها ثم عاد الى وطنه مصر واجتمع باهله الذين حسبوه في عداد الاموات
بعد طول زمان العراق وقد رويانا عنه هذه الحادثة وتأكدنا صحتها من
التفاصيل التي وصلت للمهدي

على ان هذه القصة يظهر منها ان بعثة ستوارت كانت آخر سهم في كنانة
غردون وآخر عمل كان يأمل من خلاله النجاح ولذلك وقع عنده خبر قتله
موقفاً سيئاً للغاية وزاد الطين بلة وقوف المهدي على كثير من الكتب والرسائل
التي كانت مكتوبة باللغة العربية وان فاته الوقوف على أمثلها التي باللغات
الفرنسية والانكليزية وكان غردون متخوفاً من ان يكون كوستي
أطلع المهدي على مفاتيح الشفرة مما يدل على ان الكتب التي كانت
حوت من الاسرار ما هو أهم من التي كتبت باللغة العربية واطلع
عليها المهدي

ولما عاد القائم مقام عثمان حشمت بك الى الخرطوم أخبر غردون بانه
اضطر الى الاقلاع بالباخرتين قبل مضي الاربع وعشرين ساعة وذلك لانه
خاف مناوشة العدو ولكن التحريات حققت كذبه وان لا مناوشة اضطرته
الى مخالفة الاوامر فحوكم امام هيئة عسكرية حكمت باعدامه وتجريده من جميع

رتبه والقباه ونياسينه الا أن غردون اوقف تنفيذ هذا الحكم وأبقى المحكوم عليه في وظيفته وعمله مراعاة لظروف الاحوال التي كانت ماسة لتمطيل هذا الحكم والاستفادة من وجود مثل هذا الضابط الذي كانت الحامية تكبر فقدده لو انفذ عليه الحكم وكيفما كان الامر فان غلطة هذا الضابط لم تكن السبب فيما أصاب الكولونيل ستيوارت بل كانت السبب في وقوع التجار أسرى في يد الدراويش وما أصاب باخرة ستيوارت كان لا يستطيع دفعه الا لو ساعده القدر وقبل نصيحة غردون واصطحب معه الزورقين فكان يمكنه بواسطتهما اللحاق بمحدود ونقله .

على انه لو حمل ماخف من متاعه وأبحر على الزورق الذي كان لديه لاستطاع النجاة والعودة الى خلاص بقية رجاله من تلك الجزيرة التي كانت له معقلا طبيعياً يرد عنه كل من رآه . وكان رجاله يستطيعون البقاء والدفاع ريثما تصل اليهم النجدة من حدود دنقله لو لم يتعجل بالقاء المدفع والذخيرة في قاع النهر وزد على ذلك ما سردناه من عدم رويته وتسرعه في الامور ورفضه كل مشورة عرضها عليه رفقاؤه وعدا هذا وذاك فانه لو أرسل بضعة أشخاص من رجاله على الزورق لجاء المدد من دنقلة ولم يقع في الاشراك التي نصبها له أولئك الغادرون .

والحاصل ان مأمورية ستيوارت وما تخللها من الحوادث جاءت ضغناً على ابالة حيث قضت علي كل أمل بانقاذ الخرطوم من الوقوع تحت طغيان المهدي وشجعتة على التقدم الى الخرطوم بجنان ثابت وعزم ماض ليم ماأراد الله وينفذ ما قضاه والامر لله

ذكر اخبار كوتسيه الايطالي

كان كوتسيه خائماً للمسيو ماركيه قنصل فرنسا في الخرطوم فأرسله في تجارة الى بربر

ولما هلكت حملة الجنرال هكس هاجر ماركيه من الخرطوم وخلق بمصر نخفته في وظيفته الموسيو هرين الذي ذكرنا قتله مع الكولونيل ستيفارت ولدى مروو غردون على بربر استبقاه بها كجاسوس يرفع اليه الاخبار بالارقام وسلمه مفاتيح الشفرة ليخاطب بها الوكالة البريطانية إن دعت الحالة الى ذلك

ولما اقترب محمد الخير من بربر فرّ كوتسيه الى مصر فقبضت عليه بعض قبائل من اللائي دخلن في دعوة المهدي وساقته أسيراً الى محمد الخير ولما أوقف بين يديه عرض عليه اعتناق الاسلام فلم يقبل فأرسله مع حراس أوصلوه الى المهدي الذي عرض عليه الاسلام فقبله ونطق بالشهادتين مدعيّاً انه رأى من كرامات المهدي ونور وجهه ماعناه الى قبول الاسلام ديناً وتغالي امام المهدي في الدهاء والترهات حيث قال للمهدي انه رأى من أنوار طلعت ما بهر قواده وحجب اليه الاسلام فعرض عليه المهدي حمل رسالة منه الى غردون وطلب منه ان ينصح غردون بالتسليم له ويخبره بما رآه من كراماته فاجابه كوتسيه وحمل الكتاب الى الخرطوم ودخل الخرطوم فسأله ضابط الحامية عن سبب مجيئه فقال جئت لانصحكم بالتسليم للمهدي وأخذ يسرد له ما حمله من رسالة المهدي فأسكتته الضابط وأسرع بأبلاغ غردون أمره على لسان البرق فأرسل غردون اشارة برقية قال فيها اذا لم

يكن كوتسيه راغباً في البقاء. منا. ليرجع من حيث جاء فقال كوتسيه لا سبيل الى
الاقامة مع الكفار وقفل راجعاً الى المهدي في كوردفان فتلقاه بالاكرام
واغدق عليه العطاء وسماه محمد يوسف كرجته وأهداه جاريتين وعبيدين
وناقتين واعاده الى بربر وأوصي محمد الخير بمراعاته وأجرى عليه راتباً شهرياً
يقوم بضرورياته

هذا وقد كتب غردون في مذكراته عنه شيئاً كثيراً وتخوف
ان يكون سلم للمهدي مفتاح الشفرة وغاية ما يقال عن كوتسي انه رأى
مع قصر نظره ان وقوع السودان تحت قبضة المهدي ضربة لازب وان
ظهوره بهذا المظهر أسلم عاقبة من بقائه على ولاء غردون. وليس بضحج
ما قيل عن تسليم بربر انه كان بخيانة منه لانه فر منها قبل ان يحصرها العدو
وقبض عليه في الطريق وهو فار الى مصر وبقي في أسر المهديين الى يوم استيلاء
المصريين على أم درمان فنادوها الى مصر

وصول عبد الرحمن النجومي الى الخرطوم

لما وصلت كتب الحاج محمد ابي قرجة الى المهدي وعلم منها ما اصاب
أبا قرجة من الهزيمة والفشل انتدب عبد الرحمن النجومي وكيل الراية البيضاء
ومعه ستون راية يتبع كل راية نحو الف مقاتل يخضعون الى أمير ويخضع
هذا الأمير لعبد الرحمن النجومي وضم اليه عبد الله بن النور ومعه عشرون
راية على مثال رايات عبد الرحمن النجومي واعطاه مدفعاً من الكروب
وست مدافع جبليّة وأصدر اذنّاً عاماً لكل من رغب في مرافقة عبد الرحمن
النجومي من قبائل السودان الاوسط ان يرافقه فصار عبد الرحمن النجومي

من كوردفان بجيش يربو على الستين ألفاً سلاح جلهم الخراب والسيوف
 والمزاريق وعنده نحو عشرة آلاف من المييد (الجهادية) مسلحين بالأسلحة
 النارية ونحو عشرة آلاف فارس ومكت بضعة أسابيع في جنوب الخرطوم
 مشتتلا باجتياز النهر الأبيض من الضفة الغربية الى الشرقية وفي أواخر ذي
 الحجة سنة ١٣٠١ وصل الى الجريف ووضع معسكره عند قرية الكلاكله
 المتوسطة بين النيلين الأزرق والأبيض وتجاه نقطة الوسط من استحكام
 الخرطوم ليكون المعسكر نائياً عن مقدوفات البواخر التي كانت لا تنفك عن
 مناوشة مواقع الدراويش واغلاق راحتهم وهي كما قدمنا كانت من أقوى
 الاسباب التي ساعدت محمد علي باشا على هزيمة الدراويش وقائدهم أبي قرجه
 يوم واقعة الجريف

وقسم جنده الى ثلاث معسكرات وأصلح طوابي الجريف وزاد عليها
 وعهد بالدفاع عنها الى عبد الله النور وشاد طوابي في قرية (القرقان) وتولي
 الدفاع عنها بنفسه واحتفر متاريس بالقرب من النيل الأبيض وعهد بالدفاع
 عنها الى أحد القواد

وعلى ذلك فيكون عبد الله النور بازاء استحكام (برى) على النيل الأزرق
 والمدافع عنه من حامية المدينة اللواء السوداني الاول وقومندان الميرالاي
 بجيت بطراق بك وهو ضابط سوداني ترقى تحت السلاح . وطوابي القرقان
 حيال نقطة القلب من استحكام الخرطوم وهذه النقطة مقر قومندان الجنود
 العام فرج باشا الزين كما ان طوابي الدراويش المحاذية لها تحت امره قائدهم
 العام عبد الرحمن والحامية القائمة بالدفاع في هذه النقطة خليط من جنود
 نظاميين وأتراك غير نظاميين ومتطوعة من المصريين سكان المدينة

وأما الحامية التي تقابل متاريس العدو من جهة النيل الأبيض فانها
مؤلفة من اللواء الخامس المصري وبعض جنود من الباشبوزق وقومندانها
اللواء محمد نصحي باشا

وفي نقطة القلب باب كبير عليه برج من الحديد المضفح تحيط به جملة
طواب وعليها مدافع من طراز كروب ومن الطرازا الجبلي
ولما وصل عبد النجومي وجموعه الى ضواحي الخرطوم أرسل بكتاب
الى غردون يدعو فيه الى التسليم ويتوعده بالويل والثبور اذا امتنع عن
الاجابة وكانت قد وصلت الى غردون أخبار تدل على ان جنود ابن النجومي
واقعة في مجاعة شديدة بسبب أن أهالي القرى التي حوالى الخرطوم هجروا
قراهم خوفا من غارات المصريين واعتصموا بالقلوات وأوغلوا فيها ولذلك لم
يجد النجومي في طريقه من يقدم له الاغذية فكتب الى أهالي القرى
يدعوم الى العودة الى قراهم ويضعف لهم قوات المصريين حيال قوته وان
الحامية التي في الخرطوم سوف يرون بأعينهم ما يحل بها من بطش مقاتلته
فأخذ الاهلون يتراجعون الى قراهم وبعد حين صار ابن النجومي وجيشه
يتحصلون على ما يقتاتون به من الحبوب واللحوم

وفي غضون اشتداد المجاعة على ابن النجومي وجيشه أرسل غردون
كتابا برسم النجومي وعبد الله النور وأرسل نحو خمسمائة أقة من الخبز الخفيف
(البقسماط) بصفة هدية لها وهدية أخرى من اللجم المصنوعة من اللجين وفي
الكتاب استهزاء بهما حيث قال لها انكما جئتما لحصارنا وقتلنا مع انكم في
نهاية الحاجة الى القوت فاشفاقا عليكما أرسلت لكما بهذا الغذاء وهذه الهدية
فردا عليه بكتاب وجيز جاء فيه بعد لديباجة ما يأتي

لا نقول لك الا كما قال سليمان بن داود عليهما السلام لبليقيس لما وصلت
هديتها «أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون
ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون »
وتراجع المنهزمون من جماعة أولاد الشيخ المبيد وعسكروا في الحلقة
كما كانوا واحترفوا المتاريس فكانت مقذوفاتهم تصل الى منازل المدينة وشوارعها
وتلحق الضرر بالسكان وتميت كثيرا منهم في كل يوم

وكان بين الطوبجية الذين مع ابن النجومي رجل اسمه محمد سلامه وهو
من الذين نجوا من مذبحه الجنرال هكس فقال له عبد الرحمن النجومي صوب
قنابل مدفع الكروب الى منارة مسجد الخرطوم والي سراي غردون
فاعتذر له بان هذه المسافة بعيدة عن المحدود لوصول مقذوفات هذا المدفع فقال
بعض الدراويش صوب المدفع وبركة المهدي تكفل اتمام الناقص فكان جوابه
انها لا تكفل أبدا فحنقوا عليه وشكوه الي ابن النجومي الذي أمر بضرب
عنقه فمات وأخذ الطوبجية الآخرون يرمون المقذوفات في المدينة التي كانت
تشر كل يوم بزيادة الضيق وتحس بالغلبة والسقوط الذي وراءه كل البلى
والمصائب وثبتت اقدام العدو وصار من المتعذر طرده وانسدت أبواب الآمال
في وجوه غردون ومن معه

ذكر مغادرة المهدي الرهد الى الخرطوم

لما فشل المهدي في محاربة جبل الداير وكان ذلك في أوائل شهر رمضان
سنة ١٣٠١ هجرية أعلن انه ينوي الاعتكاف للعبادة في أول يوم من العشرة
الآخيرة من شهر رمضان فلا يخرج من الاعتكاف الا لصلاة العيد

وفي يوم العيد اعلن ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالتقدم الى الخرطوم
ووعده بالفوز على من فيها من الحامية وبشره بفتحها ومن ذلك اليوم زحفت
جيوشه كسيل العرم على الخرطوم وسار هو حتي قطع القلعة التي بين كوردفان
والنيل الابيض وعسكر في قرية (شاة) على مسافة بضعة أميال من النيل
الابيض وعلى مسيرة ثمان مراحل من الخرطوم
أما جيوشه فكانت زهاء ستمائة ألف مقاتل فشت بينهم المجاعة
والامراض كالجدري والاسهال

ونشر المنشورات على الناس يدعوهم الى الجهاد ويعدهم بالنعم في الدار الآخرة
لما يقاسونه من التعب وشظف العيش وقضى باهدار دم من تخلف عنه فإبى
الناس مطالبه وساروا معه بحيث كانوا أطوع له من بناته بالرغم عن الشدائد
التي كانوا يقاسونها

وفود أوليفر باين الفرنسي على المهدي

بينما كان المهدي سائراً في القلعة من الرهد الى شاة بلغه ان سفيراً قادم
اليه من فرنسا وقد جاءت اخباره مكبرة حتى قيل انه امبراطور فرنسا وقال
آخرون انه من أقارب جلالة الملكة فيكتوريا
ولما أوقف باين امام عبد الله التعايشي وراه قد لبس جبة مرقعة
وعمامة كال دراويش أخذ يتكلم مع التعايشي بالعربية فلم يفهم كلامه لما في
لسانه من عقدة العجمة فاستدعى سلاطين باشا وقال لبين تكلم معه بلغتك
فخيا بالانكليزية فلما منه انه انكليزي وقال له أتعرف الفرنسية فقال له
سلاطين تكلم فيما أنت فيه وعرفه باسمه فارتاب عبد الله التعايشي وانتهرها

فارتاع سلاطين واجاب التعايشى بقوله « اتى اخبرته بأن الله اعطاك علم ما يضره كل انسان وانك والمهدي لا يخفى عليكما شئ من هذه الضمائر » وكان حسين باشا خليفة حاضرا فقال لسلاطين صدقت ودعا لعبد الله التعايشى بطول البقاء فسر عبد الله التعايشى والتفت الى سلاطين وشكره على اختياره باين بامر اطلاعه على الضمائر وأوصاه بان يجتهد في سبر غور الرجل والوقوف على باطن أمره

وظفق باين يكلم سلاطين بالفرنساوية وسلاطين يترجم للتعايشى فقال اتى منذ حادثة سنى أحب السودانين وكذلك كل موظفى الفرنساويين يحبون السودانين وان الامة الفرنسية تبغض الامة الانكليزية التى احتلت مصر وارسلت غردون أحد رجالها الى الخرطوم وقد أتيت لاعرض عليكم مساعدتى ومساعدة قومى وانتهى الامر بان قدم التعايشى باين الى المهدي الذى رفض قبول مساعدته وأبقاه بمنزل سلاطين باشا حتى توفي بالحمى التيفوسية

ذكر وصول المهدي الى ام درمان

في أوائل شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٣٠٢ من الهجرة الشريفة ارسل المهدي الى اتباعه منشورا قال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بفتح الخرطوم في هذه السنة وأن عدد جملة (نصر من الله وفتح قريب) بالجمال الكبير يبلغ الفا وثلاثمائة واثنين

ولما اقترب من ام درمان وضع معسكره العام عند مكان اسمه (الفتيح) على بعد نحو عشرة أميال من معقل أم درمان وارسل جاسوسا يحمل نحو الف نسخة من كتاب يدعو به أهل الخرطوم الى التسليم له ووضع الكتب

في اثناء صفيح على شكل ابريق احتمله هذا الجاسوس وسبح به في النهر الابيض حتى وصل الى شاطئ المدينة حيث لا حراس يقومون بحراسة الشاطئ من جهة النيل الابيض لاتساعه وانما وضعت الجنازير فقط في المضائق لمنع السفن البخارية أو الشراعية من الوصول الى المدينة

ووزع الجاسوس الكتب والتي بعضها في الطرقات والازقة والمنازل ثم اختفي في المدينة حتى قفل راجعا من حيث جاء ولم يتيسر القبض عليه ومن ثم امرني غردون بوضع عسس في شواطئ النيلين الازرق والابيض وانقطع وقوع مثل هذه الحادثة وضبط العسس كثيراً من جواسيس المهدي وكان غردون يأمر باطلاقهم ولا يسمح بمعاقتهم وهما في صورة الكتاب المذكور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة أهالي الخرطوم هداهم الله الى الصواب آمين نعرفكم ان الله تعالى غني عن العباد. يهدي من يشاء الى طريق الرشاد . ويضل من يشاء ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً وقد طال ما تكررت منا النصائح وارادنا نجاة عباد الله وسلوكهم طريق الله فاناب الى الله من اراد الله سعادته وخالف من خذله الله فاصه وأعمى بصره فلا أدري ما الداعي الى عدم الانقياد أو الله شركاء يستشیرهم فيمن يجعله مهدياً أم له منازع في ارادته . كلا بل هو القادر الفاعل لما يشاء فيجب على كل ذي بصيرة الوقوف معه على حد الادب ولا يلتفت الى غير لا وجود له من نفسه وان يسلم الامر لله اذ بيده التقلبات

واليه المصير. ومن المعلوم اني عبد دال على الله فمن اتبعني فقد حاز السعادة الكبرى ومن خالفني سيذيقه الله عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وقد أظهرني الله رحمة للمؤمنين ونقمة على الملحدين المكذبين وقد طالما ذكرتكم بالله ورغبتكم فيما عنده وحذرتكم من وعيده فالي متى الغفلة والتسويف والى متى مبارزة مولاكم بالمداوة ألم يأن لكم ان تميل قلوبكم الى ما ينفعكم في آخرتكم ويجلب لكم الخير ويصرف عنكم الشر والضير اترغبون النجدة والفرج عند الانكايذ وتصرفون نظركم عن خالقكم الذي بيده أموركم وقوامكم وهو القوى العزيز فا الانكايذ وغيرهم واضعاف مضاعفة بشيء في جنب قدرة الله التي يعجز عن وصف كلها كل لبيب ونجيب. وما الفت الا من عند الله القريب المحيب. وحيث فهمتم ما ذكر فاني لا أوأخذكم على ما فات منكم ولا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فانيبوا الى ربكم وأسلوا له من قبل ان يأتىكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون وعليكم أمان الله ورسوله وأمان العبد لله وليس عليكم حرج فيما مضى وغايته ان من سلم سلم. ومن خالف عطب وندم. فبهاهيا ثم هيا الى طريق الفلاح والنجاح قبل قص الجناح ولا تخشوا من شيء يحصل عليكم فانا مناظرون فيكم قوله تعالى « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء ابجالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » اه

هجوم المهدي علي أم درمان

لما كانت حملة الجنرال هيكس مسكرة في أم درمان حصنت نفسها

بمخندق مربع يتصل طرفاه بالنيل الأبيض قبالة نقطة (المقرن) التي يجتمع عندها النيلان الأزرق والأبيض بأزاء الخرطوم في الشاطئ الغربي ثم انشأ أحد الألوية خندقاً داخل المخندق في مكان مرتفع وما حوله منخفض وفي أبان ارتفاع النيل تصل مياهه إلى المخندق الصغير بحيث تستطيع السفن الرسو عنده بخلاف أيام الانخفاض فإن النيل يبعد عنها بمسافة ألف متر تقريباً

ولما وصل غردون الخرطوم أعجبه موقع هذا المعقل ورأى ضرورة وجوده لحفظ المدينة من جهة الغرب فشاد فيه أبراجاً وطوابي وضع فيها ثلاثة مدافع من الطراز الجبلي وأربعمائة جندي من النظاميين نصفهم من السودانيين والنصف الآخر من المصريين

وفي منتصف شهر محرم الحرام سنة ١٣٠٢ هـ هجم المهدي بجيشه كله على نقطة أم درمان فقاتلته الجنود بيران حامية اضطرت إلى التقهقر بخسارة بضعة آلاف من مقاتلته فأحاط بالمخندق الصغير واستولى على المخندق الكبير وقطع الأسلاك بينه وبين النقطة وشاد نحو عشرين طابية على ضفة النيل الأبيض وضع عليها مدافع الكروب والمترليوز والجبلي فكانت مقذوفاتها تقع في المدينة فشاد غردون طابية في (المقرن) أزاء هذه الطوابي وشاد في جزيرة «توتى» أيضاً طابية قبالة طوابي أم درمان

ومكث المهدي محاصراً أم درمان إلى أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢ وسيأتي خبر تسليمها له



واقعة الجريف

في شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ انفذ غردون حملة تبلغ ألف جندي نظامي وأربعة صناجق من الباشبوزق تحت قيادة البكباشي سليمان افندي النشار فجمعوا على طوايي عبد الله بن النور في الجريف حتى اذا اقتربوا من الطابية أصيب فرس محمد بك اسلام أحد الصناجق برصاصة قضت عليه واستولى الجين على جنود الباشبوزق قفروا واشلم ركن المربع لفرارهم وتكاثر الدراويش على الجنود الذين تهمقروا بانتظام فتأثروهم حتى اقتربوا من الاستحكام الذي انصبت مقدوفاته على المدو واضطرتة الي الفرار وخسر الجنود في هذه الواقعة مائتي قتيل

وأصيب عبد الله بن النور برصاصة قضت على حياته. وعبد الله بن النور هذا من قبيلة (العركين) صاحب المهدي قبل دعواه وكان من خيرة أتباعه وأكبر قواده حتى قال عنه في «قدير» انه يموت شهيداً يوم فتح الكوفة

ولما اتصل بالمهدي خبر قتله كتب منشوراً قال فيه ان اسم (الجريف) في بعض الكتب القديمة الكوفة ثم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً فالذي قضى نحبه هو عبد الله بن النور والذي ينتظر هو عبد الرحمن النجومي

وجرت وقائع أخرى بين الحامية وبين ولد النجومي لا تختلف عن هذه الواقعة ولذلك أضربنا عن إيرادها

ذكر ارسال البواخر الى المتمة

كان في الخرطوم نحو تسع بواخر منها ما تبلغ قوته البخارية مائة وعشرين حصانا

ولما ابتداء الحصار حصنت هذه البواخر بصفائح من القولاذو وضمت باطرافها صناديق مملوءة بالاتربة لوقايتها من المقذوفات

وكان سعادة محمد نصحي باشا قائداً للواء المصرى الخامس فرقى الى رتبة اللواء وعين قومنداناً للبواخر الحربية وخلفه في وظيفته الميرالاي حسن بك البهنساوى وسار محمد نصحي باشا بالبواخر الى سنار وعاد منها بنزال لنعاء الحامية كما تقدم

ولما أخذ النيل في الانخفاض أرسل غردون البواخر الى المتمة تحت قيادته ومعه الصنjq خشم الموس بك الذى صار بمسئذ خشم الموس باشا ومكثت البواخر في المتمة بضعة شهور تنسم أخبار الحملة الانكليزية وتتردد بين المتمة وبربر حتى سقطت الخرطوم قبل ان يراها الانكليز

ذكر المجاعة في الخرطوم

لما كانت حملة الجنرال هيكس ذاهبة الى كوردفان أعدت الحكومة نحو مليونى أقة من البقسماط لغذائها وعهدت توريدها الى جماعة من التجار واتفقت معهم على ان يكون ثمن الاقة ثلاثة قروش مصرية

ولما ذبحت هذه الحملة وأصدرت الحكومة الخديوية الامر العالي القاضي بترك السودان واخلاء الخرطوم من الحامية واتلاف المقتلات كان من البديهي ان مثل هذا القدر من الميرة لا بد من اتلافه وتقديعه طعمة

لاسماك النيل وكان بعض التجار لم يوردوا ما بقى من المقادير التي تمهدوا
 بتقديمها فاغتم حسين سرى باشا الذي كان وكيلاً للحكمدارية قبل وصول
 غردون الى الخرطوم هذه الفرصة واستدعى أولئك التجار واتفق معهم على
 ان يتجاوز لهم عن نصف قرش في كل أقة ويؤدوا اليه الثمن فوراً وهو يأمر
 أمين المخازن أن يكتب لهم ورقة الخصم التي يقول فيها ان هذه المقادير
 سلمت اليه ووضعت في المخازن ويكتب حسين سرى باشا على ورقة الخصم
 حوالة على مالية مصر وقد بلغ ما تناول ثمنه بهذه الحياة ستمائة ألف أقة من البقسماط
 يقدر ثمنها بمليون ونصف من القروش اي نحو خمسة عشر ألف جنيه ثم جاءت
 الحوادث بخلاف ما كان ينتظره حيث لم تتجبل الحامية عن الخرطوم ولم ي تلف
 ما فيها من الذخيرة والميرة وابتدأ الحصار وكان غردون يظن ان ما في الدفاتر
 والاوراق الرسمية عن تقدير كمية ما في المخازن من البقسماط صحيح لا ريب
 فيه حتي أعلن خبر فراغ ما في المخازن وقبض على أمين الاقوات وشكل مجلساً
 من خمسين شخصاً من الاعيان والموظفين وظهر له ان مرتكب تلك الحياة
 هو حسين سرى باشا وكيل الحكمدارية وانتهى الامر بأن غردون صمم على
 استدعائه من مصر ليحاكم على ما اقترفه من الاثم وبديهي انه لا يكون ذلك
 الا بعد اخماد ثورة المهدي ورجوع المواصلات بين مصر والسودان وكانت
 الحكومة دفعت مائة وخمسين ألف ريال الى حمد التلب وسبعة آلاف ريال الى
 النور ابراهيم الجريفاوي ليوردا لها غلالاً من صنف الذرة سعر الارdeb
 أربعة ريالات فسافر حمد التلب مع حملة الجنرال وقتل معها وعهد الى وكيله
 توريد الغلال في مخازن الخرطوم فلم يفعل. أما النور ابراهيم الجريفاوي فانه
 اغتال المال لنفسه وانضم الى اعوان المهدي واشترك معهم في حصار الخرطوم

وسياتي ذكره في أيام التمايشي وأنه صار أميناً لبيت المال
والخلاصة ان الفللال الـ كانت في مخازن الخرطوم تبلغ نحو ثلاثين ألف
أردب وكان راتب كل جندي سبع أقات ونصفاً من البقسماط وأربعة
قراريط من الذرة

ويوجد حتى من أحياء المدينة فيه نحو أربعة آلاف نفس من الدناقلة
كانوا عالة على الحكومة وكانت تقدم لهم الضروري من القوت
وتفشت المجاعة في المدينة بصورة مريعة جداً حتى ان كثيراً من
السكان تورمت اطرافهم وصاروا لا قوت لهم غير ورق نبات اسمه (اللوبية
العفنة) كانوا يطبخونه ويلهقونه وصار قوت الحامية من الصمغ مخلوطاً مع
جمار النخل وقد شوهه ان الذين يقتاتون بهذه الاصناف يصابون بالاسهال
وتظهر على وجوههم أعراض تشبه أعراض مرض اليرقان الاصفر ثم
تتناقص قواهم الجسمية في مدة ثلاثة أيام تعقبها أعراض الموت

ومن غرائب ما رأيناه في حصار الخرطوم ان صيادي السمك قبل
الحصار كانوا يصطادون في كل يوم نحو ألف قنطار من الاسماك ولما بدأ
الحصار انقطع وجود الاسماك كأنها فرت من قنطرة البنادق وهزيم المدافع
حتى ان غردون اشتهى سمكة يتغذى بها قبل سقوط الخرطوم بأربعة شهور
فلم يتيسر الحصول عليها

وكما ان الاسماك هجرت شواطئ الخرطوم فان اراضي بساين المدينة
كانت تقوم بحاجة سكانها من البقول والفاكهة وفي ابان الحصار تلف كل
مزروعاتها ولم ينبت فيها شيء من البقول وذبلت أشجار الفاكهة
وتلاشت محصولاتها

وقد قاسى غردون من ألم المجاعة ما قاساه أصفر جندي من الحامية
أو أحقر شخص من سكان المدينة فانه اضطر الى التغذى بجمار النخل
حتى أصيب بتلك معدى كاديودي بحياته وفي ذات يوم جاءني الطبيب
اكسيوداكي اليوناني طبيب الحامية واخبرني بان مداومة غردون على تناول
الجمار لا تحمد مغبتها وان صحته الآن على خطر كبير ولا بد من تدارك غذاء
جيد له فكنت أتحصل له بعد كل يومين أو ثلاثة على دجاجة أو زوج
من الحمام الطاعن في السن

ودخلت عليه مرة وقد قدموا له شيئاً من المرق وكان لم يطعم شيئاً
منذ أربع وعشرين ساعة فلم يتناول من المرق الا قليلاً فالتحت عليه
في تناول كمية تقوم بتغذيته فامتنع وقال لي اني لا يهنا لي بال ولا تميل
نفسي الى طعام مادام جنودي يموتون جوعاً وانني فعلت الواجب علي والله
يفعل ما يشاء

وكانت أسعار القوت في المدينة حتى سقوطها كما يأتي ثلاثين ريالاً ثمن
الكيلة من النلة وعشرة ريالات ثمن الاقة من البقساط وخمسة ريالات ثمن
الاقة من اللحم البقري وكان بعض السكان يذبحون الحمر الاهلية والحكومة
تماقب من يرتكب ذلك

على أن كثيراً من سكان المدينة كانوا في رغد من العيش والغلال مخزونة
عندهم وهم بالنون في اخفائها بطن الارض حتى التزمت الحكومة بتفتيش
منازلهم ومقاسمتهم الغلال التي توجد عندهم فكانوا يتدمرون من هذه
المشاطرة ويبدون الاعذار بكثرة عائلاتهم واضطرارهم الى القوت
هذا وقد اختل نظام الجنود وفر اكثر الجنود ولحقوا بالمهدي وكثير

منهم توردوا على ضباطهم وألقوا عصابت تمبث في المدينة وتسطوا على باعة
الآقوات وتختطف ما يرضونه للبيع من الآقوات وهذه الأسباب دعت
سكان المدينة وسراتها الى الاحتفاظ على ما عندهم من القوت مهما عرض
المشترون عليهم من الثمن الباهظ

ذكر سقوط نقطة أم درمان

تقدم لنا ذكر هجوم المهدي عليها وما كان من أمر حصارها
وفي أواخر شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ فقدت حامية أم درمان القوت
واشتدت وطأة الحصار عليها فاستدعاني غردون لمراقبته. في صبيحة يوم ٢٧
ربيع الاول الى طاية المقرن تجاه نقطة أم درمان للمكاملة مع الحامية بالإشارة
فراقبته اليها ومكثنا بضع ساعات تتبادل الإشارة فعلمنا ان الحامية فقدت
القوت منذ ثلاثة أسابيع فسلنا قومندانها فرج الله باشا ان يوضع لنا عما اذا
كان قادراً على الخروج من الخندق واللعاق بالثلاث بواخر التي استقر الرأي
على انفاذها له في الغد فاجاب بانه قادر على ذلك فامر غردون باتلاف كل
المثقات التي يتمذر حملها

ثم عدنا الى سراي الحكمدارية وهناك أخذنا الالهة لاعداد الثلاث
بواخر وأخذت حامية أم درمان في الالهة وقدر أن ثلاثة من الجنود السود فروا
من الخندق ولحقوا بالمهدي وأخبروه ان الحامية ستأتيها البواخر في صباح
الغد وتحملها الى الخرطوم فأوصي قواده بالتيقظ لها فوضعوا لها كمينين
بين النهر والخندق

وفي صبيحة الغد وصلت البواخر الى شاطئ أم درمان فخرج عليها

الكمينان على غرة وأعمال السيف في رقاب الجنود الذين اضطروا الى العودة الى أم درمان بعد خسارة نحو مائة قتيل وعادت البواخر الى المدينة وفي منتصف النهار رافقت غردون الى طابية المقرن الحاملة حامية أم درمان أيضاً فلمنا ان سبب الفشل هم أولئك الجنود الذين لحقوا بالمهدي فاصدر غردون أمره الى القائد فرج الله باشا ان يسلم الحامية للمهدي فكتب اليه يسأله الامان فاجابه بكتاب صرح فيه بامانه وأمان أركان الحامية ولكن لم يوف به بل عذب الحامية وضربها بالسياط لتدل على ماخبأته من الاموال وفي اليوم الاخير من شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ الذي ضرب أجلاً للتسليم ركب المهدي في عدد كبير من فرسانه حتى دنا من الخندق فخرجت اليه الحامية وتقدم الضباط نحوه فترجل لهم عن فرسه وجلس معهم على الارض وقدم لهم شراباً من العسل وعين فرج الله باشا قومندانها قائداً من قواده وضمه الى حمدان ابي عنجه قائد الجهادية وسيأتي ان فرج الله باشا هذا هو الذي قتل نجاشي الاحباش يوحنا يوم واقعة القلابات وهذا المذكور ضابط أسود كان بحامية فشوده وكان برتبة اليوزباشي فرقه غردون حتى أبلنه رتبة اللواء وكان ضابطاً لحراسة السراي ولم يكن أمر تسليمه ماساً بامانه ويظهر من خوى كتاب المهدي الآتي ان فرج الله يعرفه منذ كان بجزيرة «آبا» وعلى كل حال فانه لم يقصر في واجباته ولم يرتكب أمراً يشينه وكما انه خدم الحكومة باخلاص فانه لم يخن الدراويش. وهامي صورة الكتاب نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد

فمن العبد المفتقر الى الله الوائق بما عند مولاه محمد المهدي بن عبد الله الى
أحبابه المكرمين المعظمين وأهل الدراية وهم كبير العسكر وعظيمهم فرج الله
وصاحبه عبد النبي ومن انضم اليهم من الاكابر والاصاغر اعلموا وتحققوا
أحبابي اني لست قائما هذا المقام الا لدعوة الخلق الى الله وسعادتهم الكبرى
ونيل مراتبهم العلية وتغييرهم عما يضرهم من خسيس فاني للذات التي
تعقب طول الحشرات وقد بلغتني ان المكرم المعظم فرج الله من ضباط
أهل فشودة الذين يحبوني سابقا وانا «بآباء» من معرفتهم زهدي في الدنيا وصدق
في الطلب لما عند الله وإرادة الآخرة ودلالي على الصلاح والفلاح وارشاد
العباد الى رضا الفتح ليكتسبوا دائم المطلوب من النجاح فلا تظنوا اننا
نطلب أموالكم وما ملكت أيديكم ان سلمتم لنا وصرتم من أصحابنا فان
سلمتم لنا فقد حزنتم الكرم وصرتم من أصحابنا وأصحابنا الذين بشرنا سيد الوجود
صلى الله عليه وسلم بانهم كاصحابه رضوان الله عليهم وأدنى أصحابي رتبة ينال
مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى وفيما ذكرته كفاية لاهل
العناية وأظن انه قد بلغتكم انذاراتي سابقا فلا فائدة في التطويل فان سلمتم
فقد عفوناكم ورضينا عليكم وكنتم من الاصحاب المكرمين الذين لهم عند
الله حسن المسكنة الابدية فلا تظنوا فينا الا نياكم منا كل خير فاني المهدي
المنتظر خليفة نبيكم صلى الله عليه وسلم فابشروا بالكرامة والفخامة ان
سلمتم لي واتبعتموني وليكن معلوما عندكم أحبابي ان من لم يصدقني ويتبعني
يعذب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد واني موعود بملك جميع الارض ورأيتم
نصرتي في حال الضعف والقلة الى ان بلغت هذا المبلغ واجتمعت عندي
أسلحة راشد بك وولد الشلالي والهكس والابيض ودارفور وبحر النزال

وجباخينهم وبشرت اني لو أردت لقبض الله سلاح الترك بحيث ان أصحابي يقتلونهم ولا يقتلون ولكني اخترت توفيقا من الله ان ينال أصحابي الشهادة ويبلون في الله لينالوا عظيم المكانة عند الله كما في كتاب الله واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما علمتم ولتعمدوا هذا زيادة كتبت هذا بخطي والسلام الخ

ذكر الاخبار التي تبودلت بين غردون والمهدي

لم يفتأ المهدي يدعو غردون الى التسليم له والخضوع لجبروته وقد عرض عليه جملة اقتراحات منها انه يسمح له ومن معه من المصريين بالنزوح الى مصر وترك الخرطوم على شرط ان لا يحملوا من متاعهم الا ما خف وان يؤدوا أجرة الجبال التي تحملهم الى حدود مصر

واقترح المهدي مرة على غردون ان يسلمه المدينة وفي نظير ذلك يسمح له بالعودة الى بلاده بدون قيد ولا شرط

وكان غردون يرسل الى المهدي الكتب تباعاً في بعضها الاستمراء به وفي بعضها يقول له ان حكومة جلالة الملكة تفديه منه بعشرين الف جنيه فرد عليه المهدي بانه يسمح له بالذهاب الى وطنه بغير ان يتناول شيئا من الفداء وفي بعض الكتب يخبره بتقديم الانكاييز لا مداده ويؤكد له ان اجتماعه بهم مستحيل وانه موقن بقتلهم وغلبتهم كما حصل لملتي يوسف باشا الشلالى وهيكس باشا

وكان غردون قد انقطعت عنه اخبار الحملة الانكايزية ولم يكن يعلم بتقديمها نحوه الا من الكتب التي يرسلها له المهدي

وكان عبد القادر بن أم مريوم الذي تقدم لنا خبر خدمته لغردون ولحاقه بالمهدي وصيرورته قائداً من قواده قد أهدر غردون دمه وجعل جائزة لمن يأتيه برأسه ثم كتب غردون إلى المهدي يقول له ان عبد القادر بن أم مريوم صديقه الحميم وصاحبه القديم وأنه يتمنى ان يكون رسول المهدي إليه ليقدم له الخضوع والتسليم فظن المهدي لهذه الحيلة وخاف ان ينتقم غردون من عبد القادر فصار يعده بإرساله ان جنح لمسالته وهذه صور الكتب نقلا عن كتاب المنشورات

الكتاب الاول

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله إلى غردون باشا هداه الله إلى طريق النجاة قبل ان يتلاشا آمين نعلمك ان جوابك رد الحرر منا وصل إلينا وفهمنا مضمونه وقد عذرناك في عدم اذعانك واجابتك لنا بالطاعة كما طلبنا منك وذلك لانك لم تدر الحقيقة التي نحن عليها وبحسب مقامنا ودلائنا إلى الله وشفقتنا على عموم خلق الله حتى من هو مثلك لم يطب قلبنا بصرف النظر عنك ولا زلنا ندارجك عسى الله ان يهديك إلى سواء السبيل فاجب داعي الله واغثم سلامتك من الشر الويسل فقد رأيت ما حل ونزل ولا زلت تري ولا طاقة لك ولا لاصوانك بحرب جند الله عز وجل وقد ذكرت أن عبد القادر ولد أم مريوم حبيبك وتقبل قوله ونصيحته وطلبت إرساله لك فلي م ذا هل أنت منيب إلى الله وقصدك التسليم لنا على يد المذكور

أم أنت على تصميمك في اعراضك ومعاداتك لربك فافدنا على هذا لنعلم طلبك
له هو علي أي الوجهين ونرسله لك ان رأينا في ذلك صلاحا للدين واقول لك
ان عزة الاسلام خير لك وابقى لدوام احترامك في الدارين فتحل بها ان عقلت
والسلام ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٠٢

الكتاب الثاني

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فن العبد المفتقر الى الله المعتمد به محمد المهدي بن عبد الله الى التردون باشا
فسلم تسلم يؤتك الله أجرک مرتين وان اعترضت كان عليك اثمك واثم من
معك فقد اتاني الخبر من الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجردة الآتية لو
لو كانت ممي ستة أنفار تموت أو خمسة تموت أو واحد تموت أو وحدي
كذلك ولو كانت مثل ورق الشجر ونبت الوعر وموج البحر وقد أتاني خبرها
انها تموت أيسر من موت جردة ولد الشلالي والمهكس والمديريات الغربية
كلها والبحر الأبيض وكذلك موعود بجميع البلاد فالامر لله ومادام ان الله
القادر أيدني بالكرامات وبالنصر فلا يضرنى انكار منكر وانما يضر نفسه
فقط والامر الذي أوعدت به من رسول الله صلى الله عليه وسلم جار على
ان الجردة التي تعتمدونها مالها وجه يوصلها لكم من سد الانصار الطرق فان
اسلمت وسلمت فقد عفونا عنك واكرمناك وسامعناك فيها جرى منك وان
أبيت فلا قدرة لك على نقض ما أراده الله وستري والسلام ربيع أول سنة ١٣٠٢
«تحشية» وان طلبت زيادة بعد وصول جوابي هذا فتخبرك المرأة الواصلة

إليك وإن رأيت التمكن واليقين أن أردت التسليم أكثر من هذا الجواب
سنرسل لك عبد القادر ولد أم مريوم لزيادة الطمأنينة في الأمان فلا مانع
وبذا لزمتم التحشية

الكتاب الثالث

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم * والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .
(وبعد) فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا .
وقاه الله كل شر لاشا . فان أراد الله سمادتك وقبلت نصحننا ودخلت في
أماننا وضماننا . فهو المطلوب وإن أردت أن تجتمع على الانكليز الذين أخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهم فنوصلك اليهم فإلى متى تكذبينا وقد
رأيت مارأيت وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاك من في
الخرطوم قريبا إلا من آمن وسلم ينجيهم الله ولذلك أحببت لك أن لا تهلك مع
الهابكين لانا قد سمعنا مرارا فيك الخير ولكن على قدر ما كاتبناك للهداية
والسعادة ما أجبنا بكلام يؤدي الى خيرك كما نسمعه من الواردين والمترددين
والآن ما أيسنا من خيرك وسعادتك ولما سمعنا من الفضل فيك سنكتب
لك آية واحدة من كتاب الله عسى أن ييسر الله هدايتك بها اذ جعلنا الله
باب الرحمة والدلالة الى الله ولذلك طال ما كاتبناك لترجع الى وطنك وتحوز
فضيلتك الكبرى ولئلا تيأس من الفضل الكبير أقول لك قال الله تعالى
« ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » والسلام ٢٥ ربيع أول سنة
١٣٠٢ وقد بلغني في جوابك الذي أرسلته إلينا أنك قلت أن الانكليز

يريدون ان يقدوك وحدك منا بمشرين الف جنيه ونحن نعلم ان الناس
يتقولون من البطل كلما كثيراً ليس فينا وذلك لصدود من أراد الله شقاوته
ولا يعلم نفيه الا من اجتمع بنا وأنت ان قبلت نصحنها فيها ونعمت والا ان
أردت ان تجتمع على الانكليز فبدون خمسة فضة نرسلك اليهم والسلام في تاريخه

ذكر فرار الصنجقين عمر والمعطا

كانت حالة المدينة وما أصابها من المجاعة مجهولة لدى المهدي لما كان
يظهره له غردون من الجلد وكان ضمن جنود الباشبوزق صنجقان يقود
كل واحد منهما مائتي جندي من الباشبوزق اسم أحدهما عمر ابراهيم والآخر
المعطا الدود الشايقي

وفي ذات يوم جاءني الاول وقال ان له قريبا في جيش المهدي ارسل له
كتابا قال فيه ان الحملة الانكليزية وصلت الى جهة (ولد البصل) التي تبعد
عن الخرطوم بمسيرة مرحلتين جهة الشمال وانه يتحمل مسؤولية عدم صحة
هذا النبأ ثم طلب ان تدفع له مرتبات جنوده من صنف الجنيه الذهب
خلافاً للمادة المتبعة وقتئذ من صرف المرتبات من ورق البون ومن المسكوكات
مما فاصدرت الامر بصرف مرتبه ومرتبات جنوده من صنف الجنيه
الذهب وكانت ذلك نحو أربع مائة جنيه وكذلك أمرت بصرف مرتبات
جنود المعطا الدود من صنف الذهب أيضاً وبعد قبضهما عادا الى مواقعهما
من الاستحكام

وما كاد الظلام يرخي سدوله حتى فرا ولحقا بالمهدي وأوقفناه على حالة المدينة
وما تقاسيه حاميتها من وطأة المجاعة وفقدان القوة ثم اعلماه بمكان في طرف

الخنديق من جهة النيل الأبيض هبطت عنه مياه النهر وهو مملوء بالاوحال
تستطيع جنوده ان يدخلوا من هذا المكان وأطلما على كل عورات الخندق
وارشدها الى الطريق التي يمكنه الدخول منها . وبالجمله فان هذين الحائنين هما
اللذان شجعا المهدي على محاولة فتح الخرطوم عنوة ولولاها لظل محاصراً
للخرطوم لا يجسر على الهجوم عليها وأخذها عنوة

ولما اتصل خبر قرار ذينك الحائنين بغردون استدعى فرج باشا الزيني
ووبخه على اختياره هذين الشقيين وشهادته باستقامتهما وبمدهما عن الميل
لجهة العدو ثم أمر باجراء تحقيق ظهر منه انهما كانا قد اشتريا من فرج باشا
وظيفتهما ودفعا له ثمناً باهظاً ثم أمر بحفظ الاوراق حتى تسنح الفرصة
بمحاكمة هذا القائد وذلك لا يكون طبعاً الا بعد انقاذ الخرطوم



ذكر ماديرة غردون لانقاذ الاوربيين

لما سقطت أم درمان وبرحت المجاعة بحامية الخرطوم استدعى غردون
قناصل الدول وأعيان النزلاء الاوربيين الى مجلس عقد بسراياه ثم اتفق الرأي
على استداعي ومعي الاوربيون والقناصل لنبرح الخرطوم على باخرة صغيرة
اسمها (محمد علي) ونالحق بخط الاستواء أو بالتمتة لنقابل جنود الانكليز
القادمين لانقاذ غردون غير أن أحد القناصل أبدى رأياً قال فيه ان للدراويش
طوابي وموانع على البحر الأبيض تجمل نجاة الباخرة من مقدوفاتهم مستحيلة وقال
ان اللاحق بالتمتة أقرب الى السلامة فوافق الحاضرون على رأيه ثم كتب لي
أمراً قال فيه انه لحبتي اياك واعترافي بخدمك الجليلة التي أدتها لي أرى ان

اكافلك بالنجاة مما وقعت انا فيه ولذلك انتدبتك لمرافقة الاوربيين والقناصل الى المتمة لاننى عالم باننى اذا أصبحت أسيراً في أيدي هؤلاء الاشقياء فلا تتركني حكومة جلالة الملكة وانها تقدم القناطير المقنطرة من الذهب فداء لي وأنا ائتمنى لك النجاة من صميم قوادى يا عزيزي فوزى لانك اذا وقعت أسيراً في يدهم لا تفديك حكومتك ولو بدراهم قليلة »

وفي يوم الاربعاء ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٠٢ صرفت لي الذخيرة والاسلحة وتسليح الاوربيون وكان هذا التدبير سرى وأذعت بين الناس انهم عينوا بصفة عسس ثم اجتمعنا بمنزل قنصل اليونان يقولوا لو انديدي واجتمع معنا بقية قناصل الدول وأعيان رعاياهم فابدي الكل عدم استحسان هربهم مع بقاء فردون عرضة للخطر وودوا مساعدتى في اكرام فردون وحمله الى الباخرة ولو بالقوة ساعة السفر فاستصوبت رأيهم وافقت مع حراسه وخدمه على حمله بالاكرام الى الباخرة وقت السفر وقد ضربنا أجلاً لهذا السفر منتصف ليلة السبت ٧ ربيع الثاني

وفي صبيحة يوم الجمعة ٦ ربيع الثاني تفقدت خط النار والقيت التنبيهات فم عدت الى المحافظة واستدعيت القناصل والقيت عليهم التعليمات ليكونوا هم ورعاياهم على قدم الاستعداد عند منتصف الليل فقالوا نرى ان العدو قد رسخت أقدامه حوالى المدينة وان مدافعه مطلة على كل مضائق النهر واننا نرى ان تتربص هنا نحو ثلاثة أيام وثمانيا تصل الجنود الانكليزية فذلك خير من محاولتنا الفرار الذى لا تكون عاقبة الاقدام عايه مضمونة فلم أقبل منهم هذا القول وأصررت على انفاذ ما قررناه أولاً فذهبوا الى فردون وعرضوا مقاتلتهم

عليه فاستدعاني وأمرني بالاذعان لما أشاروا به فكان ذلك

ثم أصبحنا يوم السبت ٧ ربيع الثاني والازمة في ازدياد الشدة والحامية قد
فقدت كل قوة تدفع بها العدو والى الله مصير كل شيء.

ذكر سقوط الخرطوم ومقتل غردون

كانت الحملة الانكليزية قد وصلت الى النيل عند نقطة المتمة وانتصرت على
جيوش المهدي في آبارابي طليح بين دنقلا والمتمة كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه
ولما وصلت اخبار الحملة الانكليزية وانتصارها على اتباعه الى المهدي
كبر عليه الامر واستدعي خواصه الى مجلس عقد للمشاورة فيما ينبغي فعله
فذهب فريق الى وجوب زحف المهدي بنفسه على الحملة الانكليزية وقال
آخرون بل يترك المهدي حصار الخرطوم ويتجهق راجعا الى كوردفان فقام
ابو قرجة احد الامراء ومعه عبد القادر ساتي علي عم المهدي ورئيس نوابه
وقالا ان الانكاز لا يقصدون غير الخرطوم وانه اذا بلغ الخرطوم مائة جندي
انكليزي صار من المستحيل وقوعها تحت قبضتنا فالاولى بان نحاول اسقاط
الخرطوم وفي اسقاطها وقوع اليأس في قلوب الانكاز الذين نتقدم لمحاربتهم
بعد ذلك فوقع كلاهما هذا موقع القبول عند المهدي واستحسنه

وشجع المهدي على ذلك ما علمه من عورات المدينة التي اطلعه عليها الصنجقان
عمر ابراهيم والمطا الدود فعقد نيته على اسقاط الخرطوم بالقوة والاقتدار
وفي صبيحة يوم الاحد ٨ ربيع الثاني خرج المهدي من كوخه يحمل
على رأسه مقطعا من الخوص مملوءا من الرمل فتبعه الناس حتي انتهى الى
ضفة النهر فاحاط به الناس وهو لا يكلم احدا منهم واخذ يقبض من الرمل

بيده ويقذفه في النهر ويرفع صوته قائلاً « الله اكبر على الخرطوم » فيجاوبه من حوله بمثل مقالته حتي فرغ مافي المقطاف من الرمل فالتفت الى من حوله وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالهجوم على المدينة في هذه الليلة وان سقوطها في يده ضربة لازب ثم ركب زورقا واجتاز النهر الى الضفة الشرقية حيث قصد معسكر ابن النجومي

وبعد صلاة العصر ركب جملاً واحتشد الناس حول فائي على ابن النجومي وقال له ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالاستيلاء على الخرطوم في هذه الليلة وأمره أن يقسم مقاتلته الى ثلاث فرق كقلب وجناحين ويكون هو في القلب ومعه الفرسان ويكون قائد الميمنة الحاج محمد ابو قرجة ومعه حملة البنادق ويكون قائد الميسرة محمد نوباوي شيخ قبيلة (بني جرار) احدي بطون قبيلة الكبابيش ومعه الاعراب والبقارة المسلحون بالحراب والسيوف وان يكون هجوم القلب على نقطة الوسط من الخندق عند البرج المعروف باسم (باب المسلمية) وهي مقر فرج باشا الزيني قومندان الحامية ويكون هجوم الميمنة على الخندق مما يلي النيل الازرق جهة (بري) ويكون هجوم الميسرة على الخندق مما يلي النيل الابيض عند المسكان الذي انحسر عنه ماء النيل وتراكت عليه الاوحال وصار في الامكان الوصول الى المدينة منه وقد ذكرنا ان الصنجقين الحائنين عمر ابراهيم والعطا الدود الشايقى هما اللذان اطلعا المهدي على حقيقته

وقدم المهدي عمر ابراهيم المذكور الى محمد نوباوي قائد الميسرة بصفة دليل يرشده الى ذلك المكان ودفع اليه شخصاً آخر اسمه بدوي الدنقلاوي وكان كياناً في الشونة بصفة دليل ثان

وأصدر المهدي الى محمد نوباوي أمراً قال له فيه ما يأتي
 « لدى دخولك المدينة يجب ان تقصد سراي غردون على الفور وتبلغه
 تحيتي ثم تحافظ على حياته ولا تترك أحداً يمتدّي عليه حتى توصله الى سالما
 بنير ان يصيبه مكروه » وخطب على الجمع قائلاً لا يتعرضنّ منكم أحد
 الى حياة غردون بسوء لاني أريد أن اقتدى به أحمد صراي باشا ثم خطب
 فيهم يحضهم على الجهاد ويدكرهم بنعيم الجنان وقال لهم في ختام خطبته احموا
 الحشائش لائقائها في الخندق حيث تجتازون عليها وقفل راجعاً الى أم درمان
 ومعه عبد الله التمايشي وترك الخليفين محمد شريف خليفة الكرار والخليفة
 علي بن حلو خليفة الفاروق واجتاز النهر آيّا الى أم درمان
 وأصدر المهدي أمراً أيضاً الى حمدان أبي عنجة قائد جيشه في أم درمان
 بإطلاق القنابل تباعاً على المدينة من عصر الاحد ٨ ربيع الثاني الى ظهر يوم
 الاثنين ٩ من هذا الشهر وان يصوب قنابله الى مضيق البحر لمنع أي باخرة
 تقصد الجهة الشمالية

وقد اجتاز النهر من أم درمان الى معسكر ابن النجومي نحو مائة ألف
 مقاتل من البقارة ليشاركوا في اسقاط المدينة وكلهم صاروا من مقاتلة
 الميسرة لانهم مسلحون بالحرايب والسيوف

هذا ما كان من أمر المهدي وأما حالة المدينة والحامية فقد أصبحنا يوم
 الاحد وجو المدينة مكفهر والسماء متلبدة بالغيوم والشمس محجوبة عن العيون
 والبرد قارس خلافاً لمادة الطقس في السودان اذ الجو يكون صحوّاً والشمس
 بارزة بأشعتها المحرقة في كل أيام الشتاء وقد عد البسطاء تلبد السماء واحتجاب
 الغزاة بما ينذر بالمطر في مثل ذلك اليوم كرامة من كرامات المهدي لان

أهالي تلك البلاد لا يمتطرون الا صيفاً والجو يكون في غاية الصحو زمن الشتاء عندهم .

وقد أثرت برودة الطقس واحتجاب الشمس على قوي الجنود وتركهم كأنهم صرعى في مواقعهم على الخندق

وكان غردون ومعه قناصل الدول واقفين على سطح السراي ينظرون بالنظارات الممظمة الى كثرة الدراويش الذين يجتازون النهر ويلحقون بمسكر ابن النجومي وقد استتجوا من تكوف الناس في صعيد واحد ان المهدي لا بد أن يكون في مسكر ابن النجومي ولا بد أن يكون قدومه لشأن ذي بال لانه لم يقدم على مسكر ابن النجومي منذ حل بام درمان

وفي منتصف النهار استدعاني غردون الى السراي وأخبرني بماشاهده مع القناصل من كثرة اجتياز الدراويش للنيل وانضمامهم لمسكر ابن النجومي ثم قال لي هيا بنا نطوف حول الخندق ونشاهد الجند فراقته الى الخندق وقضينا أربع ساعات في التطوف حوله وكان يشجع الجنود ويحثهم على المقاومة والثبات ويمدح بوصول نجدة الانكاز في القدر فلم يلتفت احد لاقواله وكان كمن يصرخ في بركة أو يطلب من الماء جذوة من النار اذا الساكر كما قلنا صرعى لا حراك لهم فعدنا الى السراي وقد أخذ اليأس منا كل مأخذ واجتمع عنده قناصل الدول لدى عودته وكان الليل قد اقبل ولا تزال السماء متلبدة بغيوم حجبت نور القمر فقال غردون للقناصل لقد رأيتم تجمع العدو واتي بتفقد الحامية وجدت الجنود قد فقدوا كل قوة وشجاعة يقدرون بها على حراسة الاستحكام في هذه الليلة المشؤمة واني موقن بسقوط المدينة قبل أن يسفر الفجر وقد كنت عملت ما في وسعي لا نقاذكم من هذا الخطب فتقاعدتم وأبيتهم

ليتم ما قضاه الله عليكم وإلى هذه اللحظة فأنى أدعوكم لانتفاذ ما اتفنا عليه أولاً
فهاهى الباخرة تقوموا وسيروا بها ومعكم ابراهيم فوزي كما تقرر قبلاً عسى
أن يقرن سعيكم بالنجاح وتقابلوا الجنود الانكليزية أما أنا فأنى موقن بعدم
لقائهم فأجابوه بأن نجاة الباخرة مستحيلة لأن طوابى العدو قد تضاعفت
وزاد عددها اضعافاً على الذي رأيناه يوم الجمعة وعلى ذلك فنحن هنا قاعدون
والله يفعل ما يريد ثم هموا بالانصراف فصالحهم كلهم قائلاً اننى أبرأ إلى الله
والعالم أجمع من تبعة أى داهية تلم بكم فقالوا نحن نشهد بما تقول فصالحهم
وملاهم تدل على انه لا يتوقع لقائهم بعد وشيعهم إلى السلامك وكان يحني
رأسه ويحرك شففيه فكأنه كان يقول « الوداع الاخير أيها السادة »

ولما عاد القناصل استدعانى إلى غرفته وقال لي ما يأتى

« أنا موقن بوقوع الحادث الاخير على هذه المدينة في هذه الليلة واننى
كما علمت لم أدر شيئاً من سعي في سبيل انتقاذها ولكن لأزال أشعر بتبكيت
الضمير الذي يؤلمنى لتركى اهالى هذه المدينة الذين وثقوا بى وحاربوا معى
عرضة لانتقام المهدي ولو لم أكن طول حياتى اطلب رضا الله في كل أعمالى
لا تتحرت تخلصاً من وخز الضمير لكن الانتحار ينافي التفويض والتوكل على
الله الفاعل لكل شئ ويوجب غضبه سبحانه وتعالى » وقد كنت خلال
هذا الحديث أنظر إلى وجهه فلم أر غير الثبات كأنه متوقع وقوع حادث جلل
وقد لمحت في غضون محادثته ان صدره متجيش بالعبرات التى لم تكن
من جزع أو حزن بل هى كما قال من تبكيت الضمير وفي الختام ودعنى مشياً
إلى السلم خلافاً لعادته المألوفة معى وقال عليك بحراسة البلدة بمن موك من
الأوربيين واننى أعلم ان ذلك لا يجدي نفعا ولكن نقوم بواجبنا لآخر لحظة

والله يفعل ما يشاء ثم قال لي انني ساصعد الى سطح السراي لاننى أشعر
بانتفاض فقلت له ان البرد قارس جداً فقال ليس على بأس منه فودعته حوالى
الساعة الخامسة من الليل وكانت مناوشات العدو فى ازدياد من جهة الخندق
ومن جهة أم درمان

وكانت الالاب النارية تطلق حوالى السراي تسكينا لخواطر السكان
وارهابا للعدو ولما خرجت من السراي قصدت دار المحافظة واجتمعت بالمس
الاوروبى وتجولت معهم فى المدينة وحوالى الجبهه خانه ثم عينت لهم مواقعهم
وأبقيت معى ثلاثين جندياً من المصريين وقصدت دار المحافظة أواخر الساعة
العاشرة فالتفت بها اشعارات فهمت منها ان لدى الحامية أخباراً بان العدو على
وشك الهجوم على المدينة فشرعت فى تدوينها وكانت الساعة اذ ذاك احدى
عشرة ولم أفرغ منها حتى سمعت ضوضاء الدراويش قد دخلوا من جهة النيل
الابيض فجمعت الثلاثين جندياً الذين كانوا معى وأدركنا فى الطريق ثمانية من
اليونانيين من المس الاوروبى وقصدنا سراي غردون فبلغناها والتجبر قد
ظهر ولم نكد ندنو منها حتى أبصرنا نحو عشرة آلاف من العدو محيطين بها
فتقهقرنا راجعين الى دار المحافظة وما بلغناها الا بعد اللتى والتى وهناك قعد الجنود
فى النوافذ وصوبوا البنادق على كل من اقترب منا حتى منتصف النهار حيث
أحاط بنا العدو واسلمنا انفسنا وسيأتى ذكر معاملته لى ولسائر سكان المدينة
هذا وقد كان زحف العدو على المدينة كما شرحناه وكان القائد فرج
باشا واقفاً عند باب المسلمية ولما أحس بدخول الميسرة على الخندق مما يلى
البحر الابيض أمر بفتح باب المسلمية حيث فر منه بعد ان تنكر بملابس
جندي ومعه القائم مقام سرور بهجت وسنعود الى ذكر قتلها

ولما دخل محمد نوباوى المدينة قصد بكل مقاتلته سراى غردون وكانوا
 زهاء مائة الف مقاتل فاطل غردون من النافذة ونظر اليهم ثم قال لحراسه
 لا تبدوا معارضة لاي أحد يريد الوصول الى وياكم ان تبدوا أقل دفع
 ثم تقلد كسوة التشريفة الصنرى التي هي ملابسه اليومية على الدوام وتقلد
 سيفه ولبس طربوشاً وضع عليه رداء حريريا (كوفية) وربطه بمقال كزى
 الاعراب فدخل عليه محمد نوباوى وجماعة من مقاتلته فوجدوه جالسا على
 كرسيه ممسكا بيده منديلا أبيض فابتدره أحد الدراويش وقال له اين أموالك
 يا غردون يا كافر فتبسم ضاحكا وقال له أين (محمد احمد) يقصد المهدي فابتدره
 الرجل بطعنة في صدره خر منها صريعا على الارض يتخبط في دمه ولكنه
 لم يفقد الحواس من هذه الضربة

وتقل لي أحد الحاضرين انه سمع واحداً من الدراويش صاح بالذى
 طمن غردون وقال له لا تقتله بل أبقه كما أمر المهدي فاجابه القائد محمد نوباوى
 بقوله ان الخليفة التعايشي أمر بقتله وكان صوته خافتا حين نطق بهذه العبارة ثم
 سحبوا غردون من رجليه ولم يكن قد فقد الحواس ولا قوة النطق حتي
 قيل انه كان يتبسم وهو مسحوب على وجهه ثم انزلوه الى حوش السراى
 وهناك قطعوا رأسه وارسلوه الى الخليفة محمد شريف الذي كان وقتئذ في
 جامع الخرطوم فانتدب محمد بن عبد الكريم من أقارب المهدي فركب الباهرة
 اسماعيلية وأوصل رأس غردون الى المهدي الذي انكر قتله وصاح قائلاً لما
 ذا قتلتموه ألم أنحكم من قتله فقال له التعايشي ان قتله خير من استحيائه فبدت
 على المهدي علامات الغضب وأسرع بالقيام ودخل الى منزله ونصبت رأس
 غردون على خشبة طولها متران وأخذ النساء والصبيان يرجونها بالحجارة

ويهيئونها بالبصق حتى تهشم قطعاً صغيرة
 وبلغ عدد القتلى من سكان الخرطوم يومئذ أربعة وعشرين ألف رجل
 وثلاث نسوة وسنذكر معاملة المهدي لأهالي الخرطوم وانتقامه منهم
 بمصادرة الأموال وهتك الأعراض بعد هذه المذبحة وما ربك بغافل عما
 يعمل الظالمون

﴿ انتهى الجزء الاول من كتاب السودان بين يدي كتشنر وغردون ﴾

« ويليه الجزء الثاني وأوله قيام دولة المهدي في السودان »

{ كل نسخة من هذا الكتاب تكون مختومة بختم المؤلف
 الذي هو هذا }

